إرشاد السالكين
إلى
سبيل الصالحين

تأليف

أبي سلسبيل

عبدالفتاح بن محمد مصيلحي

بسم الله الرحمن الرحيم

إرشاد السالكين
إلى سبيل الصالحين

تأليف

أبي سلسبيل

عبدالفتاح بن محمد مصيلحي

رقم الإيداع

الطبعة الأولى ١٤٣٦هـ / ٢٠١٥م

حقوق الطبع محفوظة

الناشر: مكتبة العلوم والحكم

محمول ٠١٠٠١٦٢٢٦٦١

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعين به ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله ﷺ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾[الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد:

فإنَّ أصدق الحديث كتاب لله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشرَّ الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

إنَّ الله تعالى خلق الخلق وأحسن خلقهم ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ ١٤﴾ [المؤمنون:١٤]، وأرسل إليهم رسلًا يهدون الناس ويدلونهم على طريق الله، وختمهم بخاتم النبيين وسيد المرسلين، وأنزل إليهم كتبًا جعلها نورًا لهم وهداية وشفاء، وكان آخرها الكتاب المبين.

وترك رسلُ الله الناسَ على المحجة البيضاء لا يزيغ عنها إلا هالك، وأمر الله الناس أن يسلكوا الطريق الموصلة إليه، وحذرهم من الطرق الأخرى فإنها كثيرة لكنها ليست موصلة إلى الله، بل لا يوصل إليه إلا طريقًا واحدًا هو الطريق الذي سلكه السلف الصالح والسابقون من الصالحين.

ولما كان الدال على الخير كفاعله، وكنا نحب الصالحين، ولم نستطع اللحاق بهم، أرشدْنا إلى طريقهم لعلنا إن لم نصل إليهم بأعمالنا وهمتنا وصلنا إليهم بحبنا لهم وإرشادنا إلى رياضهم وسبيلهم.

ومن هنا أخى الحبيب:

ها أنا ذا أقدم لك بعض الإرشادات إلى سبيل الصالحين وطريقهم، وسميتها «**إرشاد السالكين إلى سبيل الصالحين**» لعلنا نصل إليها سويًّا، فإن لم نستطع أن نسدد فيكفينا أنَّا قد قاربنا.

واخترت في هذه الورقات بعض المنارات على هذا الطريق، ورتبتها بإذن الله تعالى ترتيبا مرضيًا لعلها أن تكون نافعةً إن شاء الله تعالى.

وأكثرتُ من ذكر الأمثلة من سيرة النبى ﷺ، وسيرة السلف الصالح والسابقين من الصالحين، إذ أنَّ أكثر الوسائل أثرًا في النفوس ذكر القدوة والمثل العليا التى تشحذ همة العبد، وتجعله يقوى على تخطى العقبات.

- فبدأتها بموضوع هام يبين منهجية الإسلام للحياة تحت عنوان " الإسلام منهج حياة " إذ يظهر في هذه الأيام من يظن أنَّ الإسلام قاصر على المساجد، أو يجعله قاصرًا بين العبد وربه ولا علاقة له بشئون الحياة، فبينتُ أنَّ الإسلام منهج لكل نواحى الحياة في دنيا العبد وفي أخراه.

- ولما كان منهج الإسلام هو الشريعة الكاملة الغراء أتبعت ذلك بالحديث عن محاسن الشريعة والافتراءات عليها، وذلك تحت عنوان " الشريعة

الإسلامية بين المحاسن والافتراءات ".

- ولما كانت هذه الشريعة الغراء بهذه المكانة عند الله اختار لها سبحانه اختيارًا خاصًّا في أحكامها وقصصها وأخبارها، بل كان لها اختيار خاص حتى في شكل وصفة ومظهر من يحملها لذا تكلمت بعد ذلك عن صفة النبى ﷺ الخُلُقية والخَلْقية تحت عنوان "صفة النبى ﷺ ".

- ثم بينت أنَّ التمسك بهذا الوحى هو سبب في الفوز بعناية الله تعالى وولايته ورعايته إذ هذا غاية ومراد كل عبد، وذلك تحت عنوان " التمسك بالوحى والكتاب سبب لعناية رب الأرباب".

- ولما كان التمسك بالوحى والكتاب والفوز بعناية الله وورعايته هو مفتاح السعادة في الدنيا والآخرة تحدثت بعدها عن هذا المفتاح وكيف ناله السابقون وتمسكوا به، وذلك تحت عنوان " مفتاح السعادة ".

- ومن المعلوم أنَّ السعى والعمل للحصول على هذا المفتاح أمر يحتاج إلى همة عالية فحاولت لذلك شحذ الهمم ورفعها تحت عنوان " الهمة العالية"

- وكأنَّ سائلًا يسأل ليس العبرة في الوصول إلى هذه الدرجة التى يرضاها الله تعالى بل الأهم من ذلك كيف أحافظ عليها وكيف يحفظها الله علىَّ فأجبته تحت عنوان" احفظ الله يحفظك".

- وبعدما تناولنا كل ما سبق ذكره من " جعل الإسلام منهجًا للحياة، إنزال الشريعة الغراء، وإرسال خير نبى أرسل للناس لنا، وجعل مفتاح السعادة لأوليائه، ورعاية الله وحفظه لهم " عُلِم أنَّ كل ذلك من فضل الله ومن نعمه على أحبابه وأوليائه، وعلم أنَّ هذا يحتاج من العبد أن يشكر الله عليه، فتناولت ذلك تحت عنوان " الشكر ".

- ثم بينت أنَّ الشكر ليس بالقول فقط وإنما هو بالعمل لذا تناولت بعض

الأعمال، منها أعمال القلوب وبدأت بها لأهميتها واخترت من بينها عملًا يَحُول بين العبد والمعاصى ألا وهو " الخشية "، ثم اخترت عملًا آخر يطمئن قلب العبد ويريحه ويوحد هدفه وغايته ألا وهو "التوكل "، وختمت أعمال القلوب بعمل هو الذي يجعل العبد منكسرًا أمام ربه، مطأطئًا رأسه من تقصيره وتفريطه في جناب الله تعالى ألا وهو " الحياء ".

- ثم بعد ذلك ذكرت أعمال الجوارح وبدأتها بـ " العلم " إذ هو أساس كل عمل، فالجهل سبب من أسباب الشر والتفريط، والعلم هو النور في الظلمات، والمنارات في طريق العبد إلى الله.

- ولما كان العبد أمينًا على أماناتٍ ائتمنه الله عليها بعد علمه بها، وما عليه إلا أن يحافظ عليها حتى يلقى صاحبها يوم القيامة فيؤديها له ذكَّرتُ نفسى وإياكم بالأمانات التى في أعناقنا وذلك تحت عنوان " الأمانة ".

- ولما كانت أعظم الأمانات بعد أمانة الدين الوالدين ذكرت بعض حقوقهما وفضل برهما والتحذير من عقوقهما، وذلك تحت عنوان " بر الوالدين ".

- ولما كان الناس مختلفين، فمنهم من يملك المال، ومنهم من يملك الصحة والقوة، ومنهم من يملكهما اخترت من أعمال الجوارح ثلاثة أعمال أخرى كل واحد منها يتناول نوعًا، فاخترت لأصحاب القوة والصحة شهر رمضان، وذكرت شيئًا من فضائله ونفحاته وبركاته تحت عنوان " نفحات شهر رمضان ".

- واخترت لأصحاب الأموال عبادة البذل والعطاء، وبينتُ أنَّ المال نعمة من نعم الله تعالى، وأنه سبيلٌ إلى الجنة لمن أقرض الله قرضًا حسنًا وذلك تحت عنوان " الإنفاق ".

– واخترت عبادة مشتركة لمن يملك هذا وذاك ألا وهى عبادة العمر نذكر شيئًا من نفحاتها والعظات والعبر منها، وذلك تحت عنوان " الحج مناسك وعبر ".

– وبعد أن وضعت بعض المنارات على سبيل الصالحين نظرت إلى بعض المسلمين الذين كثيرًا ما يُحرمون في أيامنا هذه من الوصول إلى هذا السبيل مع أنهم عمود الأمة وقوتها ألا وهم الشباب فخصصتهم برسالة تحت عنوان " رسالة إلى الشباب ".

– ولما كان كثرة انحراف الشباب وغفلتهم وحَيْدهم عن الطريق كان بسبب رفقاء السوء أتبعت رسالتى لهم بتحذيرهم من رفقاء السوء، وبينت أنَّ الرفيق هو دليل رفيقه وعلامته في الخير والشر، وذلك تحت عنوان " قل لى من صاحبك أقل لك من أنت ".

– وكأنَّ سائلًا يسأل: وهل يقوى الشباب على ترك الشهوات وملذات الدنيا واتباع هذا الطريق؟

فأجبته بصورة واقعية لفتية تركوا ملذات الدنيا واستمسكوا بدينهم وءامنوا بربهم واهتدوا فزادهم الله هدى، وذلك تحت عنوان " دروس وعبر من قصة أصحاب الكهف ".

– وربما يقول قائل أنا أرى كثيرًا ممن سلك طريق الصالحين ليس سعيدًا إذ ابتلاه الله في نفسه وذويه فكيف يكون هذا رضا من الله، فبينت أنَّ الله وعد أولياءه بالسعادة في الدارين وليست السعادة بعدم الابتلاء بل بالرضا وقت الابتلاء، بل إنَّ الابتلاء نعمة مع أنه يكرهه الناس، فتناولت ذلك تحت عنوان " الابتلاء ".

– ثم دلَّلتُ على أنَّ الابتلاء ليس مهانة بل كرامة من الله تعالى، ويدل لذلك أنَّ الله تعالى ابتلى أحب الخلق إليه ﷺ في أحب الناس إليه زوجه أم المؤمنين

عائشة، وظن البعض أنها قاسمة الظهر، لكن الله جعل فيها الخير الكثير للنبى ﷺ وآل بيته وللمؤمنين أجمعين، وذلك تحت عنوان " دروس وعبر من حادثة الإفك ".

- ولما كان غالب حيرة الناس وضلالهم عن هذا السبيل بأحد سببين الأول الظلم والثاني الدنيا ذكرت السبب الأول وبيان خطره وأنه ظلمات في الدنيا والآخرة وبينت سنة الله في الظالمين، وذلك تحت عنوان " إياك والظلم ".

- ثم ذكرت السبب الثاني لانشغال الناس وبعدهم عن الله ألا وهى الدنيا فبينت أنَّ أخذ الإنسان للقيم الزائفة وتركه للقيم الباقية هو الذي أودى به إلى المهالك، وذلك تحت عنوان " القيم ".

- ومع كل هذا الخير قد تجد أناسًا حُرموا منه، وظلموا أنفسهم، وغرتهم الحياة الدنيا فإذا نظروا إلى هؤلاء السابقين ونظروا لأنفسهم قد يصابون باليأس والقنوط، ويقولون ماذا نصنع بعد أن تركنا هذا الخير وحُمِّلنا بالذنوب والأوزار؟

فأجبته أن سارع بالعودة إلى ربك وتب إليه وستجد الله رءوفًا رحيمًا، وبينت منزلة التوبة وشروطها وكيف الإقبال على الله تعالى، وذلك تحت عنوان " التوبة ".

- ولما كانت التوبة لابد أن تكون قبل الموت وكان الموت هو المنتهى أتبعت كل ذلك بالحديث عن الموت، وأنه أمر حتمى لامفر منه، فلابد إذًا من الاستعداد له وتذكر ذلك اليوم دائمًا، وذلك تحت عنوان " الموت ".

- ثم بشرتُ الصابرين السالكين إلى سبيل الصالحين كما بشرهم الله تعالى فكما أنهم تعبوا واجتهدوا وصبروا وأحسنوا فإنَّ الله يجزي المحسن بالإحسان، وبينت بعض صور هذا الإحسان، وذلك تحت عنوان " هل جزاء الإحسان إلا

الإحسان ".

- ولماكانت النفس تتطلع دائمًا للنهايات، وكان أعظم إحسان من الله وأفضله للعبد هو الجنة ختمت بها، وذكرت بعض أوصافها، وشوقت النفوس إليها حتى يسهل بذلك اقتحام العقبات، وينال رضا رب الأرض والسماوات، وذلك تحت عنوان " الجنة ".

إذ أنَّ سبيل الصالحين، هو طريق جنة رب العالمين.

أسأل الله تعالى كما ختم لنا في كتابنا بالجنة وذكرها، أن يمن علينا جميعًا ويجعلنا من أهلها.

وصلى الله وسلم على نبى الهدى، وعلى آله وأصحابه، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

كتبه

الفقير إلى عفو ربه

أبو سلسبيل

عبدالفتاح بن محمد مصيلحي

الإسلام منهج حياة

إنَّ الله تعالى هو الرب الملك الذي يدبر أمور العباد ويرعى مصالحهم.

وهو الصمد الذي كمل في صفات الكمال...

كمل في سؤدده وعلمه...

كمل في حُكمه وحِكمته...

كمل في حلمه وقوته وعظمته.

لذا جعل في الشرائع شريعة كاملة وأتم بها البناء وأحسن الصرح العظيم.

فلم يجعل فيها رهبانية وبعدًا عن الدنيا وملذاتها...

ولم يجعل النظرة إلى الدنيا نظرة تشغل عن الآخرة ونعيمها...

بل جعلها منهاجًا للحياة بكل صورها وحاجاتها.

فرعى مصالح الآخرة والدين، وعنى بمصالح الدنيا وحاجات الناس.

وما من شيء كان للعبد فيه حاجة ورغبة إلا كان لله فيه حكم أو إرشاد إما بالإباحة إن كان فيه الخير أو بالمنع إن كان فيه الشر والسوء.

لذا كان الإسلام كله مصالح للعباد، وبعدًا عن المفاسد والمضار.

فما من مصلحة للناس في دينهم أودنياهم أو أخراهم إلا وحثهم عليها وأمرهم بها.

وما من مفسدة عليهم في دينهم أو دنياهم أو آخرتهم إلا وحذرهم ومنعهم منها.

لذا ما حُرم الناس من خير بقدر ما حُرموا لما ابتعدوا عن الإسلام.

فأضاعوا دينهم، وأفسدوا دنياهم، وخسروا آخرتهم.

❁ الإسلام منهج حياة: لأنه يأمر بالعدل:

والعدل لا يعنى المساواة إنما يعنى إعطاء كلِّ ذي حق حقه ولا يأمر بالمساواة إلا إذا كانت المساواة هى العدل.

لذا سوى الإسلام مثلًا بين الرجل والمرأة في بعض الحقوق وفرق بينهما في أشياء:

فسوى بينهما: في العبادت والواجبات مع مراعاة القدرة والاستطاعة.

سوى بينهما: في الحدود والجنايات.

سوى بينهما: في الجزاء والثواب والعقاب.

سوى بينهما: في الصلة والبر.

سوى بينهما: في أنَّ لكل منهما واجبات وعلى كل منهما حقوقًا وغير ذلك...

وفرق بينهما: فبول الجارية التى لم تأكل يغسل وبول الغلام الذي لم يأكل ينضح قال ﷺ " **ينضح بول الغلام ويغسل بول الجارية** "[(١)].

فرق بينهما: في الميراث قال تعالى ﴿وَإِن كَانُوٓاْ إِخۡوَةٗ رِّجَالٗا وَنِسَآءٗ فَلِلذَّكَرِ مِثۡلُ

(١) أخرجه أبوداود (٣٧٦)، الترمذي (٦١٠)، ابن ماجه (٥٢٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٨٤٢).

حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۗ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [النساء: ١٧٦].

فرق بينهما: في العبادة فأوجب على المرأة الفطر وترك الصلاة إن حاضت أو نفست.

فرق بينهما: في الزواج جعل الرجل قيِّمًا عليها لكمال عقلة وقوته.

فرق بينهما: في الشهادة جعل شهادة الرجل بامرأتين قال تعالى ﴿وَٱسْتَشْهِدُوا۟ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ ۖ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ ﴾[البقرة: ٢٨٢].

بل حتى بعد الموت فرق بينهما: في الأكفان والصلاة.

وغير ذلك مما لا تنتظم الحياة إلا بالتفريق بينهما، أو فرق بينهما لحكمة يعلمها الله قد لا تدركها العقول البشرية.

فسوى بينهما حين كانت التسوية بينهما عدلًا، وفرق بينهما حين كان التفريق عدلًا.

سبحانه هو الله الحكيم اللطيف الخبير.

❁ الإسلام منهج حياة: لأنه يهدي للتي هي أقوم:

إنَّ دين الإسلام يهدي دائمًا للأحسن والأقوم، فهو أحسن المناهج وأقومها للحياة.

ولكن قد لا يفهم الناس الحكمة لا لقصر بيان الإسلام ولكن لقصر العقول والأفهام.

قال تعالى ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ ﴾ [الإسراء: ٩].

قال الشنقيطى رحمه الله (أضواء البيان – بتصرف –):

– ومن هدى القرآن للتى هى أقوم: جعل الطلاق بيد الرجل:

قال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُواْ ٱلْعِدَّةَۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ رَبَّكُمْۖ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥۚ لَا تَدْرِي لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرٗا ۝١ ﴾ [الطلاق: ١].

لأنَّ النساء مزارع وحقول تبذر فيها النطف كما يبذر الحب في الأرض قال تعالى ﴿ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٞ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْۖ وَقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُمْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٢٢٣ ﴾[البقرة: ٢٢٣].

ولا شك أنَّ الطريق التى هى أقوم الطرق أنَّ الزارع لا يرغم على الإزراع في أرض لا يرغب الزراعة فيها لأنه غير صالح له والدليل الحسى يوافق ذلك فقد تُجامَع المرأة وهى كارهة وليس العكس ولهذا أجمع العقلاء على أنَّ الولد ينسب له لا لها.

– ومن هدى القرآن للتى هى أقوم: إباحة تعدد الزوجات إلى أربع:

والرجل إذا خاف عدم العدل فواحدة قال تعالى ﴿ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تُقۡسِطُواْ فِي ٱلۡيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تَعۡدِلُواْ فَوَٰحِدَةً أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ ۝٣ ﴾ [النساء: ٣].

فالمرأة الواحدة تحيض وتنفس وتمرض إلى غير ذلك والرجل يتسبب في زيادة الأمة فلو حبس عليها في أيام عذرها لعطلت منافعه بلا ذنب.

ومنها أنَّ الله أجرى العادة أنَّ الرجال أقل عددًا من النساء في أقطار الدنيا وأكثر تعرضًا لأسباب الموت فلو قصر على واحدة لاضطروا إلى ركوب

الفواحش.

- ومن هدى القرآن للتى هى أقوم: تفضيل الذكر على الأنثى:

وذلك لأنَّ الذكورة كمال خلقى وقوة طبيعية وشرف وجاه...

والأنوثة نقص خلقى وضعف طبيعى قال تعالى ﴿ أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ فِي ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾ ﴾ [الزخرف: ١٨].

ولذلك ينشؤ في الحلية قال تعالى ﴿ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾ ﴾ [النجم: ٢١ -٢٢].

وكانت غير عادلة لأنَّ الأنثى ناقصة.

والأنثى متاع لا بد لها من يقوم بشئونها، والمرأة خلقت من ضلع الرجل.

والعقل يقضى بأنَّ الناقص الضعيف بخلقته يلزم أن يكون تحت الكامل في خلقته، واقتضى ذلك أن يكون الرجل ملزمًا بالإنفاق على نسائه والقيام بجميع لوازمهن.

وكذلك الميراث: لما كان الميراث تمليك من الله فاقتضت حكمة الخبير أن يؤثر الرجل على المرأة في الميراث لأنَّ الرجل يترقب النقص دائمًا.

- ومن هدى القرآن للتى هى أقوم: قطع يد السارق:

وذلك أنَّ هذه اليد الخبيثة الخائنة التى خلقها الله لتبطش وتكتسب في كل ما يرضيه من امتثال أوامره واجتناب نواهيه، فمدت الأصابع الخائنة إلى مال الغير لأخذه بغير حق، فإنها يد نجسة قذرة ساعية في الإخلال بنظام المجتمع إذ لا نظام له بغير المال فعاقبها خالقها بالقطع والإزالة كالعضو الفاسد الذي يجر الداء لسائر البدن فإنه يزال بالكلية إبقاءً على البدن لذا فإنَّ قطع يد السارق تطهير له من دنس الذنب مع الردع البالغ بالقطع.

قال ابن القيم:

وقد أورد بعض الزنادقة سؤالًا وضمنه بيتين قال:

يـــد بخمـــس مـــئ مـــن عســـجد وديـــت
مـــا بالهـــا قطعـــت في ربـــع دينـــار
تنـــاقض مـــا لنـــا إلا الســـكوت لـــه
ونســـتجير بمولانـــا مـــن العـــار

فأجابه بعض الفقهاء بأنها كانت ثمينة لما كانت أمينة فلما خانت هانت وضمنه الناظم بقوله:

يـــد بخمـــس مـــئ مـــن عســـجد وديـــت
لكنهـــا قطعـــت فـــي ربـــع دينـــار
حمايـــة الـــدم أغلاهـــا وأرخصهـــا
خيانـــة المـــال فـــانظر حكمـــة البـــاري

وروي أنَّ الشافعي رحمه الله أجابه بقوله:

هنـــاك مظلومـــة غالـــت بقيمتهـــا
وههنـــا ظَلمـــتْ هانـــت علـــى البـــاري[1]

وشرح ذلك أنَّ الدية لو كانت ربع دينار لكثرت الجنايات على الأبدان...

ولو كان النصاب خمسمائة دينار لكثرت الجنايات على الأموال فكان التشريع صيانة للطرفين.

- ومن هدي القرآن للتي هي أقوم: رجم الزاني المحصن:

والحاصل أنَّ الرجم عقوبة سماوية معقولة المعنى...

---

(١) إعلام الموقعين لابن القيم (٢/ ٨٢).

لأنَّ الزاني لما أدخل فرجه في فرج المرأة على وجه الخيانة والغدر فإنه ارتكب أخس جريمة عرفها الإنسان بهتك الأعراض والحرمات، ويسعى في ضياع الأنساب والمرأة التى تطاوعه مِثْلُه، ومن كان كذلك فهو نجس قذر لا يصلح للمصاحبة فعاقبه خالقه الحكيم ليدفع شره وشر أمثاله ويطهره من التنجيس بتلك القاذورة، وجعل قتله أفظع قتلة لأنَّ جريمته أفظع جريمة.

وقد دل الشرع أنَّ إدخال الفرج في الفرج المأذون فيه شرعًا يوجب الغسل فدل على أنَّ الفعل يتطلب طهارة.

وشدة قبح الزنا أمر مركوز في الطبائع.

فإنه لا شك أنَّ من أقوم الطرق معاقبة فظيع الجناية بفظيع العقوبة جزاءً وفاقًا.

- ومن هدى القرآن للتى هى أقوم: هديه أنَّ التقدم لا ينافى التمسك بالدين:

فالقرآن الكريم يدعو إلى التقدم في جميع الميادين التى لها أهمية في دين ودنيا لكن هذا التقدم في حدود الدين والتحلى بآدابه الكريمة وتعاليمه السماوية[١].

❁ الإسلام منهج حياة: إذ هو يتولى تربية أبنائه:

- ومن منهج الإسلام فى تربية أبنائه: أن يربيهم على اليقين والثقة بالله:

ويعلمهم دائمًا أنَّ الله لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء.

يربيهم على أنَّ المهام مهما كانت صعبة فإنها قد تسهل بإذن الله ومهما

(١) أضواء البيان للشنقيطى - سورة الإسراء - بتصرف (٣/ ٢٧٢ وما بعدها).

كانت الأسباب ضعيفة قليلة فإنَّ رب الأسباب قادر على كل شيء ولا يعجزه شيء.

إنَّ الإسلام حقًّا إذا امتدت جذوره في قلب المسلم...

يمد صاحبه بيقين لايهن... وهمة لاتضعف... وأمل لاينقطع...

يجعله يملك الدنيا لكنها لا تملكه... ويجمع المال لكنه لا يستعبده...

انظر لبعض هؤلاء وهم في صحراء قاحلة ممتدة الأطراف وكيف كان يقينهم مع قلة الأسباب وضعف الحيل لكن كل ذلك يهون مع قوة اليقين وسلاح الثقة بالله.

ها هو العلاء بن الحضرمى ومن معه من جند الإسلام حين أُرسلوا إلى حرب المرتدين ولم يكن أمامهم لمسيرهم سوى صحراء الدهماء وهى التى تعرف الآن بالربع الخالى وما تزال مخوفة إلى الآن...

ومضى الجيش في تلك المفاوز وكأنه في حرب مع الرياح والرمال...

فضلًا عن شدة الجوع والعطش وقلة الماء والحر الشديد...

وهم على هذا الحال... هبَّ جمل من جمالهم فهبت خلفه كل الجمال مسرعة في الصحراء...

وفي لحظة وجد الجيش نفسه في تلك المفاوز المهلكة بغير زاد ولا ماء ولا راحلة...

وفي هذا الوقت الذي انقطعت فيه الأسباب يظهر أثر اليقين بالله والثقة به.

قام القائد العظيم الذي تربى في المدرسة المحمدية وقال لأصحابه ما هذا الجزع والهم.

فقالوا ألم تر ما أصابنا؟!

قال أنا على يقين أنَّا لن نصاب بأذى...

فأنتم المسلمون لله والمؤمنون به...

خرجنا في سبيله وانتصارًا لدينه...

فأبشروا بفرج من عنده.

فلما ذهب الليل وانبلج الفجر وصلُّوا...

رفع العلاء يديه ودعا وأمَّن أصحابه فلم يفرغ من الدعاء إلا وظهر لهم الماء من بعيد، فهللوا وكبروا ثم لما انتصف النهار إذا بجمالهم تسعى إليهم كأنَّ أحدًا يسوقها إليهم، وعليها المؤونة والزاد [١].

إنَّ هذا هو أثر اليقين بالله والثقة به الذي ربى الإسلام عليها أصحابه.

- ومن منهج الإسلام في التربية: تربية أبنائه على العزة:

يربى أبناءه على أنَّ المسلم عزيز بدينه قوي بربه، لا لشيء إلا لأنه مسلم...

ولو فقد كل متاع الدنيا ومقوماتها...

فإن ملك الناس الكنوز والجيوش والعدة والعتاد...

فإنَّ المسلم يملك أقوى وأعز من ذلك...

إنه يملك دينًا قويمًا تُنصر به الأمم، وتُحيى به الرمم...

وظهر ذلك في حياة وآثار السلف الأوائل...

ومن ذلك:

في القادسية: لما أرسل سعد وفدًا لملاقاة ملك الفرس وكان على رأسهم

---

(١) البداية والنهاية (٦/ ٣٦١).

النعمان بن مقرن...

فسأله ملكهم وقال: ما جاء بكم ودعاكم إلى غزونا؟

من أجل أنا تشاغلنا عنكم اجترأتم علينا؟

فقال النعمان: إنَّ الله رحمنا فأرسل إلينا رسولًا أمرنا بالخير ونهانا عن الشر...

ووعدنا على إجابته خيري الدنيا والآخرة...

ثم أمرنا أن نبتدئ بمن خالفه من العرب...

فأكره عليه فاغتبط، وطائع فازداد...

ثم أمرنا أن نبتدئ بمن جاورنا فندعوهم إلى الإسلام...

فنحن ندعوكم إلى ديننا...

وهو دين حسَّنَ الحسن وقبَّحَ القبيح...

فإن أبيتم...

فأمر فيه الشر أهون من أمر فالجزية...

وإلا فالمناجزة...

(إنه يكلم ملك أقوى الجيوش في هذا الزمان ولكن منهج الإسلام الذي يربى أبناءه على العزة يجعله يرى هذه القوى كأنها هشيم تذروه الرياح أو رماد اشتدت به الريح في يوم عاصف).

فقال يزدجرد (ملك الفرس): إني لا أعلم أمة كانت أشقى ولا أقل عددًا ولا أسوأ ذات البين منكم...

فإن كان غرور لحقكم فلا يغرنكم منا...

وإن كان الجهد بذلنا لكم المال.

(وفي كلام يزدجرد دلالة كيف استطاع الإسلام أن يغير هذه الأمة الهمجية وجعلها من أعلى الأمم وأكثرها حضارة ورقيًّا وتقدمًا بالأخلاق والإيمان)...

فقال المغيرة بن زرارة: أما ما ذكرت من سوء الحال فهو كذلك وزيادة، وقال نحوًا مما قال النعمان.

ثم قال: فاختر لنفسك...

إما الجزية أو السيف وإلا فنج نفسك بالإسلام.

(أراد المغيرة بهذه الكلمات أن يبين:

أنَّ الصورة الراقية التى ظهر بها النعمان والتى حملت في طياتها لواء العزة والكرامة واليقين...

ليست تربية فريدة للنعمان...

ولا هى مهارات خاصة في شخصية النعمان تفرد بها عن غيره...

إنما هى منهج عام يتربى عليه كل مسلم).

لذا غضب يزدجرد...

(وهذا يوحى أنَّ يزدجرد لم يتعود على هذه الجرأة والقوة في الحديث لا من أوليائه ولا من أعدائه).

لذا اشتد غضبه وقال لولا أنَّ الرسل لا تقتل لقتلتكم [١].

إنها عزة الإسلام التى ترفع هامات المسلم عالية...

---

(١) حياة الصحابة للكاندهلوي (١/ ٢٤٠)، البداية والنهاية (٧/ ٤٨).

والتى تلقى الرهبة والرعب في قلوب أعدائه...

إذ هى تربية لايحصل عليها بنو البشر إلا في ظل هذا الدين العظيم...

وإنها ليست تربية للخواص فقط...

بل هى تربية عامة لكل مسلم ينال منها ويرتقى فيها كلٌّ بقدر جهده وطاقته...

ولو كان هذا المسلم عبدًا حبشيًّا...

أو كان بدويًّا أعرابيًّا...

لذا لما خرج رستم (قائد جيوش الفرس) للقاء المسلمين بجيشه الهائل لقيه أعرابى...

ولك أن تتصور أقوى جيش في هذا الزمان يلقاه رجل أعرابى...

لا أقول هذا الرجل هو عمر بن الخطاب الذي كانت الشياطين تهابه وتخافه...

ولا أقول أنَّ هذا الرجل هو خالد بن الوليد الذي لم يهزم في معركة قط...

ولا أقول أنَّ هذا الرجل هو البراء الذي أمر النبى ﷺ ألَّا يُولَّى جيشًا لفرط شجاعته...

وإنما لقيه أعرابى...

رجل من عوام المسلمين ومن عوام الأعراب...

لكنه نال من منهاج الإسلام والتربية على القرآن ما جعله كالجبال الرواسى علوًّا وصمودًا وثباتًا وعزةً.

قال له رستم: ما جاء بكم وما تطلبون منا؟

قال الأعرابى: جئنا نطلب موعود الله بملك أرضكم وأبنائكم إن أبيتم أن تسلموا.

فقال رستم: وُضِعنا في أيديكم إذًا.

قال الأعرابى: وضعتكم أعمالكم فأسلمكم الله بها.

فلا يغرنك ما ترى حولك فإنك لست تجادل ما حولك إنما تجادل القدر[١].

فهذا هو منهج الإسلام في التربية...

تربية على العزة ورفع الهامات بالإسلام...

لذا فالمسلم عزيز مادام يعتز بالإسلام فإن ابتغى العزة في غيره أذله الله...

ومن الصور البراقة الساطعة المضيئة أيضًا لأهل العزة الذين تربوا على هذا المنهج القويم:

❁ موقف عبادة بن الصامت مع المقوقس:

لما حاصر عمرو بن العاص بعض حصون مصر ورأى المقوقس أنَّ الأمر قد احتدم فكر في الصلح وأرسل لهم رسلًا...

فحبسهم عمرو يومين...

وأراد عمرو أن يريهم كيف ربى الإسلام أفراده...

ولما عاد رسل المقوقس إليه سألهم عنهم فقال كيف رأيتموهم؟

قالوا: رأينا قومًا الموت أحب إليهم من الحياة...

---

(١) تاريخ الطبري (٢/ ٣٩٥)، الكامل في التاريخ (١/ ٤١١)، تاريخ ابن خلدون (٢/ ٩٤).

والتواضع أحب إليهم من الرفعة...

ليس لأحدهم في الدنيا رغبة ولا نهمة...

أميرهم كواحد منهم...

لا يُعرف رفيعهم من وضيعهم ولا السيد فيهم من العبد...

فقال المقوقس والذي يُحلف به إنَّ هؤلاء لو استقبلوا الجبال لأزالوها...

وأرسل المقوقس إليهم أن أرسلوا لنا رسلًا نحدثهم...

فأرسل عمرو عشرة نفر معهم عبادة بن الصامت الصحابى وكان قصيرًا أسود...

فأمره عمرو أن يكون هو متكلم القوم وألا يجيبهم إلى شيء إلا إلى إحدى هذه الخصال الثلاثة الإسلام أو الجزية أو الحرب...

فلما دخلوا عليه...

تقدم عبادة ليتكلم...

فهابه المقوقس...

وقال نحُّوا عنى هذا الأسود وقدموا غيره يكلمنى...

قالوا: إنه خيرنا وأفضلنا وسيدنا.

فقال المقوقس: تكلم.

فقال عبادة: سمعت مقالتك وإنَّ فيمن خلفت من أصحابى ألف رجل أسود كلهم مثلى وأشد سوادًا منى...

لو رأيتَهم كنتَ أهيب لهم منى...

وأنا قد وليت وأدبر شبابي وإني مع ذلك لا أهاب مائة رجل من عدوي لو

استقبلوني جميعًا وكذلك أصحابى...

وذلك إنما بغيتنا ورغبتنا الجهاد في سبيل الله واتباع رضوان الله.

وكان فيما قال: وما يبال أحدنا أكان له قنطار من ذهب أم كان لا يملك إلا درهمًا...

وقال: لأنَّ نعيم الدنيا ليس بنعيم ورخاءها ليس برخاء إنما الرخاء والنعيم في الآخرة.

فأراد المقوقس أن يرهبه فأخبره بقدوم جموع الروم وأنكم لن تقووا عليها.

فقال عبادة: فلعمري ما هذا بالذي تخوفنا به ولا بالذي تكسرنا به...

إن كان ما تقول حقًّا فذلك والله أرغب ما يكون في قتالهم...

لأنَّ ذلك أرغب لنا عند ربنا إذا قدمنا عليه وإن قتلنا من آخرنا كان أمكن لنا في رضوانه وجنته...

وما من شيء أقر لأعيننا ولا أحب إلينا من ذلك وإنا منكم حينئذ على إحدى الحسنيين[١].

إنه منهج الإسلام...

منهج ما عرفت البشرية مثله...

الذي يحول العبيد إلى سادة...

والوضعاء إلى شرفاء...

---

(١) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة لأبى المحاسن جمال الدين يوسف بن تغري (١/ ٣)، حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة للسيوطي (١/ ٣٩).

والضعفاء إلى أقوياء...

❁ الإسلام منهج حياة: فهو يأمر بإكرام أهل الفضل والدين:

علم الإسلام أبناءه أن يُجِلُّوا أهل الفضل ويكرموهم، وأهل الفضل هم أهل القرب من الله وأهل كرامته، فكلما بذل العبد لله زاد فضله ووجب إكرامه.

عن أبى رافع قال: وجه عمر بن الخطاب ﷺ جيشًا إلى الروم، وفيهم رجل يقال له عبد الله بن حذافة من أصحاب النبىِّ ﷺ، فأسره الروم فذهبوا به إلى ملكهم، فَقَالوا: إنَّ هذا من أصحاب محمد.

فقال له الطاغية: هل لك أن تتنصر وأشركك في ملكى وسلطاني؟

فقال له عبدالله: " لو أعطيتنى جميع ما تملك، وجميع ما ملكته العرب - وفي رواية القطان: وجميع مملكة العرب - على أن أرجع عن دين محمد ﷺ طرفة عين، ما فعلْتُ ".

قال: إذًا أقتلك.

قال: " أنت وذاك ".

قال: فأمر به فصلب.

وقال للرماة: ارموه قريبًا من يديه، قريبًا من رجليه...

وهو يعرض عليه...

وهو يأبى...

ثم أمر به فأنزل...

ثم دعا بقدر وصب فيها ماء حتى احترقَتْ...

ثم دعا بأسيرين من المسلمين...

فأمر بأحدهما فألقى فيها وهو يعرض عليه النصرانية وهو يأبى، ثم أمر به أن يلقى فيها، فلما ذهب به بكى...

فقيل له: إنه بكى.

فظن أنه رجع.

فقال: ردوه.

فعرض عليه النصرانية.

فأبى.

قال: فما أبكاك؟

قال: " أبكاني أنِّى قلتُ هى نفس واحدة تلقى هذه الساعة في هذا القدر فتذهب، فكنت أشتهى أن يكون بعدد كل شعرة في جسدي نفسٌ تلقى هذا في الله ﷻ ".

قال له الطاغية: هل لك أن تقبل رأسى وأخلى عنك؟

قال عبد الله: " وعن جميع أسارى المسلمين؟ "

قال: وعن جميع أسارى المسلمين.

قال عبد الله: " فقلتُ في نفسى عدُوٌّ من أعداء الله أُقبِّلُ رأسه ويخلى عنى وعن أسارى المسلمين لا أبالى قال فدنا منه وقبَّل رأسه ".

فدفع إليه الأسارى.

فقدم بهم على عمر فأخبر عمر بخبره.

فقال: حقٌّ على كل مسلم أن يقبل رأس عبد الله بن حذافة، وأنا أبدأ فقام

عمر فقبل رأسه[١].

عَنْ أُسَيْر بن جابر قال كان عمر بن الخطاب إذا أتى عليه أمداد أهل اليمن سألهم أفيكم أُوَيْسُ بن عامر حتى أتى على أُوَيْس فقال أنت أُوَيْسُ بن عامر قال نعم. قال من مرادٍ ثم من قرنٍ قال نعم.

قال فكان بك برصٌ فَبَرَأْتَ منه إلا موضع درهم قال نعم. قال لك والدةٌ قال نعم. قال سَمِعْتُ رسول الله ﷺ يقول « **يأتى عليكم أُوَيْسُ بن عامر مع أمداد أهل اليمن من مُرَادٍ ثم من قَرَنٍ كان به برصٌ فَبَرَأَ منه إلا موضع درهم له والدةٌ هو بها بَرٌّ لَوْ أقسم على الله لأَبَرَّهُ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ يستَغْفِرَ لك فافعل** ». فَاسْتَغْفِرْ لِى. فَاسْتَغْفَرَ له. فقال له عمر أين تريد قال الكوفة. قال ألا أكتب لك إلى عاملها قال أكون فِي غبراء الناس أَحَبُّ إِلَىَّ. قال فلمَّا كان من العام المقبل حَجَّ رجلٌ من أشرافهم فوافق عمر فسأله عن أُوَيْس قال تَرَكْتُهُ رَثَّ البيت قليل المتاع. قال سَمِعْتُ رسول الله ﷺ يقول « **يأتى عليكم أُوَيْسُ بن عامر مع أمداد أهل اليمن من مرادٍ ثم من قرنٍ كان به برصٌ فبرأ منه إلا موضع درهم له والدةٌ هو بها بَرٌّ لو أقسم على الله لأَبَرَّه فإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لك فافعل** ». فأتى أُوَيْسًا فقال اسْتَغْفِرْ لى. قال أنت أحدثُ عهدًا بسفر صالح فَاسْتَغْفِرْ لى. قال اسْتَغْفِرْ لى. قال أنت أحدثُ عهدًا بسفر صالح فَاسْتَغْفِرْ لى. قال لَقِيتَ عمر قال نعم. فَاسْتَغْفَرَ له. ففطن له الناس فانطلق على وجهه. قال أُسَيْرٌ وَكَسَوْته بُرْدَةً فكان كلَّما رَآهُ إنسانٌ قال من أين لأُوَيْس هذه البردة[٢].

وليس هذا الإكرام والفضل أمر خاص بالرجال، بل قد يشمل النساء أيضًا

---

(١) البيهقى في الشعب (٢/ ٢٤٤)، تاريخ دمشق لابن عساكر (٢٧/ ٣٥٨)، سير أعلام النبلاء للذهبى (٢/ ١٤)، البداية والنهاية لابن كثير (٧/ ٢٤٧).

(٢) أخرجه مسلم (٢٥٤٢).

إذا نالت بعملها مكانة عند الله، لزم على أهل الإسلام أن يكرموها ويُجلوها إذ أنَّ الله قدأكرمها.

مر عمر رضي الله عنه بخولة بنت ثعلبة في أيام خلافته...

فقالت: قف يا عمر.

فوقف لها ودنا منها وأصغى إليها...

وأطالت الوقوف وأغلظت القول...

فقالت له: هيه يا عمر عهدتك وأنت تسمى عميرًا وأنت في سوق عكاظ ترعى القيان بعصاك...

فلم تذهب الأيام حتى سُمِّيتَ عمر...

ثم لم تذهب الأيام حتى سُمِّيتَ أمير المؤمنين...

فاتق الله في الرعية واعلم أنه من خاف الوعيد قرب عليه البعيد ومن خاف الموت خشى الفوت...

فقال لها الجارود: قد أكثرت أيتها المرأة على أمير المؤمنين.

فقال عمر: دعها.

وفي رواية فقال له قائل حبستَ الناس لأجل هذه العجوز...

قال: ويحك وتدري من هذه.

قال: لا.

قال: هذه امرأة سمع الله شكواها من فوق سبع سموات هذه خولة بنت

ثعلبة والله لو لم تنصرف عنى إلى الليل ما انصرفت حتى تقضى حاجتها[١].

والإكرام لا يعنى عطاء الدنيا فقط بل عطاء الدين أعظم وأجل:

وهذا ما فعله عمر مع عدي بن حاتم:

يقول عدي بن حاتم:

أتيت عمرَ بن الخطاب في أُناس من قومِى.

فجعل يَفْرضُ للرجل من طَىء في ألفين، ويُعْرضُ عنِّى...

قال: فاستقبلته.

فأعرض عنِّى.

ثم أتيتُه من حِيال وجهه...

فأعرض عنى...

قال: فقلت: يا أمير المؤمنين، أتعرفنى؟

قال:فضحك.

ثم قال: نَعَمْ، والله إنِّى لأعرفك...

آمنتَ إذ كفروا...

وأقبلتَ إذ أدبروا...

ووفيتَ إذ غَدَروا...

وإنَّ أولَ صدقة بَيَّضَتْ وجهَ رسولِ الله - ﷺ- ووجوه أصحابه صدقةُ

(١) الإصابة في تمييز الصحابة (٧/ ٦٢٠)، حياة الصحابة للكاندهلوي (٣/ ٢٩٢)، شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي (١/ ١٤).

طيء، جئتَ بها إلى النبيِّ ﷺ، ثم أخذ يعتذر...

ثم قال: إنما فرضت لقوم أَجْحَفَتْ بهم الفاقةُ، وهم سادةُ عشائرهم، لما ينوبهم من الحقوق.

فقال عديٌّ: فلا أُبالى إذًا»[(١)].

❁ الإسلام منهج حياة: فهو يأمر بتقديم السابقين إلى الخير:

وإن كانوا ضعفاء أو عبيدًا، صبيانًا أو نساء.

ذلك لأنَّ السابق في الإسلام ليس من سبق في الولادة أو الجاه أو المال أو غير ذلك...

بل السابق هو السابق إلى الخيرات...

لأنه سبق في الذهاب إلى الله.

وعن الحسن قال: اجتمع أشراف قريش عند باب عمر بن الخطاب، فيهم الحارث بن هشام، وأبو سفيان بن حرب، وسهيل بن عمْرو، وتلك العبيد والموالى من أصحاب رسول الله ﷺ فخرج آذنُهُ، فأذن لبلالٍ وصهيب وغيرهما وترك الآخرين، فقال أبوسفيان: لم أَرَ كاليوم، إنه أذن لهذه العبيد، وتركنا جلوسًا ببابه لا يأذن لنا! فقال سهيل بن عمرو - وكان رجلًا عاقلًا -: أيها الناس، إنِّى والله لأرى الذي في وجوهكم، فإن كنتم غضابًا فاغضبوا على أنفسكم، دعى القوم ودعيتم، فأسرعوا وأبطأتم، ثم قال: والله لما سبقتم إليه من الفضل أشد عليكم فوتًا من بابكم الذي تنافستم عليه[(٢)].

---

(١) أخرجه البخاري (٤٣٩٤)، مسلم (٢٥٢٣).

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٦/ ٢١١)، معرفة الصحابة لأبى نعيم (٩/ ٢٧٦)، وقال الهيثمي ورجاله رجال الصحيح إلا أنَّ الحسن لم يسمع من عمر (٨/ ٩٠).

قال الحسن: والله، لا يجعل الله عبدًا أسرع إليه كعبدٍ أبطأ عنه.

❁ الإسلام منهج حياة:

يعلم أبناءه السمع والطاعة والاستجابة لأوامره وتوجيهاته:

يعلمهم أن يحبوا من يحبه الله ورسوله:

فعندما دخل العباس على رسول الله ﷺ بأبي سفيان يوم فتح مكة ودخل عمر فقال عمر: يا رسول الله هذا أبو سفيان قد أمكن الله منه بغير عقد ولا عهد فدعني فلأضرب عنقه قال: قلت: يا رسول الله إني أجرته ثم جلست إلى رسول الله ﷺ فأخذت برأسه فقلت: لا والله لا يناجيه الليلة رجل دوني فلما أكثر عمر في شأنه قلت: مهلا يا عمر أما والله لو كان من رجال بني عدي بن كعب ما قلت هذا ولكنك عرفت أنه رجل من رجال بني عبد مناف قال: مهلا يا عباس فو الله لإسلامك يوم أسلمتَ كان أحب إليَّ من إسلام الخطاب لو أسلم وما بي إلا أن قد عرفتُ أنَّ إسلامك كان أحبَّ إلى رسول الله ﷺ من إسلام الخطاب[1].

يُحرض إذا قيل له أعرض:

«عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال قدم عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر فنزل على ابن أخيه الحرِّ بن قيس بن حصن، وكان من النفر الذين يدنيهم عمر، وكان القراء أصحاب مجلس عمر ومشاورته كهولًا كانوا أو شبانًا فقال عيينة لابن أخيه يابن أخي هل لك وجه عند هذا الأمير فتستأذن لي عليه قال سأستأذن لك عليه. قال ابن عباس فاستأذن لعيينة فلما دخل قال يابن الخطاب والله ما تعطينا الجزلَ، وما تحكم بيننا بالعدل. فغضب عمر حتَّى هَمَّ بأن يقع به فقال

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (٨/ ٩)، وقال الهيثمي رجاله رجال الصحيح، وهو في السلسلة الصحيحة (٩/ ١٢١).

الحرُّ ياأمير المؤمنين إنَّ الله تعالى قال لنبيه - ﷺ ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ ﴾ [الأعراف: ١٩٩]، وإنَّ هذا من الجاهلين. فوالله ما جاوزها عمر حين تلاها عليه، وكان وقَّافًا عند كتاب الله »[١].

يسمح ويطيع وإن كان على غير رغبته وهواه:

قال ﷺ " **لاتمنعوا إماء الله مساجد الله** "[٢].

فكان عمر لا يحب خروج زوجته ولا إلى المساجد.

فكان يقول لزوجته: تعلمين أني لا أحب ذلك أي الخروج إلى المسجد...

وكانت تقول: لا أمتنع إلا إذا منعتني.

وما كان يمنعها استجابة لقول رسول الله ﷺ.

الإسلام منهج حياة: يربي أبناءه على التواضع وخفض الجناح:

مما يديم الألفة والمودة بين الناس...

فمهما ارتقى الإنسان في الدنيا فهو عبد لله ولا أفضلية له على غيره إلا بالتقوى.

وهذا الفضل هو عند الله.

لكنه مع الناس لا يزيده إلا تواضعًا وخفضًا للجناح.

فكان على رضي الله عنه وهو أمير يمشي في الأسواق...

يرشد الضال ويعين الضعيف...

---

(١) أخرجه البخاري (٤٦٤٢).

(٢) أخرجه البخاري (٩٠٠)، مسلم (٤٤٢).

ويأمر التجار بتقوى الله ويتلوا عليهم قول الله تعالى ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [القصص: ٨٣].

عن أبى مطر قال خرجت من المسجد فإذا رجل ينادي من خلفى ارفع إزارك فإنه أتقى لربك وأبقى لثوبك...

فمشيت خلفه وهو متزر بإزار ومعه الدرة كأنه أعرابى...

فقلتُ من هذا؟

فقال لى رجل: أراك غريبًا.

قلتُ: أنا من أهل البصرة.

قال: هذا على بن أبى طالب.

حتى انتهى إلى سوق الإبل، فقال بيعوا ولا تحلفوا فإنَّ اليمين ينفق السلعة ويمحق البركة...

ثم أتى أصحاب التمر، فإذا خادمة تبكى.

فقال: ما يبكيك؟

فقالت: باعنى هذا الرجل تمرًا بدرهم فرده مولاي فأبى أن يقبله.

فقال علىٌّ له: خذ تمرك وأعطها درهمها فإنه ليس لها من الأمر شىء.

فدفعه.

فقيل: أتدري من هذا؟! هذا أمير المؤمنين...

فأخذ تمرها وأعطاها درهمها...

ثم قال: أحب أن ترضى عني ياأمير المؤمنين.

فقال: ما أرضاني عنك إذا وفيت الناس حقوقهم [١].

❁ الإسلام منهج حياة: يرعى مصالح الناس في دنياهم كما يرعى آخرتهم:

قال تعالى ﴿ وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ٧٧ ﴾ [القصص: ٧٧].

فأمر أبناءه ألا ينسَوا نصيبهم من الدنيا.

وعلمهم أنَّ الإسلام يحث على العمل والإنتاج...

وأنَّ الفرد المنتج في المجتمع أفضل من العالة الذي يعتمد على غيره...

لذا لما ذهب النبى ﷺ إلى المدينة أول ما نظر إلى المسجد والسوق.

بل حثَّ النبى ﷺ على العمل والجد.

عن أبى هريرةَ رضي الله عنه أَنَّ رسول الله ﷺ قال « **والذى نفسى بيده لأَنْ يأخذ أحدكم حبله فيحتطبَ على ظهره خيرٌ له مِنْ أَنْ يأتى رجلًا، فيسأله، أعطاه أو منعه** »[٢].

ما من مصلحة محضة أو غالبة إلا وأباحها لهم.

فلما علم أنَّ الحياة لا تصلح بغير البيع والشراء أباح البيع والشراء.

وجعل الأصل في البيع والشراء الحل.

ولما علم قدر المفسدة التى تلحق المجتمع بالربا حرم ومنع كل أنواع الربا قال تعالى ﴿ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا

(١) أخرجه البيهقى في السنن الكبرى (١٠ / ١٠٧)، عبد بن حميد في مسنده (١/ ٦٢).
(٢) أخرجه البخاري (١٤٧٠، ١٤٧١)، مسلم (١٠٤٢).

سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾

[البقرة: ٢٧٥].

علَّم المجتمع الصدق في التعامل وعدم الغش فقال صلى الله على وسلم " **من غش فليس منى** "[(١)].

لم يضيق على الناس أو تدخل في كل أمورهم بل ترك أمر الدنيا لهم...

عن عائشةَ أَنَّ النبى ﷺ سمع أصواتًا فقال **"ما هذا الصوتُ؟"** قالوا النخل يؤبرونها فقال **"لو لم يفعلوا لصلح"** فلم يؤبروا عامئذٍ فصار شيصًا فذكروا للنبى ﷺ فقال **"إن كان شيئًا من أمر دنياكم فشأنكم به وإن كان من أمور دينكم فإلىَّ"**[(٢)].

❁ الإسلام منهج الحياة: حيث وضع أسسًا للتعامل بما يُصلح المجتمع:

فوضع له أسسًا للتعامل مع كل أفراده:

فوضع له أسسًا للتعامل مع المسلم...

وأسسًا للتعامل مع أهل الكتاب ومع غيرهم، بما يحفظ كيان المجتمع ويرسى قواعده...

وما وجد غير المسلمين عدلًا وأمانًا كما وجدوه في ظل حكم الإسلام. بل أرسى له القواعد للتعامل مع الحيوانات:

أمر بالرفق بها والإحسان إليها وإطعامها إن استطعت أو تركها تأكل مما يرزقها الله بل رتب الله على هذا التعامل ثوابًا وعقابًا فدخلت امرأة النار لأجل

---

(١) أخرجه مسلم (١٠٢).

(٢) أخرجه مسلم (١٤٧٠، ١٤٧١)، ابن ماجه (٢٤٧٠، ٢٤٧١).

هرة لأنها خالفت أمر الله في التعامل معها فلا هى أطعمتها ولا هى تركتها تأكل من خشاش الأرض قال ﷺ " دخلت امرأة النار في هرة حبستها فلا هى أطعمتها ولا هى تركتها تأكل من خشاش الأرض"(١).

بل أمر بالرفق بها حتى وقت ذبحها فقال ﷺ «**إنَّ الله كتب الإحسان على كُلِّ شيءٍ فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح وَلْيُحِدَّ أحدكم شفرته فَلْيُرِحْ ذبيحته**»(٢).

وأمر بعدم تحميلها فوق طاقتها...

وبين أنها نعمة من نعم الله ما خلقت لتعذيبها وإنما خلقت للتمتع بها وشكر نعمة الله عليها قال تعالى ﴿ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ ﴾[النحل: ٨].

❁ الإسلام منهج حياة: حيث وضع وأرسى قواعد الحياة الزوجية:

وذلك لإقامة المودة والألفة فيها، حتى إن زالت المودة وتعكر صفو الحياة ما ترك الناس حيارى تائهين بل وضع لهم كثيرًا من الحلول التى تحفظ كيان المجتمع وتحمى قواعده من الانهيار.

حتى وإن كان الحل الفراق أمر أن يكون هذا التسريح بإحسان قال تعالى ﴿ ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ ۖ فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ ﴾ [البقرة: ٢٢٩].

---

(١) أخرجه البخاري (٢٣٦٥، ٣٣١٨، ٣٤٨٢)، مسلم (٢٢٤٢).

(٢) أخرجه مسلم (١٩٥٥).

❁ الإسلام منهج حياة: حيث وجه الإنسان وأرشده في أخص خصائصه:

ومن أخص الخصائص علاقة الإنسان بزوجته عند خلوته بها فما ترك ذلك لهواه، بل أحل له ما ينفعه وأباح له كل تمتع بها من الجماع ونحوه، وحرم عليه الجماع إذا كان في ذلك مضرة له أو لزوجته، فحرم عليه الجماع وقت الحيض لما في ذلك من المضرة الشديدة للزوجين فقال تعالى ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

ثم راعى سبحانه وتعالى الشهوة وغلبتها أحيانًا وضعف بعض الناس أمامها فقد يقع بعض الناس في ذلك وقت الحيض فأمره النبى ﷺ بالكفارة وذلك بأن يتصدق بدينار أو نصف دينار، عن ابن عباس عن النبى ﷺ في الذي يأتي امرأته وهى حائض قال **يتصدق بدينار أو بنصف دينار**[(١)].

كذلك حرم عليه الجماع في الدبر وبين ﷺ أنه من الكبائر.

عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:"**مَلْعُونٌ مَنْ أتى امرأةً فِى دُبُرها**"[(٢)]

بل إنَّ منهج الإسلام في الحياة أنْ علم أبناءه كل ما يحتاجون إليه حتى عند قضاء الحاجة حتى لفت ذلك نظر غير المسلمين فقال يهودي لسلمان لقد علمكم نبيكم كل شيء حتى الخراءة. قال أجل لقد نهانا ﷺ أن نستقبل القبلة بغائط أو بول وأن لا نستنجي باليمين وأن لا يستنجي أحدنا بأقَلَّ من ثلاثة

---

(١) أخرجه أبوداود (٢٦٤، ٢١٦٨)، ابن ماجه (٦٤٠)، وصحح الألباني إسناده في صحيح أبى داود (٢٥٧).

(٢) أخرجه أبوداود (٢١٦٢)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٨٨٩).

أحجارٍ أو يستنجى برجيع أو عظم "[١].

❁ الإسلام منهج حياة:

فما ترك شاردة ولا واردة فيها مصلحة للعباد إلا وحث الناس عليها وما ترك شرًّا أو ضررًا إلا ومنعهم منها...

سبحانه العليم الحكيم اللطيف الخبير.

(١) أخرجه مسلم (٢٦٢)، أبوداود (٧)، الترمذي (١٦)، النسائى (٤١)، ابن ماجه (٣١٦).

الشريعة الإسلامية بين المحاسن والافتراءات

إنَّ من أعظم الجرم والظلم أن تصف الشيء بعكس ما فيه:

أن تصف الصادق بأنه كذاب...

أو تصف الأمين بأنه خائن...

أو تصف العاقل الحكيم بأنه مجنون...

أو تصف العفيف الطاهر بأنه فاحش...

فما بالك لو كان هذا الوصف لوحى الله تعالى والشريعة الغراء...

إنَّ هذا الأمر يزيد جرمه وتعظم فريته عند الله تعالى...

أن تصف الوحى الذي فيه الحكمة والعلم والحلم والصلاح والفلاح بأنه هو مصدر الفساد والتحجر والخراب والتخلف.

لذا فإنَّ الله تعالى لما أنزل هذه الشريعة الغراء اختار لها ربنا تبارك وتعالى اختيارًا خاصًّا.

فاختار لها نبيًّا من أعظم الأنبياء:

أهَّله سبحانه ورباه وعلمه قبل أن يستقبل هذه الشريعة:

فشرح صدره، ووضع عنه وزره، ورفع له ذكره، وأعلى خُلُقَه، وطهر قلبه وغسله بماء زمزم، وأخرج منه نصيب الشيطان...

وأمره أن يقوم الليل إلا قليلًا...

قال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ۝٢ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ۝٤ إِنَّا سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ قَوۡلٗا ثَقِيلًا ۝٥ ﴾ [المزمل: ١ – ٥].

واختار لها خير أمة:

قال تعالى ﴿ كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ وَلَوۡ ءَامَنَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۚ مِّنۡهُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ۝١١٠ ﴾ [آل عمران: ١١٠].

وأنزلها مع سيد الملائكة القوي جبريل:

﴿ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٖ فَٱسۡتَوَىٰ ۝٦ ﴾[النجم].

جعلها فى كتاب هو أفضل الكتب:

كتابًا قويمًا إذ فيه هدى الناس وإرشادهم...

يهديهم للتى هى أقوم...

﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ أَجۡرٗا كَبِيرٗا ۝٩ ﴾ [الإسراء: ٩].

إذا حكَمَ فحكمه أحسن الحكم...

﴿ أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ۝٥٠ ﴾ [المائدة].

وإذا قص القصص فقصصه أحسن القصص...

قال تعالى ﴿ نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ بِمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ۝٣ ﴾ [يوسف: ٣].

إذا أنبأ بنبأ فهو حق لا لغو فيه ولا باطل...

قال تعالى ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْءَاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [المائدة: ٢٧].

واختار وقت نزوله أشرف الأوقات والشهور وأعظمها وأعمَّها خيرًا وبركة ألا وهو شهر رمضان:

﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ﴾ [البقرة: ١٨٥].

إنَّ هذا ليس اختيارًا عاديًّا.

إنما هو يعطيك إشارة أنَّ هذه الشريعة ليست كغيرها من الشرائع لذا جعل الله تعالى هذه الشريعة ناسخة للشرائع قبلها.

وما من مصلحة أتت في شريعة من الشرائع إلا وهى فيها.

فالشريعة كلها كمال وحكمة.

ومع كل ذلك ترى من يفتري عليها...

ويقول إنها سبب التخلف والتحجر...

وفي الحقيقة هى سبب للحضارة والتقدم...

فالمسلم من آمن بالله ربًّا وبمحمد نبيًّا وبالإسلام دينًا يعلم أنه لا غنى له عن هذه الشريعة الغراء.

وإن كان هو الظالم أوالجاني...

وإن كان حكم الشريعة على نفسه...

ذلك لأنه يعلم أنَّ له فيها الصلاح في الدنيا والآخرة.

عن أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رجلَيْنِ اختصَمَا إلى رسولِ اللهِ ﷺ، فقال أحدُهما:

اقض بيننا بكتاب اللهِ وقال الآخرُ، وهو أَفْقَهُهما:أجل يا رسولَ اللهِ، فاقض بيننا بكتاب اللهِ، وأْذَنْ لى أَنْ أَتكَلَّمَ قال" **تكلم**" قال: إن ابنى كان عسيفًا على هذا – قال مالكٌ: والعَسِيفُ الأَجِيرُ – فزنى بامرأتِه، فأَخْبَرونِي أنَّ على ابنى الرجمَ، فافتَدَيْتُ منه بمائةِ شاةٍ وجاريةٍ لى، ثم أني سأَلْتُ أهلَ العلم، فأَخْبَرونِي أنَّ ما على ابنى جلدُ مائةٍ وتغريبُ عام، وإنما الرجمُ على امرأتِه؟ فقال رسولُ اللهِ ﷺ" **أما والذى نفسى بيدِه، لأَقْضَيَنَّ بينكما بكتاب اللهِ، أما غَنَمُك وجاريتُك فرَدٌّ عليك وجلَدَ ابنَه مائةً وغرَّبَه عامًا** " وأمَرَ أُنَيْسًا الأسلميَّ أن يأتيَ امرأةَ الآخر، فإن اعترَفَتْ رجَمَها، فاعترَفَتْ فرَجَمَها [(١)].

إنَّ ابنى كان عسيفًا عند هذا فزنى بامرأته فافتديت منه بمائه شاة.

انتبه:

فإن الذي يتكلم هو أبو الزاني...

قال: سألت أهل العلم.

فقالوا إن ابنى عليه مائة جلدة وتغريب عام وعلى امرأة هذا الرجم.

والرجل كان ثريًّا فافتدى ابنه بالمال...

وهذا أهون عليه من ضرب ابنه وفضيحته وتغريبه...

ولكنه لما علم أنَّ الشريعة لها حكم آخر...

جاء بنفسه وإن كان جانيًا...

لأنه يعلم أنَّ حكم الله فيه الصلاح والفلاح في الدنيا والآخرة...

قال يا رسول الله اقض بيننا بكتاب الله...

---

(١) أخرجه البخاري (٦٦٣٣، ٦٦٣٤)، مسلم (١٦٩٧).

هذا هو المسلم الحق...

الذي يعلم أن لا حياة له ولا فلاح إلا تحت ظل أمر ربه فهو الذي خلقه ويعلم ما يصلحه.

ويأتي ماعز للنبى ﷺ يقول طهرني وكان قد زنى وهو محصن...

وهو يعلم ماذا تعنى هذه الكلمة...

إنها الموت...

ولكن الموت تحت حكم الشريعة التى هى حكم الله أفضل من الحياة تحت حكم الشيطان وبعيدًا عن حكم الله...

إنَّ الشريعة كلها كمال...

إنَّ الشريعة فيها الفلاح...

إنَّ الشريعة تطهر النفوس والأموال...

إنَّ الشريعة هى الإسلام.

❁ خصائص الشريعة الغراء:

لا بد أن تعلم أخى الحبيب:

أنَّ أحكام الله تبارك وتعالى وأحكام الإسلام لا تقارن بأحكام البشر أو أعراف البشر فشتّان بين هذا وذاك.

ألـــــم تـــــر أنَّ ألســـــيف يـــــنقص قـــــدره
إذا قيـــــل أنَّ الســـــيف أمضـــــى مـــــن العصـــــا

لذا لابد أن تعلم خصائص هذه الشريعة لتعلم كم خسر الناس بابتعادهم عن القرآن وعن أمر الله تعالى.

إنَّ من أهم هذه الخصائص:

❁ أولًا: أنها من عند الله:

وهذا يضفى عليها العظمة لأنها نزلت من عند الله العظيم، ويضفى عليها الثقة بأحكامها لأنها نزلت من عند الله الحكيم فلا يخلو حكم من الحكمة الكاملة.

نزلت من عند القهار فلابد أن تُقهَر لها وتُسَلِّم وتذل.

إنها نزلت من عند صاحب المنَّة والفضل والنعم فلابد أن تشكر نعمته عليك.

فالشريعة نزلت من عند الله تعالى...

وهذا يعنى أنك لا تملك إلا أن تذعن لها وتطأطىء.

لذا فالقلوب التى تربت على هذه الشريعة وعلى مائدة الكتاب والسنة المطهرة يكفيهم لتوجيه هذه النفوس وتطهيرها الكلمة واحدة.

فالآلاف المؤلفة تركوا الخمر بكلمة واحدة خرجت مِنْ فِي النبى ﷺ، بخلاف كثير من المحاولات المريرة في العالم الآن والنفقات الباهظة لإبعاد الناس عن الخمور والمخدرات...

وكل ذلك باء بالفشل.

لكن المسلمين لما وصل إليهم أمر الله بتحريم الخمور...

قالوا سمعنا وأطعنا...

بلا نفقات ولا تبعات...

امتلأت شوارع المدينة بالخمر المراق والمسكرات.

- ومِن ثَمَّ فالمسلم لا يتهرب من أمر الله فلا يفر منه بل يبحث عنه ويفر إليه.

وانظر إلى المسلمين في العصور الماضية الزاهرة وكيف كان بحثهم وإسراعهم لإخراج الزكاة مثلًا من أحسن ما يملكون.

وانظر الآن كيف يتهرب أصحاب الأموال منها.

وانظر إلى الفرق.

بل العجيب أن يفصل النبى ﷺ في خصومة بين رجل يريد أن يخرج زكاته في أحسن صورة وبين صاحب رسول الله ﷺ الذي يجمع الزكاة ولا يريد أن يأخذ إلا ما أمر به النبى ﷺ.

والخصومة أنَّ صاحب المال يريد أن يخرج الأزكى والأثمن والأفضل لأنه خارج لله...

ورسولُ رسولِ الله ﷺ يأبى أن يأ خذ إلا ما أمر به رسول الله ﷺ.

وما أظن أنَّ هذه الصورة توجد في مجتمع إلا في المجتمع المسلم الحق...

الذى تربى على أمر الله وشرعه وتربى على مائدة السنة المطهرة.

❁ ثانيا: التوازن:

لا توجد شريعة تجمع هذا التوازن إلا شريعة الإسلام.

✍ التوازن بين المادية والروحانية:

فالله يأمر بالتنمية الإقتصادية ويأمر بالتنمية الروحانية...

قال تعالى ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الأعراف: ٩٦]، قال

تعالى ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴾ [نوح:١٠-١١].

قال تعالى ﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَىِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ۙ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ۚ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾ ﴾ [المزمل:٢٠].

لا يأمرك أن تكون من الرهبان تتعبد وتترك الدنيا...

ولا يأمرك أن تبيع دينك بدنياك...

بل قال تعالى ﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾ [القصص: ٧٧].

إنها شريعة متوازنة تأمرك بالسعي إلى الآخرة وتأمرك أن تحافظ على الدنيا.

تأمرك أن تكون متوازنا في آداء الحقوق.

عن أبى جحيفة وهب بن عبد الله السُّوائى قال:آخى النبىُّ ﷺ بين سلمانَ وأبى الدرداءِ، فزار سلمانُ أبا الدرداءِ، فرأى أمَّ الدرداءِ متبذِّلةً، فقال لها: ما شأنُكِ؟ قالت: أَخُوكَ أبوالدرداءِ ليس له حاجةٌ في الدنيا، فجاء أبوالدرداءِ، فصنع له طعامًا، فقال: كُلْ فإني صائمٌ، قال: ما أنا بآكِلٍ حتى تأكلَ، فأكل، فلما كان الليلُ ذهب أبو الدرداءِ يقومُ، فقال: نَمْ، فنام، ثم ذهب يقومُ، فقال: نَمْ، فلما كان آخِرُ الليل، قال سلمانُ: قُم الآنَ، قال: فصَلَّيَا، فقال له سلمانُ: إن لربِّكَ عليك حقًّا، ولنفسِك عليك حقًّا، ولأهلِك عليك حقًّا، فأَعْطِ كلَّ ذِي حقٍّ حقَّه، فأتى

النبيَّ ﷺ فذكر ذلك له، فقال النبيُّ ﷺ "صَدَق سلمانُ"[١].

التوازنُ في الرقابة:

لم تجعل الرقابة لله فقط ولم تُجعل بيد الحاكم فقط...

بل وضع الأمرين جميعًا...

لأنه علم أنَّ من النفوس من ينزجر بقول الله وأمره ونهيه...

لأنه يعلم أنَّ الله رقيب عليه...

وأنه يراه حين يقوم وتقلبه في الساجدين...

و يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور...

يعلم أنَّ الله سميع بصير...

لكن هذا لا يحل مشاكل كل الناس...

فلا بد من الرقابة الأخرى...

لذا كان النبى ﷺ يتوجه بنفسه إلى الأسواق ويراقب الناس وينصحهم عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ مرَّ على صبُرةِ طعام فأدخلَ يدَهُ فيها فنالت أصابعُهُ بللًا فقالَ "**ما هذا يا صاحبَ الطَّعام؟** "قالَ أصابَتهُ السَّماءُ يا رسولَ اللهِ قالَ "**أفلا جعلتَهُ فوقَ الطَّعام كى يراهُ النَّاسُ؟ من غَشَّ فليسَ منِّى**"[٢].

(١) أخرجه البخاري (٦١٣٩).

(٢) أخرجه مسلم (١٠٢).

التوازن في العبادة:

لا إفراط ولا تفريط...

الوسطية والتوازن حتى في العبادة.

فكان النبى ﷺ يأمر المسيء في صلاته الذى لم يطمئن ولم يؤد أركانها ويتم حقها يأمره أن يعيد الصلاة.

عن رفاعة بن رافع رضي الله عنه أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ بينما هوَ جالسٌ في المسجدِ يومًا – قالَ رفاعةُ: ونحنُ معَهُ – إذا جاءَهُ رجلٌ كالبدَويِّ، فصلَّى فأخفَّ صلاتَهُ، ثمَّ انصَرَفَ فسلَّمَ علَى النَّبيِّ ﷺ فقالَ النَّبيُّ ﷺ **"وعَليكَ فارجِع فصلِّ فإنَّكَ لم تصلِّ "** فرجعَ فصلَّى ثمَّ جاءَ فسلَّمَ عليهِ فقالَ **" وعَليكَ فارجِعْ فصلِّ فإنَّكَ لم تُصلِّ"** [ففعلَ ذلِكَ] مرَّتين أو ثلاثًا كلُّ ذلِكَ يأتي النَّبيَّ ﷺ فيسلِّمُ علَى النَّبيِّ ﷺ، فيقولُ النَّبيُّ ﷺ **"وعليكَ فارجِع فصلِّ فإنَّكَ لم تُصلِّ"** فخافَ النَّاسُ وَكَبُرَ عليهم أن يَكونَ مَن أخفَّ صلاتَهُ لم يُصلِّ فقالَ الرَّجلُ في آخرِ ذلِكَ فأرِني وعلِّمني، فإنَّما أنا بشرٌ أصيبُ وأخطئ فقالَ **" أجَل إذا قُمتَ إلى الصَّلاةِ فتوضَّأْ كما أمرَكَ اللهُ به ثمَّ تشَهَّدْ فأقِمْ أيضًا فإن كانَ معَكَ قرآنٌ فاقرَأْ وإلَّا فاحْمَدِ اللهَ وَكَبِّرْهُ وَهَلِّلْهُ ثمَّ اركَعْ فاطمَئنَّ راكعًا ثمَّ اعتدِلْ قائمًا ثمَّ اسجُدْ فاعتدِلْ ساجدًا ثمَّ اجلِسْ فاطمَئنَّ جالسًا ثمَّ قمْ فإذا فعَلتَ ذلِكَ فقد تَمَّتْ صلاتُكَ، وإن انتقَصْتَ منهُ شيئًا انتقصتَ من صلاتِكَ قالَ: وَكانَ هذا أهْوَنَ عليهم منَ الأولى أنَّهُ من انتَقَصَ من ذلِكَ شيئًا انتقَصَ من صلاتِهِ ولم تذهَب كلُّها"**[(١)].

وكان ﷺ يأمر من ترك لمعة في قدمه لم يصبها الماء أن يعيد الوضوء

(١) أخرجه البخاري (٧٩٣)، مسلم (٣٩٧).

والصلاة [١] وذلك لتفريطه.

ومع ذلك يأمر من أفرط وأزاد وشدد على نفسه أن يعود ويرأف بنفسه.

فكان ينهى أصحابه عن الوصال مع أنه كان يواصل.

عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قال: قال النبى ﷺ « **لاَ تُوَاصِلُوا** ». قَالُوا إِنَّكَ تُوَاصِلُ. قَالَ « **إِنِّى لَسْتُ مِثْلَكُمْ، إِنِّى أَبِيتُ يُطْعِمُنِى رَبِّى وَيَسْقِينِى** ». فَلَمْ يَنْتَهُوا عَنِ الْوِصَالِ - قَالَ - فَوَاصَلَ بِهِمُ النبى ﷺ يَوْمَيْنِ أَوْ لَيْلَتَيْنِ، ثُمَّ رَأَوُا الْهِلاَلَ فَقَالَ النبى ﷺ « **لَوْ تَأَخَّرَ الْهِلاَلُ لَزِدْتُكُمْ** ». كَالْمُنَكِّلِ لَهُمْ [٢].

ولما رأى رجلًا مظللًا عليه بسبب الصيام قال ليس من البر الصيام في السفر أي لمن كان على مثل هذه الحالة.

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنهما قَالَ كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِى سَفَرٍ، فَرَأَى زِحَامًا، وَرَجُلاً قَدْ ظُلِّلَ عَلَيْهِ، فَقَالَ « **مَا هَذَا** ». فَقَالُوا صَائِمٌ. فَقَالَ « **لَيْسَ مِنَ الْبِرِّ الصَّوْمُ فِى السَّفَرِ** » [٣].

وكان يأمر الناس أحيانًا بالفطر عند الحاجة كما في الجهاد.

عن جابر بن عبد الله رضى الله: أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ خرج عامَ الفتح إلى مكةَ في رمضانَ. فصام حتى بلغ كراعَ الغميم فصام الناسُ ثم دعا بقدح من ماءٍ فرفعَه. حتى نظر الناسُ إليهِ. ثم شرب. فقيل لهُ بعد ذلك: إنَّ بعض الناس قد صام. فقال" **أولئك العصاةُ، أولئك العصاةُ**"وفي روايةٍ: إنَّ الناسَ قد شقَّ عليهم

(١) أخرجه أبوداود (١٧٥)، وصححه الألباني في الإرواء (١/ ١٢٦).
(٢) أخرجه البخاري (٧٢٩٩)، مسلم (١١٠٣).
(٣) أخرجه البخاري (١٩٤٦)، مسلم (١١١٥)، أبوداود (٢٤٠٧).

الصيامُ وإنما ينظرون فيما فعلت فدعا بقدح من ماءٍ بعد العصر[١].

وكان ﷺ يطيل في الصلاة والقراءة لكنه إذا سمع بكاء الطفل الصغير كان يخفف من أجل أمه عن أَبى قَتَادَةَ، عَن النَّبىِّ ﷺ قَالَ: «**إِنِّى لَأَقُومُ فِى الصَّلاَةِ أُرِيدُ أَنْ أُطَوِّلَ فيها، فأَسمَعُ بكاء الصبى، فَأَتَجَوَّزُ فى صلاتِى كَرَاهِيَةَ أَنْ أَشُقَّ على أُمِّهِ**»[٢].

وكان ﷺ يطيل في القراءة في الصلاة وكان معاذ يصلى معه ويعود ويصلى مع قومه ويصلى بهم العشاء الآخرة ويطيل بهم فند بعير لرجل فترك الجماعة وصلى وحده فأمر النبى ﷺ معاذًا أن يخفف في صلاته وسمى ما فعل معاذ فتنة[٣].

ومن ذلك ما جاء عن الثلاثة رهط الذين أتوا إلى بيته فسألوا عن عبادة النبى ﷺ.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال:جاء ثلاثُ رهطٍ إلى بُيوتِ أزواج النبىِّ ﷺ، يَسأَلونَ عن عبادةِ النبىِّ ﷺ، فلما أُخبروا كأنهم تَقالُّوها، فقالوا: أين نحن منَ النبىِّ ﷺ؟ قد غفَر اللهُ له ما تقدَّم من ذَنْبه وما تأخَّر، قال أحدُهم: أما أنا فإني أُصلِّى الليلَ أبدًا، وقال آخَرُ: أنا أصومُ الدهرَ ولا أُفطِرُ، وقال آخَرُ: أنا أعتزلُ النساءَ فلا أتزوَّجُ أبدًا، فجاء رسولُ اللهِ ﷺ فقال " **أنتمُ الذين قلتُم كذا وكذا؟ أما واللهِ إني لأخشاكم للهِ وأتقاكم له، لكنى أصومُ وأُفطِرُ، وأُصلِّى وأرقُدُ، وأتزوَّجُ النساءَ، فمَن رغِب عن سُنَّتي فليس مني**"[٤].

---

(١) أخرجه مسلم (١١١٤).
(٢) أخرجه البخاري (٧٠٩، ٧١٠، ٨٦٨)، مسلم (٤٧٠).
(٣) أخرجه البخاري (٦١٠٦)، مسلم (٤٦٥).
(٤) أخرجه البخاري (٥٠٦٣).

إنه التوازن الذي يُعَلِّم المسلم مراعاة أحوال الناس بلا إفراط ولا تفريط.

التوازن في العبادة يزيد في العمل...

التوازن في العبادة يذهب الملل...

التوازن في العبادة يحافظ على الجسد والروح.

(إن المنبت لا أرضًا قطع ولا ظهرًا أبقى).

هذه هى شريعتك الغراء ترى مصالحك وتراعيها أكثر مما ترعى أنت مصالح نفسك.

التوازن في الإنفاق:

لم يأمرنا الله أن نخرج كل أموالنا...

وإن فعل هذا أصحاب الهمم العليا كأبى بكر رضي الله عنه...

قال تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ﴿٦٧﴾ ﴾ [الفرقان: ٦٧].

شريعة متزنة تأمرك أن تعمر الآخرة وأن تأخذ من الدنيا...

أن تقترب من ربك وترعى مصالحك في دنياك...

التوازن بين حق الفرد والمجتمع:

جعل الإسلام للفرد حقًّا في ماله ونفسه وخصوصيته لا يتعدى الإسلام عليها.

وكذلك جعل حقًّا للمجتمع الذي يحفظ كيانه واستقراره والأمان فيه ولا يجوز للفرد أن يتعدى عليه.

من هذا التوازن أنَّ حق المجتمع مقدم على حق الفرد.

ولذا لما سرق رجل درع صفوان، أمر النبى ﷺ بقطع يده لما رفع صفوان الأمر للنبى ﷺ ولم ينفع السارق عفو صفوان عنه بعد ذلك.

نام صفوانَ بنَ أُميَّةَ في المسجدِ فتوسَّدَ رِداءَهُ، فجاء سارقٌ فأخذَهُ من تحتِ رأسِهِ، فأخذَ صفوانُ السَّارقَ وجاء به إلى رسولِ اللهِ ﷺ فأمرَ بقَطع يدِهِ، فقال صفوانُ: إنِّى لم أُرِدْ هذا يا رسولَ اللهِ، وهو عليه صدقةٌ، فقال النَّبىُّ **" ﷺهلَّا كان قبلَ أن تأتيَنى به"**[(١)].

لأنه من قبل أن يأتيه ﷺ كان الحق حق الفرد وهو صفوان ولما وصل للنبى ﷺ أصبح حق المجتمع وهو أعظم الحقوق.

لذا يقسم العلماء الحقوق إلى قسمين حق الفرد وحق الله...

ويقصدون بحق الله حق المجتمع.

❁ ثالثا: الشريعة متكاملة:

نظام متكامل: عقيدة، وشريعة، ومنهاج حياة.

فمن هذا التكامل أنَّ الله تعالى لا يأمر بأمر إلا إذا وطد له وهيأ النفوس له.

إنَّ الله تعالى لو أمر الناس بالأمر وترك الناس، أطاع من أطاع وعصى من عصى، ثم عذب العصاة منهم لعذبهم وهو غير ظالم لهم.

ولكن برحمته هيأ النفوس لذلك.

فالله تعالى قبل أن ينزل حد السارق...

---

(١) أخرجه أبوداود (٤٣٩٤)، النسائى (٤٨٨٢)، ابن ماجه (٢٥٩٥)، الحاكم (١/ ٢١١)، وصححه الألباني في الإرواء (٧/ ٣٤٩).

افترض الزكاة...

وأمر بالمواساة في المال...

وعلم المسلم أنَّ المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه وحثَّ المسلم على أن يكون في حاجة أخيه وأن يفرج كُربة أخيه إن كان ذلك في استطاعته.

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه: أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال"المسلمُ أخو المسلم، لا يَظْلِمُه ولا يُسْلِمُه، ومَن كان في حاجةِ أخيه كان اللهُ في حاجتِه، ومَن فرَّجَ عن مسلم كُربةً فرَّجَ اللهُ عنه كُربةً مِن كُرُبَاتِ يوم القيامةِ، ومَن ستَرَ مسلمًا ستَرَه اللهُ يومَ القيامةِ"(١).

حثهم على الأخوة والمودة والمحبة...

وعلمهم إغناء الفقير ومراعاة حاجاته...

وحثهم على تنفيس كرب بعضهم بعضًا، وعلمهم أنه من نفَّس عن مسلم كربة من كرب الدنيا نفَّس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ومن كان في عون أخيه كان الله في عونه.

عن أبى هريرة رضي الله عنه قال:قال رسول الله ﷺ"**مَن نَفَّسَ عن مسلم كُرْبَةً مِن كُرَب الدنيا نفَّسَ اللهُ عنه كُرْبَةً مِن كُرَب يوم القيامةِ، ومَن يَسَّرَ على مُعْسِر يَسَّرَ اللهُ عليه فى الدنيا والآخرة، ومَن ستَرَ على مسلم سَتَرَ اللهُ عليه فى الدنيا والآخرة، واللهُ فى عونِ العبدِ ما كان العبدُ فى عونِ أخيه**"(٢).

---

(١) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٢٤٤٢)، مسلم (٢٥٨٠).

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٩٩)، أبوداود (٤٩٤٦)، ابن ماجه (٢٢٥).

وبعد كل ذلك شرع الله حد السرقة.

وهو حدّ لم يأمر الله به لقطع أيدي الناس.

ولكن الله تبارك وتعالى شرعه ليمنع النفوس المتمردة التى لم ينفعها أمر الله تبارك وتعالى ونهيه، ولم تراقب الله تعالى وتسعى للفساد في المجتمع، والتعدي على أموال الناس بغير حق يمنعها أن تفسد في المجتمع وتنشر الفوضى، فكان هذا الحد بعد كل هذه التهيئة له إنما هو لصيانة الأموال ومنع نشر الفوضى في المجتمع، بل إنه حماية للنفوس المتمردة من أنفسها وحفظها من الوقوع في الزلل.

ولذلك جعل الله تبارك وتعالى دية اليد نصف دية النفس...

ولكنها في السرقة تقطع بربع دينار...

وتعظيم دية اليد حفاظا عليها من الجناية عليها.

وجعل حد السارق ربع دينار حفاظًا على المال.

ولك أن تتصور لو جُعلت الدية لليد ربع دينار لكثرت الجنايات على الأيدي وما زجر أحد

ولو كان حد السرقة نصف الدية لضيعت أموال الناس.

سبحان اللطيف الحكيم.

كذلك القصاص فى القتل...

فالله تعالى لم يشرع القصاص من أجل قتل الناس وموتهم بل شرعه لحياتهم لذا لم يقل الله تعالى ولكم في القصاص موت بل قال ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾ [البقرة: ١٧٩].

فلو علم من يريد القتل أنه سيُقتل لامتنع عن القتل، وحفظ الله تبارك وتعالى حياته وحياة من يريد قتله.

❁ رابعا: الواقعية:

إنَّ الشريعة الإسلامية شريعة واقعية...

لا يتعامل الله تعالى مع البشر على أنهم ملائكة لايخطئون...

بل يتعامل بواقعهم...

وأن هناك شيطانًا يدعو للفواحش والإفساد...

والدنيا تغر وتنسى...

والنفس تهوى وتميل.

لذا حرم الله تعالى المحرمات وحرم الأسباب المؤدية إليها...

وجعل ذلك عامًّا على الأنبياء والمقربين والعصاة.

حرم الزنا وحرم ما يؤدى إليه:

فحرم النظر...

عن بريدة بن الحصيب الأسلمى أنَّ النبى ﷺ قال" **يا عليُّ لاَ تتبع النَّظرةَ النَّظرةَ فإنَّ لَكَ الأولى وليست لَكَ الآخرة**"[1].

(١) أخرجه أبوداد (٢١٤٨)، الترمذي (٢٧٧٧)، وحسنه الألباني فى صحيح وضعيف سنن الترمذي.

وحرم الجلوس فى الطرقات...

عن أبى سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ"**إياكم والجلوسَ فى الطرقاتِ**"فقالوا: ما لنا بدٌ، إنما هى مجالسُنا نتحدثُ فيها قال: "**فإذا أبيتم إلا المجالسَ، فأعطوا الطريقَ حقَّها** " قالوا: وما حقُّ الطريق؟ قال" **غضُّ البصر، وكفُّ الأذى، وردُّ السلام، وأمرٌ بالمعروفِ، ونهىٌ عن المنكر**"[(١)].

وحرم الخلوة بالنساء...

عن عبد الله بن عباس ﷺ قال:قال رسول الله ﷺ"**لا يخلوَنَّ رجلٌ بامرأةٍ، ولا تسافِرَنَّ امرأةٌ وإلا معها محرمٌ** فقام رجلٌ فقال: يا رسولَ اللهِ، اكتُتِبتُ في غزوةِ كذا وكذا، وخرجت امرأتِى حاجةً، قال " **اذهبْ، فحُجَّ مع امرأتِك**"[(٢)].

وحرم الدخول على النساء...

عن عقبة بن عامر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ"**إيَّاكم والدخول على النساء**" **فقال رجل من الأنصار: يا رسول الله، أفرأيت الْحمو؟ قالَ " الْحمو الموت**"[(٣)].

وحرم مصافحة النساء...

عن معقل بن عبد الله بن يسار أنَّ النبى ﷺ قال" **لأن يطعن فى رأس أحدكم بمخيط من حديد خير له من أن يمس امرأة لا تحل له**"[(٤)].

ومع كل ذلك علم الله أن هناك أناسًا سيخالفون ولا يتعظون وسيتعدَّون

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (٢٤٦٥)، مسلم (٢١٢١).
(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري (٣٠٠٦)، مسلم (١٣٤١).
(٣) متفق عليه: أخرجه لبخاري (٥٢٣٢)، مسلم (٢١٧٢).
(٤) أخرجه الطبراني في الكبير (٢٠/ ٢١٢)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٠٤٥).

حدود الله تعالى...

ففتح لهم باب التوبة ليتوبوا ويؤوبوا إليه سبحانه...

وعلم أنَّ النفوس قد لا تعود سريعًا...

فأخبر أنَّ باب التوبة لا يغلق حتى تغرغر النفوس أو تشرق الشمس من مغربها.

عن صفوان بن عسال أنَّ النبى ﷺ قال" **إنَّ للتوبة بابا عرض ما بين مصراعيه مسيرة سبعين سنة لا يغلق حتى تطلع الشمس من مغربها**"[(١)].

بل علم سبحانه أنَّ هناك أناسًا سيموتون بدون توبة فجعل من أجل ذلك الشفعاء لعل الله يغفر لهم.

وإلا فالعقاب...

وحق له سبحانه وتعالى.

الشريعة واقعية: لا تعطى أحكامًا وتعزل أبناءها عن الواقع عند التطبيق بل لا بد من النظر للواقع حتى يتم التطبيق على أحسن صورة.

فلما بعث النبى ﷺ كانت الكعبة قد غُير بناءها ولزم أن يغير ذلك البناء ويعيد البناء الأصلى...

نظر النبى ﷺ إلى الواقع.

فإذ الواقع لا يتحمل ذلك...

والناس حديثوا عهد بالشرك...

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٨/ ٦٥)، وحسنه الألباني فى صحيح الجامع (٢١٧٧).

عن عائشة رضي الله عنها أنَّ النبى ﷺ قال" **لولا أن قومك حديثو عهد** بجاهلية أو قال بكفر لأنفقت كنز الكعبة في سبيل الله، ولجعلت بابها بالأرض، ولأدخلت فيها من الحجر"[(١)].

فالشريعة ليست خيالية...

لم تفترض أنَّ الناس ملائكة لا يخطئون...

ولم تفترض أنهم شياطين لايحسنون...

بل اعتبر هذا وذاك...

ففتح أبواب الخير ووسائلها وأغلق أبواب الشر ووسائلها...

﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾﴾ [النساء: ٢٧].

❁ خامسًا: التدرج:

التدرج هو تهيئة النفوس إلى الامتثال إلى أمر الله ونهيه.

ومن ذلك أنَّ الله تعالى فرض الصيام على مراحل.

وحرم الخمر على مراحل.

كل ذلك ليقبل الناس أمر الله...

وييسر عليهم الخروج من ظلام الجاهلية إلى نور الإسلام.

---

(١) أخرجه مسلم (١٣٣٣).

وغير ذلك من الخصائص التى يظهر فيها نور الوحى.

فإنَّ الله منَّ على هذه الأمة بأعظم المنن...

وجعلها خير أمة أخرجت للناس...

وجعل نبيها خير نبى بُعث للناس...

وجعل شريعتها أفضل الشرائع التى شُرعت للناس...

نسأل الله أن يوفقنا لحفظها والعمل بها.

وصف النبيِّ ﷺ

إنَّ النبيَّ ﷺ خلقه الله تعالى خلقًا خاصًّا تتعلق القلوب بالنظر إليه عندما تراه عن عبد الله بن سلام قال (لما قدم رسول الله ﷺ المدينة انجفل الناس إليه[١] وقيل قدم رسول الله ﷺ فجئت في الناس لأنظر إليه فلما استبنتُ وجه رسول الله ﷺ عرفت أنَّ وجهه ليس بوجه كذاب)[٢] يعنى وجه رسول صادق مرسل من الله تعالى إلى العالمين.

فأول ما رآه تعلق قلبه به ﷺ، وذلك لأنَّ مهمة النبى ﷺ كانت مهمة عظمى فالله تبارك وتعالى تولى أمره وخلقه خلقًا يتناسب مع ذلك.

❁ أولاً صفته الخَلْقية:

وجهه ﷺ :

عن البراء بن عازب قال (كان رسول الله ﷺ أحسن الناس وجهًا وأحسنهم خلقًا ليس بالطويل البائن ولا بالقصير)[٣].

وسئل البراء (أكان وجه رسول الله ﷺ مثل السيف؟ قال لا بل مثل

---

(١) **انجفل الناس إليه:** أي ذهبوا مسرعين ومضوا نحوه عليه الصلاة والسلام.

(٢) أخرجه الترمذي (٢٤٨٥)، ابن ماجه (١٣٣٤)، وصححه لألباني في صحيح ابن ماجه (١٠٩٧)، وفي الصحيحة (٥٦٩).

(٣) **متفق عليه:** أخرجه البخاري (٣٥٤٩)، مسلم (٢٣٣٧).

القمر)[١].

قال الحافظ ابن حجر: كأنَّ السائل أراد أنه مثل السيف في الطول فرد عليه البراء فقال: بل مثل القمر أي في التدوير، ويُحتمل أن يكون أراد مثل السيف في اللمعان والصقال فقال: بل فوق ذلك وعدل إلى القمر لجمعه الصفتين من التدوير واللمعان.

وعن جابر بن سمرة قال حينما سئل عن النبى ﷺ (فقال رجل وجهه مثل السيف؟ قال لا بل كان مثل الشمس والقمر وكان مستديرا)[٢].

وعن عبدالله بن كعب قال سمعت كعب بن مالك يحدث حين تخلف عن تبوك فقال (فلما سلمت على رسول الله ﷺ وهو يبرق وجهه من السرور وكان رَسُولُ اللهِ ﷺ إذا سر استنار وجهه حتى كأنه قطعة قمر وكنا نعرف ذلك منه)[٣].

عن أبى هريرة قال (مَا رأيتُ شيئًا أحسنَ من رسولِ اللهِ ﷺ كأنما الشمس تجري في وجهه)[٤].

وعن أمنا عائشة رضي الله عنها تقول (كان رسول الله ﷺ نير الوجه يتلألأ تلألؤ القمر، وكان ﷺ أحسن الناس وجهًا، وأنورهم لونًا، لم يصفه واصف قط إلا شبه وجهه بالقمر ليلة البدر، ولقد كان يقول من كان يقول منهم لربما نظرنا إلى القمر

(١) أخرجه البخاري (٣٥٥٢).
(٢) أخرجه مسلم (٢٣٤٤).
(٣) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٣٥٥٦)، مسلم (٢٧٦٩).
(٤) أخرجه أحمد في مسنده (٨/ ٣٦٢)، الترمذي (٣٦٥٧)، وقال أحمد شاكر في تخريج المسند إسناده صحيح.

ليلة البدر فنقول هو أحسن في أعيننا من القمر)[١].

فهذا هو وجه النبى ﷺ الذي من كرامته على الله قال سبحانه ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾﴾ [البقرة: ١٤٤].

عيناه ﷺ :

عن أبى هريرة رضي الله عنه قال عن عين النبى ﷺ (أكحل العينين أهدب الأشفار)[٢]، وعن على قال (كان النبيُّ ﷺ ضخم الرأس عظيم العينين)[٣].

عن يزيد الفارسى وكان يكتب المصاحف قال (رأيتُ النبى ﷺ في المنام زمن ابن عباس فقلتُ لابن عباس إنِّى رأيتُ رسول اللهِ ﷺ في النوم، فقال ابن عباس إنَّ رسولَ اللهِ ﷺ كان يقول " **إنَّ الشيطان لا يستطيع أن يتشبه بى فمن رآني فى النوم فقد رآني** " هل تستطيع أن تنعت هذا الرجل الذي رأيته في النوم؟ قال نعم أنعت لك رجلا بين الرجلين جسمه ولحمه أسمر إلى البياض أكحل العينين "[٤].

---

(١) أخرجه أبونعيم في الدلائل (٢/ ١٩٦)، البيهقى في دلائل النبوة (١/ ٢٧٠).

(٢) أخرجه البيهقى في الدلائل (١/ ٢٦٤)، مصنف عبدالرزاق (١١/ ٢٥٩)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٤٦٣٣).

(٣) أخرجه ابن سعد في الطبقات (١/ ٤١٠)، وحسنه الألباني في صحيح الأدب المفرد (١٣١٥).

(٤) أخرجه أحمد في مسنده (٣/ ٤٣٥)، الترمذي في الشمائل (١/ ٣٥١)، وحسنه الألباني في مختصر الشمائل (٣٤٧).

وعن سماك بن حرب عن جابر بن سمرة قال (كان رسول اللهِ ﷺ ضليع الفم أشكل العينين... قيل لسماك... ما أشكل العينين؟ قال طويل شق العين...)[١].

خده ﷺ :

عن أبى هريرة رضي الله عنه في وصفه للنبى ﷺ قال (أسيل[٢] الخدين)[٣]، وقال يزيد الفارسى (جميل دوائر الوجه)[٤].

وَكان أبيض الخد فعن عامر بن سعد عن أبيه قال (كنت أرى رسول اللهِ ﷺ يسلم عن يمينه وعن يساره حتى أرى بياض خده)[٥].

رأسه ﷺ :

عن على قال (كان النبى ﷺ ضخم الرأس)[٦] وعنه قال (كان عظيم الهامة أبيض مشربا حمرة)[٧].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٣٣٩).

(٢) **الأسيل**: هو المستوي.

(٣) أخرجه البيهقى في الدلائل (١/ ٢٦٤)، عبد الرزاق في مصنفه (١١/ ٢٥٩)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٤٦٣٣).

(٤) أخرجه أحمد في مسنده (٣/ ٤٣٥)، الترمذي في الشمائل (١/ ٣٥١)، وحسنه الألباني في مختصر الشمائل (٣٤٧).

(٥) أخرجه مسلم (٥٨٢).

(٦) أخرجه الترمذي (٣٦٤٧)، وصححه الألباني في صحيح الترمذي (٢٨٧٧).

(٧) أخرجه أحمد في مسنده (٢/ ١٣)، وقال أحمد شاكر إسناده صحيح، قال الألباني صحيح لغيره في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (٦٢٧٨).

لونه ﷺ :

عَنْ أَبِى الطُّفَيْل قَالَ (رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ أَبْيَضَ مَلِيحًا مقصدا)[١].

وعن أنس بن مالك قال في لونه ﷺ (أزهر[٢] اللون ليس بأبيض أمهق ولا بآدم)[٣].

وعن على قال (كان النبى ﷺ أبيض مشربًا بياضه حمرة)[٤].

ثغره ﷺ :

عن سماك بن حرب عن جابر بن سمرة قال (كان رسول اللهِ ﷺ ضليع الفم.... قيل لسماك ما ضليع الفم؟ قال عظيم الفم...)[٥].

وقال عمر بن الخطاب (ضحك رسول الله ﷺ وكان من أحسن الناس ثغرًا[٦].

لحيته وشعره ﷺ :

كان عظيم اللحية وكان عظيم الشعر فكان شعره يضرب منكبيه.

عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ قَالَ عن وصف النبي (ضخم الرأس واللحية)[٧].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٣٤٠).

(٢) الأزهر: هو الأبيض المستنير المشرق وهو أحسن الألوان.

(٣) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٣٥٤٧)، مسلم (٢٣٤٧).

(٤) أخرجه أحمد (٢/ ٢٥٨)، ابن حبان (١٤/ ٢١٦)، والبيهقى في الدلائل (١/ ١٥٦)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٦٢١).

(٥) سبق تخريجه.

(٦) أخرجه مسلم (١٤٧٩).

(٧) أخرجه أحمد في مسنده (١/ ٤٩٠)، وقال أحمد شاكر إسناده صحيح، وصححه=

وعن البراء قال (كان رسول الله ﷺ... له شعر بلغ شحمة أذنيه رأيته في حلة حمراء لم أر شيئًا قط أحسن منه)[١] وفي رواية لمسلم قال (ما رأيت من ذي لمة أحسن في حلة حمراء من رسول الله ﷺ شعره يضرب منكبيه...)[٢].

وقال يزيد الفارسي (جميل دوائر الوجه قد ملأت لحيته ما بين هذه إلى هذه، قد ملأت نحره)[٣] وعن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال (كان رسول الله ﷺ... كثير شعر اللحية)[٤].

وعن أنس بن مالك قال (كان شعر رسول الله ﷺ رجلا ليس بالسبط ولا بالجعد بين أذنيه وعاتقه)[٥].

عنقه ﷺ :

عن علي رضي الله عنه قال (كأنَّ عنقه إبريق فضة)[٦].

منكبه ﷺ :

يقول البراء رضي الله عنه (كان رسول الله ﷺ.. بعيد ما بين المنكبين)[٧].

=الألباني في المشكاة (٥٧٩٠).

(١) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٣٥٥١)، مسلم (٢٣٣٧).

(٢) نفس الحديث السابق.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) أخرجه مسلم (٢٣٤٤).

(٥) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٣٥٤٧، ٣٥٤٨)، مسلم (٢٣٣٨).

(٦) أخرجه:، الطبراني في الكبير (٧/ ١٠٥)، البيهقي في دلائل النبوة (١/ ٢٦٢)، وحسن الألباني إسناده في السلسلة الصحيحة (٥/ ٥٢).

(٧) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٣٥٥١)، مسلم (٢٣٣٧).

آتاه الله جمالًا ووقارًا وهيبة:

فلقد آتى الله تعالى نبيه محمدًا ﷺ جمالًا كثيرًا، ومع ذلك فقد علاه الوقار الهيبة.

فها هو نبى الله يوسف عليه السلام وقد أوتي شطر الجمال فافتتنت به النساء لمَّا رأوا حسنه وجماله وأخذهن الهيام والشطح حتى قطعن أيديهن يقول سبحانه في محكم تنزيله ﴿ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ ۖ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾ [يوسف: ٣١].

ولم تفتتن النساء بسيد الأولين والآخرين محمد ﷺ رغم أنه حاز الحسن والجمال كله لأنَّ الله تعالى أضفى عليه الهيبة، ولم يستطع أن يصفه إلا الصغار من أبناء الصحابة أما الكبار فكانوا لا يستطيعون التحديق فيه ولا التمعن في وجهه ولا التأمل في ملامحه.

فها هو عمرو بن العاص رضي الله عنه يقول (والله لو قلتم لى صف لنا وجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ما استطعت من كثرة استحيائى منه أن أحد النظر في وجهه ولكنى كنت كثيرًا ما أطرق وجهى على الأرض)[(١)].

يداه ﷺ :

كان عظيم اليدين وكانت يداه لينتين طيبتى الرائحة.

عن أنس قال (كان ضخم اليدين والقدمين حسن الوجه لم أر بعده ولا قبله مثله)[(٢)].

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٤/ ١٩٩)، وقال شعيب الأرنؤوط حديث صحيح.
(٢) أخرجه البخاري (٥٩٠٧).

وقال أيضًا (ما مسستُ حريرًا قط ولا ديباجًا ألين من كف رسول الله ﷺ)[١].

وَعَنْ جَابر بْن سَمُرَةَ قَالَ (صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ صلاة الأولى ثم خرج إلى أهله وخرجت معه فاستقبله ولدانٌ فجعل يمسح خَدَّي أحدهم واحدًا واحدًا وأما أنا فمسح خدي فوجدتُ ليده بردًا وريحًا كأنما أخرجها من جؤنة عطار)[٢].

رجلاه ﷺ :

كان عظيم الرجلين وكأنَّ لساقيه بريقًا.

عن أنس قال (كان ﷺ ضخم اليدين والقدمين حسن الوجه لم أر بعده ولا قبله مثله)[٣].

عن عون بن أبى جحيفة عن أبيه قال (رأيتُ النبى ﷺ وعليه حلة حمراء كأني أنظر إلى بريق ساقيه)[٤].

عرقه ﷺ :

كان عرقه طيب الرائحة وكأنه اللؤلؤ يتحدر.

قال أنس (ما مسستُ حريرًا قط ولا ديباجًا ألين من كف رسول الله ﷺ ولا عرقًا أطيب من ريح عرق رسول الله ﷺ)[٥] وقال أيضًا (كَانَ رَسُولُ اللهِ

(١) **متفق عليه:** أخرجه البخاري (٣٥٦١)، مسلم (٢٣٣٠).
(٢) أخرجه مسلم (٢٣٢٩).
(٣) تقدم تخريجه.
(٤) أخرجه البخاري (٣٥٦٦)، مسلم (٥٠٣).
(٥) أخرجه البخاري (٣٥٦١)، مسلم (٢٣٣٠).

ﷺ أزهر اللون كأن عرقه اللؤلؤ... ولا شممتُ مسكًا ولا عنبرة أطيب من رائحة النبى ﷺ)[١].

مشيته ﷺ :

قال أنس (إذا مشى تكفَّأ)[٢].

وقال أبو هريرة (وما رأيتُ أسرع في مشيته من رسول الله ﷺ كأنَّ الأرض تُطوَى له إنا لنُجهد أنفسنا وإنه لَغير مكترث)[٣].

طوله ﷺ :

عن البراء بن عازب قال (كان رسول الله ﷺ أحسن الناس وجهًا وأحسنهم خلقًا ليس بالطويل البائن ولا بالقصير)[٤].

وصفه العام ﷺ :

كان ﷺ وضيئًا...

كان إذا صمت علاه الوقار...

إذا تكلم علته الهيبة...

إذا رأيته من بعيد قلت أبهى الناس...

وإذا رأيته من قريب قلت أجمل وأحسن الناس.

---

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده (٨/ ٣٦٢)، الترمذي (٣٦٥٧)، وقال أحمد شاكر في تخريج المسند إسناده صحيح.

(٤) تقدم تخريجه.

كان إذا سار مع أبى بكر وعمر كأنه غصن بين غصنين وهو أحسن الأغصان أجملهم بهاءًا وأعلاهم قدرًا ووقارًا، إذا تكلم سكت أصحابه وإذا أمر ابتدروا أمره.

فهو نبى الهدى وإمام الرحمة.

❁ ثانيًا صفاته الخُلُقية:

وأما عن أخلاقهﷺ فكان أحسن الناس خُلُقًا قال ربه تبارك وتعالى ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ [القلم: ٤].

رفقه ولينه ﷺ:

قال أنس بن مالك رضي الله عنه (كان رسول الله ﷺ مِن أحسن النَّاس خُلُقًا، فأرسلني يومًا لحاجة فقلت والله لا أذهب وفي نفسي أن أذهب لما أمرني به نبيُّ الله صلَّى اللهُ عليهِ وعلى آله وسلَّم قال فخرجت حتى أمرَّ على صبيان وهم يلعبون في السُّوق فإذا رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قابضٌ بقفاي مِن ورائي فنظرت إليه وهو يضحك فقال " **يا أنيس اذهب حيث أمرتك** " قلت نعم أنا أذهب يا رسول الله، والله لقد خدمته سبع سنين أو تسع سنين ما علمت قال لشيء صنعتُ لم فعلتَ كذا وكذا ولا لشيء تركتُ هلَّا فعلتَ كذا وكذا)[(١)].

شجاعته ﷺ:

وكان أشجع الناس فكان الصحابة يحتمون به ﷺ إذا حمى الوطيس.

عن أبى إسحاق قال (سأل رجل البراء رضي الله عنه فقال: ياأبا عمارة أوليتم يوم حنين، قال البراء وأنا أسمع: أما رسول الله ﷺلم يُوَلِّ يومئذ كان أبو سفيان بن

(١) أخرجه أبو داود (٤٧٧٣)، وحسنه الألباني في صحيح وضعيف سنن أبى داود، وفي مختصر الشمائل (٢٩٦).

الحارث آخذًا بعنان بغلته يعنى بغلة رسول الله ﷺ فلما غشيه المشركون نزل فجعل يقول " **أنا النبى لا كذب أنا ابن عبد المطلب** " قال فما رُئِى من الناس يومئذ أشد منه)[١].

حلمه ﷺ :

كان أحلم الناس فعن أنس قال (كنتُ أمشى مع رسول الله ﷺ وعليه برد نجراني غليظ الحاشية فأدركه أعرابى فجبذه جبذةً شديدةً ورجع نبى الله ﷺ في نحر الأعرابى حتى نظرت إلى صفحة عاتق رسول الله ﷺ قد أثرت به حاشية البرد من شدة جبذته ثم قال يا محمد مُرْ لى من مال الله الذي عندك فالتفت إليه رسول الله ﷺ ثم ضحك ثم أمر له بعطاء)[٢].

زهده ﷺ :

كان أزهد الناس فقال ﷺ " **ما لى وللدنيا وما للدنيا وما لى والذى نفسى بيده ما مثلى ومثل الدنيا إلا كراكب سار فى يوم صائف فاستظل تحت شجرة ساعة من النهار ثم راح وتركها** "[٣].

وكان من دعائه ﷺ "**اللهم اجعل رزق آل محمد قوتًا** " وفي رواية " **كفافًا**"[٤].

---

(١) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٢٨٦٤)، مسلم (١٧٧٦).

(٢) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٥٨٠٩)، مسلم (١٠٥٧).

(٣) أخرجه الترمذي (٢٣٧٧)، ابن ماجه (٤١٠٩)، وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي، وفي الصحيحة (٤٣٩).

(٤) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٦٤٦٠)، مسلم (١٠٥٥).

صبره على الأذى ﷺ :

وكان أصبر الناس على الأذى والبلاء قال ابن مسعود يصف شدة ما رأى من صبر رسول الله ﷺ وحلمه على الأذى والبلاء قَالَ (كأني أنظر إلى رسول الله ﷺ يحكى نبيًّا من الأنبياء ضربه قومه فأدموه وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول " **اللهم اغفر لقومى فإنهم لا يعلمون**)[١].

عن سهل بن سعد الساعدي قال: قال رسول الله ﷺ " **اللهم اغفر لقومى فإنهم لا يعلمون** "[٢].

تواضعه ﷺ :

وكان ﷺ متواضعًا قريبًا من أصحابه...

لا يعتريه كِبرٌ ولا بَطَرٌ على رِفْعَة قَدْرِه وعلوِّ منزلته...

يخفض جناحه للمؤمنين ولا يتعاظم عليهم...

ويجلس بينهم كواحد منهم...

لا يُعْرَف مجلسه مِن مجلس أصحابه...

كان يجلس حيث ينتهى به المجلس.

عن أبى ذرٍّ وأبى هريرة رضي الله عنهما قالا (كان رسول الله ﷺ يجلس بين ظهراني أصحابه فيجيء الغريب فلا يدري أيّهم هو حتى يسأل)[٣].

---

(١) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٣٤٧٧)، مسلم (١٧٩٢).

(٢) أخرجه ابن حبان (٣/ ٢٥٤)، وصححه الألباني في الصحيحة (٣١٧٥).

(٣) أخرجه أبو داود (٤٦٩٨)، النسائى (٤٩٩١)، وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن النسائي.

كان ﷺ إذا ذكر أصحابه أمر الجاهلية ذكره معهم...

وإذا تعجبوا تعجب...

وإذا ضحكوا تبسم.

عن عبد الله بن الحارث بن جزء رضي الله عنه أنه قال (ما رأيتُ أحدًا أكثر تبسُّمًا من رسول الله ﷺ)[١]

ومن طريق أخرى قَالَ (ما كان ضحكُ رسول الله ﷺ إلا تبسمًا)[٢].

أثره في الناس ﷺ :

لقد عظم أثره ﷺ في الناس.

إنه غيَّر كيان الدنيا وأهلها:

فقد حول العبيد إلى سادة...

حول أصحاب الفواحش إلى أصحاب الفضائل...

حول العصاة إلى طائعين والفجار إلى أبرار ومتقين...

حول ظلمة الجاهلية وعتمتها إلى نور كنور الشمس...

قال أنس (لما كان اليوم الذي دخل فيه رسول الله ﷺ المدينة أضاء منها كل شيء فلما كان اليوم الذي مات فيه أظلم منها كل شيء)[٣].

حول أهل النار إلى أهل الجنة...

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٦٥٠)، وصححه الألباني في مختصر الشمائل (١٩٤).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٦٥١)، وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي.

(٣) أخرجه الترمذي (٣٦٢٧)، ابن ماجه (١٦٣١)، وصححه الألباني في مختصر الشمائل (٣٢٩).

حول قسوة القلوب إلى لين ورحمة ورأفة...

وجعل العيون الجامدة عيونًا فيَّاضة بالبكاء من خشية الله تعالى...

وجعل القلوب المشتاقة للمعاصى مشتاقة إلى لقاء الله ورؤيته...

لقد أتى إليهم وكان العرب في جاهلية وشر:

كان كبيرهم يأكل الضعيف فأرشدهم إلى الخير والصواب وإلى الإنصاف والعدل...

أتى إليهم والفواحش منتشرة فعلمهم العفة والطهارة...

أتى إليهم وكانوا أعداءًا فألف الله به بين قلوبهم...

أتى إليهم وكانوا يئدون البنات فعلمهم إكرامهن...

أتى إليهم وكانوا يقتلون الأبناء فعلمهم أنهم فلذة أكبادهم...

أتى إليهم وما كان فيهم إلا كل رذيلة فعلمهم كل فضيلة...

أتى إليهم وهم يتهافتون إلى النار وهو يأخذ بحجزهم ويرشدهم إلى طريق الجنة.

ﷺ ما أجمل خَلْقَه...

ﷺ ما أعظم خُلُقَه...

ﷺ ما أشد أثره في الناس.

اللهم احشرنا تحت لوائه، واسقنا من يده شربة هنيئةً لا نظمأ بعدها أبدًا.

التمسك بالوحى والكتاب
سبب لعناية رب الأرباب

إنَّ الله تبارك وتعالى أنزل كتبه وأرسل رسله، وأمر عباده أن يتمسكوا بأمره ويطيعوا رسله ويعملوا بكتبه.

فمنهم من أطاع ومنهم من عصى بل زاد أهل المعصية طغيانًا فأرادوا صد من أسلم لله عن سبيل الله.

وهذا مما جعل أهل الدين حيارى ولا يدرون ماذا يصنعون...

فطمأن الله قلوبهم...

ووعدهم بالجزاء على تمسكهم بوحيه وكتابه أن يمنَّ عليهم بحفظه ورعايته.

وضرب لهم الأمثلة في كل زمان ومكان لكى يعتبر المؤمنون وتطمئن قلوبهم ويركنوا إلى ربهم. ونأخذ مثالًا لذلك نبى الله إبراهيم عليه السلام:

❁ إبراهيم كان حنيفًا:

والحنيف هو المستمسك بوحى الله والطائع لأمره.

عن ابن عمر " أَنَّ زيد بن عمرو بن نفيل خرج إلى الشأم يسأل عن الدين، ويتبعه...

فلقي عالمًا من اليهود...

فسأله عن دينهم...

فقال: إني لعلى أن أدين دينكم، فأخبرني.

فقال: لا تكون على ديننا حتى تأخذ بنصيبك من غضب الله.

قال زيدٌ ما أفر إلا من غضب الله، ولا أحمل من غضب الله شيئًا أبدًا، وأنى أستطيعه فهل تدلنى على غيره.

قال: ما أعلمه إلا أن يكون حنيفًا.

قال زيدٌ: وما الحنيف؟

قال: دين إبراهيم لم يكن يهوديًّا، ولا نصرانيًّا، ولا يعبد إلا الله.

فخرج زيدٌ...

فلقى عالمًا من النصارى فذكر مثله...

فقال: لن تكون على ديننا حتى تأخذ بنصيبك من لعنة الله.

قال: ما أفر إلا من لعنة الله، ولا أحمل من لعنة الله، ولا من غضبه شيئًا أبدًا، وأنى أستطيع فهل تدلنى على غيره.

قال: ما أعلمه إلا أن يكون حنيفًا.

قال: وما الحنيف؟

قال: دين إبراهيم لم يكن يهوديًّا ولا نصرانيًّا، ولا يعبد إلا الله.

فلما رأى زيد قولهم في إبراهيم عليه السلام خرج...

فلما برز رفع يديه فقال: اللهم إني أشهد أني على دين إبراهيم"[(١)].

(١) أخرجه البخاري (٣٨٢٧).

إبراهيم عليه السلام ابتلاه الله بتشريعات وكلمات فوفى: قال تعالى ﴿ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ ﴾ [النجم: ٣٧] ابتلاه الله تعالى بكلمات فأتمهن قال تعالى ﴿ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾ ﴾ [البقرة: ١٢٤].

إبراهيم أمره الله تبارك وتعالى أن يختتن وهو في الثمانين فاختتن بالقدوم[١] وما تأخر عن أمر الله تبارك وتعالى.

إبراهيم أمره الله تبارك وتعالى أن يذبح ولده فقال سمعًا وطاعة.

إبراهيم أمره الله تعالى أن يضع زوجه وذريته بأرض قفر لا زرع فيها ولا ماء فقال سمعًا وطاعة. فرعاه الله تعالى لأنَّ التمسك بالوحى والكتاب سبب لعناية رب الأرباب.

❁ صور من الرعاية الإلهية لإبراهيم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام:

قصته مع النار:

لما قام بأمر الله تبارك وتعالى وأقام التوحيد والإيمان...

كذبه قومه وآذوه وأرادوا أن يردوه عن دين الله إلى عبادة الأصنام...

فما استطاعوا وتمسك إبراهيم بأمر الله تبارك وتعالى.

فحفظه الله ورعاه برعاية رب الأرباب سبحانه وتعالى...

فاجتمع قومه عليه...

وأوقدوا نارًا عظيمة...

فقذفوه فيها وما يشكون في هلاكه وجعله عبرة للناس...

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٥٦)، مسلم (٢٣٧٠).

فجمعوا الناس ليجعلوه عبرة لهم...

فأراد الله تعالى أن يجعله أسوة وقدوة للعالمين.

فلما ألقى في النار قال " حسبى الله ونعم الوكيل "[(١)].

وكأنه يقول:

يارب تمسكت بأمرك...

وعملت بقولك...

واستجبت لوحيك...

وأنا الآن أطلب كفالتك ووكالتك وحفظك وأنت نعم المولى ونعم النصير ونعم الوكيل.

فرعاه الله تبارك وتعالى وعصمه وحفظه، وجاء الأمر من السماء لمخلوق من مخلوقاته تبارك وتعالى وهو النار ونادى الله تعالى ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾﴾ [الأنبياء: ٦٩].

وكأني بالنار ترتعد وتفزع للملك...

وكأني بها تقول لبيك لبيك ربى أسمع قولك وأطيع أمرك...

فقال ﴿كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا﴾...

النار التى تحرق وتدمر ﴿كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا﴾...

النار الحارة الملتهبة ﴿كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا﴾...

يالله يالقوته وعظمته...

---

(١) أخرجه البخاري (٤٥٦٤).

﴿كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا﴾ فكانت بردًا وسلامًا.

ففكت وثاقه ولم تؤذ النار شيئًا منه بل جلس فيها كجلوسه في رياض نضرة.

إنها العناية الربانية ﴿وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَخۡسَرِينَ ٧٠﴾ [الأنبياء:٧٠] وقال سبحانه أيضًا ﴿فَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيۡدٗا فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَسۡفَلِينَ ٩٨﴾ [الصافات: ٩٨] فجعله الله تبارك وتعالى قدوة وأسوة حسنة وجعلهم عبرة لغيرهم.

أخي الحبيب:

لابد أن تعلم أنَّ التمسك بالكتاب لم يكن ليخزيك أبدًا وإنما يجلب لك معية ربك وعنايته وإن كنت لا حول لك ولا قوة لكنك في رعاية الله تبارك وتعالى صاحب الحول والقوة.

رعاه الله تعالى وتولاه في أمر زوجه وولده:

فإنَّ إبراهيم عليه السلام لما تزوج هاجر أمره الله أن يأخذها وولدها إسماعيل ويضعهما في أرض جدباء لا زرع فيها ولا ماء ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ٣٧﴾ [إبراهيم: ٣٧] إنه تمسك بأمر الله واستجاب لكنه طلب من الله رعاية زوجته وابنه فرعاهم الله خير رعاية.

فلما نفد الماء من الأم المسكينة ذهبت تبحث عن ماء لصغيرها الذي يبكى جوعًا فنفد الماء من يديها ولكنه لم ينفد من خزائن السماوات والأرض...

فنبع الماء من تحت قدمه الطاهر...

إنه ماء عذب زلال إنه ماء شفاء للسقيم، وطعام للجائع، وري للظمآن...

من تحت هاتيين القدمين الطاهرتين[(١)].

بل رفع الله شأنهم جميعًا وخلَّد ذكرهم بأن أمرهم أن يبنوا لله تعالى بيتًا...

فقام الأب الشيخ الكبير يبنى...

والابن البار الشاب يناوله...

فلما ارتفع البناء قام إبراهيم على صخرة ليُكمل البناء فأتمه بإذن الله تعالى[(٢)].

ولكن من رعاية الله تعالى وقدرته أن ترك أثر قدم إبراهيم الذي أثر في الصخر...

وما كان إبراهيم ليظن أن يرفع الله قدر قدميه الطاهرتين حتى يجعلهما مصلى ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾﴾ [البقرة].

فما أعظمَ أن يخلد الله ذكر عبد بأن يربطه بدينه وأمره وشرعه...

فجعل السعى تذكيرًا بزوجه...

وجعل ماء زمزم تذكيرًا بولده...

وجعل الصلاة إلى مقامه تذكيرًا لقدميه الشريفتين...

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٦٤، ٣٣٦٥).

(٢) أخرجه البخاري (٣٣٦٤).

وجعل البيت والحج تذكيرًا بهم جميعًا...

فإنَّ ذلك جزاء التمسك بالوحى والكتاب وسبب لعناية رب الأرباب.

بل إنَّ الله تبارك وتعالى أمره أن يذبح ولده ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٠٢ ﴾ [الصافات: ١٠٢] أي كبر وترعرع وصار يمشى معه.

فهذا يدل على صعوبة الأمر، فوفى أبوه بأمر ربه، ووفى ابنه بوعده بالصبر لذا قال الله تعالى ﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ ﴾ [مريم: ٥٤] والجزاء﴿ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ٥٤ ﴾ [مريم:٥٤].

إنَّ التزام إبراهيم بوعد الله لم يكن كلامًا بل عمل والتزام وهمة قال تعالى ﴿ فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ ١٠٣ ﴾ [الصافات: ١٠٣] أي صرعه على وجهه حتى لا يشاهد وجهه.

وفي مسند أحمد " لما أُمر إبراهيم بالمناسك عرض له الشيطان عند السعى فسبه إبراهيم ثم ذهب به جبريل إلى جمرة العقبة فعرض له الشيطان فرماه بسبع حصيات حتى ذهب.....

فنودى من خلفه أي يا إبراهيم فالتفت فإذا كبش أبيض أقرن فأمر الله تبارك وتعالى أن يذبحه (وفديناه بذبح) [(١)].

ثم قال تعالى ﴿ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٠٥ ﴾ [الصافات] فالله تعالى صرفه عما يكره وجعل ذلك منة وفضلًا له وسن سنة له سبحانه وتعالى تبقى إلى يوم القيامة وجعل لهم من أمرهم فرجًا ومخرجًا.

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٣/ ٢١٠)، الطبراني في المعجم الكبير (١٠ / ٢٦٨)، وقال أحمد شاكر إسناده صحيح، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١١٥٦).

إنَّ الله تبارك وتعالى جعل هذه اليد الطاهرة التى كسرت الظالمين والأصنام الصماء...

وهى نفس اليد التى أمسكت السكين لذبح ولده...

والمكافأة: أنها هى اليد التى أمسكت الأحجار ورفعت بناء الكعبة...

إنَّ الدين هو دين العمل والبذل والتضحية، فاعمل لذلك، واترك أمرك لله يرعاك ويحفظك ويوفقك.

إنَّ التضحية لهذا الدين والتمسك به إنما هى من رعاية الله تعالى للعبد وتوفيقه له بل هى خير رعاية منه سبحانه وتعالى، وهى ليست قاصرةً على إبراهيم وإسماعيل بل على الشباب والشيوخ والنساء والأطفال كل على حسب قوته.

لذا إنَّ من أعظم الرعاية من الله للعبد أن يرعى له أمر دينه بأن يوفقه للعمل الصالح ويجعله يقوى على ذلك، وما ذلك إلا لأنَّ العبد تمسك بأمر الله واهتدى فزاده الله هدى وجعله يقوى على كثير من الصالحات التى ما كان يظن أن يقوى عليها لولا معية الله القدير، وعناية ورعاية الرب الكبير.

انظر لتمسك امرأة بأمر الله وتضحيتها من أجل الله والدار الآخرة، امرأة عرفت في التاريخ بصاحبة الشكال.

عن محمد بن حفص قال مررت على أخ لى من أهل مصر، ونحن بالثغر، فأخرج إليَّ شكالًا، فقال انظر من أي شيء هذا الشكال، فنظرت فإذا شكال من شعر كأنه من صفاته وشدة سواده قد دهن بالدهن، فقلت هذا عندي من أعراف الخيل العتاق الكرام، فقال لا والله ولكنه من شعر امرأة من أهل إفريقية جعلت منه شكالًا ثم أرسلت به إليَّ، فقالت اجعله شكال فرس غاز في سبيل الله ﷻ فإني طالما تمتعت به في غير طاعة الله، قلت إنما ينظر إلى ذل هذه المرأة لله

تعالى وقصدها لا إلى صورة فعلها لأنها جهلت أنَّ هذا الفعل لا يجوز[١].

ويحكى أهل السير قصة هذه المرأة على لسان مجاهد من مجاهدي الإسلام يدعى أباقدامة الشامى لما سئل عن أعجب ما رأى في الجهاد...

فقال: أردنا يومًا الخروج للجهاد في الثغور، فقمت ووعظت الناس وحثثتهم على الجهاد في سبيل الله...

وقبل الخروج بت ليليتى في بيت...

فلما ذهب بعض الليل إذا بباب البيت يطرق...

فلما فتحت الباب وجدت امرأة متقنعة في جلبابها...

ففزعت...

وقلت: ياأمة الله ماذا تريدين؟

قالت: أنت أبو قدامة؟

قلت: نعم.

قال: فدفعَتْ إليَّ رقعة وخرقة مشدودة ثم انصرفت باكية.

فنظرت في الرقعة فإذا مكتوب فيها.

ياأباقدامة إنك دعوتنا اليوم للجهاد.

وأنا امرأة لا أستطيع الجهاد، ولا أملك مالًا أزودك به فقطعت أحسن ما فيَّ وهما ضفيرتاي ثم صنعت منهما شكالًا (حبلًا) يُربط بهما الفرس فأنفذتهما إليك لتجعلهما قيد فرسك.

---

(١) صفة الصفوة (٤/ ٣٣٩).

لعل الله تعالى يرى شعري قيد فرسك فيغفر لى ويدخلنى الجنة...

قال أبو قدامة: فعجبت من حرصها وشدة شوقها إلى مغفرة الله والجنة...

فجعلت هذه الخرقة في بعض متاعى ثم خرجنا...

فإذا أنا بفارس يصيح وراءنا...

ياأباقدامة... ياأباقدامة...

قف يرحمك الله...

قال: فقلت لأصحابى تقدموا أنتم عنى...

فلما رجعت إليه...

قال: الحمد لله الذي لم يحرمنى صحبتك ولم يردني خائبًا إلى أهلى.

قال: فقلت له: ما تريد رحمك الله.

قال: أريد الخروج معكم للقتال.

فقلت له: أسفر عن وجهك أنظر إليك فإن كنت كبيرًا يلزمك القتال قبلتك...

وإن كنت صغيرًا لا يلزمك الجهاد رددتك...

فقال: فكشف عن وجهه اللثام...

فإذا بشاب مثل القمر يناهز السابعة عشرة...

فقلت له: يابنى عندك والد؟

فقال: أبى قتله الصليبيون وأنا خارج أقاتل الذين قتلوا أبى.

فقلت له: أعندك والدة؟

قال: نعم.

فقلت: ارجع إلى أمك فأحسن صحبتها فإنك إذا أحسنت صحبتها فإنَّ الجنة تحت أقدامها.

قال أبوقدامة: فتعجَّبَ منى.

وقال: سبحان الله أما تعرف أمى؟

أمى هى صاحبة الوديعة.

فقلت: أي وديعة؟!

فقال: هى صاحبة الشكال.

فقلت: أي شكال؟!

قال: سبحان الله ما أسرع ما نسيت ياأباقدامة !

أما تذكر أمى التى أتتك البارحة ثم أعطتك الشكال.

قال أبو قدامة: فقلت بلى ما خبرها؟

قال: تلك أمى أمرتنى أن أخرج وأقسمَتْ علىَّ ألَّا أرجع إليها.

وقالت لى: يابنى إذا لقيت الكفار فلا تولهم الأدبار وهب نفسك لله واطلب مجاورة الله فإذا رزقك الله الشهادة فاشفع فيَّ.

ثم ضمتنى إلى صدرها ورفعت بصرها إلى السماء...

وقالت: إلهى وسيدي ومولاي هذا ولدي وربحانة قلبى وثمرة فؤادي سلمته إليك فقربه من أبيه وأخواله...

قال أبوقدامة: فعجبت والله من هذا الغلام.

ثم عاجلني الغلام بقوله: ياعمي ياأباقدامة أقسمتُ عليك ألا تحرمني الغزو

في سبيل الله معك...

أنا إن شاء الله الشهيد ابن الشهيد...

فإني حافظ لكتاب الله...عارف بالفروسية والرمى...فلا تحقرني لصغر سنى...

قال أبو قدامة: فلما سمعت ذلك منه لم أستطع أن أرده فأخذناه معنا...

فوالله ما رأيت أنشط منه...

إن ركبنا فهو أسرعنا...

وإن نزلنا فهو أنشطنا...

وهو في كل أحواله في الطريق وفي النزول لا يفتر لسانه عن ذكر الله جل جلاله...

فنزلنا منزلًا لما أقبلنا إلى الثغور مع غروب الشمس وكنا صائمين فأردنا أن نطبخ طعامنا فأقسم علينا الغلام ألَّا يصنع لنا الطعام إلا هو...

فلما نزلنا قلنا له تنح عنا قليلًا حتى لا يؤذينا دخان الحطب...

قال: فجلسنا ننتظر الغلام فأبطأ علينا قليلًا...

فقال لى بعض أصحابى: ياأبا قدامة اذهب إلى صاحبك فانظر لنا خبره...

قال: فلما توجهت إليه فإذا الغلام قد أشعل النار في الحطب ووضع من فوقها القدر ثم غلبه النوم فنام...

فلما رأيته على هذا الحال كرهت أن أوقظه، وكرهت أن أرجع إلى أصحابى بغير طعام...

فجلست أُعد الطعام بجوار الغلام، وأسارقه النظر...

فبينما أنا أنظر إلى الغلام...

لاحظت أنَّ الغلام يبتسم...

ثم اشتد تبسمه...

ثم بدأ يضحك...

ثم اشتد ضحكه...

ثم استيقظ من منامه...

فلما رآني فزع، وقال ياعمى أبطأت عليكم.

قلت له: ما أبطأت علينا.

قال: دع عنك صنع الطعام أنا أصنعه لكم أنا خادمكم في الجهاد.

فقلت له: لا والله لاتصنع طعامًا حتى تحدثنى بشأنك ما الذي جعلك في منامك تتبسم وتضحك.

قال: رؤيا رأيتها.

قلت له: بالله عليك ما هذه الرؤيا.

قال: دعها بينى وبين الله.

قلت: أقسمت عليك بالله أن تحدثنى بهذه الرؤيا.

فقال الغلام: رأيت ياعمى أني قد دخلت الجنة فإذا هى في بهائها وحسنها كما أخبر الله في كتابه فبينما أنا أمشى فيها وأنا في عجب شديد من حسنها وجمالها...

رأيت قصرًا يتلألأ أنوارًا، لبنة من ذهب ولبنة من فضة، وإذا شرفاته من الدر والياقوت والجوهر، وأبوابه من ذهب، وإذا ستور مرخية على شرفاته...

وإذا بجوارٍ يرفعن الستور وجوههنَّ كالأقمار...

قال: فلما رأيت حسنهن أخذت أنظر إليهنَّ وأتعجب من حسنهنَّ وجمالهنَّ...

قال: فإذا جارية كأحسن ما أنت راءٍ من الجواري...

تحدث صاحبتها التى عن يمينها وتشير إلىَّ وتقول: هذا زوج المرضية...

فقلت لها: أنت المرضية؟

فقالت: أنا من خدم المرضية...

إن كنت تريد المرضية فادخل هذا القصر...

قال: فتقدمت...

فإذا في أعلى القصر غرفة من الذهب الأحمر، عليها سرير من الزبرجد الأخضر، قوائمه من الفضة، عليه جارية وجهها كأنه الشمس...

لولا أن ثبت الله علىَّ بصري لذهب عنى، ولذهب والله عقلى من حسنها وجمالها...

قال: فلما رأتنى الجارية بدأتنى بالكلام والحديث.

فقالت: مرحبًا بولى الله وحبيبه، أنا لك وأنت لى.

قال: فلما رأيتها وسمعت كلامها اقتربت منها، فلما كدت أن أضع يدي عليها.

قالت: ياحبيبى قد بقى لك في الحياة شيئًا وموعدنا معك غدًا.

قال: فتبسمت لذلك وفرحت والله منه.

قال أبوقدامة: رأيتَ خيرًا إن شاء الله.

قال أبوقدامة: ثم صلينا الفجر وحضر عدونا فقام قائدنا وصف الجيوش بين يديه...

ثم تُلى علينا صدر سورة الأنفال وذكرنا بأجر الجهاد...

ثم جمع الناس حولهم أهلهم وأقاربهم...

أما الغلام فلا أب يدعوه ولا عم يقربه إليه ولا أخ يجعله بين يديه...

فنظرت إليه فإذا هو في مقدمة الجيش...

فأخذت أتقدم حتى وصلت إليه...

فقلت: يابنى ألك خبرة بالقتال والجهاد؟

قال: لا هذه والله أول معركة وأول مشهد أراه وأقاتل الكفار فيه...

فقلت له: يابنى إنَّ الأمر على خلاف ما في ذهنك...

إنَّ الأمر قتال، وصهيل، ودماء، وجولات أبطال، ورمى نبال...

فكن في آخر الجيش فإن كان نصر انتصرت معنا، وإن كانت الهزيمة لم تكن أول مقتول.

فقال: فنظر إليَّ متعجبًا وقال أنت تقول ذلك !

قلت له: نعم أنا أقول لك ذلك.

فقال: ياعم هل تريدني أن أكون من أهل النار؟

فقلت له: أعوذ بالله والله ما جئنا للجهاد إلا هربًا من النار وطلبًا للجنة.

قال: فقال لى: إنَّ الله يقول ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحۡفٗا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ ١٥ وَمَن يُوَلِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفٗا لِّقِتَالٍ أَوۡ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٖ فَقَدۡ بَآءَ بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأۡوَىٰهُ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴾[الأنفال: ١٥-١٦]

هل تريدني أن أوليهم الأدبار فيكون مأواي جهنم؟

فقلت له: يابنى إنَّ الآية مخرجها على غير كلامك.

فأبى عليَّ أن يرجع.

فأخذت يده أجبذه حتى أرجعه إلى آخر الصفوف، فجعل يجبذ يده منى.

ثم بدأ القتال وحمى الوطيس وشغل الناس بعضهم عن بعض حتى زالت الشمس ودخل وقت الظهر فهزم الله تعالى الصليبيين...

قال أبوقدامة: فاجتمعت مع أصحابى ثم صلينا الظهر...

فبدأ كل واحد يبحث عن أقاربه...

أما الغلام فلا أحد يسأل عنه أو ينظر في خبره...

فقلت والله لأنظرنَّ في خبره لعله مقتول أو جريح...

فبدأت أمشى بين القتلى والجرحى...

فبينما أنا كذلك إذ سمعت صوتًا يصيح من ورائى أيها الناس ابعثوا إلى عمى أبى قدامة...

فنظرت إلى الصوت فإذا الجسد جسد الغلام والرماح قد تسابقت إليه والخيل قد وطأت عليه...

فأقبلت إليه وانطرحت بين يديه ثم صرخت بأعلى صوتي هاأنا أبوقدامة..هاأنا أبوقدامة...

فقال: الحمد لله الذي أحياني إلى أن أوصى إليك فاسمع منى وصيتى.

قال أبوقدامة: فبكيت والله على محاسنه وجماله.

ثم قال بصوت ضعيف: ياعم أقسمت عليك إذا أنا مت أن ترجع إلى أهلي

ثم تبشر أمى بأنَّ الله تقبل هديتها إليه...

وإنَّ ولدها قد قتل مقبلًا غير مدبر وأنَّ الله إن كتبنى في الشهداء سأوصل سلامها إلى أبى وأخوالى...

وقال: ياعم خذ معك بعض ثيابى التى فيها الدم فإنَّ أمى إذا رأتها صدقت ما تقول لها...

وقل لها إنَّ الموعد الجنة إن شاء الله...

ثم قال: ياعم إنك إذا رجعت إلى بيتنا ستجد أختًا لى صغيرة ما دخلتُ المنزل إلا استبشَرتْ وفرحَتْ، ولا خرجتُ إلا بكَتْ وحزنَتْ، وقد فجعت بمقتل أبى عام أول، فإذا رأيتها فطيب صدرها بكلمات.

قال أبوقدامة: ثم تحامل الغلام على نفسه وضاق صدره وضعف صوته...

ثم قال: ياعم صدقت الرؤيا ورب الكعبة إني أرى المرضية عند رأسى وأشم رائحتها...

ثم انتفض صدره وتصبب عرقًا ثم مات بين يدي.

قال أبوقدامة: فأخذت بعض ثيابه التى فيها الدم ووضعتها في كيس...

ثم دفناه ولم يكن عندي همٌّ أعظم من الرجوع إلى أهله وأبلغ رسالته إلى أمه.

قال: فرجعت وأنا لا أعرف اسم أمه ولا أين مسكنهم...

فبينما أنا أمشى في الطرقات إذ وقفْتُ إلى منزل وقفَتْ عنده فتاة...

تنظر إلى الغائدين والرائحين...

ما يمر بها أحد ترى عليه أثر السفر إلا سألته...

وقالت له: ياعم من أين أقبلتَ؟

فيقول لها: أقبلتُ من الجهاد.

فتقول: أمعكم أخى؟

فيقول لها: لا أدري من أخوك ثم ينصرف عنها.

وتسأل ثانيًا وثالثًا ورابعًا وهكذا...

ثم لما لم تسمع منهم جوابًا...

بكتْ وخفضتْ رأسها...

وقالت: ما لى أرى الناس يرجعون وأخى لايرجع.

قال: فنظرتْ إلىَّ وقالت: ياعم من أين أتيتَ؟

قلت لها: أقبلتُ من الجهاد.

قالت: معك أخى؟

قلت: أين أمك؟

قالت: بالداخل.

قلت لها: قولى لها تخرج إلىَّ.

قال فلما خرجت إلىَّ العجوز فإذا هى متلفعة بجلبابها فلما سمعتُ صوتها وسمعتْ صوتي.

قالت لى: ياأباقدامة أقْبلتَ معزيًا أم مبشرًا؟

قال: فقلت رحمك الله بيِّنى لى ما معنى العزاء وما معنى البشارة؟

قالت: إن كنت قد أقبلت تخبرني بأنَّ ابني مات في سبيل الله مقبلًا غير مدبر

فأنت والله مبشر إذ تقبل الله هديتى إليه.

وإن كنت قد أقبلت تخبرني بأنَّ ابنى قد رجع سالمًا فأنت والله معزٍّ إذ لم يتقبل الله هديتى إليه.

قال أبوقدامة: فقلت لها بل أنا والله مبشر.

إنَّ ولدك قد قتل في سبيل الله مقبلًا غير مدبر.

قال: ثم فتحتُ الكيس وأخرجتُ الثياب إليها يتساقط منه الدم.

قال: فقلت لها أليست هذه ثيابه؟

قال فلما رأت ذلك العجوز قالت: الله أكبر وفرحت.

أما الصغيرة فقد وقعت على الأرض وما زالت تشهق.

ففزعتْ أمها ودخلتْ البيت وأحضرتْ ماءً ترشه عليها أما أنا فجلستُ عند رأسها أسكب الماء وأقرأ القرآن...

فوالله ما زالت تشهق وتنادي باسم أخيها وأبيها، وأمُّها عند رأسها تبكى فما زالت تشهق حتى فاضت روحها...

قال: فلما ماتت أمسكت أمها بيدها ثم جرتها إلى داخل البيت ثم أغلقت الباب في وجهى...

ثم سمعتها تقول: اللهم إني قد قدمت زوجى وإخواني وولدي في سبيلك اللهم فلعلك أن ترضى عنى وأن تجمعنى بهم في جنتك[(١)].

ياالله العجب !!

---

(١) صفة الصفوة (٤/ ٢٠٠)، مشارع الأشواق إلى مصارع العشاق لابن النحاس (صـ ٢٨٥).

وهكذا الإيمان يصنع أكثر من ذلك إنَّ هؤلاء أناسًا تمسكوا بأمر الله تعالى، وبحثوا عن رضوانه، وما كانت امرأة ضعيفة تستطيع أن تصنع هذا لولا رعاية الله القدير الذي يرعى عباده الصالحين ويوفقهم في أمور دينهم ودنياهم وأخراهم لأنهم تمسكوا بالوحي والكتاب فمنَّ الله عليهم برعاية رب الأرباب.

مفتـــاح السعـــادة

إنَّ الله تعالى فطر العباد على أنهم يبحثون عن هذه السعادة فما من عاقل يريد أن يعيش شقيًّا حزينًا كئيبًا، بل كل مخلوق يبحث عن السعادة ليعيش سعيدًا مسرورًا فرحًا.

لكن الله تعالى جعلها في يديه بعدله وحكمته ولطفه...

ودلَّك عليها...

لأنه يعلم مدى حاجتك إليها...

ويعلم أنه لو وضعها في يديك قد تخطئها...

ولو وضعها في يد أحد من الناس قد يحجبها ويضن بها عن غيره...

لذلك جعلها الله في يديه وجعل مفتاحها في يديك ودلَّك عليها.

وجعل الناس يبحثون عنها...

وكل إنسان له تصور لهذا المفتاح...

فمنهم من يخطئ وينحرف...

ومنهم من يصيب عينها.

فقد طلبها الناس جميعًا...

طلبها الملوك...

طلبها الأغنياء...

طلبها الفقراء...

طلبها أصحاب الأولاد...

فكلٌّ يرى أنَّ السعادة ها هنا.

❁ صور للبحث عن السعادة:

✍ طلبها فرعون في الملك:

ظن أنَّ السعادة أن يكون ملكًا، سواء كان ظالمًا أم عادلًا، مؤمنًا أم كافرًا، فالمهم أن يكون الملك في يديه، وأن يكون هو الآمر الناهى.

حتى أنه لما زاد ملكه وجبروته ظن أنه السعيد الوحيد في هذا الكون بهذا الملك قال الله تبارك وتعالى عنه ﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَ�ٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِي مِن تَحْتِيٓ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾﴾ [الزخرف: ٥١].

كأنه يقول أليست هذه هى السعادة؟!

بل إنه زاد انتفاشًا وظن أنَّ هذه السعادة في هذا الملك فقال للناس ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي ۖ فَأَوْقِدْ لِي يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّي صَرْحًا لَّعَلِّيٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾﴾ [القصص:٣٨]، وقال ﴿فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤].

فلما طلب السعادة في الملك أعطاه الله الملك ولكنه أعلمه وأعلم من بعده أنه أخطأ مفتاح السعادة.

فالسعادة ليست ههنا...

لذلك قال الله تبارك وتعالى ﴿فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْءَاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾ [النازعات: ٢٥ – ٢٦] لعبرةٌ وموعظةٌ في أنَّ هذا ليس هو

مفتاح السعادة.

فالملك وحده لا يجلب لصاحبه السعادة.

طلبها قارونُ في المال:

ففى ناحية أخرى وبطريقة أخرى يبحث قارون عن مفتاح السعادة...

وهو المال والقناطير المقنطرة...

ظن قارون أنَّ المال هو الذي يجلب السعادة...

فإنَّ المَلِك إن كان فقيرًا فإنه لا يكون سعيدًا...

والوزير إن كان ذا مال فإنه يكون سعيدًا.

فأعطاه الله المال فهو الذي قال الله تعالى فيه ﴿إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾﴾ [القصص: ٧٦] لكن قومه نصحوه وقالوا له لا تفرح فليس ههنا السعادة.

﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾﴾.

والسؤال أين السعادة؟

قالوا له ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [القصص: ٧٧].

إشارة إلى مفتاح السعادة ولكنه أبى وما قنع...

فأعطاه الله أكثر مما أراد...

ولكنه لم يجلب له السعادة...

فخسف الله به الأرض وترك كل هذه الأموال ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ ﴾ [القصص: ٨١].

حتى أنَّ الناس الذين فتنوا به وظنوا أنه السعيد وقالوا كما بين الله تعالى ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ ﴾ [القصص: ٧٩] لما رأوا ما حدث له اعترفوا وأيقنوا أنَّ السعادة ليست ههنا.

بل إنَّ الله أسعدهم وتفضل عليهم إذ لم يجعلهم مثل قارون.

قال تعالى ﴿ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [القصص: ٨٢].

طلبها الوليد بن المغيرة في الولد:

رأى أنَّ السعادة في الأولاد والقوة بهم...

فالملك لا يجلب السعادة إذ قد يزول...

والمال لا يجلب السعادة إذ هو يفنى...

ولكن الأبناء هم الذين يجلبون السعادة إذ هم الذين يجلبون القوة والملك والمال فظن أنه هو السعيد وأنَّ السعادة ههنا.

فرزقه الله عشرة أبناء فكانوا يحضرون معه المحافل ويسيرون عن يمينه وشماله ويفتخر بهم بين العرب.

ومع ذلك طغى وتجبر وجعلهم يصدون عن سبيل الله.

وظن أنَّ هذه هي السعادة...

لأنهم يأتمرون بأمره وينتهون بنهيه وإن كان في الظلم والشر لذا قال تعالى ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ ﴾[المدثر: ١١ – ١٥].

فالله هو الذي خلقك وحيدًا وهو الذي منَّ عليك بهؤلاء...

إذن السعادة ليست في أيديهم بل هى في يده سبحانه وتعالى.

فتجبر وظن أنه السعيد العاقل فتكلم في كتاب الله تعالى فقال الله تعالى﴿ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [المدثر: ٢٦- ٣٠] التى ستنسيه هذا المتاع الزائل لا تبقى شيئًا من الدنيا ولا تبقى العشرة أبناء إن ماتوا على ذلك.

قال أما النار فعليها تسعة عشر فقال الله تعالى ﴿ وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا ۙ وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۙ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾ ﴾ [المدثر: ٣١].

وغير ذلك كثير من الناس بحث عن السعادة جادًّا ولكنه أخطأ الطريق.

❁ طريق السعادة:

السعادة في يد الله تبارك وتعالى لا ينالها إلا العبد الصالح الذي يطلبها من الله بالذل والتضرع والخضوع...

فالإيمان بالله تعالى هو مفتاح السعادة.

فالمال والجاه والملك قد يجلبون لك السعادة لكن إذا كانوا بجوار الإيمان والرضا بالله تعالى.

والأولاد يجلبون لك السعادة إذا كانوا قرة عين لك بعملهم وإيمانهم فكانوا ذرية صالحة لذلك قال تعالى قاصًّا علينا من قول زكريا ﴿ وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥ ﴾ [مريم]...

ولكن لو كانوا بعيدين عن أمر ربك فلن ترى السعادة بعينيك.

إنَّ كثيرًا من العباد لم ينالوا ملكًا ولا جاهًا ولا مالًا ولكنهم كانوا سعداء بالطاعة لأمر الله تعالى.

❁ صور للسعادة الحقيقية:

✍ نبي الله يونس عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام:

كان في البحر وفي بطن الحوت في ظلمات ثلاث لكنه وجد السعادة هناك...

لما شعر بمعية الله تعالى وأنَّ الله معه...

إنه رأى السعادة لما تاب الله عليه...

إنه رأى السعادة لما وفقه الله تعالى بدعوات في ظلام الليل ورعاية أمره...

قال تعالى ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٨٧ ﴾ [الأنبياء]

إنه رأى السعادة لما منَّ الله عليه وأرسله إلى مائة ألف أو يزيدون فآمنوا قال تعالى ﴿ وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ۝١٤٧ ﴾ [الصافات: ١٤٧].

وهذه أعظم السعادة...

نبي الله موسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام:

وهو في حيال البحار والأمواج وفرعون يحيط به ليس معه شيء، وقال أصحابه إنَّا لمدركون فقال كلا...

فهذا هو القلب المعلق بالله.

فمعية الله هى السعادة وإن كانوا في أضيق الأحوال...

لذا غير الله تبارك وتعالى نواميس الكون من أجلهم.

فموسى لم ير السعادة وهو في بيت ملك مصر وهو يُربى في بيت فرعون، ولكنه رآها وهو محاصر على الشط واليم.

ابن تيمية رحمه الله:

لما أدخل السجن وأغلق عليه الباب نظر إلى الباب وقال ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾﴾[1].

وهو في السجن يقول إنَّ الباطن رحمة والعذاب مع من سجنه وإن كان ملكًا أو أميرًا أو صاحب مال.

أحمد بن حنبل رحمه الله:

كان من يجلده يقول ضربت أحمد بن حنبل ثمانين سوطًا لو ضربته فيلًا لهدته[2].

وكان أحمد ضعيفًا هزيلًا...

فمع ضربه وسجنه لكن أسعده الله تعالى...

---

(١) الوابل الصيب من الكلم الطيب لابن القيم (٦٧).
(٢) صفة الصفوة (٢/ ٣٥١).

فما هى إلا أيام وجعله الله إمامًا لأهل السنة ونبراسًا، حفظ الله ذكره ورفع قدره في الدنيا والآخرة.

إن هذه هى السعادة حقًا السعادة في الدنيا والسعادة في الآخرة.

إنَّ هذا هو مفتاح السعادة...

فمفتاح السعادة بالقرب من الله شابًّا كنت أو شيخًا، رجلًا كنت أو امرأة ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [النحل: ٩٧] فشرطها العمل الصالح.

إنَّ السعادة لا تكون إلا في هذا الطريق.

فهذا عبد الله بن رواحة مات في الخامسة والثلاثين من عمره رضي الله عنه يقتل وهو قائد في معركة مؤتة [(١)]، ولما قتل من قبله ورأى ذلك وعلم أنَّ السعادة في الطاعة حتى وإن كلفه ذلك حياته فقال:

(١) كان سبب هذه المعركة التى وقعت في جمادى الأولى من العام الثامن للهجرة أنَّ النبى ﷺ بعث الحارث بن عمير الأزدي بكتابه إلى عظيم بُصْرَى، فعرض له شُرَحْبيل بن عمرو الغساني وكان عاملًا على البلقاء من أرض الشام من قبل قيصر فأوثقه رباطًا ثم قدمه فضرب عنقه ، وكان قتل السفراء والرسل من أشنع الجرائم ويساوي بل يزيد على إعلان حالة الحرب فاشتد ذلك على النبى ﷺ حين نقلت إليه الأخبار، فجهز إليهم جيشًا قوامه ثلاثة آلاف مقاتل وهو أكبر جيش إسلامى لم يجتمع قبل ذلك إلا في غزوة الخندق، فأمر الرسول ﷺ على هذا البعث زيد بن حارثة وقال " إن قتل زيد فجعفر وإن قتل جعفر فعبد الله بن رواحة " فحمل الراية بعد زيد وجعفر عبد الله بن رواحة الخزرجى الأنصاري المجاهد الشاب الذي شارك في كل الغزوات السابقة و كان يتمنى ألَّا يعود إلى المدينة بل يُقتل شهيدًا في أرض الشام فقاتل قتالًا عظيمًا مجيدًا حتى قُتل في صدره.

أقســـــــمت يـــــــا نفســـــــى لتنـــــــزلن
لتنـــــــــــــــزلنَّ أو لتكرهنـــــــــــــــه
مالـــــــى أراك تكـــــــرهين الجنـــــــة

ثم يقول[١]

يَـا نَفْـسُ إِنْ لَـمْ تُقْتَلِـي تَمُوتِـي هَـذَا حِمَـامُ الْمَـوْتِ قَـدْ صُـلِيتِ
وَمَـا تَمَنَّيْـتِ فَـقَدْ أُعْطِيـتِ إِنْ تَفْعَلِـي فِعْلَهُمَـا هُدِيـتِ

إنه يقول لنفسه إنَّ السعادة ليست هى الحياة...

إنَّ السعادة في سبيل الله حتى وإن كان آخرها الموت...

لذلك يلقى ربه قائدًا في الخامسة والثلاثين من عمره قد استشهد مقبلًا غير مدبر.

فإنَّ هذه هى السعادة...

سل نفسك...

إنَّ عبدًا يحيى حياة طويلة يرتع ويلعب ويلهو ثم يموت ميتة كميتة فرعون فهل هذه هى السعادة؟

إنَّ عبدًا يعيش في معصية الله تعالى والتعرض لسخطه ثم يموت بسوء خاتمة هل هذه هي السعادة؟

---

(١) أخرجه البيهقى في السنن الكبرى (٩/ ١٥٤) تحقيق محمد عبد القادر عطا، ولا يحمل ذلك على أنه تردد في الجهاد ثم أراد أن يزيل التردد بهذه الأبيات كما روي عن بعض أهل السير وإنما يحمل على معنى تحميس النفس على شيءٍ خطير وعلى بذل الروح والتضحية بالنفس.

سل نفسك...

أين السعادة وكيف فقدتها؟

فلابد أن تصل إليها، والله ينتظر عودتك إليه ليمنحك هذه السعادة.

فالله تبارك وتعالى لا يريد أن يعذب الناس ولكن يريد أن يتوب عليهم قال سبحانه ﴿ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيۡلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ ﴾ [النساء: ٢٧] وقال أيضًا ﴿ مَّا يَفۡعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمۡ إِن شَكَرۡتُمۡ وَءَامَنتُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾ ﴾ [النساء: ١٤٧].

إنَّ جعفر بن أبى طالب تكسرت الرماح والسهام في صدره وهو ينظر إلى الروم ويقول:

يا حبذا الجنة واقترابها...

طيبة بارد شرابها

إنه يقتل ويبتسم...

إنه يرى أنه قد اقترب من تحقيق السعادة...

يالها من سعادة...

فالسعادة أن يفرج الله كربك...

إنَّ السعادة أن يدبر الله أمرك...

إنَّ السعادة أن يصلح الله شأنك...

هذه هى السعادة....

يقول عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: (وقفت على جعفر يومئذ وهو قتيل فعددت

به خمسين بين طعنة وضربة ليس منها شيء في دبره)[١] أي ليس منها شيء في ظهره دليل على إقدامه وعدم فراره وشجاعته.

فهذه هى السعادة التى أرادها جعفر والتى طلبها في هذا الموطن فوجدها حقًّا...

فيخرج من الدنيا إلى الجنة مباشرة...

قال النبى ﷺ " **رأيتُ جعفر بن أبى طالب مَلَكًا فى الجنة مُضَرَّجَةً قوادمه بالدماء، يطير فى الجنة** "[٢].

لذلك كان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما إذا حيَّا ابن جعفر قال له (السلام عليك يابن ذي الجناحين)[٣].

أبدله الله تعالى جناحين عوضًا عن يديه التى قطعت في الغزوة.

جناحان يطير بهما في الجنة إنها لحقًّا هى السعادة.

سفيانُ الثوري:

وها هو أبو عبد الله سفيان بن سعيد الثوري كان صاحب نسك وعبادة فكان يرى السعادة في ذلك.

قال ابن وهب: رأيت سفيان في الحرم بعد أن صلى المغرب صلى النافلة وسجد سجدة ولم يقم منها حتى نودي لصلاة العشاء[٤].

---

(١) أخرجه البخاري (٤٢٦٠).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٧٧٢)، الطبراني في الكبير (٢/ ١٠٧)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٤٦٥).

(٣) أخرجه البخاري (٣٧٠٩.)

(٤) سير أعلام النبلاء للذهبي (٧/ ٢٦٦).

وقال على بن الفضيل: أردت الطواف وإذ بسفيان يصلى وطفت شوطًا وإذ هو على سجوده وطفت شوطًا ثاني وهو على سجوده ووالله طفت سبعة أسابيع وهو لم يرفع من سجوده [(١)].

إنه يجد السعادة في هذه السجدات...

ومع ذلك كان يفر من الدنيا لأنه يرى أنَّ السعادة ليست فيها فكان يُعرض عليه القضاء فيفر منه.

دعاه أبو جعفرالمنصور ليولية القضاء ولما مثل بين يديه...

قال أبو جعفر: نريد أن نوليك القضاء في بلدة كذا وكذا.

فأبى عليه سفيان فأصر أبو جعفر وكرر عليه الكلام وسفيان يأبى عليه.

قال أبو جعفر: إذن نقتلك.

قال: افعل ماشئت.

قال: يا غلام النطع والسيف فأقبلوا بالنطع وهو جلد يفرش تحت الذي يقتل حتى لا تتسخ الأرض بدمه وفرثه ثم أقبلوا بالسيف.

ولما رأى سفيان أنَّ الموت أمامة وعلم أنَّ الأمر جد.

فقال: أيها الخليفة أنظرني إلى غدٍ آتيك بزي القضاة.

فلما أظلم الليل حمل متاعه على بغلة وركب على بغلة ولم يكن له زوجة ولا أولاد وخرج من الكوفة هاربًا.

ولما أصبح أبو جعفر انتظر أن يقدم إليه أبو عبد الله سفيان الثوري...

---

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي (٧/ ٢٧٧).

ولم يقدم عليه...

ولما أضحى وكاد أن يأتى الزوال سأل من حوله...

فقال: التمسوا لى سفيان الثوري...

فالتمسوه...

ثم رجعوا إليه وقالوا أنه خالفك وهرب في السحر في ظلمة الليل...

عندها غضب أبوجعفر...

وأرسل إلى جميع الممالك أنه من جاءنا بسفيان الثوري حيًّا أو ميتًا فله كذا وكذا...

هرب سفيان الثورى فلم يدر أين يذهب...

وهمَّ أن يذهب إلى اليمن...

وفنيت منه النفقة أثناء الطريق...

فأجَّر نفسه عند صاحب بستان في قرية على طريق اليمن فأخذ يعمل فيها أيامًا...

وفي يوم من الأيام دعاه صاحب البستان...

فقال: من أين أنت؟

وهو لا يعلم أنَّ هذا هو سفيان العابد الزاهد عالم المسلمين وإمامهم.

قال: أنا من الكوفة...

قال: رطب الكوفة أطيب أم الرطب الذي عندنا؟

قال سفيان: أنا ما ذقت الرطب الذي عندكم...

قال: سبحان الله الناس جميعًا الأغنياء والفقراء بل حتى الحمير والكلاب اليوم تأكل الرطب من كثرتة وأنت ما أكلت الرطب...

لِمَ لَمْ تأكل من المزرعة رطبًا وأنت تعمل فيها؟

قال: لأنك لم تأذن لى بذلك فلا أريد أن أدخل إلى جوفي شيئًا من الحرام.

فعجب صاحب البستان من ورعه فظن أنه يتصنع الورع...

فقال: والله لو كنت سفيان الثوري أكلت منه وهو لا يعلم أنه سفيان...

فسكت سفيان ومضى إلى عمله وخرج صاحب البستان إلى صاحب له فأخبره بخبره...

وقال له عندي عامل يعمل في البستان من شأنه كذا وكذا يتصنع الورع، والله لو كان سفيان الثورى، فقال: ما صفة غلامك هذا قال صفة كذا وكذا، فقال: والله هذه صفة سفيان فتعال نقبض عليه حتى نحصل على جائزة الخليفة، فلما أقبلوا على البستان فإذا سفيان أخذ متاعه وفر إلى اليمن...

وصل رَحِمَهُ اللَّهُ إلى اليمن ثم عمل عند بعض الناس، فما لبثوا أن اتهموه بالسرقة...

فحملوه إلى والى اليمن...

فلما دخلوا به على الوالى أقعده بين يديه، وإذا هم يصيحون به...

فلما نظر إليه الوالي فإذا شيخ وقور عليه سمات أهل الخير والصلاح...

قال: سرقتَ؟

قال: لا والله ما سرقتُ.

قال: هم يقولون أنك سرقتَ.

قال: تهمة يتهمونني بها فليلتمسوا متاعهم أين يكون.

فأمرهم والى اليمن بالخروج من عنده فقال لهم حتى أساله.

ثم قال: ما اسمك؟

قال: أنا اسمى عبد الله.

قال: أقسمت عليك أن تخبرني باسمك فكلنا عبيد لله.

قال: اسمى سفيان.

قال: سفيان ابن من؟

قال: سفيان بن عبد الله.

قال: أقسمت عليك أن تخبرنى باسمك واسم أبيك ونسبك.

قال: أنا سفيان بن سعيد الثوري.

فانتفض الوالى قال: أنت سفيان الثوري.

قال: نعم.

قال: أنت بغية أمير المومنين.

قال: نعم.

قال: أنت الذي فررت من بين يدي أبى جعفر.

قال: نعم.

قال: أنت الذي أرادك على القضاء فأبيت.

قال: نعم.

قال: أنت الذي جعل فيك الجائزة.

قال: نعم.

قال: يا أبا عبد الله أقم كيف شئت وارحل متى شئت...

عندها خرج سفيان ولكنه ما طاب له المقام في اليمن فذهب إلى مكة...

وسمع أبو جعفر المنصور أنَّ سفيان الثوري في مكة وكان على إقبال وقت

الحج...

عندها أرسل أبو جعفر الخشابين...

فقال لهم اقبضوا عليه وانصبوا الخشب وعلقوه عليه عند باب الحرم حتى آتي أنا فأكون الذي أقتله بنفسي حتى أذهب ما في قلبي من غيظ عليه...

أقبل الخشابين ودخلوا الحرم وبدءوا يصيحون...

من لنا بسفيان الثوري؟ من لنا بسفيان الثوري؟

فلما دخلوا وعلم بهم سفيان...

فإذا هو بين العلماء وقد أحاطوا به يسألونه وينهالون من علمه...

ولما سمع العلماء الخشابين ينادون على سفيان...

قالوا يا أبا عبد الله لا تفضحنا فنقتل معك عندها...

قام سفيان وتقدم حتى وصل عند الكعبة ثم رفع يديه وقال:

اللهم أقسمت عليك ألا يدخلها أبو جعفر...أقسمت عليك ألا يدخلها أبو جعفر...أقسمت عليك ألا يدخلها أبو جعفر، فإذا بهذة الدعوات تقرع أبواب السموات...

فينزل ملك الموت من السماء فيقبض روح أبي جعفر وهو على حدود مكة... ويدخل أبو جعفر إلى مكة ميتًا هامدًا محمولًا على النعش يُصَلَّى عليه في الحرم [(١)].

(١) ذكرها الذهبي في ترجمة " أبو عبد الله سفيان بن سعيد الثوري " سير أعلام النبلاء (٧/ ٢٥١، ٢٥٨، ٢٥٩).

الهمة العالية

إنَّ لكل إنسان غايةً وهدفًا يسعى لتحقيق غايته وهدفه وأمنيته وكلما كانت الغاية عظيمة احتاجت إلى جهد وهمة عالية حتى يصل.

على قدر أهل العزم تأتي العزائمُ
وتأتي على قدر الكرام المكارمُ
وتعظم في عين الصغير صغارها
وتصغر في عين العظيم العظائمُ

ولما كان أصحاب الآخرة لهم غاية وهدف من أعظم الأمنيات وأسمى الغايات احتاجوا إلى همة من أعلى الهمم فإنَّ غايتهم وأمنيتهم وهدفهم الجنة.

والجنة سلعة غالية وثمنها عظيم قال ﷺ "**من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل ألا إنَّ سلعة الله غالية ألا إنَّ سلعة الله الجنة**"[(١)].

- حتى الحيوانات تختلف همتها على حسب غايتها وهدفها:

فإن العنكبوت همته عالية لذلك فإنه ينسج لنفسه بيتًا وقت أن يولد ولا يرضى منة الأم... والحية تتبع ما يحفر غيرها إذ طبعها الظلم...

والغراب يقع على الجيف لأنه ضعيف الهمة فيرضى بالدون...

والصقر لا يقع إلا على الحي لأنه عالي الهمة...

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٤٥٠)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٣٣٥).

والأسد لا يأكل البايت...

كل على حسب همته وغايته.

لذا فلا بد للسائر إلى الله تعالى من همة تسيره وترقيه، وعلم يوصله ويهديه.

ولابد لمن أراد الوصول من نية تفرد له الطريق، وهمة تفرد له المطلوب.

❁ قيمة المرء:

تقول العامة: قيمة المرء بما يحسنه.

وتقول الخاصة: قيمة المرء بما يطلبه.

اجتمع عبد الله بن عمر وقيل ابن الزبير وعروة بن الزبير ومصعب بن الزبير وعبد الملك بن مروان بفناء الكعبة فقال مصعب تمنوا فقالوا له ابدأ أنت...

فقال: أتمنى ولاية العراق.

وقال عروة: وأنا أتمنى الفقه وأن أحمل معه الحديث.

وقال عبد الملك: وأنا أتمنى الخلافة.

قال عبد الله: وأنا أتمنى الجنة [(١)].

فالأمنيات والأهداف والغايات قد تختلف، وكلٌّ له أمنية...

والأمنية تحتاج لعمل وهمة...

---

(١) حلية الأولياء (٢/ ١٧٦)، سير أعلام النبلاء (٤/ ١٤١).

وكلما عظمت الأمنيات والغايات احتاجت لهمة أعلى وجهد أكبر.

❁ المسلم صاحب همة في كل شيء:

الهمة العالية في الذكر:

قال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴿٤١﴾ ﴾ [الأحزاب: ٤١] وقال ﴿ لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَبۡتَغُواْ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّكُمۡۚ فَإِذَآ أَفَضۡتُم مِّنۡ عَرَفَٰتٖ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلۡمَشۡعَرِ ٱلۡحَرَامِۖ وَٱذۡكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمۡ وَإِن كُنتُم مِّن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿١٩٨﴾ ﴾ [البقرة: ١٩]، وقال ﴿ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمٗا ﴿٣٥﴾ ﴾ [الأحزاب:٣٥]، وقال تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ ﴾ [آل عمران: ١٩١].

فليست العبرة أن تذكر الله ولكن العبرة أن تذكر الله ذكرًا كثيرًا بهمة عالية.

ذكرٌ كثيرٌ... ذكرٌ بالليل والنهار...

ذكرٌ وأنت قائم أو نائم أو على جنب...

لا تكن من أصحاب الهمة المتدنية الضعيفة الهذيلة الذين يشاركون المنافقين في أعمالهم فإنَّ الله قال عنهم ﴿ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿١٤٢﴾ ﴾ [النساء:١٤٢].

الهمة العالية في الإنفاق:

في البذل والجود والكرم فالبذل بالمحبوب لله تعالى يحتاج إلى همة عالية

كلما علت همته عظم عمله.

ولذا في غزوة العسرة مثلًا يُخرج عثمان ما يقرب من ألف بعير وألف دينار[١] في غزوة واحدة.

ويأتى عبد الرحمن بن عوف بأربعة آلاف [٢] ويقول هذا نصف مالى.

فليست العبرة أن تنفق فإن العبد قد ينفق ولكن بهمة ضعيفة متدنية، قد يخرجون القليل وقد يخرجون الخبيث قال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٢٦٧﴾ ﴾ [البقرة: ٢٦٧].

لذا طلب الله تعالى رفع الهمة إلى أعلى درجة عند الإنفاق فقال ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَىْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾ ﴾

[آل عمران: ٩٢].

فليست العبرة أن تنفق ولكن العبرة أن تنفق مما تحب...

فهؤلاء هم أصحاب الهمة.

الهمة العالية في العبادة:

كان النبى ﷺ الذي غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر يصلى حتى تتفطر قدماه ويقول " **أفلا أكون عبدًا شكورًا** "[٣].

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٧١٠)، وحسنه الألباني في المشكاة (٦٠٧٢).

(٢) ذكره ابن كثير في تفسيره (٢/ ٥٣٦).

(٣) أخرجه البخاري (١١٣٠)، مسلم (٢٨١٩).

وكان عثمان رضي الله عنه يصلى الليل بركعة يقرأ فيها القرآن[١].

وكان طاووس إذا رأى أحدًا نائمًا وقت السحر يقول سبحان الله أينام أحد في هذا الوقت[٢].

قال أبو سليمان الداراني لأحمد بن أبى الحواري:

بينا أنا ساجد إذ ذهب بى النوم...

فإذا أنا بحوراء قد ركضتنى برجلها...

فقالت: ياحبيبى أترقد عيناك والملك يقظان ينظر إلى المتهجدين في تهجدهم؟!

بؤسًا لعين آثرت لذة النوم على مناجاة العزيز...

قم لقد دنا الفراغ...

ولقى المحبون بعضهم بعضًا...

فما هذا الرقاد؟!

فوثبت فزعًا وقد عرقت استحياءً من توبيخها إياي...

وإنَّ حلاوة منطقها لفى سمعى وقلبى [٣].

روى شعبة عن أبي إسحاق قال حج مسروق فلم ينم إلا ساجدًاعلى

---

(١) معرفة السنن والاثار للبيهقى (٤/ ٢٣٠)، الاستذكار للحافظ ابن عبد البر (٢/ ٤٧٥)، شرح معاني الآثار للطحاوي (١/ ٢٩٤).

(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي (٥/ ٤٠).

(٣) تاريخ دمشق (٣٤/ ١٤٧)، صفة الصفوة (٤/ ٢٢٥)، البداية والنهاية (١٠/ ٢٨٠)، شعب الإيمان (١/ ٧١٤).

وجهه حتى رجع [١].

روى أنس بن سيرين عن امرأة مسروق قالت كان مسروق يصلي حتى تتورم قدماه فربما جلست أبكي لما أراه يصنع بنفسه [٢].

وكان لمسروق بنت لايعصيها...

فقالت له: ياأبت أفطر واشرب.

فقال: ما أردت يابنية؟

قالت: الرفق.

قال: يابنية إنما طلبت الرفق لنفسي في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة[٣].

دخل الأشتر على علىّ بن أبى طالب وهو أمير المؤمنين رضي الله عنه وهو قائم يصلى بالليل...

فقال: ياأمير المؤمنين صوم بالنهار وقيام بالليل وتعب فيما بين ذلك...

فلما فرغ...

قال: سفر الآخرة طويل فيحتاج إلى قطعه بسير الليل [٤].

---

(١) مصنف ابن أبي شيبة (١٣/ ٤٠٢)، حلية الأولياء (٢/ ٩٥)، شعب الإيمان (٣/ ١٦٦)، سير أعلام النبلاء (٤/ ٦٥)، صفة الصفوة (٣/ ٢٥).

(٢) سير أعلام النبلاء (٤/ ٦٥)، صفة الصفوة (٣/ ٢٥).

(٣) سير أعلام النبلاء (٤/ ٦٨).

(٤) المحجة في سير الدلجة لابن رجب (٤/ ٤٢١).

الهمة في طلب العلم:

طلب العلم من أجل الأعمال وأفضلها، إذ هو منحة ومنَّة من الله على بعض عباده ليبلغوا عنه ويبينوا مراده لعباده، ولما كانت الهمة تتناسب مع عظم المطلوب عُلم أنَّ طلب العلم يحتاج إلى همة عالية حتى يصل صاحبه لبعض مطلوبه، إذ أنه مهما أوتي من العلم لم يُؤتَ إلا القليل.

قال الإمام الذهبي: نقل بعض العلماء من كتاب لحفيد بقي عبدالرحمن بن أحمد: سمعت أبي يقول: رحل أبي من مكة إلى بغداد، وكان جلُّ بغيته ملاقاة أحمد بن حنبل.

قال: فلما قربت بلغتني المحنة، وأنه ممنوع، فاغتممت غمًّا شديدًا، فاحتللت بغداد،واكتريت بيتًا في فندق، ثم أتيت الجامع وأنا أريد أن أجلس إلى الناس...

فدفعت إلى حلقة نبيلة...

فإذا برجل يتكلم في الرجال...

فقيل لي: هذا يحيى بن معين.

ففرجت لي فرجة...

فقمت إليه...

فقلت: يا أبا زكريا: - رحمك الله - رجل غريب ناء عن وطنه، يحب السؤال، فلا تستجفني، فقال: قل.

فسألت عن بعض من لقيتُه...

فبعضًا زكى، وبعضا جرح...

فسألته عن هشام بن عمار...

فقال لي: أبو الوليد، صاحب صلاة دمشق ثقة، وفوق الثقة، لو كان تحت ردائه كبر، أو متقلدًا كبرًا، ما ضره شيئًا لخيره وفضله...

فصاح أصحاب الحلقة: يكفيك - رحمك الله - غيرك له سؤال.

فقلت: وأنا واقف على قدم...

أكشف عن رجل واحد: أحمد بن حنبل...

فنظر إليَّ كالمتعجب...

فقال لي: ومثلنا، نحن نكشف عن أحمد؟!

ذاك إمام المسلمين، وخيرهم وفاضلهم.

فخرجت أستدل على منزل أحمد بن حنبل...

فدللت عليه...

فقرعت بابه...

فخرج إلي...

فقلت: يا أبا عبد الله: رجل غريب، نائي الدار، هذا أول دخولي هذا البلد، وأنا طالب حديث ومقيد سنة، ولم تكن رحلتي إلا إليك.

فقال: ادخل الاصطوان ولا يقع عليك عين.

فدخلت...

فقال لي: وأين موضعك؟

قلت: المغرب الأقصى.

فقال: إفريقية؟

قلت: أبعد من إفريقية، أجوز من بلدي البحر إلى إفريقية، بلدي الأندلس.

قال: إن موضعك لبعيد، وما كان شيء أحب إلي من أن أحسن عون مثلك، غير أني ممتحن بما لعله قد بلغك.

فقلت: بلى، قد بلغني...

وهذا أول دخولي، وأنا مجهول العين عندكم...

فإن أذنت لي أن آتي كل يوم في زي السؤَّال...

فأقول عند الباب ما يقوله السؤَّال...

فتخرج إلى هذا الموضع، فلو لم تحدثني كل يوم إلا بحديث واحد، لكان لي فيه كفاية.

فقال لي: نعم.

على شرط أن لا تظهر في الخلق، ولا عند المحدثين.

فقلت: لك شرطك...

فكنت آخذ عصا بيدي، وألف رأسي بخرقة مدنسة، وآتي بابه فأصيح:

الأجر - رحمك الله -...

والسؤال هناك كذلك...

فيخرج إليَّ ويغلق...

ويحدثني بالحديثين والثلاثة والأكثر...

فالتزمت ذلك حتى مات الممتحن له...

وولي بعده من كان على مذهب السنة...

فظهر أحمد، وعلت إمامته، وكانت تضرب إليه آباط الإبل...

فكان يعرف لي حق صبري... فكنت إذا أتيت حلقته فسح لي...

ويقص على أصحاب الحديث قصتي معه...

فكان يناولني الحديث مناولة، ويقرؤه عليَّ وأقرؤه عليه [(١)].

❁ أصحاب الهمة ليسوا كأفراد الرجال:

فإن الرجل بهمته:

قد تعلو همته حتى يكون برجلين ﴿ ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِاْئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ [الأنفال: ٦٦].

وقد تعلو همته أكثر وترتفع إلى أعلى فيكون بعشرة رجال ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ ۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَـٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِاْئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ [الأنفال: ٦٥].

وقد يعلو ويرتفع فيصير الرجل بألف قال ﷺ " لصوت أبي طلحة في الجيش خير من ألف فارس "[(٢)].

---

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي (١٣/ ٢٩٤)، تاريخ الإسلام للذهبي (٦/ ٥٢١)، وتكلم الذهبي في ثبوتها.

(٢) أخرجه الحاكم (٣/ ٣٥٢)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٠٨١)، وفي الصحيحة (١٩١٦).

ولما طلب عمرو بن العاص مددًا من خليفة المسلمين عمر بن الخطاب أرسل له أربعة آلاف على كل ألفٍ رجلٌ وقال له أرسلت لك أربعة آلاف على كل ألفٍ رجلٌ بألف رجل وهم الزبير بن العوام وعبادة بن الصامت والمقدادبن الأسود ومسلمة بن مخلد وقيل خارجة بن حذافة [١].

وقد يعلوا الرجل بهمته وإيمانه حتى يصير بجيش كالقعقاع بن عمرو فكانوا يتحدثون بأنه لا يهزم جيش فيه القعقاع [٢].

فالرجل ليس بجسده بل بإيمانه وهمته.

❁ الهمة العالية في الدعاء:

قال ﷺ " إذا سألتم الله فاسألوه الفردوس "[٣] وقال سبحانه ﴿ ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ٥٥ ﴾ [الأعراف: ٥٥].

فعلو الهمة هو روح كل عمل لذا يحب الله معالى الأمور قال النبى ﷺ " إنَّ الله يحب معالى الأمور ويكره سفاسفها "[٤].

كن صاحب همة عالية في فكرك...

كن صاحب همة عالية في غاياتك...

كن صاحب همة عالية في أمنياتك...

كن صاحب همة عالية في عملك...

---

(١) حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة للسيوطي (١/ ٤٣).
(٢) تاريخ الإسلام للذهبى (٢/ ٣٧٨)، أسد الغابة (٣/ ٤١٣).
(٣) أخرجه البخاري (٧٤٢٣).
(٤) أخرجه الطبراني في الكبير (٣/ ١٣١)، وصححه الألباني في الصحيحة (١٦٢٧).

كن صاحب همة عالية في ذكرك...

كن صاحب همة عالية في دعائك...

كن صاحب همة عالية في كل أمرك.

❁ سباق أهل الهمة في الميدان:

ويظهر أصحاب الهمة - ليس وقت العمل فقط - بل وقت المنافسة والسباق.

فكان أصحاب النبى ﷺ يتابعون في سباقهم وأعمالهم دائمًا أبابكر إذ هو السابق دائمًا، فعمر رضي الله عنه كان صاحب همة عالية لكنه إذا دخل حلبة السباق لا يرى أمام عينية سوى أبى بكر لأنه هو الذي يظن فيه أنَّ همته أعلى من همت عمر وعمله أعلى وأعظم، وكان على رضي الله عنه يسابقه وينافسه في كل عمل في العبادة والصلاة والجهاد والقرب والمحبة للرسول ﷺ وفي إبلاغ الخير للناس.

ومن ذلك عن علي رضي الله عنه قال: كنت مع النبي ﷺ ومعه أبو بكر رضي الله عنه ومن شاء الله من أصحابه فمررنا بعبد الله بن مسعود وهو يصلي فقال النبي ﷺ: من هذا؟ فقيل: عبد الله بن مسعود فقال: إن عبد الله يقرأ القرآن غضًّا كما أنزل فأثنى عبد الله على ربه وحمده فأحسن في حمده على ربه ثم سأله فأجمل المسألة كأحسن مسألة سألها عبد ربه ثم قال: اللهم إني أسألك إيمانا لا يرتد ونعيما لا ينفذ ومرافقة محمد ﷺ في أعلى عليين في جنانك جنان الخلد قال: وكان رسول الله ﷺ يقول: **سل تعط سل تعط** مرتين فانطلقت لأبشره فوجدت أبا بكر قد سبقني و كان سبَّاقًا بالخير "[(١)].

(١) أخرجه ابن ماجه (١٣٨)، الطبراني في المعجم الكبير (٩/ ٦٧)، الحاكم (٣/ ٣٥٨)=

وتأتي الفرصة عمر:

لا يُقطع الأمل ولا يقطع لأصحاب الهمة أبدًا...

مهما تأخروا أو سُبقوا...

فتأتيه الفرصة لأن يسبق أبابكر يوم تبوك...

لما حث النبى ﷺ أصحابه على الصدقة والإنفاق...

فجاء عمر بنصف ماله...

وقال: اليوم أسبق أبا بكر إذ أنَّ عمر علت همته في أعلى درجاتها هذه المرة، وأخرج نصف ماله مرة واحدة ودفعة واحدة...

وقال: اليوم أسبق أبا بكر...

إذ لا يتصور عمر أن تعلوا همة رجل فيخرج نصف ماله مرة واحدة...

وجلس ينتظر من الذي ستعلوا همته...

ومن الذي يكون في المرتبة الثانية بعده...

فسأله النبى ﷺ " ماذا تركت لأهلك " قال تركت لهم مثله.

ولما جاء أبو بكر...

أشرأب له عمر...

وانتظر النتيجة...

وكأني بقلب عمر فرحًا...

=واللفظ له، أبويعلى (٨/ ٤٧١)، قال الهيثمى رواه أبويعلى بإسنادين رجال أحدهما رجال الصحيح غير قيس بن مروان وهوثقة (٩/ ٢٨٧).

ويقول يا أبا بكر لا تحاول لقد سبقتك هذه المرة...

لن أكون متأخرًا في كل مرة...

فهذه الجولة لى أنا...

والفرح في وجهه لأنه سبق أبا بكر...

وإذا بالمفاجأة !

يضع أبو بكر مالًا بين يدي النبى ﷺ فقال له النبى ﷺ " **ماذا أبقيت لأهلك** " قال أبقيت لهم الله ورسوله [(١)].

إذ هو كل مال أبى بكر.

وإذا بالأسى يظهر على وجه عمر...

هل هذا يعقل؟

علت همة هذا الرجل إلى هذا الحد...

فقال عمر لا أسبقك يا أبا بكر إلى خير أبدًا.

وإذا بأبى بكر يحتل المرتبة الأولى دائمًا وأبدًا...

ويتربع عليها فيعظم إيمانه وهمته وتعلوا مرتبته بحيث لا يصل إليه أحد أبدًا وإن كان عمر.

أخى الحبيب كن من أصحاب الهمة...

فليس هذا فحسب بل كن من المتنافسين والمتسابقين...

---

(١) أخرجه أبوداود (١٦٧٨)، الترمذي (٣٦٨٤)، الحاكم (١/ ٤١٤)، وحسنه الألباني إسناده في صحيح أبي داود (١٤٧٣).

ولا تسابق إلا أصحاب الهمة...

فإنهم يجذبونك إلى السماء...

ولا تنظر إلى أصحاب الهمم المتدنية فإنهم يجذبونك إلى السفل...

ولا يشغل بالك إلا من علت همته فوق همتك لعلك تلحق به يومًا ما.

- **أخى الحبيب:**

اعلم أنه بقدر ما تتعنى تنال ما تتمنى.

واعلم أنَّ المكارم منوطة بالمكاره، والمصالح والخيرات لا تنال إلا بالمشقة، ولا يعبر لها إلا على جسر من التعب.

فصاحب الهمة لا يرضى بالقليل ولا يرضى إلا بالمعالى حتى وإن كان في الجنة.

فإنَّ الجنة هى غاية العبد المؤمن لكن أصحاب الهمة العالية تعلموا من النبى ﷺ " **إذا سألتم الله فاسألوه الفردوس الأعلى** "[(١)].

لذلك لما بين النبى ﷺ أن الناس تدعوهم أبواب الجنة...

فمن كان من أهل الصلاة دعى من باب الصلاة...

ومن كان من أهل الصدقة دعى من باب الصدقة...

ومن كان من أهل الجهاد دعى من باب الجهاد...

فيسأل أبو بكر سؤالًا غريبًا عجيبًا...

يا رسول الله هل يدعى أحد من هذه الأبواب كلها؟

---

(١) سبق تخريجه.

فماذا عساه أن يفعل بدعوة الأبواب كلها؟!

وهل سبدخل من جميع الأبواب؟!

إنما هى الهمة العالية...

فقال النبى ﷺ " **نعم وأرجوا أن تكون منهم** "[١].

❁ الهمة العالية تجعل العمل القليل كثيرًا:

قال ﷺ " سبق درهم مائة ألف درهم قالوا وكيف قال « **كان لرجل درهمان تصدق بأحدهما وانطلق رجل إلى عرض ماله فأخذ منه مائة ألف درهم فتصدق بها** »"[٢].

فليست العبرة بالدرهم ولكن هذا الدرهم هو نصف مال صاحبه...

فعلت همته وعظم إيمانه إذ أخرج لله تعالى دفعة واحدة نصف ماله...

وفي غزوة تبوك يجيء عثمان بالآلاف المؤلفة ويأتي معه صاحب نصف صاع وكان لا يملك إلا صاعًا [٣] فإن ذلك الرجل أتى بنصف ماله وإنه لينافس عثمان وعبد الرحمن بن عوف وأبا بكر وعمر.

فلا تحقرن من المعروف شيئًا وارفع همتك يعظم عملك.

---

(١) أخرجه البخاري (١٨٩٧)، مسلم (١٠٢٧).

(٢) أخرجه النسائى (٢٥٢٧)، الحاكم (١/ ٥٦٧)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٦٠٦).

(٣) أخرجه البخاري (٤٦٦٨)، مسلم (١٠١٨).

❁ الهمة العالية ترفع صاحبها إلى درجة العاميلن وإن لم يعمل:

قال تعالى ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾﴾ [التوبة: ٩٢] فإن أعينهم لا تدمع فقط بل تفيض من الدمع حزنًا.

علت همتهم وصدقت نيتهم للعمل لله، والحزن والبكاء دليل ذلك.

فالله تبارك وتعالى رفع عنهم الإثم...

ليس هذا فحسب بل أعطاهم أجر من خرج وشاركوا وهم في بيوتهم فإنهم لم يصلوا إلى تبوك بعملهم لكنهم وصلوا بهمتهم ونيتهم فقال النبى ﷺ " **إنَّ بالمدينة لرجالًا ما سرتم مسيرًا، ولا قطعتم واديًا، إلا كانوا معكم، حبسهم المرض**"[(١)].

❁ الهمة العالية قد تسبق الطاقة:

فإنَّ أصحاب الهمة لا يعرفون العجز والكسل والضعف والخور...

لا يبحثون عن الأعذار التى ترفع عنهم التكاليف بل يبحثون عن رضا الله وإن كلفهم ذلك كل طاقتهم وكسر حاجز العجز والضعف.

فزينب كانت تصلى وكانت تربط حبلًا فإذا فترت تتعلق بهذه الحبال لتكمل صلاتها...

وإن ضعفت وانتهت قوتها وطاقتها لكن همتها ما زالت متوهجة مستيقظة...

فسبقت الهمةُ الطاقةَ والعملَ...

---

(١) أخرجه البخاري (٤٤٢٣)، مسلم (١٩١١).

ولما علم النبى ﷺ ذلك ردها إلى طاقتها رحمة بها عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: دخل النبى ﷺ فإذا حبل ممدود بين الساريتين، فقال: «**ما هذا الحبل؟**» قالوا: هذا حبل لزينب فإذا فَتَرَتْ تعلَّقَتْ، فقال النبى ﷺ: «**لا: حُلُّوهُ لِيُصَلِّ أحدكم نشاطه، فإذا فتر فلْيقعُدْ**"[(١)].

❁ همة أصحاب الأعذار:

فأصحاب الأعذار إن كانوا من أصحاب الهمم لا يقفون عند أعذارهم بل تدفعهم همتهم لأعظم من ذلك.

فها هو عمرو بن الجموح الأعرج الذي عذره الله يريد أن يخرج للجهاد.

وماذا عساه شيخ كبير أعرج أن يصنع في الجهاد؟!

ومع ذلك فمعه ثلاثة أبناء سيخرجون للجهاد وإنهم يكفونه.

لكنهم يريدون أن يوقفوا همته...

إنه وإن كان معذورًا لكنه لا يستطيع الجلوس...

لأنَّ الهمة أعظم من هذا العذر...

لذلك لما ذهبوا إلى النبى ﷺ واختصموا إليه وقال له النبى ﷺ " **لقد عذرك الله** " فقال يا رسول الله إن مت أطأ بعرجتى هذه الجنة؟ فيأذن له النبى ﷺ [(٢)] ويقتل ويذهب إلى ربه ويطأ بقدمه الجنة إن شاء الله تعالى.

فإنه وإن كان معذورًا لكنه بهمته لا يرى إلا الغاية والهدف والأمنية ألا

---

(١) أخرجه البخاري (١١٥٠)، مسلم (٧٨٤).

(٢) أخرجه أحمد (٥/ ٢٩٩)، ابن حبان كما في الإحسان بترتيب ابن حبان (٩/ ٨٤)، فقه السيرة بتحقيق الألباني (١/ ٢٦٠).

وهى رضا الله والجنة.

وكان الرجل يهادى بين الرجلين ليأتي لصلاة الجماعة [١]، فإنه قد يجد عذرًا عن شهود الجماعات لكن همته تدفعه إلى هناك إلى بيت ربه والمحراب.

❁ الهمة تجعل أعمال النساء تفوق الرجال:

لما انهزم المسلمون فى اليرموك وفر من فر منهم...

لقيهم النساء...

فقالت هند إلى أين تنهزمون وإلى أين تفرون؟!

من الله وجنته وهو مطلع عليكم؟!

ونظرت إلى زوجها أبى سفيان منهزمًا...

فضربت وجه حصانه بعمودها...

وقالت إلى أين أباصخر؟!

ارجع إلى القتال وابذل مهجتك حتى تمحو ما سلف من تحريضك على رسول الله ﷺ.

فعطف أبوسفيان وعطف المسلمون.

يقول الزبير: فلما سمعت كلام هند ذكرت يوم أحد...

قال: وعطف أبوسفيان وعطف المسلمون...

قال: ونظرت إلى النساء وقد حملن معهم وقد رأيتهن يسابقن الرجال...

---

(١) أخرجه مسلم (٦٥٤).

ولقد رأيت منهن امرأة أقبلت على علج من علوج الروم فتعلقت به حتى نكبته عن جواده وقتلته وهى تقول هذا بيان نصر الله للمسلمين[١].

وقتلت أسماء بنت السكن بعمودها تسعة من الروم.

انفضوا النوم وهبوا للعلا... فالعلا وقف على من لم ينم

❁ تشريع خاص لأصحاب الهمم:

إنَّ الله تعالى يشرع تشريعًا خاصًّا لأصحاب الهمة ليرعى الهمم وأهلها ولا يكسر همتهم أو يقطع آمالهم بل يشرع تشريعًا خاصًا من أجلهم.

وذلك لما واصل النبى ﷺ في الصوم فلما رآه أصحابه واصلوا فنهاهم فواصلوا - حيث ظنوا أنَّ نهى النبى ﷺ للرأفة والحلم بهم فواصلوا- فقال لهم النبى ﷺ " **أيكم مثلى إني أبيت يطعمنى ربى ويسقينى**"[٢] لكنهم واصلوا - فلما رأى الله منهم أنَّ همتهم تدفعهم ما كسر همتهم بل شرع لهم تشريعًا خاصًّا - فقال ﷺ " **من أراد أن يواصل فليواصل إلى السحر** "[٣].

❁ الهمة لا تضعف بضعف البدن:

إنَّ الهمة العالية لا تضعف بضعف البدن أو بكبر السن ولقد رأينا صورًا لذلك فإن الهمة العالية المتقدة في القلب لا تضعف بضعف البدن وكذلك لا تضعف بتقدم السن أو وجود العذر.

فإنَّ الرجل قد يضعف بدنه وينحنى ظهره وتشيب رأسه ولحيته لكن تكون همته متوهجة توهجًا عاليًا كهمة الشباب بل إنه ينافسهم ويزاحمهم.

---

(١) فتوح الشام للواقدي (١/ ١٩٦).

(٢) **متفق عليه:** أخرجه البخاري (١٩٦٤)، مسلم (١١٠٣، ١١٠٥).

(٣) التخريج السابق.

فكان ابن عقيل الحنبلى رحمه الله في سن الثمانين يقول إنِّى لأجد من حرصى على العلم وأنا في عشر الثمانين أشد مما كنت أجده وأنا ابن عشرين[١].

وكأنه بلسان حاله يقول:

مـــا شـــاب همـــى ولا عزمـــى ولا خلقـــى
ولا ولائـــى ولا دينـــى ولاكرمـــى
وإنمـــا اعتـــاض رأســـى غيـــر صبغتـــه
والشـــيب في الـــرأس غيـــر الشـــيب في الهمـــم

❁ الهمة العالية تكون سببًا فى حسن الخاتمة:

كان عامر بن عبدالله بن الزبير وهو في سكرات الموت يسمع الأذان ينادي لصلاة المغرب...

فقال: لمن حوله خذوا بيدي.

فقالوا: إلى أين؟

قال: إلى المسجد.

قالوا: وأنت على هذه الحال !

قال سبحان الله !

أسمع منادي الصلاة ولا أجيبه؟!

فذهب إلى الصلاة.

(١) ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب الحنبلي (صـ٥٨).

وصلى مع الإمام ركعة ثم مات في سجوده [١].

❁ كيف يُعرف أصحاب الهمة؟

إنَّ أصحاب الهمة لهم دلالات وسمات...

انظر لهم وانظر لنفسك...

فإن كنت منهم فاحمد الله واثبت...

وإن لم تكن منهم فاسترجع والحق بالركب حتى تصل...

وإلا ستندم وقت لا ينفع الندم.

❁ من أمارات وسمات أصحاب الهمة:

أصحاب الهمة كل ما يشغلهم الوصول إلى الهدف:

عن أنس بن مالك أَنَّ أم الربيع بنت البراء وهى أم حارثة بن سراقة أتتِ النبىﷺ فقالت يا نبى الله، ألا تحدثنى عن حارثة وكان قُتِل يوم بدر أصابه سَهْمٌ غَرْبٌ، فَإِنْ كان فِي الجنة، صَبَرْتُ، وَإِنْ كان غير ذلك اجتهدْتُ عليه فِي البكاء. قال « **يَا أُمَّ حارثة، إِنَّها جنان فى الجنة، وَإِنَّ ابنك أصاب الفردوس الأعلى**»[٢].

صاحب الهمة لا ينقض عزمه:

وهو صادق النية عالى الهمة صادق الوعد.

فلا يسر في طريق ثم يعود منه أو يمل أو يقطع سيره بل يكمل طريقه إلى النهاية...

---

(١) سير أعلام النبلاء (٥/ ٢٢٠)، صفة الصفوة (٢/ ١٣٢).

(٢) أخرجه البخاري (٢٨٠٩)، الترمذي (٣١٧٤).

وإن طال الزمن...

وإن ناله من الجهد والمشقة ما نال...

وإن كبر سنه ورق عظمه وانحنى ظهره.

لذلك قال تعالى ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٤١﴾ [التوبة: ٤١].

أخي الحبيب:

كم مرة قمت الليل ثم تركته؟!

كم مرة حاولت حفظ كتاب الله وجمعه إلى صدرك ثم عدت من وسط الطريق؟!

كم مرة حاولت طلب العلم ثم مللت وقطعت سيرك؟!

إنَّ هذا عمل أصحاب الهمة الضعيفة الذين لا يُعلم هل سيصلون إلى الله أم ينقطع بهم الطريق قبل أن يصلوا؟

يقول صالح بن أحمد: عزم أبي يومًا على الخروج إلى مكة ووافق يحيى بن معين وقال: أبي نحج ثم نمضي إلى صنعاء إلى عبد الرزاق فذهبا فوافقاه في الحج فقال: يحيى بن معين الحمد لله كُفينا مؤونة السفر فأبى أحمد وقال لم أغير النية في رحلتي إليه؟! ثم سافر إلى اليمن لأجله [(١)].

هذا هو عمل أهل الجنة فهمتهم في مرتبة عالية لا تنقطع أبدًا ولا تتوقف أبدًا...

هذه الجنان وهؤلاء هم أصحابها.

---

(١) تاريخ الإسلام للذهبي (٥/ ١٠١٠).

فإن الجنان متزينة وتنتظر أصحابها في كل وقت...

هـــذي الجنـــان تزينـــت وتفتحـــت أبوابهـــــا فعجبـــــت للعشـــــاق
أينـــام مـــن عشـــق الجنـــان وحورهـــا وكـــــرائم الجنـــــات للســـــباق
أم كيـــف يغفـــل مـــوقن بعظـــيم سلعـــة ربـــه وبـــذا النعـــيم البـــاقي

صاحب الهمة لا يعرف العجز ولا يحجزه عن العمل لدين الله شيء:

فهاهو عقبة بن نافع وهو فى سن الخامسة والعشرين يقف على المحيط الأطلنطى ويرفع سيفه ويقول والله لو أعلم أنَّ وراء هذا الماء أرضًا لخضته بفرسى هذا رافعًا راية لاإله إلا الله[١].

صاحب الهمة لا يلتفت إلى لوم لائم:

فهو سائر إلى الله يمضى ويكدح في السعى إلى مطلوبه وهو رضا الله والجنة فإنَّ اللائمين ما يريدون إلا رجوعك أو تأخيرك.

يقولون: إنَّ الظبى أسرع من الكلب لكنه يدركه لأنه كثير الالتفات.

فامض ولا تلتفت للوراء ولا تتطلع لغير السماء...

ولا تنظر لإرضاء هذا وإقناع ذاك...

بل رضا الله وكسب مودته وكفاك...

لا يلزم أن تكون معروفًا عند الناس وكفاك أن تكون معروفًا عند الله.

كتب حذيفة إلى عمر بالفتح مع رجل من المسلمين فلمَّا قدم عليه قال: أبشر ياأمير المؤمنين بفتحٍ أعزَّ الله فيه الإسلام وأهله وأذلَّ فيه الشرك وأهله،

(١) الكامل في التاريخ لابن الأثير (٢/ ١٨٧).

قال: النعمان بعثك؟ قال: احتسب النعمان ياأمير المؤمنين، فبكى عمر واسترجع قال: ومن - ويحك -؟ فقال: فلانٌ وفلانٌ وفلانٌ - حتَّى عدَّ ناسًا - ثم قال: وآخرين يا أمير المؤمنين لا تعرفهم فقال عمر - رضوان الله عليه - وهو يبكى-: لا يضرهم أن لا يعرفهم عمر لكنَّ الله يعرفهم [١].

فيكفيك أن الله هو الذي يعرفك فالتفت إليه ولا تتطلع لغيره.

صاحب الهمة ليس لهمته وقت أو زمن:

صاحب الهمة ليس هناك وقت لهمته إنها متقدة دائمًا صغيرًا كان أو كبيرًا والذي يشهد لها هو العمل، فالطفل والصبى والشاب والشيخ والرجل والمرأة الفرق بينهم هو علوا الهمة وضعفها.

عن أحمد بن النضر الهلالى عن أبيه قال: كنا في مجلس سفيان...

فدخل علينا صبى فضحك الناس منه...

فقال سفيان: يا نضر لو رأيتنى وأنا ابن عشر سنين...

طولى خمسة أشبار...

ووجهى كالدينار...

قميصى صغار...

وأكمامى قصار...

ونعلى كآذان الفار...

وأنا كشعلة نار _ أي في الهمة والعمل _...

---

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه (١١/ ٦٤)، وهو في السلسلة الصحيحة (٦/ ٣٢٥).

أختلف إلى علماء الأمصار كالزهري وعمرو بن دينار...

أجلس بينهم كالمسمار...

محبرتي كالجوزة...

مقلمتي كالموزة...

وقلمي كاللوزة...

فإذا دخلت قالوا أفسحوا للشيخ الصغير[١].

أخي الحبيب:

إنَّ من يرد غاية عظمى وهدفًا أسمى وهو رضا الله والجنة لا بد أن يعلى همته، ويسهر الليل، ويبذل الغالى والنفيس من أجل إدراك هذا المطلوب.

ولتعلم أنك تشتري الآجلة الباقية الدائمة.

وإن ضعفت همتك وشغلتك الدنيا فأنت تضيع هذا النعيم وتبيعه ببخس عاجل وستندم ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾

[الشعراء: ٨٨ – ٨٩].

فيـــا بائعًـــا هـــذا بـــبخس عاجـــل
كأنـــك لا تـــدري فلســـوف تعلـــمُ
فـــإن كنـــت لا تـــدري فتلـــك مصـــيبة
وإن كنـــت تـــدري فالمصـــيبة أعظـــمُ

أخي الحبيب: تذكر أنَّ الهمة العالية هى سبيل وصولك إلى الله.

أخي الحبيب: اعلم أنَّ قيمة المرء بما يطلبه.

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي – سفيان ابن عيينة – (٨/ ٤٥٩).

أخى الحبيب: اعلم أنَّ الهمة تتناسب مع الغاية والأمنيات فإن عظمت أمنياتك فلابد أن تعلوا همتك.

أخى الحبيب: اعلم أنَّ المكارم لا تنال إلا بالمكاره.

أخى الحبيب: اعلم أنَّ الهمة العالية تُعظِّم العمل الصغير.

أخى الحبيب: اعلم أنَّ الهمة العالية تجعل المسلم يلحق بالعاملين وإن لم يعمل.

أخى الحبيب: اعلم أنَّ صاحب الهمة لا ينقض عزمه ولا يلتفت للوم لائم.

أخى الحبيب: اعلم أنَّ الهمة ليس لها سن ولا وقت ولا جنس.

احفظ الله يحفظك

إنَّ الله تبارك وتعالى من سننه أنه يعامل العبد بفضله وبما كسبت يداه وقدمت فهو الحكم العدل لذلك قال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ٧ ﴾ [محمد: ٧] وقال تعالى ﴿ فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ ١٥٢ ﴾ [البقرة: ١٥٢].

فمن يرد أن ينصره الله تعالى فلينصر ربه...

ومن يرد أن يذكره الله تعالى فليذكر ربه...

ومن يرد أن يوفي الله بوعده له فليوف بوعده مع الله...

ومن يرد أن يحفظه الله فليحفظ هو الله...

روى الترمذي وغيره عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كنت خلف النبى ﷺ فقال " **يا غلام إني أعلمك كلمات احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله واعلم أنَّ الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لن ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ولو اجتمعت على أن يضروك بشيء لن يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف** "[(١)].

(١) أخرجه الترمذي (٢٥١٦)، وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي، وفي المشكاة (٥٣٠٢).

هذه وصية من النبى ﷺ لابن عباس وللأمة عامة يقول " **يا غلام إني أعلمك كلمات:احفظ الله يحفظك** ".

كيف أحفظ الله؟

أي احفظ أوامره بالامتثال والإذعان...

واحفظ نواهيه بالابتعاد والاجتناب...

واحفظ حدوده بألا تتعدى حدود الله تعالى.

والله حكمٌ عدلٌ:

يحفظك في دينك، ويحفظك في أهلك، ويحفظك في مالك، ويحفظك في عرضك.

الحفظ في الدين:

وما منَّ الله على عبدٍ بمنة أعظم من أن يمنَّ عليه بحفظ دينه.

لذلك لما ذكر الحسن رحمه الله تعالى أهل المعاصى قال (هانوا على الله فعصوه ولو عزوا عليه لعصمهم)[(١)].

فالله لا يعصم ولا يحفظ إلا أهل المحبة والعزة إليه.

احفظ الله يحفظك "

لذلك كان النبى ﷺ إذا ودَّعَ رجلًا كان أول ما يقول له " أستودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك "[(٢)].

---

(١) ذم الهوى لابن الجوزي (١/ ١٨٤)، الكامل في التاريخ لابن الأثير (٤/ ٢٠٩).

(٢) أخرجه أبو داود (٢٦٠٠، ٢٦٠١)، الترمذي (٣٤٤٢، ٣٤٤٣)، ابن ماجه (٢٨٢٦)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٩٥٧)، وفي الصحيحة (١/ ٥١).

والله تعالى إذا استُودع شيئًا حفظه.

فاجعل دينك أمانة عند ربك يحفظه لك ويحفظك.

فالله تعالى يحفظك وقت الحاجة...

فإذا ماجت الفتن فالله يسددك ويحفظك...

وإذا كثرت المعاصى فالله يعصمك ويحفظك...

وإذا احتجت رعاية الله فالله يرعاك....

فالأمر بيديك " احفظ الله يحفظك "....

قد يبتليك الله في مالك وقد يبتليك في أهلك وقد يبتليك في بدنك ولكن لا يبتلى أحبابه في دينهم لأن العبد المسلم صلاحه وفلاحه وحياته في دينه.

❁ الحفظ وقت الابتلاء بالإكراه والتعذيب:

لذا قص الله تبارك وتعالى علينا قصة أصحاب الأخدود:

وهم الذين حُرقوا بالنار أحياءً ولكن الله يمتنُّ عليهم.

امتنَّ عليهم بماذا؟

بأن تركهم يحرقون بالنار؟!

أم بأنه سلمهم لأعدائهم؟!

كلا: بل منَّ عليهم بأن ثبتهم وأماتهم على الإسلام فحفظ دينهم مع عظم البلاء والفتنة.

لذلك بدأ الله تعالى السورة بقوله ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡبُرُوجِ ۝١﴾ [البروج: ١].

يبدأ الله السورة بذكر السماء لأن المسلم يتطلع قلبه وبصره إلى السماء لأن فيها نجاته وفلاحه وإعانته ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡبُرُوجِ ۝١ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡمَوۡعُودِ ۝٢ وَشَاهِدٖ

﴿وَمَشْهُودٍ ﴿٣﴾ قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾﴾ [البروج].

إنهم على النار قعود لينظروا ويشاهدوا ما يحدث لأولياء الله تعالى ﴿وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٨﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾﴾ [البروج: ٧ - ٩].

إنهم يجلسون شهودًا على ما يفعلون بالمؤمنين والله يقول لهم إنَّ الملك والقوة بيديَّ والله عليهم شهيد كما هم على المؤمنين شهود وعلى ما يفعلون بهم.

﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴿١٠﴾﴾ [البروج: ١٠].

وما مكان المؤمنين الذين حرقوا بالنار ماذا فعلت لهم يارب قال ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ﴿١١﴾﴾ [البروج:١١] (١).

وإن حرقوا في الدنيا بالنار لكنهم فازوا فوزًا كبيرًا.

إنهم حفظوا الله:

حفظوا أمانتهم...

حفظوا دين ربهم...

حفظوا أوامره...

حفظوا نواهيه...

وحفظوا حدوده...

---

(١) قصة أصحاب الأخدود: أخرجها: مسلم (٣٠٠٥).

فحفظ الله دينهم.

مهما عظمت الفتنة لكن الله الملك الحق المبين هو ملك هذا الكون لذلك حفظهم عندما اشتدت الفتنة وما ارتد منهم رجل ولا امرأة.

بل إنَّ الله حفظهم جميعًا لأنهم حفظوا الله جميعًا دفعة واحدة.

" **احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك** " وفي رواية " **احفظ الله تجده أمامك** "[(١)].

❁ الحفظ وقت الابتلاء بالفتن والشهوات:

والابتلاء بالفتن والشهوات قد يكون أشد من الابتلاء بالإكراه والتعذيب والله هو الذي يحفظ العبد في هذا وفي ذاك.

يقول سليمان بن يسار رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى (خرجت مع أخى عطاء يومًا في سفر قال فلما نزلنا منزلًا ذهب كلٌّ منا إلى مكانه وجلس عطاء في خيمته يصلى...

قال: فجئت إليه فوجدته يبكى وأمامه امرأة تبكى...

فلما رأتنى المرأة خرجت...

قال: فاستحييتُ أن أسأله وكان أسن منى.

قال: فذهبنا وجاء الليل ونام عطاء فقام من نومه يبكى.

فقال سليمان بن يسار: يا أخى ما الذي يبكيك؟

قال لي: دعني.

---

(١) رواه أحمد (٥/ ١٩)، الحاكم (٣/ ٦٢٣)، وقال الشيخ أحمد شاكر في تخريج أحاديث مسند أحمد إسناده صحيح متصل.

قلت: أقسم عليك بالله.

قال: أخبرك بشرط ألا تخبر أحدًا ما حييت.

قلت: لك ذلك.

قال: عندما كنتُ في الخيمة جاءتنى امرأة وأنا قائم أصلى فلما رأيتها ظننتُ أنَّ لها حاجة فتجوزتُ في صلاتي فلما أنهيتُ صلاتي قلت: يا أمة الله ما الخبر؟

قالت لى: إني قد ودقت ولا بعل لى - أي تريد الفاحش -...

فقلت: إليك عنى.

فأصرتْ وألحتْ في الطلب.

قال: فاستعبرتُ وبكيتُ.

فقلت لها: لا تحرقينى ونفسك بالنار فلما اشتد بكائى جلستُ، فجلستْ المرأة أمامى تبكى.

فلما دخلتَ استحيتْ وخرجتْ...

قال عطاء: فلما نمتُ رأيتُ في منامى يوسف نبى الله عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام فلما رأيته بكيت.

فقال لى: ما الذي يبكيك؟

قلت: أبكى لما فعلتْ بك امرأة العزيز وكيف حفظك الله وثبتك.

فقال لى: لا تعجب فإنَّ أعجب من ذلك صاحب المرأة البدوية - يقصد عطاء -.

قال: فاستعبرتُ وبكيتُ.

أي فرحًا بحفظ الله وتسديده له.

يقول سليمان فحفظت ذلك عنه حتى توفاه الله تعالى وما أخبرت بذلك إلا بعد موته)[(١)].

قل لى بربك من الذي يستطيع أن يحفظ عبدًا في هذه المحنة.

إنَّ المسلم قد يبتعد عن المعاصى ولكن الفتنة قد تشتد عليه ولا يستطيع أن يتحمل إلا إذا نالته العناية الإلهية.

لذا فإنَّ يوسف النبى ﷺ لما دعته امرأة العزيز تذكر ربه وخاف من الله تعالى، لكن لما اشتدت عليه في الطلب واجتمعت عليه النسوة واشتدت عليه الفتنة التى لا يستطيع أن يتحملها بشر لجأ إلى الله تعالى أن يصرف عنه قال تعالى﴿ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِۖ وَإِلَّا تَصۡرِفۡ عَنِّي كَيۡدَهُنَّ أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ٣٣ ﴾ [يوسف: ٣٣].

إنه يطلب تدخل إلهى إنَّ الفتنة في هذا الحال لا يستطيع أن يتحملها بشر ﴿ فَٱسۡتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنۡهُ كَيۡدَهُنَّۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ٣٤ ﴾ [يوسف].

إنه حفظ الله في القديم لذلك لما احتاج إلى الله حفظه.

احفظ الله يحفظك " فى دينك ".

الحفظ في البدن:

احفظ الله يحفظك فى بدنك.

فإنَّ صنائع المعروف تقى مصارع السوء.

قال تعالى ﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٞ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ

(١) صفة الصفوة (٢/ ٨٢).

لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴿١١﴾ [الرعد: ١١] إلا إذا أراد الله أن يقع فإنه يقع.

وإذا أراد الله حفظ عبد لو اجتمعت عليه الدنيا لحفظه.

" **واعلم أنَّ الأمة لو اجتمعت على أن يضروك بشيء لن يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك** " إنهم لم يضروك ولو اجتمعوا عليك.

وها هى نظرة سريعة لموقف من مواقف الهجرة:

لما أذن الله لنبيه بالهجرة وجلس في بيته الليلة التى سوف يخرج فيها...

واجتمع إليه مقاتلوا العرب وأصروا على أن يضربوه ضربة واحدة حتى يتفرق دمه في القبائل وأحاطوا ببيته...

وبين الله تعالى له مؤامرتهم...

ولكن النبى ﷺ لم يخرج حتى جاءوا واجتمعوا حول البيت.

وسل نفسك سؤالًا:

إن الله خبير قدير على كل شيء فلماذا لم يخرج النبى قبل أن يأتوا؟

إنما أراد الله أن يعلمنا أنَّ القدرة في إخراج النبى وهم محيطون به أعظم من أن يخرج قبل أن يأتيهم.

فالله يطمئنك أنه تعالى هو القدير مهما كانت قوة أعداء الله.

لذلك أحاطوا بالبيت...

وخرج النبى ﷺ وهم محيطون بالبيت...

ووضع على رؤوسهم التراب...

وفي هذا إشارة إلى أنَّ كل من يعادي هذا الدين يذله الله تعالى ويجعل

على رؤوسهم التراب وفي وجوههم الذلة.

ذهب إلى الغار وجلس هو وأبو بكر...

وأخذ بكل الأسباب...

وابن أبى بكر يأتيهم بالأخبار...

وغلامه يأتي خلفه بالأغنام حتى يضيع معالم قدميه...

ومع ذلك لما طلبه أهل مكة وصلوا إلى الغار...

مع كل هذه الأسباب لكنهم وصلوا إلى الغار وانقطع الطريق والأثر عند هذا الغار.

والغار هو الفتحة في جوف الجبل.

ولك أن تتصور:

رجال يبحثون عن رجلين...

وصلوا إلى جبل من الصخر ليس فيه إلا هذه الفتحة...

والعاقل يقول إنهم وصلوا لم يبق سوى أن ينظروا في الغار لم يبق شيء ينظرون فيه إلا هذا الغار...

ولكن هذه الرؤوس التى جلست مطأطئة ذليلة أمام بيت رسول الله ﷺ... هى الآن أمام الغار ترفع أبصارها إلى أعلى ما استطاع رجل أن يحنى رأسه وينظر إلى الكهف لذلك قال أبو بكر يا رسول الله لو نظر أحدهم تحت قدميه لرآنا...

لكن الذي طأطأ رءوسهم هناك هو الذي منعها أن تطأطئ الآن حفظًا لنبيه ولأبي بكر.

لذلك وضع النبى ﷺ القاعدة العظيمة لأبى بكر " ما ظنك باثنين الله ثالثها " ليس القوة في أنهما اثنان...

وليس القوة في أنهما أبو بكر والنبى...

ولكن القوة في أنَّ الله ثالثهما ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ لذلك وقفوا ووصلوا وعادوا والنبى وأبو بكر في حفظ تام.

خرجوا من الغار وذهبوا...

وأهل مكة رصدوا مائة ناقة لمن يدل على محمد وأبى بكر...

ورآهم سراقة بن مالك وخذَّل الناس عنهما حتى يفوز بالجائزة - مائة ناقة - وأعد عدته وخرج خلفهما.

فلما اقترب منهما...

غاصت قدم فرسه...

قال سراقة: وكان أبو بكر كثير الالتفات...

والنبى أمامه لا يلتفت...

إنه مازال يستحضر ما ظنك باثنين الله ثالثهما...

ما زال يستحضر لا تحزن إنَّ الله معنا...

إنهم حفظوا الله فتيقنوا أنَّ الله سيحفظهم...

يحاول سراقة مرة واثنين ولكنه يفشل...

فشل: لأن القوة العظمى هى التى تحفظهما.

لذلك طلب الأمان وذهب إليهم وأسلم على يدي النبى ﷺ.

إن الله تعالى كفيل أن يحول أعداءه إلى أولياء يحفظونه بإذن الله تعالى[١].

إن هذه العناية هى العناية الإلهية...

ليس لها حدود...

وإن كنت وحدك أو كنت ضعيفًا لكن الله معك...

لكن الله القوي المقتدر معك...

فهذا معنى قول البنى ﷺ " **احفظ الله يحفظك** ".

يحفظ دينك ويحفظ بدنك والله تعالى واسع الفضل والمنة.

أخى الحبيب:

إنَّ الله وقت الضيق لا يحفظك بدعائك فقط بل يحفظك بعملك السابق بحفظك لحدوده يحفظك بحفظك لأوامره يحفظك لاجتنابك نواهيه.

انظر إلى فرعون لما تبع موسى عليه السلام وأدركه الغرق.

ونبى الله يونس لما وضع في الماء.

انظر إليهما وتصور حالهما هذا في الماء وهذا في الماء...

فرعون قال آمنت...

---

(١) قصة الهجرة النبوية: ينظر السيرة النبوية لابن هشام (٣/ ٥).

ويونس عليه السلام دعا ربه لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين...

فقال الله عن يونس ﴿ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ ﴾ [الصافات: ١٤٣ - ١٤٤] إنَّ حفظه لله وتسبيحه وذكره لله وعمله الصالح حضره الآن وحفظه الله تعالى.

إنه لم يكن في اليم فقط إنه كان في بطن الحوت في قاع البحر ولكن الله لا يعجزه شيء.

ولكن فرعون مع أنه قال آمنت قال الله ﴿ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٩١﴾ ﴾ [يونس: ٩١] إنَّ عملك الذي يحضرك الآن أين حفظك القديم لكي تطلب حفظ الله الآن وقت الضيق.

احفظ الله يحفظك " في بدنك ".

الحفظ في الولد:

احفظ الله يحفظك:

يحفظ ولدك حتى في غيابك أو بعد موتك يحفظ ولدك ويرعاه لك لذلك قال تعالى﴿ وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَـٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾ ﴾ [النساء: ٩].

إذا خفت على أبنائك لا تجمع لهم المال فقط...

ولكن لابد أن تجعل إلى جانب ذلك الدين والحفظ لله حتى يحفظهم الله تبارك وتعالى لك...

إنَّ كثيرًا منا يقوم بالرعاية لأولاده لكنهم يتفلتون من أيدينا.

إنني إذا عجزت أن أحفظ ولدي وأنا حي فمن يحفظه لي بعد موتي؟

إنه الله القدير فادخر عند ربك ما يحفظهم به.

قال تعالى ﴿ وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ [الكهف: ٨٢] يرسل إليه سبحانه وتعالى الخضر وموسى خصيصًا يسافران ويذهبان لمهمة هامة لإقامة الجدار وحفظ هذا الكنز لهذين اليتيمين.

وكل ذلك لماذا؟

قال تعالى ﴿ وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا ﴾ فحفظ الله أبناءهما لأنهما حفظا الله.

لذلك كان سعيد بن المسيب رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى يقول (لابنه لأزيدن في صلاتي من أجلك رجاء أن أحفظ فيك)[(١)].

وكان محمد بن المنكدر يقول (يصلح الله عَزَّ وَجَلَّ بصلاح الرجل ولده وولد ولده وأهل دويرته ودويرات حولهم فما يزالون في ستر الله وحفظه)[(٢)].

لكنهم لا يعلمون من أين هذا الحفظ إنه من رجل صالح بينهم يحفظه الله ويحفظ ولده ويحفظ ولد ولده وأحفاده بل يحفظ الدويرات التى حوله.

وكان عمر بن عبد العزيز يقول (إذا توفي الرجل الصالح فإن الله تعالى يحفظ ولده ويحفظ ولد ولده) [(٣)].

إن الله تعالى يحفظ أولادك ويحفظ أحفادك بعملك الصالح حتى إذا انقطعت بهم السبل فإن الله تعالى يحفظهم ويرعاهم.

احفظ الله يحفظك" في ولدك ".

---

(١) تفسير البغوي (٥/ ١٩٦)، تفسير الثعلبى (١/ ١٤٢٠).
(٢) أخرجه النسائي في السنن الكبرى (١٠/ ٤٠٨)، ابن الجعد في مسنده (١/ ٢٥٤).
(٣) تاريخ دمشق (٣١/ ٢٢٢).

الحفظ في العرض:

وهذا من أعظم ما يخافه العبد ومن أكثر ما يشغله ألا وهو حفظ العرض، فتكفل الله بحفظه لك إذا حفظت الله تعالى.

إنَّ سارة لما ذهبت إلى طاغية مصر الذي كان يأخذ كل امرأة جميلة وأراد أن يقترب منها، وإبراهيم بعيدًا عنها ليس معها من يحفظها إلا الله تعالى، لذلك لما أراد أن يقترب منها ما استطاع فقام وحاول مرة وثانية وثالثة حتى أمر بإخراجها، وقال لقد أتيتم لى بشيطانة.

من الذي حفظها؟

إنه الذي حفظ إبراهيمُ أوامرَه.

لذلك لما خرجت سارة قالت لإبراهيم أرأيت حفظ الله تعالى وكيف منعنى من هذا الطاغية وأكرمنى وأعطانى هاجر جارية كانت بعد ذلك هى أم إسماعيل عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام[(١)].

احفظ الله يحفظك" فى عرضك ".

- إنَّ فضل الله ليس له حدود وإنَّ حفظ الله ليس له حدود لكن الله تبارك وتعالى يأمرك أن تدفع ثمنًا قليلًا أن تحفظ أمر الله، وأن تحفظ نهيه، وأن تحفظ حدوده، والله تعالى يحفظك ويرعاك ويعطيك أكثر مما تتمنى وتسأله.

أسأل الله تعالى أن يمن علينا وعليكم بالحفظ وأن يحفظنا، وأن يحفظ ديننا، وأن يحفظ أبناءنا، وأن يحفظ أموالنا، وأن يحفظ أعراضنا وأعراض المسلمين.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٢١٧)، مسلم (٢٣٧١).

الشـــكـــــر

إنَّ الله تعالى فطر الإنسان على الحاجة فهو فقير محتاج دائمًا.

ولذلك جعله الله تعالى عبدًا له سبحانه وهو الغنى وهو الذي بيده خزائن السماوات.

ولك أن تتصور سيدًا غنيًّا وعبدًا فقيرًا محتاجًا...

ومع ذلك فسيده لطيف رحيم حليم ودود...

لذا أسبغ عليه النعم ظاهرة وباطنة...

ما يعلمها عبده وما لم يعلمها قال تعالى ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾ ﴾ [النحل: ١٨].

والله تعالى أوجب على عبده الشكر له سبحانه وهو غنى عن ذلك.

لكنه أراد أن يبتلى الناس أيشكرون أم يكفرون قال تعالى ﴿ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ [النمل: ٤٠].

لذا قال تعالى ﴿ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ ﴾ [لقمان: ١٤].

وكأنَّ العبد نظر إلى كل هذه النعم وقال يارب ومن يطيق أن يشكر كل هذه النعم التي لا تحصى ولا يبلغها علم عبدك.

قال تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [الأعراف: ٤٢].

فالله من رحمته لم يجعل الشكر على قدر النعمة بل جعله على قدر الطاقة.

وهذه وربى نعمة أخرى تحتاج الشكر.

قال سليمان التيمى: إنَّ الله سبحانه أنعم على عبيده على قدره، وكلفهم الشكر على قدرتهم[(١)].

وهذا من لطف الله ورحمته.

ينعم على قدره هو، لذا فإنَّ نعم الله سابغة.

ولو أنعم على قدر العباد لقصرت بهم الحياة.

ومن لطفه ورحمته أنه يطلب الشكر على قدرتهم...

ولو طلب الشكر على قدر نعمه لعجز العباد جميعًا عن الشكر.

كيف يكون العبد شاكرًا لله؟

إنَّ الشكر ليس باللسان فقط...

أو أن يقول العبد أشكرك يارب...

وليس الشكر أن يُقَبِّل العبد يديه ظهرًا لبطن...

بل إنَّ الشكر أن تكون عبدًا لسيدك طائعًا له مؤتمرًا بما أمر منتهيًا عمَّا نهى عنه وزجر.

---

(١) الشكر لابن أبي الدنيا (٨)، عدة الصابرين لابن القيم (١/ ١٠٣).

الشكر أن يكون قلبك راضيًا عن فعل الله، ونعمه حاضرة في قلبك دائمًا.

الشكر أن يلهث لسانك بالاعتراف بنعمه وفضله عليك مع الاعتراف بتقصيرك وتفريطك دائمًا في حقه.

ومن يطيق أن يشكر الله حق الشكر، ومن يطيق أن يشكره شكرًا يليق به سبحانه.

إنَّ الشكر هو العمل...

عمل القلب...

عمل الجوارح...

عمل اللسان...

قال تعالى ﴿ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ۚ ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾ ﴾ [سبأ: ١٣].

لذا لما تدبر سليمان نعم الله عليه قال ﴿وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾ ﴾ [النمل: ١٩].

❁ لا شكر بدون عمل:

إذ أنَّ الجوارح من نعم الله وشكر النعم هو استخدام هذه النعم في ابتغاء مرضات الله.

سأل رجل أباحازم:

قال ياأباحازم: ما شكر العينين؟

قال: إن رأيت بهما خيرًا أعلنته وإن رأيت بهما شرًّا سترته.

قال: فما شكر الأذنين؟

قال: إن سمعت بهما خيرًا وعيته وإن سمعت بهما شرًّا دفعته.

قال: فما شكر اليدين؟

قال: لا تأخذ بهما ما ليس لهما، ولاتمنع لله حقًّا هو فيهما.

قال: فما شكر البطن؟

قال: أن يكون أسفله طعامًا وأعلاه علمًا.

قال فما شكر الفرج؟

قال: قال الله تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝٦ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ۝٧ ﴾[المؤمنون: ٥ – ٧].

قال: فما شكر الرجلين؟

قال: إن علمت ميتًا تغبطه استعملت بهما عمله، وإن مقته رغبت عن عمله.

وأنت شاكر لله وأنت شاكر لله [(١)].

❁ الشكر على ماذا؟

إنَّ نعم الله لا تحصى قال تعالى ﴿ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ۝٣٤ ﴾ [إبراهيم: ٣٤] وقال تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ۝٢٠ ﴾

(١) تاريخ دمشق (٢٢/ ٦٥)، شعب الإيمان (٤/ ١٣٤)، حلية الأولياء (٣/ ٢٤٣).

[لقمان: ٢٠].

وإن ذهب الإنسان لينظر جميع نعم الله عليه وعمق خاطره وأشخص بصره لارتد إليه البصر عاجزًا وعاد إليه خاطره وقد كل ومل من التعب ولم يستطع شيئًا.

وهناك من النعم الظاهرة العظيمة التى يستطيع العبد أن يدركها ويشعر بها كنعمة السمع والبصر والكلام وغيرها...

ولكن هناك من النعم نعمًا عظيمة قد لا يلتفت العبد إليها ولا يشعر بها إلا إذا سُلِبَت منه.

ومن هذه النعم:

❁ الهداية والإسلام:

إنَّ هذه النعمة من أعظم النعم على العبد بأن جعل الله لنا دينًا قويمًا تامًّا كاملًا قال تعالى ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣﴾﴾ [المائدة: ٣].

فمن نعمه العظيمة أن هدانا إليه وقد حُرم كثير من خلقه منه...

وإنَّ هداية العبد لهذا الدين خير من الدنيا وما فيها...

فقد يعطى العبد أكثر متاع الدنيا لكنه يحرم من هذا الخير، بل قد يصعد الإنسان إلى القمر، ثم يسجد بعده لبقرة أو فأرة، فلله الحمد والمنة أن هدانا للإسلام.

وصدق عبدالله بن رواحة إذ يقول:

والله لـــــولا الله مـــــا اهتـــــدينا ولا تصـــــدقنا ولا صلينـــــا[١]

ومن هنا كان النبى ﷺ الذي أرسل رحمة للعالمين إذا أرسل أصحابه للجهاد يعلمهم أنَّ هداية الناس خير من كل غنيمة قال ﷺ " **لأن يهدي الله بك رجلًا خير لك من حمر النعم**"[٢].

لقد منَّ الله علينا إذ بعث فينا رسولًا رحيمًا بنا وبالناس فقال تعالى ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾ [آل عمران: ١٦٤].

❁ نعمة النصر:

قال تعالى ﴿ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾﴾ [آل عمران: ١٢٣].

فلَكَمْ نصر الله أمة الإسلام على غيرها من الأمم مع قلة عددها وعتادها يوم أن شكروا الله على نعمه وتمسكوا بأمره.

ولما لم يشكروا نعمه وتركوا أمره كتب عليهم الهزيمة ولو كان عددهم عدد الحصى والرمل.

ليعلم الناس ﴿وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾﴾ [آل عمران].

وذلك أمر ثابت في قلب المسلم وعقله أنَّ النصر لا يأتي إلا بشكر النعمة والتمسك بأمر الله.

---

(١) أخرجه البخاري (٤١٠٦).

(٢) أخرجه البخاري (٣٠٠٩)، مسلم (٢٤٠٦).

حتى لما أنزل الله الملائكة على النبى ﷺ وأصحابه قال لهم ﴿ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ ﴾[آل عمران: ١٢٦].

❁ نعمة الأمن:

إنَّ نعمة الأمن من أعظم النعم التى ينعم بها الله على العباد.

لذا عدَّ الله نعمة الأمن من النعم التى منَّ بها على قريش فقال تعالى ﴿ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۢ ﴿٤﴾ ﴾ [قريش: ٤].

بل نهى النبى ﷺ عن الترويع للمسلم وإن كان بأقل القليل فلما رأى صحابيًّا خبأ نَبْلَ أخيه نهى عن الترويع.

عن عبد الرحمن بن أبى ليلى قال حَدَّثَنَا أصحاب رسول الله ﷺ أنهم كانوا يسيرون مع رسول الله ﷺ في مسير فنام رجل منهم فانطلق بعضهم إلى نبل معه فأخذها فلما استيقظ الرجل فَزِعَ فضحك القوم فقال ما يضحككم فقالوا لا إلا أَنَّا أخذنا نبل هذا ففزع فقال رسول الله ﷺ **لا يحل لمسلم أَنْ يُرَوِّع مسلمًا**"[(١)].

إذ أنَّ الترويع سَلْبُ الأمن.

بل لأهمية الأمن عظَّم الله عقاب من يسلب الناس هذا الأمن، فجعل حد قاطع الطريق من أشد الحدود وأكثرها زجرًا وردعًا قال تعالى ﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓا۟ أَوْ يُصَلَّبُوٓا۟ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ ﴾ [المائدة: ٣٣].

---

(١) أخرجه أحمد (٣٨/ ١٦٣)، أبوداود (٥٠٠٤)، السنن الكبرى للبيهقى (١٠/ ٤٢٠)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٦٥٨).

❁ نعمة الستر:

فستر الله لعباده من أعظم النعم.

إذ أنَّ العبد خطاء ولو أنَّ الله ترك ذنوبه واضحة معلومة لكل أحد وهتك ستر القلوب والصدور

ماعامل أحدٌ أحدًا وما ألقى السلام أحدٌ على أحدٍ ولفسدت الأرض.

لذا ما كشف الله الستر عن أحد إلا بذنوبه ومجاهرته بالمعاصى وهتك أستار الناس...

فيعامله الله بعمله ويكشف ستره...

عن يعلى بن أمية قال: قال ﷺ " **إنَّ الله حيى ستير يحب الحياء والستر**"(١).

قال يونس بن عبيد قال رجل لابن تيمية:

كيف أصبحت؟

قال: أصبحت بين نعمتين لا أدري أيتهما أفضل...

ذنوب سترها الله فلا يستطيع أن يعيرني بها أحد...

ومودة قذفها الله في قلوب العباد لا يبلغها عملى(٢).

وغير ذلك من النعم التي لا تحصى ولا يعلم قدرها إلا الله.

---

(١) أخرجه أبوداود (٤٠١٢)، النسائى (٤٠٦)، وصححه الألباني في صحيح النسائى (٣٩٣)، وفي صحيح الجامع (١٧٥٦).

(٢) عدة الصابرين لابن القيم (١/ ١٩١).

بل إنَّ من النعم العظيمة أنَّ العبد قد يقصر في الشكر والله يمهله ولا يسلب منه نعمه.

فلكم أنعم الله على عبده فلم يجده شاكرًا، ولكم ابتلاه فلم يجده صابرًا، فلا هو سلب النعمة بترك الشكر، ولا أدام الشدة بترك الصبر، سبحانه هو اللطيف الخبير.

❁ الشكر من صفات الأنبياء والصالحين:

- وصف الله نوحًا بأنه من الشاكرين فقال تعالى ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾﴾ [الإسراء: ٣].

- وأمر الله موسى أن يكون من الشاكرين فقال تعالى ﴿قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾ [الأعراف: ١٤٤].

- ووصف إبراهيم بأنه كان شاكر النعم فقال تعالى ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾﴾ [النحل: ١٢٠].

- وطلب سليمان من الله أن يوفقه ويجعله من الشاكرين فقال تعالى ﴿وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴿١٩﴾﴾ [النمل: ١٩].

- وكان خاتم الأنبياء والمرسلين إمام هؤلاء الشاكرين، فكان ﷺ يصلي من الليل حتى تتورم قدماه ولما يسأل عن ذلك يقول **"أفلا أكون عبدًا شكورًا"**[(١)].

---

(١) **متفق عليه:** أخرجه البخاري (١١٣٠، ٤٨٣٦، ٦٤٧١)، مسلم (٢٨١٩، ٢٨٢٠).

❁ النبي ﷺ يعلم أمته الشكر في كل وقت:

-كان إذا أكل أو شرب يحمد الله ويقول " إنَّ الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فحمده عليها أو يشرب الشربة فيحمده عليها "[(١)].

- كان إذا ارتفعت مائدته حمد الله تعالى، عن أبى أمامة: أَنَّ النَّبىَّ ﷺ كان إذا رفع مائدته قال: «**الحمد لله كثيرًا طيِّبًا مبارَكًا فيه، غير مكفِيٍّ ولا مودع ولا مستغنًى عنه، ربَّنا**»[(٢)].

- كان إذا أتاه أمر يسره خر ساجدًا شكرًا لله تعالى وقال " **الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات** "[(٣)].

- كان ﷺ إذا استجدَّ ثوبًا قال "**اللهم لك الحمد أنت كسوتنيه أسألك خيره وخير ما صنع له وأعوذ بك من شره وشر ما صنع له**"[(٤)].

- كان ﷺ إذا أوى إلى فراشه قال " **الحمد لله الذى أطعمنا وسقانا وكفانا وآوانا فكم ممن لا كافى له ولا مؤوى**"[(٥)].

– كان ﷺ إذا استيقظ من نومه قال " **الحمد لله إذا أحيانا بعدما أماتنا**

---

(١) أخرجه مسلم (٢٧٣٤)، الترمذي (١٨١٦).

(٢) أخرجه البخاري (٥٤٥٨، ٥٤٥٩)، أبوداود (٣٨٤٩)، الترمذي (٣٤٥٦)، ابن ماجه (٣٢٨٤).

(٣) أخرجه الطبراني في الأوسط (٦/ ٣٧٦)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٧٢٧).

(٤) أخرجه أبوداود (٤٠٢٠)، الترمذي (١٧٦٧)، وصححه الألباني في صحيح الترمذي (١٨٣٨)، وفي صحيح الجامع (٤٦٦٤).

(٥) أخرجه مسلم (٢٧١٥)، أبوداود (٣٨٥٠)، الترمذي (٣٣٩٦).

وإليه النشور"[١].

- كان ﷺ إذا رجع من سفره قال " **آيبون تائبون عابدون لربنا** حامدون"[٢].

وهذا يدل على أنَّ العبد يحتاج الشكر في كل وقت إذ أنَّ نعم الله تحيط به وتتنزل عليه في كل وقت.

في حله وترحاله، في يقظته ونومه، في طعامه وشرابه. بل في حياته كلها.

❁ الشكر دأب الصالحين:

- كان أبوبكر رضي الله عنه يقول "اللهم إني أسألك تمام النعمة في الأشياء كلها والشكر لك عليها حتى ترضى وبعد الرضا"[٣].

- وكان على رضي الله عنه: إذا خرج من الخلاء مسح بطنه بيديه ويقول " يالها من نعمة لو يعلم العباد شكرها"[٤].

أخى الحبيب: ليست النعمة في الطعام والشراب فقط كما يظن البعض بل إنَّ نعم الله تحيط بك من كل جانب.

قال أبوالدرداء "من لم يعرف نعمة الله عليه إلا في مطعمه وشرابه فقد قل علمه وحضر عذابه"[٥].

---

(١) **متفق عليه:** أخرجه البخاري (٦٣١٢، ٦٣١٤، ٦٣٢٤)، مسلم (٢٧١١).

(٢) **متفق عليه:** أخرجه البخاري (١٧٩٧، ٢٩٩٥، ٣٠٨٤، ٣٠٨٥، ٣٠٨٦)، مسلم (١٣٤٤، ١٣٤٥).

(٣) الشكر لابن أبى الدنيا (١/ ٤٠).

(٤) عدة الصابرين لابن القيم (١/ ١٠٤).

(٥) الزهد لابن المبارك (١٥٥١)، تاريخ دمشق (٤٧/ ١٦٨)، شعب الإيمان (٤/ ١١٣)،=

- كان عمر بن عبدالعزيز ما قلب بصره إلى نعمة أنعم الله بها عليه إلا قال "اللهم إني أعوذ أن أبدل نعمتك كفرًا"[(١)].

- كان محارب بن دثار يقوم بالليل ويرفع صوته أحيانًا ويقول:

أنا الصغير الذي ربيته فلك الحمد...

وأنا الضعيف الذي قويته فلك الحمد...

وأنا الفقير الذي أغنيته فلك الحمد...

وأنا العزب الذي زوجته فلك الحمد...

وأنا المريض الذي شفيته فلك الحمد...

وأنا السائل الذي أعطيته فلك الحمد...

وأنا الداعى الذي أجبته فلك الحمد...

ربنا ولك الحمد حمدًا كثيرًا [(٢)].

❁ فوائد الشكر:

✍ الشكر يزيد النعم:

قال تعالى ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ ﴾ [إبراهيم: ٧].

فكم من صاحب مال شكر نعمة الله عليه وتصدق ببعض ماله وأزاد الله

=الحلية لأبى نعيم (١/ ٢١٠).

(١) عدة الصابرين لابن القيم (١/ ١٠١).

(٢) شعب الإيمان (٤/ ١٤٢)، تاريخ دمشق (٥٧/ ٦٢)، التهجد وقيام الليل لابن أبى الدنيا (١/ ١٥٤)، الشكر لابن أبي الدنيا (١/ ٦٨).

ماله.

قال تعالى ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضۡعَافًا كَثِيرَةً وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٢٤٥﴾ [البقرة: ٢٤٥].

وكم من عابد قام بالليل ليشكر نعمة الله عليه بالعافية والتوفيق للخير، فقام وركع ركعتين وإذا بالله يزيده فتصبح أربعًا ثم تزيد فتصير إحدى عشرة.

وكم من باحث عن الولد بعدما حرم منه كثيرًا، فلما رزقه الله وشكر نعمة الله عليه زاده الله وأقر عينيه بصلاحه وأنعم عليه بغيره، وغير ذلك من النعم.

أخى الحبيب:

إن كنت تريد أن تحفظ نعمة الله عليك فاشكر نعمته عليك.

الشكر يجلب للعبد رضا الله عنه:

إنَّ غاية مراد الصالحين والصديقين والشهداء أن يرضى الله عن أعمالهم إذ هو ربهم وهم صائرون إليه.

والعبد العائد إلى سيده وهو راض عنه غير العبد العائد لسيده وهو ساخط عليه.

قال تعالى ﴿إِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمۡۖ وَلَا يَرۡضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلۡكُفۡرَۖ وَإِن تَشۡكُرُواْ يَرۡضَهُ لَكُمۡۗ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۗ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرۡجِعُكُمۡ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ٧﴾ [الزمر: ٧].

ورضا الله عن العمل هو رضا عن العامل، وإذا رضى الله عن العامل فقد بلغ غاية المجد.

الشكر يرفع العذاب والمقت:

أخي الحبيب:

اعلم أنَّ الله لايريد أن يعذب العباد ولكن العذاب يكون بتفريطهم وبما كسبت أيديهم لذا فإنَّ رحمت الله غلبت غضبه لذا يقول الله تعالى ﴿ مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾ ﴾ [النساء: ١٤٧].

فالإيمان والشكر يحجبان العبد عن عذاب الله.

وغير ذلك من فضائل الشكر وفوائده.

❁ جزاء من كفر نعمة الله عليه:

إنَّ من كفر بنعمة الله عليه يستحق العقاب في الدنيا والآخرة...

في الدنيا بزوال النعم منه أو بمحق البركة منها، وفي الآخرة بغضب الله وسخطه.

فكما أنَّ الشكر والإيمان يفتحان أبواب البركة فإنَّ الكفر بالنعمة وعدم الشكر عليها يمحقها.

قال تعالى ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ [الأعراف: ٩٦].

- ويبين الله تعالى في كتابه كيف فعل الله بأناس كفروا بنعمة الله عليهم وكيف تبدل حالهم بعد النعمة مشقة وسخطًا.

قال تعالى ﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِى مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ ۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ ۖ كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ ۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ ﴾ [سبأ: ١٥].

❁ قرية سبإ:

إنها قرية فتح الله عليها أبواب الرزق والخيرات...

وجعل للقرية جنتين عن اليمين والشمال...

وأوسع الله لها من الرزق...

فكانت المرأة تمر بالمكتل تحت الشجر فيمتلئ المكتل من دون تعب أو جهد.

وكان ماؤها عذبًا زلالًا... وكان هواءها طيِّبًا نقيًّا...

وكانت بلدة آمنة فهى في قرى متصلة لا يشعرون بعناء السفر إذا سافروا.

إنهم سعداء آمنون في حلهم وترحالهم.

صدق فيها قول الله تعالى ﴿بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ﴾.

وأعظم من ذلك أنَّ ربهم رب غفور...

لكنهم مع ذلك أعرضوا وبدلوا وكفروا نعمة الله عليهم...

بل إنهم سئموا نعمة الله عليهم...

فلما كفروا بنعمة الله سلبهم الله النعمة وسلبهم التوفيق...

حتى عند الدعاء يدعون الله بالمشقة والعنت في أسفارهم ﴿فَقَالُوا۟ رَبَّنَا بَـٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَـٰهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَـٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾﴾ [سبأ: ١٩].

فبدد الله نعمه من أيديهم، وسلبهم النعم، ومزقهم الله كل ممزق قال تعالى ﴿ فَأَعْرَضُوا۟ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَـٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾﴾ [سبأ: ١٦].

فلما تبدلت نفوسهم وانتكست فطرتهم فرأوا النعيم عذابًا والنعمة نقمة...

فالله أراد بهم الخير وهم أرادوا لأنفسم العنت والشر.

فالله تعالى لم يعطهم ما أرادوا وما طلبوا بل فرق بينهم ومزقهم وأرسل عليهم السيل الذي أغرق أموالهم وبساتينهم وما ظلمهم الله ولكن كانوا أنفسهم يظلمون قال تعالى ﴿وَظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ﴾

ثم بين تعالى أنه فعل بهم ذلك لكفرهم، وللعظة والعبرة لمن بعدهم.

ثم ختم الله الآيات ببيان أنَّ الشاكرين هم المؤمنون والمتقون وأنَّ الذين يكفرون بنعمة الله هم أتباع الشيطان، وأنَّ الشيطان يعد الناس بالفقر ويأمر بالفحشاء مهما كان الظاهر على خلاف ذلك قال تعالى ﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغۡفِرَةٗ مِّنۡهُ وَفَضۡلٗاۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ٢٦٨﴾ [البقرة: ٢٦٨].

❁ إنَّ الله تعالى أنعم عليك لتشكره:

أخي الحبيب:

إنَّ الله تعالى أنعم على عباده لبيان أنه واسع الفضل...

وليشكره عباده على نعمه...

- فإذا أمنك أمنك لتشكره قال تعالى ﴿وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ أَنتُمۡ قَلِيلٞ مُّسۡتَضۡعَفُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمۡ وَأَيَّدَكُم بِنَصۡرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٢٦﴾ [الأنفال: ٢٦].

- إنَّ الله تعالى خلق العباد وأخرجهم من بطون أمهاتهم لا يعلمون شيئًا وجعل لهم أدوات للتعلم ليتعلموا بها ولكي يشكروه قال تعالى ﴿وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ

وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ [النحل: ٧٨].

- إذا نجاك من المهالك والظالمين إنما أراد منك أن تشكره فقال تعالى ﴿ فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [المؤمنون: ٢٨].

- إذا رزقك الولد يريدك أن تشكره قال تعالى ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ ۚ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٩﴾ ﴾ [إبراهيم: ٣٩].

- إذا فضلك على غيرك وعافاك من البلاء إنما ذلك لتشكره قال تعالى ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ ﴾ [النمل: ١٥].

وكان النبى ﷺ إذا رأى أهل البلاء حمد الله تعالى.

عن أبى هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: " من رأى مُبْتَلًى، فقال: الحمد لله الذي عافاني مِمَّا ابتلاك به، وفَضَّلنى على كثير مِمَّنْ خلق تفضيلًا، لم يصبه ذلك البلاء"(١).

- إن كنت مهمومًا وأذهب عنك ربك الهم والحزن يريد منك أن تشكره قال تعالى ﴿ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ [فاطر: ٣٤].

(١) أخرجه الترمذي (٣٤٣٢)، ابن ماجه (٣٨٩٢)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٦٠٢).

إلهنا ومولانا:

ما أكثر نعمك علينا، وما أكثر كفراننا...

وما أعظم حلمك بنا، وما أشد تقصيرنا...

وما أعظم عفوك عنا، وما أكثر ذنوبنا.

اللهم اعف عنا واغفر لنا واجعلنا من الشاكرين.

الخشية من الله تعالى

إنَّ الخشية هى التى جعلت أبا بكر صدِّيقًا [١]...

وجعلت عمر فاروقًا [٢]...

وجعلت عثمان ذا نورين [٣]...

وجعلت عليًّا من النبى ﷺ بمنزلة هارون من موسى [٤]..

هى التى جعلت أبا عبيدة أمينًا [٥]...

وجعلت الزبير حواريًّا [٦]...

وجعلت حمزة سيدًا للشهداء [٧]...

وجعلت خالدًا سيفًا من سيوف الله تعالى [٨]...

---

(١) تسمية الصديق صديقًا: أخرجه الحاكم في المستدرك (٣/ ٨١)، السيرة النبوية لابن كثير (٢/ ٩٦).

(٢) الطبقات الكبرى (٣/ ٢٧٠)، تاريخ دمشق (٤٤/ ٥٠)، معرفة الصحابة لأبى نعيم (١/ ٢٠٠)، وصححه الألباني في ظلال الجنة (٢/ ٣١٣).

(٣) أخرجه البيهقى في السنن الكبرى (٧/ ٧٣).

(٤) متفق عليه: أخرجه البخاري (٣٧٠٦)، مسلم (٢٤٠٤).

(٥) متفق عليه: أخرجه البخاري (٣٧٤٤، ٤٣٨٢، ٧٢٥٥)، مسلم (٢٤١٩).

(٦) متفق عليه: أخرجه البخاري (٢٨٤٦)، مسلم (٢٤١٥).

(٧) أخرجه الحاكم (٣/ ١٩٥)، وصححه الألباني في الصحيحة (٣٧٤).

(٨) أخرجه البخاري في صحيحه بغير ذكر لفظ خالد (٣٧٥٧)، أحمد (٤/ ٩٠)، وصححه الألباني في الصحيحة (١٢٣٧).

هى صفة واحدة اجتمعوا فيها جميعًا لذلك رفع الله ذكرهم آحادًا وجماعات وأفرادًا وأممًا.

﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ [الأنعام: ٩١].

إنَّ الخشية هى مناط العمل...

إن الخشية هى الحماية التى تحمى العبد أن ينحرف عن الطريق...

قال ابن عمر إنَّ النبى ﷺ قلَّما كان يقوم من مجلس إلا وكان يدعو ويقول " اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معصيتك " [(١)] فهى الحامل على طاعة الله تعالى وكلَّما ضعُفتْ وقلَّتْ اجترأتَ على الله تعالى.

لذلك فإنَّ الله تعالى ربَّى الناس على الخشية منه، وحثهم على ذلك وحذرهم من أن يضعف الخوف والخشية في قلوبهم.

فإنَّ الله تعالى كثيرًا في كتابه ما يخوف الناس ليحول بينهم وبين معصيته ويحثهم على طاعته ذلك لأنه يعلم أنَّ الناس مختلفون فمنهم من إذا ذكر الله وجلت قلوبهم ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢﴾ [الأنفال: ٢].

ومنهم من إذا ذكرت النار خافوا من النار وعذابها...

ومنهم من يحب العاجلة فإذا توعده الله تعالى بالخزي والعذاب في الدنيا خاف من الله وعاد إليه...

وكل ذلك ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ﴾ [النساء: ١٦٥].

فنوع الله تعالى أساليب التخويف منه لعلهم يذكرون ويخافون.

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٥٠٢)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١٢٦٨).

❁ أساليب تربية الناس على الخشية من الله :

✍ فمن ذلك التخويف منه مباشرة:

ومنه قوله تعالى ﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴿٤٠﴾ ﴾ [البقرة:٤٠]، وقوله ﴿ وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلۡتُ مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُمۡ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦۖ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗا وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ ﴿٤١﴾ ﴾ [البقرة: ٤١].

ومنه قوله ﴿ لَّا يَتَّخِذِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَلَيۡسَ مِنَ ٱللَّهِ فِي شَيۡءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنۡهُمۡ تُقَىٰةٗۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٢٨﴾ ﴾ [آل عمران:٢٨]، وقوله أيضًا ﴿ يَوۡمَ تَجِدُ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ مِنۡ خَيۡرٖ مُّحۡضَرٗا وَمَا عَمِلَتۡ مِن سُوٓءٖ تَوَدُّ لَوۡ أَنَّ بَيۡنَهَا وَبَيۡنَهُۥٓ أَمَدَۢا بَعِيدٗاۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴿٣٠﴾ ﴾ [آل عمران: ٣٠].

فلابد أن تتذكر دائمًا أنَّ الله كما أنه غفور رحيم فإنَّ أخذه أليم شديد وأنه إليه المصير.

✍ ومن ذلك ذكر النار:

فإن ذلك قد يؤثر في بعض القلوب قال تعالى ﴿ فَأَنذَرۡتُكُمۡ نَارٗا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾ لَا يَصۡلَىٰهَآ إِلَّا ٱلۡأَشۡقَى ﴿١٥﴾ ٱلَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٦﴾ ﴾[الليل: ١٤ – ١٦]، وقال ﴿ لَا تُبۡقِي وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٞ لِّلۡبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيۡهَا تِسۡعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [المدثر: ٢٨ – ٣٠]، وقال ﴿ إِنَّهَا تَرۡمِي بِشَرَرٖ كَٱلۡقَصۡرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٞ صُفۡرٞ ﴿٣٣﴾ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [المرسلات]

ومن تلك الأساليب ما يتناسب مع أصحاب العاجلة فيأمره الله تعالى أن ينظر حوله إلى من سبقه فقال ﴿ إِنَّ بَطۡشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ ﴾ [البروج:١٢].

ألم تر؟!

ألم تسمع؟!

ألم تصدق ربك كيف أنَّ الله تبارك وتعالى حرمهم من النعمة التى كانت بأيديهم وذهبت دنياهم سدى؟!

ولقوا الله تعالى وهو غضبان عليهم وكيف انتقهم منهم؟!

وبين أنَّ هذا ليس خاصًّا بهم بل هو لهم ولمن فعل فعلهم ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۖ وَلِلْكَٰفِرِينَ أَمْثَٰلُهَا ﴿١٠﴾﴾ [محمد: ١٠]، وقال تعالى ﴿وَمَا هِىَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾﴾ [هود:٨٣].

وقال ﴿وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٥﴾﴾ [القمر: ١٥]، وقال ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [هود: ١٠٢].

وكل ذلك لأنَّ الله يعلم أنه لا يحول بينك وبين المعاصى إلا أن تخاف الله تعالى.

فإنك إن لم تخف ستجترئ عليه وتتعدى حدوده...

إن لم تخف لن تعظم حرماته وشعائره...

فالله تعالى ينقذك من نفسك ويحول بينك وبين غضبه.

أهل الخشية هم أهل التذكرة والعبرة:

قال تعالى ﴿طه ﴿١﴾ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴿٢﴾ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٣﴾﴾ [طه: ١ – ٣].

أما الذي لا يخشى لا يتذكر ولا يعتبر، وقال تعالى ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾ [النازعات:٢٦].

أهل الخشية هم أهل السعادة في الدنيا والآخرة:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ٧ ﴾ [البيِّنة:٧] فإنَّ هذا النعيم لمن يخشى، لذلك قال في آخرها " ذلك لمن خشى ربه ".

أهل الخشية تزلف الجنة إليهم:

قال تعالى ﴿ وَأُزۡلِفَتِ ٱلۡجَنَّةُ لِلۡمُتَّقِينَ ٩٠ ﴾ [الشعراء:٩٠]، وقال تعالى أيضًا ﴿ وَأُزۡلِفَتِ ٱلۡجَنَّةُ لِلۡمُتَّقِينَ غَيۡرَ بَعِيدٍ ٣١ ﴾ [ق:٣١]، وأول صفة من صفاتهم هى صفة الخشية من الله تعالى قال تعالى ﴿ مَّنۡ خَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِ وَجَآءَ بِقَلۡبٖ مُّنِيبٍ ﴾ [ق:٣٣] وقال تعالى ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخۡشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقۡهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ٥٢ ﴾ [النور:٥٢].

فالخشية توصل إلى الفوز...

الفوز في الدنيا بتوفيق الله وحفظه ومعيته...

والفوز في الآخرة برضا الله والجنة والنعيم والمقيم.

❁ من هم أهل الخشية؟

هم أهل الطاعة فالمؤمن يجمع عملًا وخشية فإنه يعمل ويخاف الله تعالى، أما الكافر والمنافق فإنه يجمع بين الإساءة في العمل وعدم الخوف من الله تعالى.

❁ صور للخوف من الله تعالى:

الملائكة يخافون الله تعالى:

﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ۩ ٥٠ ﴾ [النحل:٥٠] فلما خافوا الله فعلوا ما يؤمرون به، وكان النبي ﷺ قد رأى جبريل ليلة أسري به

كالحلس البالى من خشية الله تعالى [١] وجبريل هو الملك العظيم الذي كان يسد الأفق [٢] كان يخاف من الله تعالى.

ويقول النبى ﷺ ورأيت ميكائيل لم يضحك قط فلما سأل النبى ﷺ عن ذلك قيل ما ضحك منذ خلقت النار[٣]، مع أنها لم تخلق له.

إنما ذلك من خشية الله تعالى فإنهم يعلمون قدر الله تعالى وأنه يستحق الخوف منه وخشيته.

الأنبياء يخافون الله تعالى:

وهم أقرب الناس إلى الله تعالى وكانوا أعظم الناس خشية من الله تعالى.

فآدم عليه السلام لما عصى الله ونزل إلى الأرض قيل إنه ما رفع رأسه إلى السماء قط حياءً من ربه [٤] من معصية فعلها وتاب الله عليه منها.

قال وهيب بن الورد: وكان نوح عليه السلام لما سأل الله أن يجعل ابنه معه فعاتبه الله تعالى ﴿قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [هود: ٤٦] ظل نوح يبكى من هذه المعاتبة حتى صار تحت عينيه كأمثال الجداول من البكاء من خشية الله تعالى [٥]، وهو نبي مرسل لكنه يخاف الله تعالى ويعلم أنَّ سلم الوصول إلى

---

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط (٥/ ٦٤)، وابن أبى عاصم في "السنة " (٦٢١)، وحسنه الألباني في الصحيحة (٢٢٨٩).

(٢) أخرجه البخاري (٣٢٣٥).

(٣) أخرجه الحاكم (٢/ ٨٠، ٨١)، وغيره، وحسنه الألباني في الصحيحة (٢٥١١)، وكان قد ضعفه في الضعيفة (٤٤٥٤) وتراجع عن تضعيفه.

(٤) تفسير البغوي (١/ ٨٥)، البحر المحيط لأبى حيان الأندلسى (١/ ٢٢٠).

(٥) مختصر منهاج القاصدين (٤/ ٧٢)، كتاب التوابين لابن قدامة (١/ ١٢)، حلية الأولياء=

مرضات الله تعالى هى خشيته.

وكان داود يبكى بكاءًا شديدًا حتى يؤثر فيمن حوله...

وكان عندما يعاتب في ذلك...

أنت نبيٌّ من الأنبياء لم كل هذا البكاء؟

فيقول: دعوني أبكى قبل يوم البكاء...

دعوني: أبكى...

قبل أن تحترق العظام...

وتشتعل اللحى...

فيقوم الناس ويقفون بين يدي الله تعالى [١].

قال مجاهد: كان يحيى بن زكريا يبكى حتى يبل الثرى حتى أنه كان يؤثر في أبيه زكريا...

فقال له يومًا: إني سألت الله قرة عين، لم أسأله ابنًا يعذبنى.

فكان يقول: يا أبتى لقد أخبرني جبريل أنَّ بين الجنة والنار مفاوز لا يقطعها إلا البكاء من خشية الله تعالى [٢].

فأمر الله عباده أن يخافوه لكى ينقذهم من هذه المفاوز.

لذلك كان النبي ﷺ يبين أنَّ الخوف من الله ينقذ الإنسان من نار جهنم

=(٨/ ١٤٤).

(١) تفسير الطبري (٢٤/ ١٨٤)، الرقة والبكاء لابن أبى الدنيا (١/ ٤٠٨).

(٢) تاريخ دمشق (٦٤/ ٢٠١) عن مجاهد.

فيقول النبيُّ ﷺ " **لا يلج النارَ رجلٌ بكى من خشية الله** "[١] وكأنَّ البكاء هو دليل الخشية والخوف.

❁ الخوف من الله يعظم العمل الصغير:

فالعمل الصغير يعظمه الخوف من الله يقول النبى ﷺ " **ليس شيءٌ أحب إلى الله تعالى من قطرتين وأثرين قطرة دم تراق فِي سبيل الله وقطرة دمعة تسيل من خشية الله**"[٢]. فجعل الله تبارك وتعالى قطرة الدم التى تراق من الشهداء فِي سبيل الله تساوى قطرة الدمعة التى تسيل من خشية فهذا عمل صغير لكنه عظم بخشية الله فصارت أحب الأعمال إلى الله تعالى.

خوف الصالحين:

وكان عمر من خوفه من الله يبكى حتى أصبح تحت عينيه خطان أسودان من البكاء.

وكان إذا أريد منه شيء ذكر بالله والآخرة...

فجاءه أعرابي يطلب منه شيئًا لأهله وأبنائه فقال له:

يـــــا عمـــــر الخيـــــر جُزيـــــت الجنـــــة
اكـــــــس بنيـــــــاتى وأمهنـــــــه
أقســـــــم بـــــــالله لتفعلنـــــــه

فقال عمر: وإن لم أفعل ماذا يكون يا أعرابى قال: أقسم بالله لأمضينَّه

قال: فإن مضيتَ ماذا يكون يا أعرابي؟ قال:

---

(١) أخرجه الترمذي (١٦٣٣)، النسائى (٣١٠٨)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٧٧٨).

(٢) أخرجه الترمذي (١٦٦٩)، وحسنه الألباني في المشكاة (٣٨٣٧).

والله عـــــن حـــــالى لتســـــألنه في يـــوم تكـــون الأعطيـــات منَّـــه
والواقـــف المســـئول بينهنـــه إمـــا إلـــى نـــار وإمـــا جنـــة

فبكى عمر رضي الله عنه وأمر له بعطاء وقال أعطوه لذلك اليوم لا لشعره.

- ولما ذهب عمر يتحسس أخبار رعيته...

فرأى امرأة عجوزًا تضع قدرًا على ماء وأطفالها يبكون...

فلما سألها... قالت: الله بيننا وبين عمر...

فما استطاع عمر أن يسمع هذه الكلمات...

وعاد مسرعًا وأتى بالدقيق يحمله على ظهره وأطعم أبناءها...

عن أسلم أنَّ عمر بن الخطاب طاف ليلة فإذا هو بامرأة في جوف دار لها وحولها صبيان يبكون وإذا قدر على النار قد ملأتها ماء فدنا عمر بن الخطاب من الباب فقال يا أمة الله إيش بكاء هؤلاء الصبيان فقالت بكاؤهم من الجوع قال فما هذه القدر التى على النار فقالت قد جعلت فيها ماء هو ذا أعللهم به حتى يناموا وأوهمهم أنَّ فيها شيئًا فجلس عمر فبكى قال ثم جاء إلى دار الصدقة وأخذ غرارة وجعل فيها شيئًا من دقيق وسمن وشحم وتمر وثياب ودراهم حتى ملأ الغرارة ثم قال يا أسلم احمل على قال فقلت يا أمير المؤمنين أنا أحمله عنك فقال لى لا أم لك يا أسلم بل أنا أحمله لأني أنا المسؤول عنهم في الآخرة قال فحمله على عنقه حتى أتى به منزل المرأة قال وأخذ القدر فجعل فيها دقيقًا وشيئًا من شحم وتمر وجعل يحركه بيده وينفخ تحت القدر قال أسلم وكانت لحيته عظيمة فرأيت الدخان يخرج من خلل لحيته حتى طبخ لهم ثم جعل يغرف بيده ويطعمهم حتى شبعوا ثم خرج وربض بحذائهم كأنه سبع وخفت منه أن أكلمه فلم يزل كذلك حتى لعبوا وضحك الصبيان ثم قام فقال يا أسلم أتدري لم ربضت بحذائهم قلت

لا يا أمير المؤمنين قال رأيتهم يبكون فكرهت أن أذهب وأدعهم حتى أراهم يضحكون فلما ضحكوا طابت نفسي [١].

إنَّ الخوف هو الداعى إلى الخير والمانع من الشر والمعاصى.

- إنه يخاف الله حتى إذا فتحت عليه الدنيا، فانَّ الخوف لا يفارق قلبه.

عن ابن عباس قال: دعاني عمر وبين يديه نطع عليه الذهب منثور فأمرني بتقسيمه فأكببت عليه أقسمه... فسمعت البكاء...

فإذا صوت عمر يبكى ويقول: والذي نفسى بيده ما حبسه الله عن نبيه ﷺ وعن أبى بكر إرادة الشر بهما وأعطاه عمر إرادة الخير به [٢].

بل إنَّ عمر الفاروق المبشر بالجنة من خوفه من الله يتمنى لو لم يكن ولد.

عن عبد الله بن ربيعه قال: رأيت عمر أخذ تبنة من الأرض وقال ليتنى لم أك شيئًا وليت أمى لم تلدني [٣].

وإنَّ من أعظم آثار الخشية من الله أن يضع الله لصاحبه المهابة في قلوب الخلق.

ولما كان عمر من أشد الناس خشية لله وضع الله له المهابة في قلوب خلقه.

_ وكان ابن عباس يريد أن يسأله عن المسأله فيمكث سنة لا يسأله مهابة

---

(١) تاريخ دمشق (٤٤/ ٣٥٢).

(٢) الأحاديث المختارة للضياء المقدسى (١/ ١٠٥)، الطبقات الكبري لابن سعد (٣/ ٣٠٣)، وابن عساكر (٤٤/ ٣٤٣).

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٧/ ٩٨).

له[١].

ـ وكانت النسوة عند رسول الله ﷺ عالية أصواتهن فلما جاء عمر قمن يبتدرن الحجاب هيبة له.

عن سعد بن أبى وقاص رضي الله عنه قال:استأذن عُمَر بن الخطاب على رسول الله ﷺ، وعِندَه نسوة من قريش يكلمنه ويستكثرنه، عالية أصواتهن على صوته، فلما استأذن عُمَر بن الخطاب قمن فبادرن الحجاب، فأذن له رسول الله ﷺ فدخل عمر ورسول الله ﷺ يضحك، فقال عمر: أضحك الله سنك يا رسولَ اللهِ، فقال النبيُّ ﷺ: " **عجبت من هؤلاء اللاتى كن عندى، فلما سمعن صوتك ابتدرن الحجاب** " فقال عمر: فأنت أحق أن يهبن يا رسولَ اللهِ، ثم قال عمر: يا عدوات أنفسهن أتهبننى ولا تهبن رسول الله ﷺ؟ فقُلْن: نعم أنت أفظُّ وأغلظُ من رسولِ اللهِ ﷺ، فقال رسولُ اللهِ ﷺ " **إيه يا ابن الخطاب، والذى نفسى بيده، ما لقيك الشيطان سالكًا فجًّا قط إلا سلك فجًّا غير فجك**"[٢].

بل إنَّ عمر كانت له مهابة فى نفس النبى ﷺ:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: أتيتُ رسولَ اللهِ ﷺ بخَزيرَةٍ طَبَخْتُهَا لهُ فقلتُ لسَوْدَةَ والنبيُّ ﷺ بينى وبينَها فقلتُ لها كُلِى فأَبَتْ فقلتُ لتأكلنَّ أو لألطخَنَّ وجهَكَ فأَبَتْ فوضعتْ يدي في الخَزيرَةِ فطليتُ بها وجهَها فضحكَ النبيُّ ﷺ فوضعَ فَخِذَهُ لها وقال لسَوْدَةَ **الْطخِى وجهَها** فلَطَخَتْ وجهى فضحكَ النبيُّ ﷺ أيضًا فمرَّ عمرُ فنادى يا عبدَ اللهِ يا عبدَ اللهِ فظنَّ النبيُّ ﷺ أنهُ سيدخلُ فقال لهما قُومَا فاغسلا وجوهَكما قالت عائشةُ فما زِلْتُ أهابُ عمرَ لهيبَةِ

(١) أخرجه البخاري (٤٩١٣)، مسلم (١٤٧٩).
(٢) أخرجه البخاري (٦٧٨)، مسلم (٢٣٩٦)، واللفظ للبخارى.

رسولِ اللهِ ﷺ إياهُ "[١].

بل إنَّ الله جعل لعمر المهابة في قلوب الجن والشياطين:

فإنَّ الشيطان ما رأى عمر سالكًا فجًّا إلا سلك فجًّا آخر. كل ذلك لأنه كان يخاف الله ويهابه فعن سعد بن أبي وقاص قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ " **إيهٍ يا ابنَ الخطَّاب، والذي نفسي بيدِه، ما لقِيَك الشيطانُ سالكًا فجًّا إلا سلَك فجًّا غيرَ فجِّك** "[٢].

فالخوف من الله تعالى من سيما الصالحين.

إنَّ عمر رضي الله عنه صلى بالناس يومًا فقرأ بسورة الطور حتى إذا وصل لقوله تعالى ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ۝٧﴾ [الطور:٧] فما زال يبكي فما استطاع أن يكمل وجلس في بيته[٣].

هذا من آية واحدة حركت وجدانه وكيانه وهو عمر الفاروق رضي الله عنه.

- كان عثمان رضي الله عنه يقول لو أني بين الجنة والنار ولم أعلم ما يحكم بي لتمنيت أن أكون رمادًا فلا جنة ولا نار [٤] وهو عثمان المبشر بالجنة الذي تستحيي منه الملائكة[٥].

كان الثوري جالسًا يومًا في مجلس فانطفأ السراج فعمت الظلمة الغرفة فبعد ذلك أشعلوه فوجدوا سفيان دموعه انهمرت فقالوا مالك قال تذكرت

---

(١) أخرجه أبويعلى (٤٤٧٦)، وحسن الألباني إسناده في السلسلة الصحيحة (١٠/ ٢١).
(٢) أخرجه البخاري (٦٦٨٣)، مسلم (٢٣٩٦)، واللفظ للبخاري.
(٣) أبوعبيد في فضائل القرآن (١/ ١٥٧)، تفسير ابن كثير – سورة الطور- (٣٤٠).
(٤) أبونعيم في الحلية (١/ ٦٠)، وابن أبي الدنيا في كتاب المتمنين عن ابن مسعود (٧٢).
(٥) أخرجه مسلم (٢٤٠١).

القبر [١].

قال أبو عمر الجوني: أرتنى أمى موضعًا في البيت قد انحفر...

فقلت لها: ما هذا؟

قالت: هذا موضع دموع أبيك [٢].

والأسود بن يزيد كان يصلى ويبكى طوال الليل وكانت زوجته تجلس خلفه وتبكى لبكائه رحمة به فلما حضرته الوفاة اشتد بكاءه فقال له جلوسه ما هذا الجزع؟

قال: كلا وربى... ولكننى وإن غفر الله أستحيى أن أقف بين يدي ربى [٣].

كان مالك بن دينار يبكى ويقول: يارب إذا جمعت الأولين والآخرين فحرم شيبة مالك على النار فما زال كذلك حتى طلع الفجر [٤].

قال الحسن البصري لحمزة الأعمى:

يابنى أَدِم الحزن على خير الآخرة لعل الله يوصلك إليه، وابك فى ساعات الخلوة لعل مولاك يطلع عليك فيرحم عبرتك فتكون من الفائزين [٥].

---

(١) فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب لمحمد نصر الدين محمد عويضة (٥/ ١٢٤).

(٢) الرقة والبكاء لابن أبى الدنيا (١/ ٤٤٦).

(٣) سير أعلام النبلاء (٤/ ٥٢) عن علقمة "كان الأسود يجتهد في العبادة.....".

(٤) الزهد لأحمد بن حنبل (١/ ٣٢٥)، تاريخ دمشق (٥٦/ ٤١٣)، صفة الصفوة (٣/ ٢٨٢).

(٥) تهذيب الكمال (٦/ ١١٥)، البداية والنهاية (٩/ ٢٩٨)، الرقة والبكاء لابن أبى الدنيا (١/ ٣٩).

- لا حل لك إلا أن تنبت بذرة الخوف والخشية في قلبك لتفوز بالدنيا والآخرة:

قال الحسن البصرى: ما اغرورقت عين من خشية الله إلا لا تمس هذا الوجه النار أبدًا...فإن سال الدمع على الخدين لا يرهق هذا الوجه قطر ولا ذلة أبدًا...

وإن لكل عمل رزقًا وثوابًا إلا الدمع من خشية الله فإن الله يصلح بها ما شاء من حر النار...

فلو بكى رجل في قوم من خشية الله لأرجو أن يرحمهم الله جميعًا به [١].

فإنَّ العبد لو خاف الله تعالى ما أخذ رشوة...

إنَّ العبد لو خاف الله تعالى ما رأينا عين تنظر إلى النساء...

وإنَّ المرأة لو خافت الله تعالى ما كشفت عورتها...

وإننا لو خفنا الله تعالى ما غش بائع في بيعه...

وما كذب كاذب... ولا خان خائن... وما نقض أحد عهده.

فإن قيل أليس هذا الخوف يصيب العبد باليأس والقنوط؟

إنَّ ذكر الخوف من الله تعالى لا يصيب الإنسان باليأس والجزع بل لإعادة الحسابات مرة ثانية والعودة إلى الله تعالى.

❁ العودة إلى الله تكون بوقفتين:

✍ الوقفة الأولى: وقفة تحاتب فيها نفسك:

إنَّ عبد الرحمن بن مهدي كان يقول ما عاشرت رجلًا أرق من سفيان

(١) صفة الصفوة (٣/ ١٤٩)، أبونعيم في الحلية (٧/ ٦٠).

الثوري كان ينام أول الليل ثم يقوم فزعًا ثم يقول النار النار لقد أفزعتنى النار وألجمت شهواتي ونومى ثم يتوضأ ويبدأ في صلاته وينظر إلى السماء ويقول اللهم إنك تعلم حاجتى وما أريد إلا فكاك رقبتى [١].

إنه ينظر إلى ذنوبه كما يقول ابن مسعود كأنها جبل يوشك أن يقع عليه[٢].

لابد أن تقف مع نفسك وتتذكر ذنوبك...

انظر إلى ما مضى من عمرك لترى أعمالك التى ستقف بها أمام الله تعالى. وقل لنفسك:

يا نفسى: ويحكِ أيَّ ذنب لم تعملى وأيَّ خطيئة لم تخطئى؟!

يا نفسى: قد ذهبت المعصية بشهوتها وبقيت لك تبعتها...

يا نفسى: إنك تريدين أن تهلكينى اليوم وغدًا عند الله تخاصمينى...

يا نفسى: ستقفين بين يدي الله تعالى فبأي لسان ستكلمين ربك بلسان كذوب أم بلسان صاحب غيبة أو نميمة أو سب ولعن...

يانفسى: كيف تقلك قدماك التى طالما سارعت في المعاصى والذنوب والمنكرات وخلف النساء وفي شرب المخدرات...

يانفسى كيف ستسمعين كلام الله تعالى بأذن لطالما عكفت على المعازف والغناء وسماع المنكرات...

حدث نفسك...

إنَّ العتاب أول خطوة على الطريق.

---

(١) تاريخ دمشق (٣٤/ ١٣٩).

(٢) أخرجه البخاري (٦٣٠٨).

قل لها يانفسى: ما الذي غرك بربك الكريم ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ٦ ﴾ [الانفطار: ٦]...

الدنيا: فالدنيا متاعها متاع الغرور...

الشيطان: إنَّ الشيطان لكِ عدو فاتخذيه عدوًّا...

المال والبنون:فالمال والبنون زينة الحياة الدنيا.

فما الذي جعلك تغفل؟!

إن الله جعل معك ملائكة ما استحييت منهم وما راقبت ربك...

حفظوا إذ نسيتَ...

وانتبهوا إذ غفلتَ...

وكل ذلك عند ربك في كتاب لا يضل ربك ولا ينسى...

﴿ قَالَ عِلۡمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٖۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ٥٢ ﴾ [طه: ٥٢].

أخى الحبيب:

قل لها يانفس:

ستبدل الأرض غير الأرض والسماوات وكانتا تطيعان وكنت أعصى...

وانكدرت النجوم وليس لها من العمل مثل عملى...

وسُيِّرت الجبال مع أنها لم تخطئ مثل خطيئتى...

وحُشرت الوحوش مع أنها لم تطلب بمثل ما يطلبنى ربى...

وشاب الوليد وليس له من الذنب مثل ذنبى...

فلابد أن تقف مع نفسك وقفة تعاتب فيها نفسك.

قف وارجع خطوة إلى الوراء...

وسترى شعاع النور يضيء لك، وأبواب الخيرات مفتحة أمامك.

✍الوقفة الثانية: وقفة تحظم فيها رجاءك بربك:

وقفة تتذكر فيها ربك وتتذكر أنَّ الله تبارك وتعالى أمرك بالرجوع إليه وأنه يتنظرك ويقبلك.

إنَّ من خاف شيئًا فَرَّ منه إلا الله الملك من خافه أنس به وفَرَّ إليه.

لذلك فالله تعالى بعد ما يخوفك من النار ويحذرك نفسه يقول لك عبدي فر إليَّ ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥٠ ﴾ [الذاريات: ٥٠] ويفتح لك أبواب رحمته.

قم إليه بالليل كما كنت تسهر على المعاصى والذنوب وتوسلْ إليه.

وقل: يارب... ذنوبى كثيرة... لكن رحمتك أوسع... إنها وسعت كل شيء ألا تسعنى.

قل:

يـــارب إن عظمـــت ذنـــوبي كثـــرة	فلقـــد علمـــتُ بـــأنَّ عفـــوك أعظـــمُ
إن كـــان لا يرجـــوك إلا محســـن	فـــبمن يلـــوذ ويســـتجير المجـــرمُ
ربـــي دعـــوتُ كمـــا أمـــرتَ تضـــرعًا	فـــلإن رددتَ يـــدي فمـــن ذا يـــرحمُ

حينها ستجد ربك ربًّا رحيمًا يفتح لك أبواب الخير ويستقبلك ويفرح بك أكثر مما تفرح أمك بك.

فلابد أن تلبس ثوب الرجاء حينما يرقد الناس...

وارفع أكف الضراعة لربك لعله يغفر لك ما مضى...

وأن يرزقك الخشية والتوفيق فيما بقى خشية تحول بينك وبين معصيته.

فلابد أن تلقى الله تعالى بهذا الحال وإلا ستخسر كثيرًا... وقل يا رب:

لبســـتُ ثـــوب الرجـــا والنـــاس قـــد رقـــدوا
وبـــتُّ أشـــكو إلـــى مـــولاي مـــا أجـــد
وقلـــــتُ ياعـــــدتي في كـــــل نازلـــــة
ومـــن عليـــه لكشـــف الضـــر أعتمـــد

كان أبو سليمان الدارانى يقول: إلهى لإن طالبتنى بذنوبى لأطالبنك بعفوك ولإن طالبتنى بتوبتى لأطالبنك بسخائك ولإن أدخلتنى النار لأخبرنَّ أهل النار أني أحبك [١].

وكان عتبة الغلام: يصلى على الساحل ويبكى ويقول إلهى إن أدخلتنى النار فإني أحبك، وإن أدخلتنى الجنة فإني أحبك، وما أراك يا مولاي تعذب محبيك بالنار [٢].

الله أرحم بك من والديك:

قال البخاريُّ: سمعتُ بعض أصحابنا يقول: عاد حمَّادُ بنُ سلمة، سفيانَ الثَّوريَّ فقال سفيان: ياأبا سلمة أترى يغفر اللهُ لمثلى؟ فقال حمَّادٌ: وَاللهِ لو خُيِّرتُ بين محاسبة الله إيَّاى وبين محاسبة أَبَوَيَّ لاخترتُ محاسبة اللهِ على محاسبة أَبَوَيَّ، وذلك أَنَّ الله تعالى أرحم بى من أَبَوَيَّ [٣].

أخى الحبيب لابد أن ترجع إلى الله وأن تنبت بذرة الخشية والخوف من الله فهى التى يحول الله تعالى بها بينك وبين معاصيه ويفتح لك بها أبواب الجنة.

(١) حسن الظن بالله لابن أبى الدنيا (١/ ٤٥).
(٢) صفة الصفوة (٣/ ٣٧١)، تاريخ الإسلام للذهبي (٤/ ٤٥١).
(٣) تهذيب الكمال (٧/ ٢٦٦).

التوكل على الله

هى صفة يهدي الله به قلوب الحيارى، ويضىء بها طريق الظلمات...

وهى صفة تنشرح بها الصدور...

فمن كان به هم أو حزن أذهبه الله بالتوكل، ومن استوحش الناس كان أنسه في التوكل...

ومن ظلمه الناس كان نصره بالتوكل، ومن ضاق عليه رزقه وسعه الله بالتوكل... ومن اتسع له رزقه زادت بركته بالتوكل.

❁ تعريف التوكل:

التوكل لغة: هو الاعتماد على الغير في أمر ما.

فالمتوكل على الله هو الذى يعلم أنَّ الله كافله فيركن إليه وحده ولا يتوكل على غيره ويعتمد عليه.

التوكل اصطلاحًا: هو صدق اعتماد القلب على الله في استجلاب المصالح ودفع المضار من أمور الدنيا والآخرة.

قال الجرجانى: التوكل هوالثقة بما عند الله واليأس عما في أيدي الناس[(١)].

التوكل: هو صرف العين عن ملاحظة الوسائط والأسباب إلى مسبب

(١) التعريفات للجرجاني (١/ ٩٧).

الأسباب.

التوكل: هو رفع العين عن الالتفات عما عداه وعدم الاعتماد على مدبر سواه.

التوكل على الله: كانطراح الميت بين يدي مغسله يقلبه كيف يشاء.

التوكل: هو الرضا بالله وكيلًا.

سئل يحيى بن معاذ: متى يكون الرجل متوكلًا على الله؟

قال إذا رضى بالله وكيلًا [(١)].

❁ لماذا نتوكل على الله؟

نتوكل على الله لأنَّ مقاليد الأمور بيديه.

نتوكل على الله لأنَّ جلب الخير بيديه.

نتوكل على الله لأنَّ رفع الضرِّ لايكون إلا بأمره ولأنَّ المرجع والمآل والمصير إليه.

نتوكل عليه لأنه الواحد الأحد الفرد الصمد فلا نتوكل إلا عليه.

نتوكل على الله لأنَّ التوكل يجلب لك محبة الله فإنَّ الله يحب المتوكلين

نتوكل على الله لأنَّ طريق الاستقامة والهداية بيديه ﴿ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ إبراهيم: ١٢].

نتوكل على الله لأنَّ خزائن السماوات والأرض بيديه يقبض ويبسط ما

(١) مدارج السالكين لابن القيم – منزلة التوكل – (٢/ ١١٥).

شاء لمن شاء.

نتوكل على الله لأنه بيديه كل أمر وبركته وتيسيره.

❁ مواطن التوكل:

١- عند طلب النصرة إذ نصر الله لا هزيمة معه قال تعالى ﴿إِن يَنصُرۡكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمۡۖ وَإِن يَخۡذُلۡكُمۡ فَمَن ذَا ٱلَّذِي يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعۡدِهِۦۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١٦٠﴾ [آل عمران:١٦٠].

٢- عند إيذاء الناس لك وإعراضهم عنك واستوحاشك للدنيا ﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٞ فَإِذَا بَرَزُواْ مِنۡ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٞ مِّنۡهُمۡ غَيۡرَ ٱلَّذِي تَقُولُۖ وَٱللَّهُ يَكۡتُبُ مَا يُبَيِّتُونَۖ فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ٨١﴾ [النساء].

٣- عند نصب الشيطان شراكه لك قال تعالى ﴿إِنَّهُۥ لَيۡسَ لَهُۥ سُلۡطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٩٩﴾ [النحل: ٩٩].

٤- عند المصائب والبلاء فإنَّ المصائب تهون بالتوكل قال تعالى ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوۡلَىٰنَاۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٥١﴾ [التوبة: ٥١].

❁ من هم المتوكلون على الله؟

المتوكلون على الله هم الأخيار بل هم أفاضل الأخيار هم الأنبياء والصالحون.

- فلقد كان إبراهيم من المتوكلين: فحينما وضع إبراهيم في النار لم يسأل الناس حاجته بل قال "حسبى الله ونعم الوكيل".

- وقال هود عليه السلام ﴿مِن دُونِهِۦۖ فَكِيدُونِي جَمِيعٗا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ٥٥ إِنِّي تَوَكَّلۡتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمۡۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٥٦﴾ [هود]

بل هى صفة سيد المرسلين ﷺ إذ أمره الله بذلك قال تعالى ﴿ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾ ﴾

[التوبة: ١٢٩].

وقالها حين كان في الغار وعلمها صاحبه "ما ظنك باثنين الله ثالثهما ".

❁ التوكل على الله فى كل وقت:

أخى الحبيب:

لعلك تظن أنَّ التوكل على الله يكون في الأمور العظام فقط...

وأنك قد تستغنى عنه ولا تحتاج إليه في غير ذلك...

أو لعلك تظن أنك تحتاجه وتتوكل عليه عند الغزو والجهاد مثلًا ثم تستغنى عنه إذا وضعت الحرب أوزارها... أو قد تظن أنك تتوكل عليه وتلجأ إليه إذا خرجت من بيتك تطلب التيسير والرزق فإذا عدت إلى بيتك وقد أعطاك من رزقه قد أخذت حاجتك ثم أنت لا تحتاج إليه...

أو قد تظن أنك تحتاج التوكل إذا كنت مستيقظًا فإذا ظهرت نجوم الليل ونامت أعين الناس وخمدت أجسامهم أنك لا تحتاج إليه...

كلا أخى الحبيب إنك لاتستغنى عن ربك طرفة عين.

لذا كان من دعائه " يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ، أَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ، وَلَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ "[(١)].

(١) أخرجه النسائى في السنن الكبرى (٩/ ٢١٢)، شعب الإيمان (٢/ ٢١٢)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٢٧).

فأنت تحتاج الله فى كل وقت لذا يجب عليك أن تتوكل عليه فى كل حال:-

عند الغزو: يطلب به النصر "فكان النبى إذا غزا قال اللهم! أنت عَضُدِي ونَصِيري، بك أحُولُ، وبك أصُولُ، وبك أقاتِلُ "[١].

عند الخروج من البيت: يطلب بها الهداية والكفاية والوقاية فقد كان النبى ﷺ إذا خرجَ الرجُلُ مِن بيته يقول" **باسم الله، توكلتُ على اللهِ، لا حولَ ولا قوةَ إلا بالله" قال: "يُقالُ حينئذٍ: هُدِيتَ وكفِيتَ وَوُقِيتَ، فتتنحَّى له الشياطينُ، فيقول شيطانٌ آخرُ: كيفَ لك برجل قد هُدِيَ وكُفِيَ ووقى؟ "**[٢].

عند دخول البيت: علمنا النبى ﷺ أن نقول" **بسم الله ولَجْنَا، وبسم الله خَرَجْنَا، وعلى الله ربنا تَوَكَّلنا، ثم ليُسَلِّمْ على أهله "**[٣].

عند النوم: فبين النبى ﷺ أنَّ آخر ما يقول العبد عند نومه "**اللهم أسلمْتُ نفسى إليك، وفوَّضْتُ أمري إليك، ووجَّهْتُ وجهى إليك، وألجأْتُ ظهري إليك، رغبةً ورهبةً إليك، لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك، آمَنْتُ بكتابك الذي أنزلْتَ، وبنبيك الذي أرسلْتَ. فَإنْ متَّ متَّ على الفطرة**»[٤].

وغير ذلك فأنت لاتستغنى عن ربك طرفة عين.

---

(١) أخرجه أبوداود (٢٦٣٢)، وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن أبى داود.

(٢) أخرجه أبوداود (٥٠٩٥)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١٦٠٥).

(٣) أخرجه أبوداود (٥٠٩٦)، وصحح الألباني إسناده في السلسلة الصحيحة (١/ ٢٢٤).

(٤) أخرجه البخاري (٦٣١٣)، مسلم (٢٧١٠).

❁ أمثلة تطبيقية على التوكل:

أولًا من حياة النبي ﷺ:

لقد كانت حياة النبى ﷺ كلها تدل على التوكل على الله تعالى.

فمن ذلك توكله على الله تعالى فى الهجرة:

في بيته:

وقد أحاط به أهل مكة وأرادوا أن يقتلوه فأمره الله تعالى بالهجرة لكنه أخذ بالأسباب وأدى ما عليه وتوكل على الله فنجا بفضل الله تعالى ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الأنفال: ٣٠].

في الغار:

حينما وصل أهل مكة إلى الغار ووقفوا على باب الغار وكان أبو بكر رضي الله عنه يقول يارسول الله لو أنَّ أحدهم نظر تحت قدميه لرآنا فقال النبى ﷺ مؤسسًا بقلبه التوكل على الله تعالى " **ما ظنك باثنين الله ثالثهما** "[(١)] ويقول تعالى ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾

[التوبة: ٤٠].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٥٣)، مسلم (٢٣٨١).

في الطريق:

وهو في طريقه ﷺ يدركه سراقة لكنه لا يلتفت، ويتوكل على الله، فأنجاه الله تعالى.

إنَّ حياة النبى ﷺ كانت مليئة بالتوكل على الله.

فكان ينام تحت ظل شجرة ويجيء الرجل ويأخذ سيفه ويقول من ينجيك منى فيقول النبى ﷺ " **الله** " فيسقط السيف من يد الرجل ويأخذه النبى ﷺ ويقول للرجل من ينجيك منى " فيقول اعف عنى [(١)].

فإن مقام التوكل مقام عظيم مقام لا يقتصر على الأنبياء ولا على الرسل ولا على العلماء بل هو مقام للصالحين.

أم موسى عليه السلام أسوة في التوكل:

فها هى امرأة عظيمة التوكل على الله تعالى أسوة في ذلك ألا وهى أم موسى رضي الله عنها وصلَّى وسلَّمَ على ابنيها موسى وهارون.

فقد ولد موسى في أوضاع صعبة، ولد والخطر محيط به، ولد والقتل ينتظره ويبحث عنه...

وأمه في هذه الظروف القاسية خائفة عليه متحيرة ضعيفة في قلب المحنة عاجزة أن تدفع عن ابنها هذا الخطر أو تلقنه حجته.

فهذا هو أكبر طاغية في زمانه.

وهى وحدها – نعم –...

ولكنها بالتوكل على الله فإن الله معها.

---

(١) أصل القصة: أخرجها: البخاري (٢٩١٠)، مسلم (٨٤٣).

هى مستوحشة لكنها بالتوكل على الله فهو أنسها، توكلتْ على الله فتولى أمرها وربط على قلب هذه الأم المسكينة ﴿ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَرۡضِعِيهِۖ فَإِذَا خِفۡتِ عَلَيۡهِ فَأَلۡقِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحۡزَنِيٓۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيۡكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٧ ﴾ [القصص: ٧] فإذا خفت عليه وهو تحت عينيك ورعايتك فألقيه فى اليم...

فإنَّ اليم المخيف الملىء بالمخاطر فيه رعاية الله تعالى، فرعاية الله تعالى تحول كل هذه المخاطر إلى أمن لا خوف معها.

فهى التى تجعل النار بردًا وسلامًا...

وهى التى تجعل اليم أمنًا ومنامًا...

فتوكلتْ على الله وألقته فى اليم خوفًا عليه من فرعون وملئه.

وإذا بالنتيجة المروعة بالنسبة لها فإذا هو يقع فى يد فرعون وأعوانه قال تعالى ﴿ فَٱلۡتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرۡعَوۡنَ لِيَكُونَ لَهُمۡ عَدُوّٗا وَحَزَنًاۗ إِنَّ فِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُواْ خَٰطِـِٔينَ ٨ ﴾ [القصص: ٨].

إنَّ الله تعالى قادر أن ينقذه منهم ويجعله يسير فى طريق بعيد عنهم ولكنه جعل ذلك آية لفرعون ويكفى فرعون مؤنة البحث عنه ويوصله إليه.

فهذا هو موسى الذى تبحث عنه سيصل إلى بيتك، وبيديه موتك يكبر تحت عينك ورعايتك فهو بين يديك ولكن الله سينجيه مع كل ذلك.

إنها رعاية الله تعالى وإنها نتاج التوكل على الله.

إنَّ الله تبارك وتعالى طمأنها فقال لها ﴿ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَرۡضِعِيهِۖ فَإِذَا خِفۡتِ عَلَيۡهِ فَأَلۡقِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحۡزَنِيٓۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيۡكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٧ ﴾ [القصص: ٧].

فلما سقط في يد فرعون تحرك قلب هذه الأم المسكينة، إنها خائفة على ابنها ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ [القصص: ١٠].

وكأنها تقول إن هذا ولدي أنا الذي أخطأت أنا الذي وضعته في اليم لكن الرعاية الإلهية تظله وتظلها ﴿لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ ﴾.

فالله تبارك وتعالى يوفي بوعده فحماه الله تعالى وحفظه...

حماه بسلاح رقيق شفاف لين، سلاح لايُرى لكنه يسيطر على القلوب ويملك لُبَّها...

لم يحمه بقوة خارقة من الله تعالى الجبار...

ولا بالملائكة العظام...

ولا بزلزال يخسف...

ولا ببركان يحرق...

إنما حماه بسلاح داخل قلب زوجة فرعون.

إنه سلاح المحبة.

فيوفي تبارك وتعالى بوعده ويرده إلى أمه قال تعالى ﴿ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴿١٢﴾ فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ [القصص: ١٢ -١٣].

وتأتي أمه لترضعه، بعد أن كانت ترضعه وهي خائفة عليه، الآن ترضعه وهي آمنة في بيته وبأمره.

فباللعناية الإلهية، وبالبشارة المتوكلين فإنه يكفيهم قال تعالى ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾ ﴾ [الطلاق: ٣].

إنه نعم المولى ونعم النصير.

وفي النهاية يتم الله له البشارة بالنبوة فهذا جزاء التوكل على الله.

❁ التوكل على الله في قصة نوح:

لقد قام نوح في قومه بأمر ربه قال تعالى ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [العنكبوت: ١٤] يدعو إلى الله وأخذ كل الطرق لهداية قومه إلى الله دعاهم ليلًا ونهارًا وسرًا وجهارًا قال تعالى ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ ﴾ [نوح: ٥ – ٦].

فلما يئس منهم لقول الله تعالى﴿ وَأُوحِىَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [هود: ٣٦].

ولما ضعفت قوته وبذل كل جهده خرج من حوله وقوته إلى حول الله وقوته وسلم أمره للواحد القهار قال تعالى ﴿ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾ ﴾ [القمر: ١٠]، وتوكل على الله فاستجاب الله دعاءه قال تعالى ﴿ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾ ﴾ [القمر: ١١ – ١٤].

فإنه دعاهم لكى يطهرهم الله مما هم فيه من الرجس والكفر...

فطهر الله الأرض منهم.

فالله تبارك وتعالى أمر أن تُغرق الأرض كلها من أجل حفنة قليلة مؤمنة

متوكلة على الله رفعت شكواها إليه فكان دليلهم وكفيلهم ووليهم وناصرهم.

يالخسارة من يتوكل على الخلق ويترك الخالق.

ويالخسارة من يتوكل على حى يموت ويترك الحى الذى لا يموت.

إنَّ التوكل على المخلوق توكل على عاجز محتاج والتوكل على الله هو توكل على قوي قدير.

❁ فوائد التوكل على الله:

التوكل على الله يجلب لك محبته:

قال تعالى ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

يفتح لك أبواب الجنة بغير حساب ولا عذاب:

عن ابن عباس قال: قال النبى ﷺ « **عُرِضَتْ عَلَىَّ الأمم، فأخذ النبى يمر معه الأمة، والنبى يمر معه النفر، والنبى يمر معه العشرة، والنبى يمر معه الخمسة، والنبى يمُرُّ وحده، فنظرْتُ فإذا سواد كثير قُلْتُ يا جبريل هؤلاء أمتى قال لا ولكن انظر إلى الأفق. فنظرت فإذا سواد كثير. قال هؤلاء أمتك، وهؤلاء سبعون ألفًا قدامهم، لا حساب عليهم ولا عذاب. قُلت ولم قال كانوا لا يكتوون، ولا يسترقون، ولا يتطيرون، وعلى ربهم يتوكلون** ». فقام إليه عُكَّاشة بن محصن فقال ادْعُ الله أن يجعلنى منهم. قال « **اللهم اجعله منهم** ». ثم قام إليه رجل آخر قال ادْعُ الله أن يجعلنى منهم. قال « **سبقك بها عُكَّاشة** »[(١)].

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٤١)، مسلم (٢٢٠).

يجلب لك النعمة ويحفظك من السوء:

كما حدث للنبى ﷺ وصحابته لما عادوا من أحد جرحى مصابين قد أثخنتهم الجراحات فأمرهم الله تعالى أن يخرجوا خلف المشركين فاستجابوا وخرجوا وتوكلوا على الله مع ضعفهم وجراحاتهم فمنَّ الله عليهم وحفظهم من السوء وجلب لهم النعمة قال تعالى ﴿فَٱنقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُواْ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾﴾ [آل عمران: ١٧٤].

يجلب لك معية الله:

قال تعالى ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ﴾.

يفتح لك أبواب الرزق:

" عن عمر بن الخطاب قال: قال رسول الله ﷺ **لو أنكم كنتم توكلون على الله حق توكله لرُزقتم كما يُرزق الطير تغدو خماصًا وتروح بطانًا**"[(١)].

يقضي لك حاجاتك ويسد فاقتك:

عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ "« **من أصابته فاقة فأنزلها بالناس لم تُسَدَّ فاقته ومن أنزلها بالله أوشك الله له بالغنى إما بموت عاجل أو غنى عاجل**»"[(٢)].

التوكل يكسبك النصر والفتح:

كما نصر الله به الأنبياء والصالحون، فلقد نصر الله إبراهيم عليه السلام على

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٣٤٤)، ابن ماجه (٤١٦٤)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٢٥٤).

(٢) أخرجه أبوداود (١٦٤٥)، الترمذي (٢٣٢٦)، الحاكم (١ / ٤٠٨)، وصححه الألباني في الصحيحة (٢٧٨٧).

قومه لما توكل على الله، ونصر نوحًا على قومه لما توكل على الله، ونصر موسى على فرعون وملئه لما توكل على الله، وغيرهم من الأنبياء والصالحين ما توكل أحد منهم على الله وخذله الله، بل ما منهم من أحد إلا وقد نصره الله على عدوه وأقر عينه بمعية الله له.

التوكل على الله والدخول تحت ظل رعايته خير جوار وظل ظليل:

فإن تعرض العبد للظلم والأذى في سبيل الله تعالى وهو في ظل جوار ربه لهو أفضل وأزكى من أن تكون آمنًا في ظل غيره راكنًا إلى أحد سواه.

دخل عثمان بن مظعون في جوار المغيرة فلما رأى أصحابَ النبى ﷺ يُعذَّبون ويُروَّعون وهو آمن...

ذهب إلى المغيرة فقال له: يا أبا عبد شمس وفَّتْ ذمتك قد رددتُ عليك جوارك...

قال: لم يابن أخى هل آذاك أحد من أهل بيتى؟

قال: لا ولكن أرضى بجوار الله ولا أريد أن أستجير بغيره...

قال: انطلق إلى المسجد الحرام فرد علىَّ جواري فذهب ورد عليه جواره...

وقال: لقد وجدته خير جوار ولكنن أحببتُ ألا أستجير بغير الله.

ولما مر على مجلس لقريش وفيه لبيد يتكلم فرد عثمان عليه بعض قوله فلطم رجل عينه...

فقال المغيرة: يابن أخى إن كانت عينك لما أصابها لغنية...

قال عثمان: بلى والله إنَّ عينى الصحيحة لفقيرة إلى ما أصاب أختها في

الله وإني في جوار من هو أعز من جوارك [١].

قال ابن القيم رحمه الله:

لما طلب آدم الخلود في الجنة من جانب الشجرة أُخرج منها.

ولما طلب يوسف الخروج من السجن من جهة الرؤيا لبث في السجن بضع سنين [٢].

اللهم ارزقنا حسن التوكل عليك.

(١) حلية الأولياء (١/ ١٠٣).

(٢) الفوائد (١/ ٣٢).

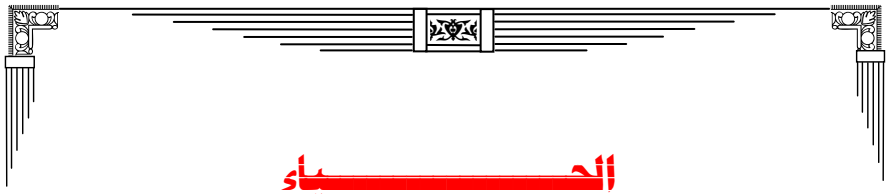

الحـــــــــياء

الحياء: أُخذ من الحياة لأنه حياة القلوب.

فكلما عظم الحياء عظمت حياة القلوب وكلما قل قلت...

ومن هنا سمى المطر الحياة.

ما هو الحياء؟

الحياء ليس هو إحمرار الوجه...

ولا طأطأة الرأس...

ولا تغميض العينين...

إذًا فما هو الحياء؟

عن ابن مسعود عن النبى ﷺ **"استَحيوا منَ اللهِ حقَّ الحياءِ، قُلنا: يا رسولَ اللهِ إنَّا لنَستحيى والحمد لله، قالَ: ليسَ ذاكَ، ولَكِنَّ الاستحياءَ منَ اللهِ حقَّ الحياءِ أن تحفَظ الرَّأسَ، وما وَعى، وتحفَظَ البَطنَ، وما حوَى، ولتَذكر الموتَ والبلى، ومَن أرادَ الآخرةَ ترَكَ زينةَ الدُّنيا، فمَن فَعلَ ذلِكَ فقدَ استحيا منَ اللهِ حقَّ الحياءِ"**[(١)].

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٤٥٨)، الطبراني في المعجم الكبير (١٠/ ١٥٢)، وحسنه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي.

فالحياء: هو حفظ الرأس بما فيها:

العين وما ترى...

والأذن وما تسمع...

و اللسان وما يتكلم به...

وحفظ البطن وما حوى من طعام وشراب وشهوة...

ويذكر الموت والبلى.

❁ منزلة الحياء:

الحياء يجمع كل خير:

عن عمران بن الحصين رضي الله عنه قال: قال النبيُّ ﷺ" **الحياءُ لا يأتى إلَّا بخير**" فقالَ بَشيرُ بنُ كَعب: مَكتوبٌ في الحِكمةِ: إنَّ مِنَ الحياءِ وقارًا، وإنَّ منَ الحياءِ سَكينةً فقالَ لَه عِمرانُ: أحدِّثُكَ عن رسولِ اللهِ ﷺ وتحدِّثُنى عن صحيفتِكَ[(١)].

قال ﷺ " **الحياء خير كله** "[(٢)].

الحياء ما دخل في شيء إلا زانه:

عن أنس بن مالك قال: قال النبى ﷺ" **ما كانَ الفحشُ فى شىءٍ إلَّا شانَه وما كانَ الحياءُ فى شىءٍ إلَّا زانَه**"[(٣)].

---

(١) أخرجه البخاري (٦١١٧)، مسلم (٣٧).

(٢) التخريج السابق واللفظ لمسلم.

(٣) أخرجه الترمذي (١٩٧٤)، ابن ماجه (٤١٨٥)، وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن ابن ماجه.

الحياء ليس شكلًا أو مظهرًا إنه من الإيمان:

عن عبد الله بن عمر ﷺ:أنَّ رسولَ اللهِ مر على رجل من الأنصارِ وهو يَعِظُ أخاه في الحياءِ فقال رسولُ الله ﷺ" **دعْه فإنَّ الحياءَ من الإيمانِ**"(١).

الحياء ليس فرعًا أو كمالًا بل هو قرين الإيمان:

عن عبد الله بن عمر ﷺ قال: قال النبى ﷺ " **إنَّ الحياءَ و الإيمانَ قُرنا جَميعًا، فإذا رُفِعَ أحدُهُما رُفِعَ الآخَرُ**"(٢).

ولا تخدع نفسك إن غاب الحياء منك فقد غاب الإيمان.

الحياء شعبة من شعب الإيمان:

عن أبى هريرة ﷺ قال:قال ﷺ" **الإيمانُ بضْعٌ وسبعونَ أو بضْعٌ وستُّونَ شُعبةً فأفضلُها قول لا إله إلَّا اللهُ وأدناها إماطةُ الأذى عن الطَّريق والحياءُ شُعبةٌ من الإيمانِ**"(٣).

وذكر النبى ﷺ أعلى شعب الإيمان وأدناها، ثم لم يذكر من الشعب الباقية سوى شعبة واحدة وهى الحياء.

لذا كان أصحاب النبى ﷺ عظيمى الحياء.

وكان عثمان أعظمهم حياءًا.

ولعظم حيائه كانت الملائكة تستحيي منه.

---

(١) أخرجه البخاري (٦١١٨)، مسلم (٣٦).

(٢) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (١٣٥٠)، الحلية (٤/ ٢٩٧)، وصححه الألباني فى صحيح الجامع (١٦٠٣).

(٣) أخرجه البخاري (٩)، مسلم (٣٥) واللفظ له.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: دخَل عليَّ رسولُ اللهِ ﷺ ذاتَ يوم فوضَع ثوبَه بين فخذَيْه فجاء أبو بكر فاستأذَن فأذِن له رسولُ اللهِ ﷺ على هيئتِه ثُمَّ جاء عمرُ يستأذِنُ فأذِن له رسولُ اللهِ ﷺ على هيئتِه وجاء ناسٌ من أصحابه فأذِن لهم وجاء عليٌّ فأذِن له رسولُ اللهِ ﷺ على هيئتِه ثُمَّ جاء عثمانُ بنُ عفَّانَ فاستأذَن فتجلَّل ثوبَه فأذِن له فتحدَّثوا ساعةً ثُمَّ خرَجوا فقُلْتُ يا رسولَ اللهِ دخَل أبوبكر وعمرُ وعليٌّ وناسٌ من أصحابك وأنتَ على هيئتِك لم تَحرَّكْ فلمَّا دخَل عثمانُ تجلَّلْتُ ثوبَك قال" **ألا أستحيي ممَّن تستحيي منه الملائكةُ**"[(١)].

❁ ضياع الحياء سبب لقسوة القلوب والشقاء:

يقول الفضيل بن عياض : خمس من الشقاوة:

جمود العين، وقسوة القلب، وقلة الحياء، والرغبة في الدنيا، وطول الأمل.

فقلة الحياء من الشقاوة.

صور من الحياء:

❁ حياء الأنبياء:

آدم عليه السلام:

لما عصى وأكل من الشجرة وظهرت سوأته جعل يضع عليها من ورق الجنة ويذهب ويسرع في الجنة.

فتعلقت شجرة بشعره...

---

(١) أخرجه مسلم (٢٤٠١، ٢٤٠٢).

قيل له يا آدم: أتفرّ منى...

فقال: لا يا ربى بل حياءًا منك.

مع أنَّ أكله من الشجرة بخدعة من إبليس له وما كان لشهوة.

قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد فنسى أنه عدو له قال الله تعالى ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾ ﴾ [طه: ١١٥].

بل وقاسمهما إبليس أي أقسم لهما قال تعالى ﴿ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ ﴾ [الأعراف: ٢١].

وما تصور آدم أنَّ مخلوقًا يحلف بالله كذبًا.

فأكلا منها... فانكشفت سوءتهما... ولما انكشفت ذهب مسرعًا ما يدري أين يذهب ولا أين يختبئ... فقال: يا آدم أمنى تفر؟! قال: لا ياربى بل حياءًا منك. فتابا، فتاب الله عليهما.

موسي عليه السلام:

كان لا يُرى جلده من حيائه فعن أبى هريرةَ رضي الله عنه قال: كان موسى عليه السلام رجلًا حييًّا ، قال: فكان لا يُرى مُتجرِّدًا ،قال:فقال بنو إسرائيل: إنه آدَرُ ، قال: فاغتسلَ عند مُويهٍ ،فوضع ثوبَه على حجر، فانطلق الحجرُ يسعى واتَّبعَهُ بعصاهُ يضربُه ثوبى حجرُ !ثوبى حجرُ !حتى وقفَ على ملأٍ من بنى إسرائيلَ ؛ ونزلت ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٩﴾ ﴾ [الأحزاب:٦٩][1].

(١) أخرجه البخاري (٢٧٨)، مسلم (٣٣٩) واللفظ له.

النبيُّ عليه السلام:

كان ﷺ أشد حياءًا من العذراء في خدرها فعن أبى سعيد الخدري قال:كان النبيُّ ﷺ أشدَّ حَياءً منَ العَذراءِ في خِدرِها، فإذا رأى شيئًا يَكرَهُه عرَفناه في وجهه [(١)].

إنه ﷺ كان يستحيي عند التشريع والتعليم:

عن عائشة رضي الله عنها أنَّ امرأةً سألت النبى ﷺ عن غُسلِها مِنَ المَحيض فأمرها كيف تَغتَسِلُ، قال: **خُذى فِرصَةً مِن مَسكٍ . فتَطَّهرى بها.** قالت: كيف أتَطَهَّرُ؟ قال " **تَطَهَّرى بها**" قالت: كيف؟ قال " **سُبحانَ اللهِ " تَطَهَّرى فاجتَبَذتُها إليَّ، فقلتُ: تَتَبَّعى بها أثَرَ الدَّم**[(٢)].

وفي رواية تقول عائشة رضي الله عنها: سألت امرأةٌ النبىَّ ﷺكيف تغتسلُ من حيضتِها؟ قال: فذكرتْ أنه علمها كيف تغتسلُ. ثم تأخذ فِرْصةً من مسكٍ فتطهَّرُ بها. قالت: كيف أتطهَّرُ بها؟ قال " **تطهَّرى بها سبحان الله ! " واستَتَرَ**- وأشار لنا سفيانُ بن عُيينةَ بيدِهِ على وجهِهِ - قال: قالت عائشةُ: **واجتذبتُها إليَّ وعرفتُ ما أرادَ النبىُّ ﷺ فقلتُ: تتبَّعى بها أثرَ الدم،وقال ابنُ أبى عمرَ فى روايته: فقلتُ: تتبَّعى بها آثارَ الدم**[(٣)].

❁ لا تكشف عورتك في الخلوات:

عن معاوية بن حيدة القشيري رضي الله عنه قلتُ: يا رسولَ اللهِ ﷺ ! عوراتُنا، ما نأتي منها وما نذرُ؟ قال " احفظْ عورتَك إلَّا من زوجتِك أو ما ملكتْ يمينُك"

---

(١) أخرجه البخاري (٦١٠٢)، مسلم (٢٣٢٠)، واللفظ للبخاري.
(٢) أخرجه البخاري (٣١٤)، مسلم (٣٣٢)، واللفظ للبخاري.
(٣) أخرجه مسلم (٣٣٢).

فقال الرجلُ يكونُ مع الرجل؟ قال: إنِ استطعتَ أنْ لا يراها أحدٌ فافعلْ قلتُ: والرجلُ يكونُ خاليًا؟ قال فاللهُ أحقُّ أنْ يُستحيا منه.[١].

أقول: لا تكشف عورتك فى الخلوات...

لا أقول في الطرقات أو الشوارع أو الجامعات !!

فأين ذهب الحياء من القلوب... وأين ذهبت العقول...

بل وأين ذهب الإيمان.

❁ حياء الصحابة:

قال عكرمة كان ابن عباس لا يدخل الخلاء إلا وعليه ثوب وهو يغتسل ولما سئل عن ذلك يقول أستحيى أن يراني ربى متجردًا [٢].

أبو موسى رضي الله عنه كان لا يدخل الحمام إلا في الظلام وينحنى على نفسه ولا يرفع صلبه حتى يتناول ثوبه يقول حياءًا من ربى [٣].

❁ حياء النساء:

عن عطاء بن أبى رباح قال لى ابنُ عباس: أَلاَ أُرِيكَ امرأةً مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ؟ قُلْتُ: بلى، قال: هذه المرأةُ السوداء، أَتَتِ النبىَّ ﷺ فقالتْ: إني أُصْرَعُ، وإني أتَكَشَّفُ، فادْعُ اللهَ لى، قال "**إن شئتِ صبرتِ ولك الجنَّةُ، وإن شئتِ دعَوتُ اللهَ أن يُعافيَكِ** " فقالتْ: أصبر، فقالتْ: إني أتَكَشَّفُ، فادْعُ اللهَ

---

(١) أخرجه أبوداود (٤٠١٧)، الترمذي (٢٧٦٩)، ابن ماجه (١٩٢٠)، وحسنه الألباني في صحيح وضعيف سنن أبى داود.

(٢) أخرجه ابن المنذر في الأوسط (٢/ ٣٦٤).

(٣) الطبقات الكبرى (٤/ ١١٣)، سير أعلام النبلاء (٢/ ٤٠١)، صفة الصفوة (١/ ٥٥٩).

أنْ لا أَتَكَشَّفَ، فدَعا لها[١].

هكذا كانت المرأة المسلمة الموت أحب إليها من كشف عورتها أو خدش حيائها. تصبر على الصرع ولا تصبر على كشف عورتها.

فأين نساء المسلمين من هؤلاء النساء؟!

أين اللائى يخرجن يكشفن عن عوراتهن عمدًا وبلا حياء.

يا أيها الراعى ستسأل أين ذهب الحياء من قلبك، وقلب أهل بيتك - زوجتك، ابنتك، أختك -؟

عائشة رضي الله عنها كانت تستحيى من الأموات:

تقول عائشة رضي الله عنها: كنتُ أدخلُ بيتى الذي فيه رسولُ اللهِ ﷺ وإنِّى واضعة ثوبى وأقولُ: إنَّما هوَ زوجى وأبى فلمَّا دُفنَ عمرُ رضي الله عنه معهم فوالله ما دخلتُهُ إلَّا وأنا مشدودةٌ علىَّ ثيابى حياءً من عمرَ [٢].

فاطمة رضي الله عنها تستحيى من أبيها:

كان النبى ﷺ يدخل البيت فيجد فاطمة مضطجعة بجوار علىٍّ - ليست بجوار رجل أجنبى - (بجوار زوجها) فجلس النبى ﷺ عند رأسها، فأدخلت رأسها في اللفاع حياءً من أبيها[٣].

عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه: أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال، وحوله عصابةٌ من أصحابه" بايعوني على أن لا تُشركوا بالله شيئًا، ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا

(١) أخرجه البخاري (٥٦٥٢)، مسلم (٢٥٧٦).
(٢) أخرجه أحمد (٤٢/ ٤٤٠)، وقال الألباني فى تخريج مشكاة المصابيح رجاله رجال الصحيح (١٧٧١).
(٣) أخرجه البخاري (٣١١٣، ٥٣٦١)، مسلم (٢٧٢٧).

تقتلوا أولادكم، ولا تأتوا ببُهتانٍ تفترونه بين أيديكم وأرجلكم، ولا تعصوا في معروفٍ، فمَن وَفَّى منكم فأجرُه على اللهِ، ومَن أصاب من ذلك شيئًا فعوقِبَ في الدنيا فهو كَفَّارةٌ له، ومَن أصاب من ذلك شيئًا ثم ستره اللهُ فهو إلى اللهِ، إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه " فبايعْناه على ذلك[(١)].

فجاءت فاطمة بنت عتبة...

فلما قال: لا تزنين وضعت يدها على رأسها من الحياء...

فأعجب النبى ﷺ ما رآه... فقال: ولا تزنين...

فما استطاعت أن تردد خلفه...

حتى قالت عائشة رضي الله عنها: أيتها المرأة قري عند رسول الله إنما بايعنا رسول الله ﷺ جميعًا على ذلك... فقالت: نعم أبايع [(٢)].

❁ الحياء في النساء السابقات:

المرأة التى جاءت إلى موسى تحمل له رسالة من أبيها أنه يريد أن يجزيه جزاء ما سقى لبناته.

فلم يذكر الله تعالى اسمها في القرآن...

وإنما ذكر صفة واحدة من صفاتها وهى الحياء...

قال تعالى ﴿ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ ۖ نَجَوْتَ مِنَ

(١) أخرجه البخاري (١٨)، مسلم (١٧٠٩).

(٢) أخرجه أحمد (٤٢/ ٩٥)، قال شعيب الأرنؤوط حديث صحيح ورجاله ثقات رجال الشيخين.

ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [القصص: ٢٥].

ودليل الحياء أول ما جاءت قالت ﴿ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ﴾ [القصص: ٢٥].

نفت التهمة عن نفسها ويقول عمر تمشى على استحياء ليست بسلفع من النساء أي ما هى خراجه ولا ولَّاجة.

قال عمر تقول بثوبها على وجهها هكذا.

مع أنَّ الخروج كان لعذر ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ۖ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ۖ قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ ۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ [القصص: ٢٣].

❁ الحياء يمنع المعاصي:

عن عقبة بن عمرو بن ثعلبة رضي الله عنه قال: قال النبيُّ ﷺ **"إنَّ مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى: إذا لم تستح فاصنع ما شئت"**[(١)].

إذا لـم تخـش عاقبـة الليـالى ... ولـم تسـتح فاصـنع مـا تشـاء
فـلا والله مـا فى العـيش خيـرٌ ... ولا الـدنيا إذا ذهـب الحيـاء .

ولذلك لما رأى الأعرابيُّ رجلًا ينظر إلى زوجته فطلقها...

فلما سئل عن ذلك... قال:

وأتـرك حبَّهـا مـن غيـر بغـض ... وذاك لكثـرة الشـركاء فيـه
إذا وقـع الـذباب علـى طعـام ... رفعـت يـدي ونفسـى تشـتهيه
وتجتنـب الأسـود ورود مـاء ... إذا رأت الكـلاب ولغـن فيـه

(١) أخرجه البخاري (٦١٢٠)، أبوداود (٤٧٩٧).

❁ **صور ليست من الحياء:**

✍ **الحياء فى طلب العلم:**

قال أبوموسى لعائشة: إني أريد أن أسألك عن شيء وأنا استحيى منك.

قالت: سل ولا تستحيى إنما أنا أمك[١].

وقال مجاهد لا ينال العلم مُستحى ولا مستكبر [٢].

قالت عائشة نعم النساء نساء الأنصار لم يمنعهن الحياء أن يتفقهن في الدين [٣].

✍ **ترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر بزعم الحياء.**

✍ **أن تخرج المرأة سافرة عن وجهها وذراعيها:** فإذا نظر إليها أحد احمر وجهها أو طأطأت رأسها بزعم الحياء فلو استحيت حقا لسترت نفسها وما خرجت متبرجة.

✍ **يصافح النساء ويقول حياءًا منهن:** قال رسول الله ﷺ **" لأن يطعن فى رأس رجل بمخيط من حديد خير له من أن تمس يده يد امرأة لا تحل له"**[٤].

✍ **يشهد شهادة الزور مثلًا حياءًا من أقاربه أو أصدقائه.**

---

(١) أخرجه مسلم (٣٤٩)

(٢) البخاري معلقًا باب الحياء في العلم (١/ ٢٢٠)، الآداب الشرعية لابن مفلح (٢/ ١٤٣).

(٣) ذكره البخاري معلقًا باب الحياء في العلم (١/ ٢٢٠)، مسلم (٣٣٢).

(٤) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٢٠/ ٢١٢)، وصححه الألباني في الصحيحة (٢٢٦).

أن يقرض رجلٌ رجلًا مالًا وهو يعلم أنه لا يؤد الدين ولا يكتبه حياءًا.

فكل هذا ليس من الحياء، وغير ذلك...

(ولا يقال رب حياء يمنع من الحق أو فعل الحق لأنَّ ذلك ليس شرعيًّا)[1].

تذكر:

أخي الحبيب تذكر: أنَّ بينك وبين الله سترًا وبينك وبين الناس سترًا فإذا قل حياءك من الله وكشفت الستر الذي بينك وبين الله كشف الله الستر الذي بينك وبين الناس.

فكم من شاب عصى الله بالليل وقام في الصباح وجد كثيرًا من الناس يعلمون ويتكلمون به ولا يدري كيف حدث ذلك.

إنما ذلك لأنه هتك الستر الذي بينه وبين الله وقل حياؤه منه...

فهتك الله الستر الذي بينه وبين الناس...

تذكر: أنَّ الله تعالى لا يحابى أحدًا لقد أنزل آدم من الجنة لمعصية مع أنه لم يفعلها لشهوة.

وأنت لست أفضل عند الله من آدم.

تذكر: أنه من يعمل سوءًا يجز به.

تذكر: أنك كما تدين تدان فإن كشفت ستر الناس يوشك الله أن يكشف سترك ويهتك عرضك.

---

(١) شرح سنن النسائي للسيوطي (٨/ ١١١)، فتح الباري للحافظ ابن حجر (١/ ٥٢).

تذكر: أنك ستقف بين يدي الله وحدك الذي قل حياءك منه في الدنيا وتجرأت على حدوده ستقف وحدك وتستحيي منه أن عصيته في الدنيا لكن لا ينفعك الحياء وقتها.

تذكر: أنَّ أهل الحياء والخير قلة فلا يضرك قلة السالكين ولا تغتر بكثرة الهالكين.

تذكر: أنَّ الحياء الحق هو حفظ الرأس ما وعى، والبطن وما حوى، وذكر الموت والبلا.

نسأل الله أن يرزقنا وإياكم الحياء وأن يجعلنا ممن يستحيون من الله حق الحياء.

العـــــــلـــــم

إنَّ العلم نور والجهل ظلام...

والسير في طريق النور غير السير في طريق الظلام...

إنَّ السير في النور معناه الهداية...

والسير في الظلام معناه السير في الضلال...

إنَّ السير في النور معناه الراحة والثبات...

والسير في الظلام معناه التعب والتخبط...

إنَّ السير في طريق العلم كالسير في الظل...

والسير في طريق الجهل كالسير في الحرور...

إنَّ السير في طريق العلم هو السير في طريق الحياة...

والسير في طريق الجهل هو السير في طريق الأموات...

لذا جعل الله للعلم فضائل عطيمة وفوائد جمة.

ومن هذه الفضائل:

العلم من صفات الله:

وما يوصف الله إلا بصفة بالغة الحسن والكمال.

لذا قيل إنَّ العلم والعقل تناظرا في أيهما أفضل:

علـــم العلـــيم وعقـــل العاقـــل اختلفـــا ... مـــن ذا الـــذي منهمـــا قـــد أحـــرز الشرفـــا
فـــالعلم قـــال أنـــا أحـــرزت غايتـــه ... والعقـــل قـــال أنـــا الرحمـــان بـــي عرفـــا
فأفصـــح العلـــم إفصـــاحًا وقـــال لـــه ... بأينـــا الله فـــي تنزيلـــه اتصـــفا
فـــأيقن العقـــل أنَّ العلـــم سيـــده ... وقبـــل العقـــل رأس العلـــم وانصرفـــا

نفى الله التسوية بين الذين يعلمون والذين لا يعلمون:

إذ التسوية بينهما تعارض حكمة الله تعالى وعلمه.

فكما لم يسو بين أهل الجنة وأهل النار...

ولم يسو بين الأحياء والأموات...

ولم يسو بين النور والظلمات...

ولم يسو بين الظل والحرور...

فكذلك لم يسو بين الذين يعلمون والذين لا يعلمون قال تعالى ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ۝٩﴾ [الزمر: ٩].

ومما يدل على فضله أنَّ أول سورة نزلت هى ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾ [العلق: ١ – ٥].

العلم دليل إرادة الخير بالعبد:

عن معاوية بن أبى سفيان قال: قال ﷺ **" من يُرِدِ اللهُ بهِ خيرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّين، واللهُ المُعْطِي وأنا القاسمُ، ولا تزالُ هذهِ الأُمَّةُ ظاهرينَ على من خالفهم حتى يَأْتِيَ أمرُ اللهِ وهم ظاهرونَ "**[1].

(١) أخرجه البخاري (٣١١٦)، مسلم (١٠٣٧)، واللفظ للبخاري.

العلم يكون سببًا في زيادة الحسنات:

إنَّ العبد كلما زاد في العلم زاد في الأجر والحسنات ليس هذا فحسب بل إنَّ العبد يجمع الحسنات العظام الكثيرة في وقت قليل ويفرغ أوقاتًا أخرى لأعمال أخرى ويدل لذلك حديث جويرية بنت الحارث رضي الله عنها أنَّ النبيَّ ﷺ خرج من عندِها بُكرةً حين صلى الصبحَ، وهى في مسجدِها. ثم رجع بعد أن أَضحَى، وهى جالسةٌ، فقال " **ما زلت على الحالِ التى فارقتُكِ عليها؟** " قالت: نعم. قال النبيُّ ﷺ: **لقد قلتُ بعدكِ أربعَ كلماتٍ، ثلاثَ مراتٍ. لو وُزِنَتْ بما قلتِ منذُ اليومَ لوزَنَتهنَّ: سبحان اللهِ وبحمدِه، عددَ خلقِه ورضَا نفسِه وزِنَةِ عرشِه ومِدادَ كلماتِه**"[(١)].

العلم حياة للقلوب كما أنَّ المطر حياة للأرض:

عن أبى موسى الأشعري رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال" **مَثَلُ ما بَعَثَنِى اللهُ به من الهُدَى والعِلْم، كمَثَل الغيثِ الكثير أصاب أرضًا، فكان منها نَقِيَّةٌ، قَبلَتِ الماءَ، فأَنْبَتَتِ الكَلَأَ والعُشْبَ الكثيرَ، وكانت منها أجادِبُ، أَمْسَكَتِ الماءَ، فنفع اللهُ بها الناسَ، فشَربُوا وسَقَوْا وزرعوا، وأصابت منها طائفةً أخرى، إنما هى قِيعانٌ لا تُمْسِكُ ماءً ولا تُنْبتُ كَلَأً، فذلك مَثَلُ مَن فَقُهَ فى دِين اللهِ، ونفعه ما بعثنى اللهُ به فعَلِمَ وعَلَّمَ، ومَثَلُ من لم يَرْفَعْ بذلك رأسًا، ولم يَقْبَلْ هُدَى اللهِ الذى أُرْسِلْتُ به**"[(٢)] .

حيث إنَّ العلم:

يحيي الله به القلوب الميتة...

---

(١) أخرجه مسلم (٢٧٢٦)، الترمذي (٣٥٥٥).

(٢) أخرجه البخاري (٧٩)، مسلم (٢٢٨٢)، واللفظ للبخاري.

ويغيث القلوب الملهوفة...

ويهدي قلوب الحيارى...

كما يحيى الله الأرض بالمطر، والقلوب كالأرض إنما هى أوعية فكل يأخذ بقدره.

العلم يسهل لك طريق الجنة:

فمع وجود العقبات والشهوات...

وضعف الهمم...

وإحاطة الدنيا والنفس والهوى بالعبد...

يعاق العبد عن الطريق إلى الجنة من عامة الطرق.

وإن تعثرت الطرق فلا بد للعبد أن يبحث عن طريق يُسهَّل له فيه طريق الجنة...

ألا وهو طريق العلم...

عن أبى الدرداء رضي الله عنه قال: سمِعْتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ " **مَن سلَك طريقًا يطلُبُ فيه علمًا سلك اللهُ به طريقًا مِن طُرقِ الجنَّةِ والملائكةُ تضَعُ أجنحتَها رضًا لطالب العِلم وإنَّ العالِمَ يستغفِرُ له مَن فى السَّمواتِ ومَن فى الأرض والحِيتانُ فى الماءِ وفَضْلُ العالِم على العابدِ كفضل القمر ليلةَ البدرِ على سائر الكواكب إنَّ العلماءَ ورَثةُ الأنبياءِ إنَّ الأنبياءَ لَمْ يُورثوا دينارًا ولا دِرهمًا وأورَثوا العِلْمَ فمَن أخَذه أخَذ بحظٍّ وافرٍ**"[(١)].

(١) أخرجه أبوداود (٣٦٤١)، الترمذي (٢٦٨٢)، ابن ماجه (٢٢٣)، وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن ابن ماجه.

العلم يكسب العبد الخشية:

قال تعالى ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ [فاطر: ٢٨].

العلم ميراث الأنبياء:

كل وارث يبحث عن ميراث مورثه ويتمنى أن يكون عظيم القيمة والقدر.

ولما كان العلم أعظم الأعمال قيمة وأرفعها قدرًا جعله الله ميراث الأنبياء.

فهنيئًا لمن كان مورثهم...

والميراث لا يرثه إلا أقارب المورث وعصبته...

وفي ذلك إشارة إلى أنَّ أهل العلم هم أحباب الأنبياء وكأنهم عصباتهم وأقاربهم.

فياله من فخر عظيم...

عن أبى هريرة رضي الله عنه أنه مر بسوق المدينة فوقف عليها، فقال: ياأهل السُّوق، ما أعجزكم؟ قالوا: وما ذاك ياأباهريرة؟ قال: ذاك ميراث رسول الله ﷺ يقسَّم وأنتم هاهنا، ألا تذهبون فتأخذون نصيبكم منه؟ قالوا: وأين هو؟ قال: في المسجد، فخرجوا سراعًا ووقف أبوهريرة لهم حتَّى رجعوا، فقال لهم: ما لكم؟ قالوا: يا أبا هريرة، فقد أتينا المسجد فدخلنا، فلم نَرَ فيه شيئًا يقسم، فقال لهم أبوهريرة: وما رأيتم في المسجد أحدًا؟ قالوا: بلى، رأينا قومًا يصلون، وقومًا يقرءونَ، وقومًا يتذاكرون الحلال والحرام، فقال لهم

أبوهريرة ويحكم فذاك ميراث محمد ﷺ[(١)].

لذا قال النبى ﷺ"..... **إنَّ العلماءَ ورثةُ الأنبياءِ إنَّ الأنبياءَ لم يورِّثوا دينارًا ولا درْهمًا إنَّما ورَّثوا العلمَ فمَن أخذَ بهِ فقد أخذَ بحظٍّ وافر**"[(٢)].

طلب العلم يجمع كثيرًا من العبادات:

فإن فيه التسبيح وفيه العبادة وفيه الجهاد وفيه الخشية...

يقول معاذ رضي الله عنه: «**تَعَلَّمُوا العلم؛ فإنَّ تَعَلُّمه لله تعالى خشية، وطلبه عبادة، ومذاكرته تسبيح، والبحث عنه جهاد، وتعليمه لمن لا يعلم صدقة، وبذله لأهله قربة؛ لأنه معالم الحلال والحرام، ومنار أهل الجنة، والأنس فِى الوحشة، والصَّاحب فِى الغربة، والمحدث فِى الخلوة، والدَّليل على السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ، والسِّلاحُ على الأعداءِ، والدِّينُ عند الأجلَّاء، يرفع اللهُ تعالى به أقوامًا، ويجعلهم فِى الخير قادةً وأئمَّةً، تقتبس آثارهم، ويقتدى بفعالهم، وينتهى إلى رأيهم، ترغب الملائكة فِى خلتهم، وبأجنحتها تمسحهم، يستغفر لهم كلُّ رطب ويابس، حتَّى الحيتان فِى البحر وهوامه، وسباع الطير وأنعامه، لأنَّ العلم حياة القلوب من الجهل، ومصباح الأبصار من الظلم، يبلغ بالعلم منازل الأخيار، والدرجة العليا فِى الدنيا والآخرة. والتفكر فيه يعدل بالصيام، ومدارسته بالقيام، به توصل الأرحام، ويعرف الحلال من الحرام، إمام العمال، والعمل تابعه، يلهمه السعداء، ويحرمه الأشقياء**»[(٣)].

---

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط (٢/ ١١٤)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب (٨٣).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) أخلاق العلماء للآجري (١/ ٢٤)، جامع بيان العلم وفضله (١/ ١١٥)، الحلية (١/ ٢٣٨).

العلم ينضر الوجوه:

قال ﷺ " نضر الله عَبْدًا سَمِعَ مَقَالَتِي فَوَعَاهَا ثُمَّ بَلَّغَهَا عَنِّي فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ غَيْرِ فَقِيهٍ وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ"[١].

العلم يقوي الحجة والبيان والثبات عند المحن:

الفتن من أشد الأمور على النفس، إذ أنَّها قد تعصف بالعبد وتهز ثباته، ويحتاج الناس دائمًا أناسًا راسخين يزيلون الشبه، ويثبتون عند المحن، ويكونون أمام الناس فيثبت الناس بثباتهم، وهؤلاء هم أهل العلم.

قال المهتدي بالله: مازلت أقول إنَّ القرآن مخلوق صدرًا من أيام الواثق حتى قدم أحمد بن أبى دؤاد علينا بشيخ من أهل الشام - هو الأذرمى - من أهل أذنة... فأُدخل الشيخ على الواثق مقيدًا...

وهو جميل الوجه تام القامة حسن الشيبة...

فرأيت الواثق قد استحيى منه ورق له فما زال يدنيه ويقربه حتى قرب منه... فسلم الشيخ فأحسن ودعا فبلغ وأوجز... فقال: له الواثق اجلس.

فجلس. وقال له: يا شيخ ناظر ابن أبى دؤاد على ما يناظرك عليه.

فقال له الشيخ: يا أمير المؤمنين ابن أبى دؤاد يصبو ويضعف عن المناظرة. فغضب الواثق وعاد مكان الرقة له غضبًا عليه.

وقال: أبو عبد الله بن أبى دؤاد يصبو ويضعف عن مناظرتك أنت. فقال الشيخ: هون عليك يا أمير المؤمنين ما بك وايذن في مناظرته. فقال الواثق:

---

(١) أخرجه أبوداود (٦٦٠)، الترمذي (٢٦٥٦)، ابن ماجه (٢٣٠)، وصححه االألباني في صحيح وضعيف سنن أبي داود.

ما دعوتك إلا للمناظرة.

فقال الشيخ: يا أمير المؤمنين إن رأيت أن تحفظ عليَّ وعليه ما نقول. قال: أفعل. فقال الشيخ: يا أحمد أخبرني عن مقالتك هذه هى مقالة واجبة داخلة في عقد الدين فلا يكون الدين كاملًا حتى يقال فيه بما قلت.

قال: نعم.

قال الشيخ: يا أحمد أخبرني عن رسول الله ﷺ حين بعثه الله إلى عباده هل ستر رسول الله شيئًا مما أمره الله به في أمر دينهم.

فقال: لا. فقال الشيخ: فدعا رسول الله ﷺ الأمة إلى مقالتك هذه.

فسكت ابن أبى دؤاد. فقال الشيخ: تكلم.

فسكت. فالتفت الشيخ إلى الواثق.

فقال: يا أمير المؤمنين واحدة.

فقال الواثق: واحدة.

فقال الشيخ: يا أحمد أخبرني عن الله عز و جل حين أنزل القرآن على رسول الله ﷺ فقال ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ﴾ [المائدة: ٣] كان الله تعالى الصادق في إكماله دينه أم أنت الصادق في نقصانه حتى يقال فيه بمقالتك هذه.

فسكت ابن أبى دؤاد. فقال الشيخ: أجب يا أحمد.

فلم يجب.

فقال الشيخ: يا أمير المؤمنين اثنتان.

فقال الواثق: نعم اثنتان.

قال الشيخ: يا أحمد أخبرني عن مقالتك هذه علمها رسول الله ﷺ أم جهلها

قال ابن أبى دؤاد: علمها. قال: فدعا الناس إليها؟

فسكت. قال الشيخ: يا أمير المؤمنين ثلاث.

فقال الواثق: ثلاث. فقال الشيخ: يا أحمد فاتسع لرسول الله ﷺ أن علمها وأمسك عنها كما زعمت ولم يطالب أمته بها.

قال: نعم. قال الشيخ:واتسع لأبى بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعثمان وعلى رضي الله عنهم...

قال ابن أبى دؤاد: نعم. فأعرض الشيخ عنه.

وأقبل على الواثق.

فقال: يا أمير المؤمنين قد قدمت القول أنَّ أحمد يصبو ويضعف عن المناظرة...

يا أمير المؤمنين إن لم يتسع لك من الإمساك عن هذه المقالة ما زعم هذا أنه اتسع لرسول الله ﷺ ولأبى بكر وعمر وعثمان وعلى فلا وسع الله على من لم يتسع له ما اتسع لهم أو قال فلا وسع الله عليك...

فقال الواثق: نعم إن لم يتسع لنا من الإمساك عن هذه المقالة ما اتسع لرسول الله ﷺ وأبى بكر وعمر وعثمان وعلى فلا وسع الله علينا... اقطعوا قيد الشيخ...

فلما قطع القيد...

ضرب الشيخ بيده إلى القيد حتى يأخذه...

فجاذبه الحداد عليه...

فقال الواثق دع الشيخ يأخذه...

فأخذه فوضعه في كمه... فقال له الواثق: يا شيخ لم جاذبت الحداد عليه؟ قال: لأني نويت أن أتقدم إلى من أوصى إليه إذا أنا مت أن يجعله بينى وبين كفنى...

حتى أخاصم به هذا الظالم عند الله يوم القيامة...

وأقول: يا رب سل عبدك هذا...

لم قيدني وروع أهلى وولدي وإخواني بلا حق أوجب ذلك عليَّ؟

وبكى الشيخ... فبكى الواثق... وبكينا...

ثم سأله الواثق أن يجعله في حل وسعة مما ناله...

فقال له الشيخ: والله يا أمير المؤمنين لقد جعلتك في حل وسعة من أول يوم إكرامًا لرسول الله ﷺ إذ كنت رجلًا من أهله... فقال الواثق: لى إليك حاجة.

فقال الشيخ: إن كانت ممكنة فعلت.

فقال له الواثق: تقيم قبلنا فننتفع بك وتنتفع بك فتياننا. فقال الشيخ: يا أمير المؤمنين إنَّ ردك إياي إلى الموضع الذي أخرجنى عنه هذا الظالم أنفع لك من مقامى عليك...

وأخبرك بما في ذلك...

أصير إلى أهلى وولدي فأكف دعاءهم عليك فقد خلفتهم على ذلك. فقال له الواثق: فتقبل منا صلة تستعين بها على دهرك.

قال: يا أمير المؤمنين لا يحل لى أنا عنها غنى وذو مرة سوي. فقال: سل حاجة.

قال: أو تقضيها يا أمير المؤمنين. قال: نعم.

قال: تأذن أن يخلى لى السبيل الساعة إلى الثغر.

قال: قد أذنت لك. فسلم عليه وخرج.

قال: صالح بن على قال: المهتدي بالله فرجعت عن هذه المقالة وأظن أنَّ الواثق قد كان رجع عنها منذ ذلك[١].

طلب العلم لذة ومتعة:

فمهما رأى طالب العلم من المشاق فما يمنعه ذلك أو يحجزه عن طلب العلم لما يرى فيه من المتعة واللذة والراحة والسعادة.

خرج خيثمة بن سليمان الأطرابلسى وهو عالم الشام ومحدثها في رحلة في طلب العلم... فركبوا سفينة...

فخرج عليهم أناس فأخذوهم وضربوهم...

فقال كبيرهم: اكتبوا أسماءهم. فقال: ما اسمك؟

قلت: خيثمة بن سليمان. فقال: اكتب حمار بن حمار.

قال: فضربوني حتى سكرت. قال: فمن الغم نمت...

فرأيت فى المنام اثنتين من الحور العين.

فقالت إحداهما: إيش فعلت. فقالت الأخرى: اصبر.

قال: ثم رأيت رجلًا.

---

(١) تاريخ بغداد (٤/ ١٥٢)، مختصر تاريخ دمشق (١/ ٣٣٧)، تاريخ الإسلام (١٧/ ٣٨٠).

قال لى: اقرأ من أول براءة فقرأت حتى " فسيحوا في الأرض أربعة أشهر".

قال: فأفرجوا عنى بعد أربعة أشهر "[١].

ولم يكف عن طلب الرحلة وظل هكذا حتى مات.

العلم يحفظ العقل:

إنه يحفظ العقل فلا يخرف صاحبه وإن تقدم سنه وطال عمره.

عن أبى عبدالله الشامى قال " استأذنت على طاووس لأسأله عن مسألة فخرج علىَّ شيخ كبير فظننته هو...

فقال: أنا ابنه.

قلت: إن كنت أنت ابنه فقد خرف أبوك.

قال: تقول ذاك إنَّ العالم لا يخرف.

فدخلت عليه...

فقال: سل وأوجز وإن شئت علمتك في مجلسك هذا القرآن والتوراة والإنجيل.

قال: إن علمتنيهم لا أسألك عن شيء.

قال " خف الله مخافة لا يكون شيء عندك أخوف منه وارجه رجاء هو أشد من خوفك إياه وأحب للناس ما تحب لنفسك " [٢].

---

(١) سير أعلام النبلاء (٥/ ٤١٤)، تاريخ دمشق (١٧/ ٧١)، تاريخ الإسلام (٢٥/ ٢٧٩).

(٢) سير أعلام النبلاء (٥/ ٤٧)، البداية والنهاية (٩/ ٢٦٦).

العلم خير هدية وعطاء:

ذهب أبو مسعود الرازي يومًا ليأكل لحمًا فذهب إلى صاحب دكان...

وكان اسمه عبدالكريم...

فلما رآه الرجل قال له إني أراك رجلًا من أهل العلم ولا يليق بمثلك أن يجلس هنا فاذهب إلى المسجد وأنا آتيك بالطعام...

قال فأتاني بالطعام وأحسن إليَّ. وكان معه طفل صغير...

فقلت له: من هذا؟ قال: ابنى.

قلت: جزاء ما أكرمتنى ادفع إليَّ هذا الولد أعلمه.

وكان أبو مسعود من أكابر علماء داغستان فأسمعه الحديث على كل علماء البلد حتى شب محبًّا للعلم ورحل بنفسه، وكان من أكثر علماء الإسلام شيوخًا "[1].

العلم خير إحسانٌ للأبناء:

إنَّ خير ما يقدمه الوالد لولده أن يحثه على طلب العلم، ويسعد إذا تقدم ابنه فيه.

عن عبد الله بن عمر أنَّ رسول الله ﷺ قال: **إنَّ من الشجر شجرة لا يسقط ورقها وهى مثل المسلم حدثوني ما هى.** فوقع الناس في شجر البادية ووقع في نفسى أنها النخلة قال عبدالله فاستحيَيْتُ فقالوا يا رسول الله أخبرنا بها فقال رسول الله ﷺ: **هي النخلة.** قال عبدالله فحدَّثْتُ أبي بما وقع في

(١) الأنساب للسمعاني (٣/ ٩٦).

نفسى فقال لأَنْ تكون قُلتَها أحب إليَّ من أن يكون لى كذا وكذا[١].

وكانت أم سفيان الثورى تنصحه أن يتعلم العلم وتقول وأنا أكفيك بمغزلى[٢].

العلم بصيرة:

يجلو العمى ويزيل الجهل كما يجلى القمر سواد الظلمة.

وصدق القائل

استخبر الناس عما أنت جاهله
إذا عميتَ فقد يجلو العمى الخبرُ
وليس ذو العلم بالتقوى كجاهلها
ولا البصير كأعمى ما له بصرُ
والعلم يجلو العمى عن قلب صاحبه
كما يجلى سوادَ الظلمة القمرُ

فضل أهل العلم:

العبد قيمته بقيمة ما يحمله:

فمن يحمل العلم يحمل النور والهدى والرشاد ولقد رفع الله شأنهم وخلد ذكرهم لعظم ما يحملونه.

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (١٣١)، مسلم (٢٨١١).

(٢) صفة الصفوة (٣/ ١٨٩).

قرن الله شهادتهم بشهادته وشهادة الملائكة:

فقال تعالى ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ﴾ [آل عمران: ١٨].

جعلهم الله المرجع للناس والمبلغين عنه:

فقال تعالى ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧﴾ ﴾ [الأنبياء: ٧].

يستغفر لهم كل المخلوقات:

عن أبى أمامة الباهلى قال: قال ﷺ" **فضلُ العالم على العابدِ كفضلى على أدناكم ثمَّ قالَ رسولُ اللهِ ﷺ إنَّ اللهَ وملائِكتَهُ وأَهلَ السَّماواتِ والأرض حتى النَّملةَ فى جُحرها وحتى الحوتَ ليصلُّونَ على معلِّم النَّاس الخيرَ**"[(١)].

رفع الله مرتبته فجعله أفضل من العابد:

قال ﷺ "**وفضل العالم على العابد كفضلى على أدناكم.....**".

أهل العلم حصون وحماية للناس:

لذا إذا ماتوا حزن الناس عليهم بل على أنفسهم قال أبووائل قدم علينا ابن مسعود، فنعى لنا عمر، فلم أرَ يومًا كان أكثر باكيًا ولا حزينًا منه فقال " والله لو أعلم عمر كان يحب كلبًا لأحببته"[(٢)].

وعن حذيفة قال يوم مات عمر " اليوم ترك المسلمون حافة الإسلام وقال كان الإسلام فى زمن عمر كالرجل المقبل ما يزداد إلا قربًا، فلما قتل

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٦٨٥)، وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي.
(٢) الطبقات الكبرى (٣/ ٣٧٢)، تاريخ دمشق (٤٤/ ٤٥٩).

عمر كان كالرجل المدبر ما يزداد إلا بعدًا "[١].

ولما مات عمر بكى سعيد بن زيد فقيل له ما يبكيك قال على الإسلام[٢].

كان ابن مسعود عندما يذكر عمر يبكى حتى يبل الحصى ويقول كان عمر حصنًا للإسلام [٣].

أهل العلم كالشمس للدنيا والعافية للناس:

فعند الجهل يعلمونهم قال تعالى ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧﴾ ﴾ [الأنبياء: ٧].

وعند الفتن يقفون حصنًا حصينًا ويردونهم إلى الصواب قال تعالى ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ [القصص: ٨٠].

يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويصبرون على أذى الناس ﴿ يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ ﴾ [لقمان: ١٧].

فما أسوأ أثر الناس عليهم وما أحسن أثرهم في الناس.

يوم القيامة لا يتحدث أحد سواهم:

قال تعالى ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَٰلِكَ كَانُواْ يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ

(١) الطبقات الكبرى (٣/ ٣٧٣).
(٢) الطبقات الكبرى (٣/ ٣٧٢).
(٣) الطبقات الكبرى (٣/ ٣٧١).

يَوْمِ ٱلْبَعْثِ ۖ فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الروم: ٥٥-٥٦].

عملهم هداية الناس والصبر على ذلك لذا جعل الله عمل الناس في ميزان حسناتهم:

عن أبى هريرة ﷺ قال: قال ﷺ" من دعا إلى هدًى، كان له من الأجر مثلُ أجور من تبعه، لا يُنقِصُ ذلك من أجورهم شيئًا. ومن دعا إلى ضلالةٍ، كان عليه من الإثم مثلُ آثام من تبعه، لا يُنقِصُ ذلك من آثامِهم شيئًا"[(١)].

أهل العلم تضع لهم الملائكة أجنحتها رضا بما يصنعون:

عن أبى الدرداء ﷺ قال: قال ﷺ" من سلَكَ طريقًا يبتغى فيهِ علمًا سلَكَ اللهُ بهِ طريقًا إلى الجنَّةِ وإنَّ الملائِكةَ لتضعُ أجنحتَها رضاءً لطالب العلم وإنَّ العالمَ ليستغفرُ لَهُ من فى السَّمواتِ ومن فى الأرض حتَّى الحيتانُ فى الماءِ وفضلُ العالم على العابدِ كفضل القمر على سائر الكواكب إنَّ العلماءَ ورثةُ الأنبياءِ إنَّ الأنبياءَ لم يورِّثوا دينارًا ولا درْهمًا إنَّما ورَّثوا العلمَ فمَن أخذَ بهِ فقد أخذَ بحظٍّ وافر" [(٢)].

أهل العلم يرفعهم الله درجات:

قال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُواْ فِى ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُواْ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾ ﴾ [المجادلة: ١١].

❁ كيف ينال العلم؟

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٤٧).

(٢) سبق تخريجه.

العلم يحتاج الى مقومات وجهد ووقت وحرص وجلوس بين يدي العلماء.

وصدق القائل:

أخـــى لـــن تنـــال العلـــم إلا بســـتة ســـأنبيك عـــن تفصـــيلها ببيـــان
ذكـــاء وحـــرص وافتقـــار وبلغـــة وتلقـــين أســـتاذ وطـــول زمـــان

الحرص على الوقت:

إنَّ الوقت هو عمر الإنسان فاملأه بما يرضى الله تعالى وما أعظم أن تملأه بالعلم.

وكان سلفنا الصالح حريصين على العلم فكان الوقت الذي يذهب في غير العلم ثقيلًا.

عليهم فكان الخليل يقول: أثقل الساعات عليَّ ساعة آكل فيها [١].

ولحرصهم على الوقت كانوا يبدأون عملهم مبكرين...

فكان الشعبى يُسأل من أين لك هذا العلم؟

قال بنفى الاعتماد، والسير في البلاد، وبكور كبكور الغراب، وصبر كصبر الحمار[٢].

بل كانوا لحرصهم على الوقت يعدون في الطرقات...

ولذلك كان أحمد بن حنبل يقول: ما رأيت أحدًا يعدو إلا قلت مجنون

---

(١) الحث على طلب العلم لأبى هلال العسكري (١/ ٨٧).

(٢) تاريخ دمشق (٢٥/ ٣٥٥)، السير للذهبي (٤/ ٣٠٠).

أو صاحب حديث [١].

فإضاعة الوقت أشد من الموت...

لأنَّ إضاعة الوقت تقطعك عن الله والدار الآخرة...

والموت يقطعك عن الدنيا وأهلها.

طالب العلم بالجهد والتقوى يصل إلى الدرجات العلى والذكرى الحسنة، وهو فضل الله يؤتيه من يشاء ولكن عليك أن تبذل وتطلب.

قال ابن مسعود " إنَّ عمر كان أعلمنا بكتاب الله وأفقهنا فى دين الله "[٢].

كل ذلك لأنَّ عمر بذل واجتهد وضحى بنفسه وماله ووقته من أجل طلب العلم فأعطاه الله تعالى بسبب جهده من فضله الواسع.

وعلى قدر أهل العزم تأتي العزائم فقد يمن الله على العبد بسبب جهده فلا يوزن علمه بعلم الأفراد بل يوزن بعلم الأمم.

يقول ابن مسعود " لو أنَّ علم عمر وضع فى كفة ميزان ووضع علم أحياء الأرض فى كفة لرجح علم عمر بعلمهم ".

قال الأعمش: فأنكرت ذلك فأتيت النخعى فذكرت له...

فقال: وما أنكرت من ذلك فوالله لقد قال عبدالله أفضل من ذلك...

قال " إني لأحسب تسعة أعشار العلم ذهب يوم مات عمر "[٣].

---

(١) تاريخ بغداد (١٦/ ٤٧٦).

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٨٨٢٢)، وابن أبى شيبة (١٢/ ٢٦)، تاريخ دمشق (٤٤/ ٣٧٤).

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٩/ ١٦٣)، وقال الهيثمى في المجمع (٩/ ٦٨) ورجاله رجال الصحيح غير أسد بن موسى وهو ثقة، تاريخ دمشق (٤٤/ ٢٨٣)، تاريخ الإسلام للذهبي (٣/ ٢٦٧).

وهذا إنذار لمن يتعذر بأنه لا يستطيع طلب العلم من أجل العمل والدنيا والانشغال فإنَّ عمر كان أميرًا للمؤمنين يرعى حاجات الناس في دنياهم ودينهم، ويسأل نفسه عن صغيرهم وكبيرهم بل وعن دوابهم، ولم يمنعه ذلك أن يحوز الدرجات العلى في العلم.

التعب والسهر والجد:

إنَّ أهل العلم علموا أنَّ العلم لا ينال براحة الجسم بل بالتعب والسهر والجد لذلك امتثلوا في عملهم قول القائل:

لأستسهلن الصعب أو أدرك المنى
فما انقادت الآمال إلا لصابر

وكان النووي يحكى عن نفسه ويقول بقيت سنتين لم أضع جنبى الأرض وكان يقول عندما سئل عن نومه إن غلبتنى عينى استندت إلى الكتب لحظة وأنتبه [(١)].

عدم الإنتخاب:

لأنَّ الانتخاب يضيع منك كثيرًا من العلم لذا كان أهل العلم يأخذون من العلم بنهم كالجائع الذي لايشبع أو الظمآن الذي لايرتوى وكيف يشبع أحد أو يرتوى من حِكَم العلم ولآلئه التى لا تنتهى.

لذا قال ابن المبارك: ما انتخبت على عالم قط إلا وندمت [(٢)].

وكان مكحول يقول: طفت الأرض في طلب العلم.

وقال أعتقت بمصر فلم أدع بها علمًا إلا حويته فيما أرى، ثم أتيت

(١) المنهل العذب الروي للسخاوي (١/ ٤).
(٢) تاريخ دمشق (٣٢/ ٤٤٣).

العراق، ثم أتيت المدينة فلم أدع بها علمًا إلا حويته فيما أرى، ثم أتيت الشام فغربلتها [١].

المداومة على طلب العلم:

لم يكن لطلب العلم وقتًا يبدأون فيه ولا وقتًا ينتهون فيه بل مهما بلغوا من الدرجات فإنهم كانوا دائمين على الطلب.

كانوا دائمين في طلب العلم لأنهم كان يحضرهم قول الله تعالى ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾ [الإسراء: ٨٥]، وقوله ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۗ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾ [طه:١١٤].

فعلموا أنهم مهما تعلموا من العلم فقد أخذوا القليل...

ولما رئى أحمد وهو يبحث ويرحل ويتعلم فقيل له إلى متى؟

فقال مع المحبرة إلى المقبرة [٢] أي أنَّ التعلم يكون إلى الموت.

أخذ العلم عمن فوقهم ومن هو دونهم:

كان أهل العلم لا يفرقون في أخذ العلم بين الأعلم أو الأقل علمًا فكانوا يأخذون العلم من الجميع.

فكان أبوبكر يأخذ العلم من غيره من الصحابة وهم أقل منه علمًا.

وكان عمر يأخذ من أبى موسى الأشعري وأبى سعيد الخدري وهما أقل منه علمًا.

---

(١) تذكرة الحفاظ للذهبى (١/ ٨٢)، تاريخ الإسلام للذهبى (٣/ ٣٢٠).
(٢) الآداب الشرعية لابن مفلح (٢/ ١٢٧).

لذا كان وكيع يقول: لن ينبل العبد حتى يأخذ عمن فوقه ومن هو دونه ومن هو مثله [١].

ملازمة أهل العلم:

إنَّ ملازمة أهل العلم والجلوس تحت ركبهم يفتح لك آفاقًا من العلم.

فَلَكَمْ حفظ أبوهريرة وجمع من الأحاديث بملازمته للنبى ﷺ أكثر من غيره بل قد تأتي العطايا والمنح ولا تكون إلا لمن لازمه.

عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: يقولون: إنَّ أبا هريرةَ يُكْثِرُ الحديثَ، واللهُ الموعدُ، ويقولون: ما للمهاجرين والأنصارِ لا يُحَدِّثون مثلَ أحاديثِه؟ وإنَّ أخوتي مِن المهاجرين كان يَشْغَلُهم الصّفْقُ بالأسواقِ، وإنَّ إخوتي مِن الأنصارِ كان يَشْغَلُهم عملُ أموالِهم، وكنتُ امرأً مسكينًا، أَلْزَمُ رسولَ اللهِ ﷺ على ملءِ بطني، فأَحْضُرُ حينَ يَغِيبون، وأَعِي حين يَنْسَوْن، وقال النبيُّ ﷺ يومًا: **لن يَبْسُطَ أحدٌ منكم ثوبَه، حتى أَقْضِيَ مقالتي هذه، ثم يَجْمَعَه إلى صدرِه فيَنْسَى مِن مقالتي شيئًا أبدًا**، فبَسَطْتُ نَمِرَةً ليس عليَّ ثوبٌ غيرَها، حتى قضى النبيُّ ﷺ مقالتَه، ثم جَمَعْتُها إلى صدري، فوالذي بعَثَه بالحقِّ، ما نَسِيتُ مِن مقالتِه تلك إلى يومي هذا، واللهِ لولا آيتانِ في كتاب اللهِ، ما حدَّثْتُكم شيئًا أبدًا: إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات - إلى قوله - الرحيم "[٢].

ودخل أبوهريرة على عائشة...

فقالت له: أكثرت يا أباهريرة عن رسول الله ﷺ.

---

(١) الآداب الشرعية لابن مفلح (٢/ ١٩٢).

(٢) أخرجه البخاري (٢٣٥٠)، مسلم (٢٤٩٢).

فقال: إي والله ياأماه ما كانت تشغلنى عنه المرآة ولا المكحلة ولا الدهن. قالت: لعله[١].

النظر للمستقبل:

فطالب العلم لا ينظر تحت قدميه بل ينظر دائمًا للمستقبل إذ أنَّ النظرة القاصرة قد تتسبب في ضعف الهمة عن العمل.

تعلَّمْ: وإن تأخر تحصيل العلم فقد يُجمع لك يومًا ما...

تعلَّمْ: وإن كان في العلم كفاية فقد يُحتاج لك يومًا ما...

عن ابن عباس ﷺ قال: لما توفي رسول الله ﷺ.

قلت لرجل من الأنصار: يافلان هلم فلنسأل أصحاب النبى ﷺ فإنهم اليوم كثير.

فقال: واعجبًا لك يابن عباس أترى الناس يحتاجون إليك وفي الناس من أصحاب النبى ﷺ من ترى؟!

فترك ذلك وأقبلتُ على المسألة...

فإن كان ليبلغنى الحديث عن الرجل فآتيه وهو قائل فأتوسد ردائى على باب بيته فتسفى الريح وجهى التراب فيخرج فيراني، فيقول: يابن عم رسول الله ما جاء بك؟ ألا أرسلت إلىَّ فآتيك.

فأقول: أنا أحق أن آتيك.

فقال: بقي الرجل حتى رآني قد اجتمع عليَّ الناس.

---

(١) أخرجه الحاكم (٣/ ٥٨٢)، وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

فقال: كان هذا الفتى أعقل منى [(١)].

طلبهم للعلم كان في كل الأحوال:

لايمنع منه عارض:

فإن كان فقيرًا عمل وأنفق على نفسه وأهله وتعلَّمَ...

وإن كان غنيًّا عمل في ماله ونمَّاه وتعلَّمَ...

ففى الصيف ما كان يمنعهم حره من طلب العلم...

وفي الشتاء ما كان يحجزهم برده عن طلب العلم...

وفي الخريف ما كان يؤذيهم يبسه ويمنعهم عن طلب العلم...

وفي الربيع ما كان يلهيهم طيب هوائه عن طلب العلم...

أخى الحبيب:

إنَّ الموانع مستمرة لا تنقطع فإن حجزك هذا ومنعك ذاك فمتى ستطلب العلم.

وصدق القائل:

إذا كان يؤذيك حر المصيف ... ويبس الخريف وبرد الشتا

وبلهيك طيب هواء الربيع ... فأخذك للعلم قل لي متى

(١) أخرجه الحاكم (٣/ ٦١٩) على شرط البخاري ووافقه الذهبى، سنن الدارمى (١/ ٤٦٧).

✍أهل العلم جمعوا خيري الدنيا والآخرة:

أهل العلم لم يأخذوا الآخرة فقط بل حصلوا على أحلى ما في الدنيا وإن لم يبحثوا عنها ويرغبوا فيها.

✍أهل العلم هم أكثر الناس راحة وسعادة وطمأنينة:

وما أحسن ما قال ابن أدهم "لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه من لذيذ العيش لجالدونا عليه بالسيوف"[(١)].

❁ أهل العلم نالوا الملك في الدنيا:

فأعظم مُلك الدنيا هو حب الناس لهم واحتياجهم لهم...

بل هو أعظم الملك إذ احتياج الناس للملوك وتقديرهم لهم وتعظيمهم إياهم قد يكون مع الخوف والكره.

أما أهل العلم فاحتياج الناس لهم مع المحبة والتعظيم.

كان ابن المبارك يسير يومًا والناس يسيرون مسرعين خلفه وارتفعت الغبرة...

فرأتهم امرأة في قصر الخليفة هارون الرشيد...

فقالت: من هذا؟

قالوا: عالم من أهل خراسان قدم.

قالت: هذا والله الملك لا ملك هارون الرشيد الذي يجمع الناس بشرط

---

(١) حلية الأولياء (٧/ ٣٧٠)، الزهد الكبير للبيهقي (١/ ٩٢)، تاريخ دمشق (٦/ ٣٠٣).

وأعوان[١].

الشهرة:

كثير من أهل الدنيا يبحث عن الشهرة ومعرفة الناس به ولو كان بالمعصية ومخالفة أمر الله بل ومحاربته دين الله أحيانًا، المهم أن يصل إلى هذه الشهرة.

وأهل العلم نالوا هذه المكانة مع أنهم لم يطلبوها وخاصة أنَّ محبتهم ومعرفتهم تزداد عند أهل الطاعة والإيمان.

قال يونس بن عبد الأعلى يومًا: حدثنى أبوزرعة...

فقيل: من هذا؟

فقال: إنَّ أبازرعة أشهر في الدنيا من الدنيا.

العزة:

أهل العلم هم أكثر الناس عزة.

لأنَّ عزتهم أتت من تمسكهم بأمر الله وحفظ دينه وتبليغه للناس...

ليس عزة القوة والقهر والغلبة على الأبدان، بل هى قوة القهر والغلبة على الأرواح والقلوب.

فهذا سليمان بن عبدالملك خليفة المسلمين وأعظم ملوك الأرض في وقته أتى للحج ومعه ولداه فلما طاف سأل الناس أين صاحبكم؟

فقالوا قائم يصلي...

---

(١) تاريخ بغداد (١٠/ ١٥٦)، تاريخ دمشق (٣٢/ ٤٤٧)، سير أعلام النبلاء (٨/ ٣٨٤)، تاريخ الإسلام (٢٠/ ١٣٠).

فاتجه الخليفة إليه وولداه معه...

ونظر أولاده إلى هذا لرجل الذي يذهب له الخليفة بنفسه ويسأل عنه فإذا هو شيخ حبشى أسود البشرة أفطس الأنف...

فلما انتهى من الصلاة اتجه إلى الخليفة فسلم عليه...

فجعل الخليفة يسأله عن المناسك وهو يجيبه...

وانصرف الخليفة ثم نادى مناد الخليفة لا يفتى الناس في هذا المقام إلا عطاء بن أبى رباح

فإن لم يوجد فعبدالله بن أبى نجيح...

فالتفت أحد أبنائه إليه وقال كيف يأمر عامل أمير المؤمنين الناس بأن لا يستفتوا أحدًا إلا عطاء بن أبى رباح وصاحبه ثم جئنا نحن نستفتى هذا الرجل؟

فقال سليمان لولده...

هذا الذي رأيته ورأيت ذلنا بين يديه هو عطاء بن أبى رباح وارث عبدالله بن عباس...

ثم قال: يابنى تعلموا العلم...

فبالعلم يشرف الوضيع...

وينبه الخامل...

ويعلو الأرقاء على مراتب الملوك [١].

(١) تاريخ دمشق (٤٠/ ٣٧٥).

❁ صورة مشرقة للعالم والمتعلم:

إنَّ هناك صورًا مضيئة كثيرة للعالم والمتعلم ولكن نأخذ صورة واحدة نأخذ منها العظة والعبرة ونتعلم منها.

- وهى صورة يظهر فيها أدب المتعلم، وصدق العالم.
- يظهر فيها همة المتعلم، وحلم المعلم.
- يظهر فيها صبر المتعلم قدر استطاعته، وسعة صدر المعلم.
- يظهر فيها نهم المتعلم وحبه للعلم، وكرم وجود المعلم.
- إنها حقًّا صورة مضيئة كضياء السراج، حسنة كحسن القمر.

قد يفجأك الخبر إن علمت أنَّ المتعلم هو موسى كليم الله ومن الخمسة أولى العزم.

عن ابن عباس قال "" حَدَّثنا أُبَيُّ بن كعب قال سَمِعْتُ رسول الله ﷺ يقول: «**إنه بينما موسى عليه السلام فى قومه يذكرهم بأيام الله وأيام الله نعماؤه وبلاؤه إذ قال ما أعلم فى الأرض رجلًا خيرًا أو أعلم منى. قال فأوحى الله إليه إنِّى أعلم بالخير منه أو عند من هو إنَّ فى الأرض رجلًا هو أعلم منك. قال يا رَبِّ فدلنى عليه. قال فقيل له تزود حوتًا مالحًا فإنه حيث تفقد الحوت. قال فانطلق هو وفتاه حتى انتهيا إلى الصخرة فَعُمِّىَ عليه فانطلق وترك فتاه فاضطرب الحوت فى الماء فجعل لا يلتئم عَليه صار مثل الْكُوَّة قال فقال فتاه ألا ألحق نبى الله فَأُخْبره قال فَنُسِّىَ. فلمَّا تجاوزا قال لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبًا. قال ولم يصبهم نصبٌ حتى تجاوزا. قال فتذكر قال أَرَأَيْتَ إذ أوينا إلى الضخرة فإنِي نسِيتُ الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان أَنْ أذكره واتَّخذ سبيله في البحر عجبًا.**

قال ذلك ما كنَّا نبغى. فارتدَّا على آثارهما قصصًا فأراه مكان الحوت قال ها هنا وصف لى. قال فذهب يلتمس فإذا هو بالْخَضِر مُسَجًّى ثوبًا مستلقيًا على القفا أو قال على حلاوة القفا قال السلام عليكم. فكشف الثوب عن وجهه قال وعليكم السلام من أنت قال أنا موسى. قال ومن موسى قال موسى بنى إسرائيل. قال مجيءٌ ما جاء بك قال جِئْتُ لتعلمنى ممَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا. قال إنك لن تستطيع معى صَبْرًا وكيف تصبر على ما لم تحط به خُبرًا. شيءٌ أُمِرْتُ به أَنْ أفعله إذا رَأَيْتَهُ لم تصبر. قال ستجدنِي إنْ شاء الله صابرًا ولا أعصى لك أمرًا. قال فإن اتبعتنى فلا تسألنى عن شيءٍ حتى أحدث لك منه ذكرًا. فانطلقا حتى إذا ركبا فِى السفينة خرقها. قال انتحى عليها. قال له موسى عليه السلام أخرقتها لتغرق أهلها لقد جِئْتَ شيئًا إمرًا. قال ألم أقل إنك لن تستطيع معى صبرًا قال لا تؤاخذنِي بما نَسِيتُ ولا ترهقنى من أمرى عسرًا. فانطلقا حتى إذا لقيا غلمانًا يلعبون. قال فانطلق إلى أحدهم بادى الرأى فقتله فَذُعِرَ عندها موسى عليه السلام ذَعْرَةً مُنْكرةً.

قال: أَقَتَلْتَ نفسًا زاكيةً بغير نفس لقد جِئْتَ شيئًا نُكْرًا. فقال رسول الله ﷺ عند هذا المكان « رحمة الله علينا وعلى موسى لولا أنه عجل لرأى العجب ولكنه أَخَذَتْه من صاحبه ذمامة. قال إنْ سألتُك عن شيءٍ بعدها فلا تصاحبنى قد بَلَغْتَ من لَدُنِّى عذرًا. ولو صبر لرأى العجب - قال وكان إذا ذكر أحدًا من الأنبياء بدأ بنفسه « رحمة الله علينا وعلى أخى كذا رحمة الله علينا - « فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قريةٍ لِئَامًا فطافا فِى المجالس فاستطعما أهلها فَأَبَوْا أَنْ يضيفوهما فوجدا فيها جدارًا يريد أَنْ ينقض فأقامه. قال لو شِئْتَ لاتخذت عليه أجرًا.

قال هذا فِرَاقُ بينى وبينك وأخذ بثوبه. قال سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرًا أمَّا السفينة فكانت لمساكين يعملون فِي البحر إلى آخر الآية. فإذا

جاء الذى يسخرها وجدها منخرقةً فتجاوزها فأصلحوها بخشبةٍ وأمَّا الغلام فَطُبِعَ يوم طُبِعَ كافرًا وكان أبواه قد عطفا عليه فلو أنه أدرك أرهقهما طغيانًا وكفرًا فأردنا أَنْ يبدلهما ربهما خيرًا منه زكاةً وأقرب رحمًا. وأمَّا الجدار فكان لغلامَيْن يتيمَيْن فى المدينة وكان تحته». إلى آخر الآية."[(١)].

❁ الفوائد والعبر:

✍ بذل الجهد من أجل العلم وزيادته:

علم موسى أنَّ هناك رجلًا أعلم منه أي عنده بعض علم ليس عند موسى فلم يكتف موسى بما عنده من العلم وأراد الزيادة فقام موسى وغلامه يبحثان عنه.

✍ الحصول على العلم أهم من الحصول على الطعام والشراب:

سار موسى وعلم أنَّ علامة حصوله على الخضر هو فقدان الحوت فلما اشتد عليهما الجوع وطلب موسى من غلامه الطعام ﴿قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾﴾ [الكهف:٦٣]...

فنسى موسى أنه كان جائعًا، أنساه ذلك فرحةُ وجود العلم لذا ما عنف غلامه وما زجره بل قال ذلك ما كنا نبغى.

✍ تعلم التواضع:

يذهب موسى لرجل أقل منه مكانة لكنه لما علم أنَّ عنده من العلم ما ليس عند موسى ذهب إليه وتعلم على يديه.

---

(١) أخرجه البخاري (١٢٢)، مسلم (٢٣٨٠).

ومنها تعلم أنَّه مهما أوتى العبد من العلم لم يؤت إلا قليلًا:

وهو أول ما أشار به الخضر لموسى ففى رواية " قال يا موسى إنَّ علمى من علم الله علمنيه الله لا تعلمه وأنت على علم من علم الله علمكه الله لا أعلمه وعلمى وعلمك وعلم الخلائق في علم الله كما يأخذ العصفور من البحر ".

العلم هو الهداية والرشاد قال ﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلۡ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمۡتَ رُشۡدٗا ٦٦﴾ [الكهف: ٦٦].

الصبر هو عدة العلم:

فلما قال له موسى إنَّ سبب مجيئه هو العلم قال ﴿قَالَ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا ٦٧﴾ [الكهف:٦٧].

فقال له الخضر إنَّ العلم يحتاج إلى صبر فكلما عظم العلم كان احتياجه للصبر أكثر.

فبين موسى عليه السلام أنه مستعد للأمرين معًا الصبر والطاعة.

ومنها أنَّ أصحاب الدعوات لا يقدرون على تحمل رؤية المنكر ويسكتون عنه:

فأنسى موسى ما رآه العهد الذي بينه وبين الخضر وأنكر عليه فلما ذكَّره تذكر.

ومنها تعلم أنَّ المنكر قد يفعل لدفع منكر أعظم منه، كما فعل الخضر في حالتى خرق السفينة والقتل.

ومنها تعلم أنَّ الصبر قرين العلم، فكلما قوى الصبر وزاد زاد معه العلم وكلما قل قل.

وقد أخذ موسى من العلم على قدر الصبر.

لذا قال النبيُّ ﷺ" **يرحمُ اللهُ موسى، لو كان صبر لقُصَّ علينا من أمرهما**"(١).

ومنها تعلم أنَّ العلم لا ينال إلا بعد التواضع والمذلة والتعب والجهد:

قال الخطيب البغدادي رحمه الله " قال بعض أهل العلم إنَّ في ما عاناه موسى من الدأب والسفر والصبر عليه ومن التواضع والخضوع للخضر بعد معاناة قصده مع محل موسى من الله وموضعه من كرامته وشرف نبوته دلالة على ارتفاع قدر العلم وعلو منزلة أهله وحسن التواضع لمن يلتمس منه ويؤخذ عنه ولو ارتفع عن التواضع لمخلوق أحد لارتفاع درجة وسمو منزله لسبق إلى ذلك موسى فلما أظهر الجد والاجتهاد والانزعاج عن الوطن والحرص على الاستفادة مع الاعتراف بالحاجة إلى أن يصل من العلم إلى ما هو غائب عنه دل على أنه ليس في الخلق من يعلو على هذه الحالة ولا يكبر عنها (٢).

آداب المتعلم:

وآداب طالب العلم كثيرة منها:

١- الإخلاص:

قال تعالى ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ٥ ﴾ [البينة: ٥].

(١) أخرجه البخاري (٣٤٠١)، مسلم (٢٣٨٠).

(٢) الرحلة في طلب الحديث (١/ ١٠٦).

وهذا من الآداب التى يشترك فيها المعلم والمتعلم.

وأعظم العبادات طلب العلم.

قال مُهَنَّا: قُلْتُ لأحمد: حدِّثْنا ما أفضل الأعمال قال: طلب العلم قُلْتُ: لِمَنْ، قال: لِمَنْ صَحَّتْ نِيَّته قُلْتُ: وأيُّ شيءٍ يصحح النية قال ينوي يتواضع فيه وينفى عنه الجهل [١].

فعلى العبد أن يستحى من الله وأن لا يصرف أجل الأعمال وأعظمها لغير الله.

٢- التواضع:

وهو من الصفات التى يشترك فيها المعلم والمتعلم فمن تواضع لله رفعه ولكم تعلم الأفاضل الأخيار ممن هو أدنى منهم...

فخفض الجناح والذلة لله ولطلب رضاه لا تزيد العبد إلا علمًا وعزة.

وصدق القائل:

تواضـــــع تكـــــن كالبـــــدر يبصـــــر وجهـــــه
علـــــى صـــــفحات المـــــاء وهـــــو رفيـــــع
ولا تكـــــن كالـــــدخان يعلـــــو بنفســـــه
إلـــــى طبقـــــات الجـــــو وهـــــو وضـــــيع

والعبد كلما أذل نفسه لله أعزه الله تعالى وما أعظم أن يعزك بالعلم.

قال ابن عباس " ذللتُ طالبًا فعززتُ مطلوبًا " [٢].

---

(١) طبقات الحنابلة (١/ ٣٨٠)، الآداب الشرعية (٢/ ١٠٤).

(٢) المجالسة وجواهر العلم للدينوري (٤/ ٤٣٩/ ١٦٣٥)، جامع بيان العلم لابن عبدالبر (١/ ٢٣١).

والمذلة لا تطول إنما هى دليل الصدق والإخلاص إن علم الله منك ذلك رفع عنك هذه المذلة وأبدلك عزًّا يدوم.

ومن لم يذق مذلة العلم قليلًا دامت عليه مذلة الجهل إذ الجهل أعظم المذلات.

وصدق القائل:

مـــــن لـــــم يـــــذق مـــــر الـــــتعلم ســـــاعة
تجـــــــرع ذل الجهـــــــل طـــــــول حياتـــــــه
وذات الفتـــــــى بـــــــالعلم الله والتقـــــــى
إذا لـــــــم يكونـــــــا لا اعتبـــــــار لذاتـــــــه

وصدق القائل:

ومـــــن لـــــم يـــــذق طعـــــم المذلـــــة ســـــاعة
قطـــــــع الزمـــــــان بأســـــــره مذلـــــــولًا

٣_ ومن آداب المتعلم مع معلمه:

- أن ينظر عمن يأخذ منه.

قال ابن سيرين: إنَّ هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم [(١)].

- لا تسيرنَّ أمامه في طريق...

- لا تواجهه بالخطأ...

- تأدب معه في لفظك ولحظك...

قال الربيع صاحب الشافعي"ما اجترأت أن أشرب الماء والشافعي ينظر

(١) مسلم في المقدمة (١/ ١٤)، والدارمي (١/ ١٢٤).

إلىَّ هيبة له "[١].

قال على بن أبى طالب " من حق المعلم عليك:

- أن تسلم على الناس عامة وأن تخصه دونهم بتحية...

- أن تجلس أمامه...

- لا تشيرنَّ عنده بيدك...

- ولا تغمزن بعينك...

- ولا تقولن قال فلان خلاف ما تقول...

- ولا تغتابن عنده أحد...

- ولا تشاور جليسك في مجلسه...

- ولاتأخذ بثوبه إذا قام...

- ولا تحل عليه إذا كل...

- ولا تعرض: أي تشبع من طول صحبته "[٢].

٤- لا تستكثر العلم:

ينبغى لطالب العلم أن لا يستكثر العلم لأنه مهما أخذ فإنه أخذ منه القليل فلا يقنع بالقليل مع تمكنه من الكثير فينبغى أن يستغل نشاط نفسه وهمتها.

---

(١) المدخل للبيهقى (٢/ ٧٨).

(٢) الإلماع للقاضى عياض (١/ ٤٨)، جامع بيان العلم وفضله (١/ ٢٥٥)، الجامع لأخلاق الراوي للخطيب البغدادي (١/ ١٩٩).

٥- لا يهمك أن تكون متقدمًا أو متأخرًا:

المهم أن تكون عاملًا سواء كنت مقدمًا عند الناس أو متأخرًا.

لما عزل عمر خالدًا وسلم القيادة لأبى عبيدة، وأرسل الرسالة لأبى عبيدة لم يخبر أبوعبيدة خالدًا حتى انتهت المعركة.

فقال له خالد: يغفر الله لك أتاك كتاب أمير المؤمنين بالولاية، ولم تعلمنى، وأنت تصلى خلفى والسلطان سلطانك.

قال أبو عبيدة: وأنت يغفر الله لك ما كانت لأعلمك ذلك، وما كنت لأكسر عليك حربك حتى ينقضى ذلك، ثم قد كنت أُعلِمُك إن شاء الله...

وما سلطان الدينا أريد وما للدينا أعمل، وإنَّ ما ترى سيصير إلى زوال...

وإنما نحن إخوان...

وما يضر المرء أن يلى عليه أخوه فى دينه أو دنياه[١].

٦- التحلى بأدب الاختلاف:

وهذا من الآداب التى تلزم المعلم والمتعلم.

إنَّ التحلى بأدب الخلاف أمر واجب على العالم والمتعلم كما تحلى بذلك الرعيل الأول وتابعوهم...

فإنه يزين العلم ويبارك فيه...

وينشر الألفة والمودة والرحمة...

ويغلق على الشيطان مداخله...

---

(١) سير أعلام النبلاء (١/ ٣٨٠)، تاريخ دمشق (١٦/ ٢٦٦).

حيث إنَّ الاختلاف أمر وارد لكن لابد معه من الأدب الذي لا يزيل المودة والرحمة، بل إنه اختلاف تشاور ونصح لا تشاحن وتباغض.

❁ وها هى صور من صور الاختلاف لكنها مزهرة بالأدب:

عن محمد بن عبد الله بن عبد الحكم، قال: سمعتُ الشافعى، يقول: قال لى محمد بن الحسن: صاحبنا أعلم أم صاحبكم.

قلتُ: تريد المكابرة أو الإنصاف؟ فقال: بل الإنصاف، قلتُ: فما الحجة عندكم؟ قال: الكتاب والسنة والإجماع والقياس. قال: قلتُ: أنشدك بالله أصاحبنا أعلم بكتاب الله أم صاحبكم؟

قال: صاحبكم.

قلتُ: فصاحبكم أعلم بأقاويل أصحاب رسول الله ﷺ أم صاحبنا؟ قال: فقال: صاحبكم.

قلتُ: فبقى شىءٌ غير القياس؟

قال: لا.

قلتُ: فنحن نُدْعَى القُيَّاس أكثرَ ممَّا تُدعَون أنتم.

وإنما القياس على الأصول يعرف القياس. قال: ويريد صاحبه مالك بن أنس رَحِمَهُ اللَّهُ [(١)].

قال ابن خلكان:

قال ابن سريج لمحمد بن داود يومًا: أنت تقول بالظاهر، ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا

(١) حلية الأولياء (٦/ ٣٢٩، ٩/ ٧٤).

يَـرَهُۥ ﴿٨﴾ ﴾[الزلزلة: ٧ – ٨] فمن يعمل نصف مثقال؟

فسكت محمد طويلًا...

فقال له أبو العباس: لم لا تجب.

فقال: أبلعنى ريقى.

فقال له أبو العباس: أبلعتك دجلة.

وقال له يومًا: أمهلني ساعة.

فقال: أمهلتك من الساعة إلى أن تقوم الساعة [(١)].

قال ابن تيمية: وحكاية أبى يوسف مع مالك في ذلك مشهورة، لما سأله عن مقدار الصاع والمد، فأمر أهل المدينة أن يأتوه بصيعانهم حتى اجتمع عنده منها شيء كثير... فلما حضر أبويوسف...

قال مالك لواحد منهم: من أين لك هذا الصاع؟

قال: حدثنى أبى، عن أبيه، أنه كان يؤدي به صدقة الفطر إلى رسول الله ﷺ.

وقال الآخر: حدثتنى أمى عن أمها أنها كانت تؤدي به -يعنى صدقة حديقتها – إلى رسول الله ﷺ.

وقال الآخر نحو ذلك.

وقال الآخر نحو ذلك.

فقال مالك لأبي يوسف: أترى هؤلاء يكذبون؟

(١) وفيات الاعيان (١/ ٦٦)، طبقات الشافعية (٣/ ٢٤).

قال: لا، والله ما يكذب هؤلاء.

قال مالك: فأنا حررت هذا برطلكم ياأهل العراق فوجدته خمسة أرطال وثلثًا.

فقال أبو يوسف لمالك: قد رجعت إلى قولك ياأبا عبدالله، ولو رأى صاحبى ما رأيت لرجع كما رجعت [١].

❁ الإنصاف وعدم العصبية:

وهذا أمر واجب على المعلم والمتعلم فهو شجرة لإثمار العلم وزيادته.

والإنصاف هو دأب الصالحين إذ هو يديم المحبة ويوحد الأمة ويقضى على العصبية.

عن ضرار بن ضمرة الكنانِي لما سأله معاوية صف لى عليًّا قال " كان يستوحش من الدنيا وزهرتها ويأنس بالليل ووحشته...

فسالت دموع معاوية على لحيته ما يملكها وجعل ينشفها بكمه وقد اختنق القوم بالبكاء فقال " كذا كان أبو الحسن " [٢].

وها هو على ﷺ يسمع رجلين ينالان من عائشة وكان ذلك فى زمن الفتنة فأمر القعقاع أن يجلد كل واحد منهما مائة جلدة [٣].

وقالت عائشة: ما كنا بيني وبين عليٍّ إلا كما يكون بين المرأة وأحمائها

---

(١) السنن الكبرى للبيهقى (٤/ ١٧١)، مجموع الفتاوى (١/ ١٣٣)، عمدة القاري للعينى (٣٤/ ٧٠).

(٢) تاريخ دمشق (٢٤/ ٤٠١)، صفة الصفوة (١/ ٣١٥)، حلية الأولياء (١/ ٨٤).

(٣) البداية والنهاية (٧/ ٢٧٤)، العواصم من القواصم (١/ ١٦٣).

وإنه عندي على معتبتى من الأخيار [١].

وقال عليٌّ: صدقَت والله وبرت وما كان بينى وبينها إلا ذاك وإنها لزوجة نبيكم فى الدنيا والآخرة [٢].

وسمع عمار رجلًا ينال من عائشة وكان عمار فى جانب عليٍّ وليس فى جانب عائشة ولكنه مع ذلك قال من هذا الذي ينال من زوجة نبينا ﷺ اسكت مقبوحًا منبوذًا مذمومًا مدحورًا [٣].

وغير ذلك من الآداب التى يحتاجها أهل العلم في طريقهم وسيرهم في رحلة العلم.

❁ آداب المعلم مع المتعلم:

✍ المعلم كالوالد:

عنده الراحة والأمان والسكينة...

وكان جعفر الضبى يقول " كنا اذا ساءت منا الظنون نذهب إلى محمد بن واسع"[٤].

وهو أحد الرواة عن أنس وكان فى وجنتيه خطان أسودان.

المعلم كالطبيب أو كالوالد إنما هو راعى لرعيته يقدم لهم ما يصلحهم.

لذا قال النبي ﷺ " **إنَّما أَنا لَكُم بمنزلةِ الوالدِ، أعلِّمُكُم فإذا أتى أحدُكُمُ**

---

(١) تاريخ الطبري (٣/ ٦١).

(٢) المصدر السابق.

(٣) تاريخ دمشق (٤٣/ ٤٥٨)، البداية والنهاية (٨/ ١٠١).

(٤) صفة الصفوة (٣/ ٢٦٨)، تاريخ دمشق (٥٦/ ١٥٠)، عيون الأخبار (١/ ٢٤٦).

الغائطَ فلا يَستَقبل القبلةَ، ولا يَستَدبرْها ولا يستَطِبْ بيَمينِهِ، وَكانَ يأمرُ بثلاثَةِ أحجارٍ، ويَنهى عن الرَّوثِ والرِّمَّةِ "[(١)].

يحنو عليه ويرفق به ويرشده...

وإن احتاج الأمر إلى شيء من الشدة والغلظة للإصلاح فلا بأس انما هو بمنزلة الوالد.

وصدق القائل:

وقســـــا ليزدجـــــروا ومـــــن يـــــك حازمًـــــا
فليقـــــس أحيانًـــــا علـــــى مـــــن يـــــرحم

الرفق والرحمة:

فإنَّ بعض طلبة العلم ضعيف الهمة يحتاج من يأخذ بيديه، وجاءوا لطلب العلم مؤملين أنَّ ثَمَّ الراحة والاطمئنان والحنان والهداية والرشد...

لا الغلظة والقسوة والحيرة.

والرفق زينة للاعمال:

قال الله تعالى لنبيه ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

وقال ﷺ **" ما كان الرِّفقُ فى شيءٍ إلا زانه، ولا كان الفحش فى شيءٍ قطُّ إلا شانَه "**[(٢)].

---

(١) أخرجه أبوداود (٨)، وحسنه الألباني في صحيح وضعيف سنن أبى داود.

(٢) أخرجه ابن حبان في صحيحه (٢/ ٣١١)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢٦٧٢).

وقال ﷺ " **يا عائشةُ إنَّ اللهَ رفيقٌ يحبُّ الرِّفقَ ويُعطى على الرِّفق ما لا يُعطى على العنفِ وما لا يُعطِى على ما سواه** "[(١)].

موافقة العلم للعمل:

من أهم الآداب التى تؤثر في طالب العلم علمًا وعملًا وتربية هى موافقة العلم للعمل، وإلا حدثت الفجوة بين المعلم والمتعلم، وفقدت الثقة فغاب روح العلم وأصله، ويكون ذلك سببًا في ضياع العلم،لذا قال الله تعالى ﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾

[البقرة: ٤٤].

لابد أن يوافق عملك قولك وإلا فلن ينتفع الناس بقولك إذ أنه لم ينفعك فكيف ينفع غيرك.

لذا يقول القائل:

يأيـــــــها الرجـــــــل المعلـــــــم غيـــــــره
هـــــــلَّا لنفســـــــك كـــــــان ذا التعليـــــــم
تصـــــف الـــــدواء لـــــذي الســـــقام وذي الضـــــنا
كيمـــــا يصـــــح بـــــه وأنـــــت ســـــقيم
ابـــــدأ بنفســـــك فانهـــــا عـــــن غيهـــــا
فـــــإذا انتهـــــت عنـــــه فأنـــــت حكـــــيم
فهنـــــاك يســـــمع مـــــا تقـــــول ويشـــــتفى
بـــــالقول منـــــك وينفـــــع التعليـــــم
لا تنـــــه عـــــن خلـــــق وتـــــأتي مثلـــــه
عـــــار عليـــــك إذا فعلـــــت عظـــــيم

(١) أخرجه البخاري (٦٩٢٧)، مسلم (٢٥٩٣).

عن أسامة بن زيد قال:سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول " **يُؤتى بالرجل يومَ القيامةِ. فيُلقى فِى النارِ. فتندلِقَ أقتابُ بطنِه. فيدورُ بها كما يدورُ الحمارُ بالرَّحى. فيجتمع إليه أهلُ النارِ. فيقولون: يا فلانُ ! مالَكَ؟ ألم تكن تأمرُ بالمعروفِ وتنهى عن المنكر؟ فيقول: بلى. قد كنتُ آمُرُ بالمعروفِ ولا آتِيه، وأنهى عن المنكر وآتِيه** " [(١)].

قال عليٌّ " هتف العم بالعمل فإن أجابه والا ارتحل "[(٢)].

✍لا يفتي إلا بعلم:

وهذا امتثال لقوله تعالى ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [الإسراء: ٣٦].

كان أبُو بكر يقول: «**أَىُّ سماءٍ تُظِلُّنِى، وأَىُّ أرض تُقِلُّنِى إذا قلت فى كتاب الله ما لا أعلم**» [(٣)].

ليتعلم ذلك طالب العلم أيضًا في بداية تعلمه أن يكون وقافًا عند حدود الله وعند ما يعلم، فإن العالم مبلغ عن الله ومبين مراده وإنَّ من أعظم المنكرات القول على الله بغير علم قال تعالى ﴿ **قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾** ﴾ [الأعراف: ٣٣].

---

(١) أخرجه البخاري (٧٠٩٨)، مسلم (٢٩٨٩).

(٢) اقتضاء العلم للعمل للخطيب البغدادي (١/ ٣٥).

(٣) مصنف ابن أبي شيبة (٦/ ١٣٦).

الصدق مع طلبة العلم:

لابد أن يكون المعلم صادقًا مع من يعلمه...

يعطيهم قدر طاقته ولا يبخل عليهم.

وليعلم أنه كلما علا قدر متعلميه فإن هذا دليل على إخلاصه...

ولا يدخل الشيطان بينه وبينهم ولا يظن أنه إذا أخرج علماء أجلاء وانصرف الناس عنه إليهم فإن هذا مذمة له بل هو دليل على صدقه وعطائه.

أما ترى أنَّ الراهب لما أخرج غلامًا علمه على يديه ثم جاء له يومًا يقص عليه قصة الدابة التى قتلها الله على يديه...

قال له " أي بنى إنك أصبحت أفضل منى "[(١)].

قالها له صراحة...

إنَّ هذا هو زرعه قام عليه وأحسن القيام وأخرجه في أحسن صورة.

أليس هذا دليل صدقه وإخلاصه؟

وما يدريك لعلَّ الله أراد أن يرفعك إلى درجة لا يبلغها عملك فيرزقك بطالب علم رفعت درجته وعظم قدره وعم نفعه وكان كل ذلك في ميزان حسناتك.

❁ من آفات العلم:

أخى الحبيب اعلم أنَّ لكل شيء آفات فاحذرها إذ هى تمحق بركة العمل وتذهب أثره ولا تنتفع به في دنياك وآخرتك، والآفات التي تحيط

---

(١) أخرجه مسلم (٣٠٠٥).

بطلب العلم كثيرة كلها تسعى لإفساد عمل العبد عليه ومن هذه الآفات:

تعلم العلم للدنيا:

والدنيا أحقر عند الله أن تبذل لها هذا الثمن الغالى النفيس...

إذ هى لا تساوى عند الله جناح بعوضة...

عن أبى هريرة أنَّ النبى ﷺ قال" **إنَّ أولَ الناس يُقضى يومَ القيامَةِ عليه، رجُلٌ استُشهد. فأتى به فعرَّفه نِعَمَه فعرَفها .قال: فما عمِلتَ فيها؟ قال: قاتَلتُ فِيكَ حتى استُشهدتُ. قال: كذَبتَ .ولكنَّكَ قاتَلتَ لِأَنْ يُقالَ جَرِىءٌ. فقد قيل. ثم أمَر به فسُحِب على وجهه حتى أُلقِىَ فِى النارِ. ورجُلٌ تعلَّم العِلمَ وعلَّمه وقرَأ القرآنَ. فأُتِى به .فعرَّفه نِعَمَه فعرَفها .قال: فما عمِلتَ فيها؟ قال: تعلَّمتُ العِلمَ وعلَّمتُه وقرَأتُ فيكَ القرآنَ. قال: كذَبتَ ولكنَّكَ تعلَّمتَ العِلمَ لِيُقالَ عالِمٌ. وقرَأتُ القُرآنَ لِيُقالَ هو قارِئٌ. فقد قيل. ثم أمر به فسُحِبَ على وجهه حتى أُلقِى فِى النارِ. ورجُلٌ وسَّع اللهُ عليه وأعطاه مِن أصنافِ المالِ كلِّه. فأتَى به فعرَّفه نِعَمَه فعرَفها .قال: فما عمِلتَ فيها؟ قال: ما تَرَكتُ مِن سبيلٍ تُحِبُّ أنْ يُنفَقَ فيها إلَّا أنفَقتُ فيها لكَ. قال: كذَبتَ. ولكنَّكَ فعَلتَ لِيُقالَ هو جَوَادٌ. فقد قيل. ثم أمر به فسُحِب على وجهه. ثم أُلقِى فِى النارِ**"[(١)].

كتم العلم:

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال ﷺ " **مَن كتم عِلْمًا على أهلِه، أُلْجِمَ، يومَ القيامةِ لِجَامًا من نارٍ**"[(٢)].

---

(١) أخرجه مسلم (١٩٠٥).

(٢) الكامل لابن عدي (٣/ ٢٠٥)، تاريخ بغداد (١٢/ ٣٦٨)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٥١٧).

قال ابن عباس: علماء هذه الأمة رجلان:

رجل أعطاه الله علمًا فبذله للناس ولم يأخذ عليه صفدًا ولم يشتر به ثمنًا...

أولئك يصلى عليهم طير السماء وحيتان البحر ودواب الأرض والكرام الكاتبون.

ورجل آتاه الله علمًا فضن به عن عباده وأخذ به صفدًا واشترى به ثمنًا، فذلك يأتي يوم القيامة يلجم لجامًا من نار "[(١)].

العجب والكبر:

إنَّ من آفات العلم أن يعجب الانسان بعمله إذ يرى الجهل من حوله وقد رزقه الله تعالى وفتح عليه باب العمل، وليعلم طالب العلم أنَّ العلم فضل من الله ومنة...

فإنَّ الذي أعطاك يقدر أن يمنعك، وإنَّ الذي منحك يقدر أن يحرمك.

وغير ذلك من الآفات التى تفسد على طالب العلم نيته وتمحق بركة عمله.

أسأل الله تعالى أن يمن علينا وعليكم بالعلم النافع والعمل الصالح.

(١) مفتاح دار السعادة (١/ ٦٣).

الأمـــــانـــــة

الأمانة خلق من أخلاق هذا الدين...

الأمانة خلق سمى الله به هذا الدين...

قال تعالى ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ ﴾ [الأحزاب: ٧٢] والأمانة هنا هى الطاعة والدين والمعنى: أنَّ الأمانة خلق من أخلاق هذا الدين ولكن لأهميتها سمى الله تبارك وتعالى بها هذا الدين.

❁ أهمية الأمانة وخطورة ضياعها:

الأمانة حفظ للدين:

بين النبى ﷺ أنَّ هذا الدين يبقى ما بقيت الأمانة فإن فقدت الأمانة فقد الدين قال ﷺ " **أول ما تفقدون من دينكم الأمانة** "[(١)].

وكأنَّ الدين حلقات مترابطة فإن فقدت منها حلقة تتابعت الحلقات، وتكون أول هذه الحلقات انفراطًا الأمانة.

الأمانة حفظ للحياة:

فالناس يستحقون الحياة إذا بقيت الأمانة فيهم فإذا فقدت الأمانة انتهت

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (٧/ ٢٩٥)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٧٣٩).

الحياة، لذلك لما سئل النبى ﷺ متى الساعة؟ جعل علامتها ضياع الأمانة.

كما جاء في حديث أبى هريرةَ رضي الله عنه قال (بينما كان النبى ﷺ يُحَدِّث إذ جاء أعرابىٌّ فقال متى الساعة؟ قال (**إذا ضُيِّعَت الأمانة فانتظر الساعة**)[(١)].

والله تعالى يحلم بالناس كثيرًا ولا يؤاخذهم بكل ما كسبوا ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا ﴿٤٥﴾﴾ [فاطر:٤٥] إلا إذا ضُيِّعت الأمانة.

الأمانة نعمت البطانة:

كان النبى ﷺ كثيرًا ما يستعيذ من الخيانة وضياع الأمانة فقال ﷺ " **اللَّهُمَّ إِنِّى أَعُوذُ بكَ مِنَ الْجُوعِ فَإِنَّهُ بِئْسَ الضَّجِيعُ وَأَعُوذُ بكَ مِنَ الْخِيَانَةِ فَإِنَّهَا بِئْسَتِ الْبِطَانَةُ** "[(٢)] فالنبى الأمين ﷺ يستعيذ من الخيانة التى هى بئست البطانة فدل على أنَّ الأمانة نعمت البطانة.

الأمانة خير عطاء:

عن ابن عمرو أنَّ النبى ﷺ قال " **أربعن إذا كن فيك فلا عليك ما فاتك من الدنيا صدق الحديث وحسن الخلق وحفظ الأمانة وعفة المطعم** "[(٣)] **فلا تحزن على ما فاتك من الدنيا لأنك أخذت الخير كله.**

---

(١) أخرجه البخاري (٥٩، ٦٤٩٦).

(٢) أخرجه أبوداود (١٥٤٧)، النسائى (٥٤٦٩)، ابن ماجه (٣٣٥٤)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١٢٨٣).

(٣) أخرجه أحمد (١/ ٢٣٣)، الحاكم (٤/ ٣٤٩)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٨٧٣).

نزول الأمانة ورفعها:

عن حذيفة ﷺ قال " حَدَّثَنَا رسول الله ﷺ حديثيْن رأيْتُ أحدهما وأنا أنتظر الآخر حدَّثَنَا " **أنَّ الأمانة نزلَتْ فى جَذْرِ قلوب الرجال ثم عَلِمُوا من القرآن ثم علموا من السنة " وكأنَّ الأمانة هى الفرش الذى بنى عليه الكتاب والسنة.**

وهذا الذي رآه حذيفة وهنيئًا له بما رأى، وأما الثانى الذي لم يره قال " وحَدَّثنا عن رفعها قال " ينام الرجل النومة فتقبض الأمانة من قلبه فيبقى أثرها مثل أثر الوَكْت ثم ينام النومة فتقبض فيبقى أثرها مثل أثر المَجْل كجمر دحرجْتَهُ على رجلك فَنَفِطَ فتراه مُنْتبرًا وليس فيه شيء ويصبح الناس يتبايعون ولا يكاد أحدٌ يُؤَدِّي الأمانة فيقال إنَّ في بنى فلان رجلًا أمينًا ويقال للرجل ما أعقله وما أظرفه وما أجلده وما في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان "[(١)]. وذلك لأن مقياس الناس الحقيقى وهو الدين والأمانة قد ضاع بين الناس.

الرجل الأمين أغلى من الذهب واللؤلؤ:

عن زيد بن أسلم عن أبيه (أنَّ عمر بن الخطاب قال لأصحابه تَمَنَّوا، قال أحدهم أتمنى أن يكون ملء هذا البيت دراهم فأنفقها في سبيل الله، فقال تَمَنَّوْا، فقال أحدهم أتمنى أن يكون ملء هذا البيت ذهبًا فأنفقه في سبيل الله، قال تَمَنَّوا، قال آخر أتمنى أن يكون ملء هذا البيت جوهرًا فأنفقه في سبيل الله، فقال عمر تَمَنَّوا، فقال ما تمنينا بعد هذا، قال عمر لكنى أتمنى أن يكون ملء هذا البيت رجالًا كأمثال أبي عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل وحذيفة

---

(١) **متفق عليه:** أخرجه البخاري (٦٤٩٧)، مسلم (٢٣٠).

بن اليمان فأستعملهم في طاعة الله)[١].

فكأنه لم يقنع بهذا فهناك أفضل مما تمنوه، فالقضية ليست قضية مال ولا ذهب ولا جواهر وإنما هى قضية ضياع الأمناء فهم الذين يجلبون الخير للناس في الدنيا والآخرة.

❁ أنواع الأمانة:

الأمانة أنواع كثيرة منها:

✍ أمانة الدين:

فإنَّ الدين أمانة.

ومعنى الأمانة أنك تأخذها لتحافظ عليها ولا تتهاون بها ولا تردها ناقصة ولا تضيعها من يديك.

إنك ستعود لصاحبها يومًا ما وسيسألك عنها.

أين الأمانة التى أرسلتها لك ماذا فعلت فيها؟

ولذا فالنبى ﷺ علَّم أصحابه أنَّ هذا الدين أمانة ستسأل عنها...

هل عملتَ به وبلغته للناس؟

هنا يظهر الفرق بين أصحاب الأمانة والمضيعين لها.

فالدين يحتاج من يقوم به ويحافظ عليه ويبلغه للناس...

ولا بد أن يقوم به أمناء...

---

(١) أخرجه البخاري في التاريخ الصغير (١٧٣) واللفظ له، وابن سعد (٣ / ٢٢٠)، و أبو نعيم في الحلية (١/ ١٠٢)، وإسماعيل بن محمد الأصبهاني في سير السلف الصالحين (٢ / ٦٥٠)، وهو في فضائل الصحابة (٢/ ٧٤٠).

وكلٌّ على حسب طاقته...

فإن كنت غنيًّا فهناك أمانة بيديك...

وإن كنت فقيرًا فهناك أمانة بيديك...

وإن كنت قويًّا فهناك أمانة بيديك...

وإن كنت ضعيفًا فهناك أمانة بيديك...

- تبليغ الدين للناس أمانة يحتاج من يقوم به:

ولذا اجتمع الصحابة في مكة يومًا وقالوا نريد رجلًا يُسمع قريش القرآن...

رجل يقوم ويؤدي جزءًا من الأمانة التى معه.

عن الزبير بن العوام قال (كان أول من جهر بالقرآن بعد رسول الله ﷺ بمكة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه).

وقال (اجتمع يومًا أصحاب رسول الله ﷺ فقالوا : والله ما سمعت قريش هذا القرآن يُجهر لها به قط فمن رجل يُسمعهموه ؟

فقال عبد الله بن مسعود : أنا.

قالوا: إنَّا نخشاهم عليك.

إنما نريد رجلًا له عشيرة يمنعونه من القوم إن أرادوه...

قال: دعونى فإنَّ الله سيمنعنى.

ولكن من هو ابن مسعود وقوته كى يقوم بهذا العمل؟!.

فابن مسعود رجل ضعيف البنية قصير نحيف كانت الريح تكفأه.

كان الصحابة إذا رأوا ساقيه ضحكوا من دقتها.

لذلك قالوا له نخشى عليك...

فالأمر يحتاج رجلًا له منعة وقوة يدافع عن نفسه ويدفع عنه قومه...

فإنَّ المهمة عظيمة...

لكنه يحمل الأمانة على كتفيه ويريد أن يؤديها...

لذا قال: دعوني والله تعالى سيمنعني.

قال الزبير: فغدا ابن مسعود حتى أتى المقام في الضحى وقريش في أنديتها حتى قام عند المقام...

وقرأ رافعًا بها صوته ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣﴾ [الرحمن: ١-٣]

ثم استقبلها يقرؤها فتأملوه...

فجعلوا يقولون ماذا يقول ابن أم عبد ؟

قالوا إنه ليتلو بعض ما جاء به محمد...

فقاموا إليه فجعلوا يضربون في وجهه وجعل يقرأ حتى بلغ منها ما شاء الله أن يبلغ.

ذهب ابن مسعود إلى الحرم... فلم يذهب بعيدًا حتى يفر إذا أوذي وضرب... ولم يأت ليلًا حتى لا يراه أحد أو يعرفوا من هو...

وإنما ذهب إلى الحرم ضحى...

فهو رجل أمين وأحب أن يؤدي الأمانة في أحسن صورها وأبهى حللها...

فاختار الحرم... واختار الضحى...

فجلس يقرأ آيات من سورة الرحمن...

فاجتمعت له قريش يضربونه حتى إنه لم يعرف وجهه من قفاه حتى جاء إلى أصحابه بعدما أنقذه الله ببعض أهل مكة...

قال الزبير: ثم انصرف إلى أصحابه وقد أثروا في وجهه.

فقالوا: له هذا الذي خشينا عليك.

فقال: ما كان أعداء الله أهون علىَّ منهم الآن ولئن شئتم لأغادينهم بمثلها غدًا. قالوا: لا، حسبك قد أسمعتهم ما يكرهون[١].

ومن هنا تعلم أنَّ الله أراد أن يكافئ هذا الأمين الذي قام بالأمانة على أكمل وجه وسارع فيها مع ضعفه ونحافته ولكنه يحمل على هاتين الكتفين الضعيفين أمانة هذا الدين فقام يبلغه.

فلا تعجب إذا قال النبى ﷺ لما ضحك الصحابة من دقة ساقيه قال لهم النبى ﷺ " **مم تضحكون؟** ".

قالوا: يا نبى الله من دقة ساقيه.

فقال: " **والذى نفسى بيده لهما أثقل فى الميزان من أحد** "[٢].

فلم يقل النبى ﷺ رأس ابن مسعود أو قلبه بل ساقه...

لأنهما وإن كانتا ضعيفتين لكنها تحمل جسدًا يمتلئ إيمانًا وأمانة...

فلما قام ابن مسعود بأمانة تبليغ كتابه تعالى كافأه الله تعالى...

---

(١) تاريخ الطبري (١/ ٤٥)، ابن هشام (١/ ٣١٤ ، ٣١٥)، أسد الغابة (٣/ ٣٨٥، ٣٨٦)، وابن إسحاق في سيرته (١/ ١٦٦)، وجاءت في الروض الأنف (٢/ ٨١).

(٢) أخرجه أحمد (١/ ٤٢٠)، أبو يعلى (٥٣١٠)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٣١٩٢).

فقال النبى ﷺ "**من أحب أن يقرأ القرآن غضًّا كما أنزل فليقرأ على قراءة ابن أم عبد** "[(١)].

وقال " **خذوا القرآن من أربعة من ابن مسعود وأبى بن كعب ومعاذ بن جبل وسالم مولى أبى حذيفة** "[(٢)].

فذكر أولهم عبد الله بن مسعود لأنَّ الأمناء يربحون دائمًا إذ أنهم يتاجرون مع الله.

❁ أمانة الدين لا تقف على الشباب أو الرجال:

بل هى أيضًا على الشيوخ والنساء والعجائز والصبية ولا يعتمد أحد على أحد بل كلهم يسارعون كى يكون كل واحد منهم من الأمناء كل على حسب طاقته.

فمنهم من يؤديها بنفسه...

ومنهم من يؤديها بماله...

ومنهم من يؤديها بولده...

كلٌّ على حسب طاقته....ولا تكاد تفرق بين رجل وامرأة أو شاب وشيخ وإنما كانوا جميعًا من الأمناء.

روى أهل السير أنه كان بالبصرة نساء عابدات، وكانت منهن أم إبراهيم الهاشمية، فأغار العدو على ثغر من ثغور المسلمين، فانتُدب الناس للجهاد.

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ٤٢٠)، ابن ماجه (١٣٨)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٩٦١).

(٢) أخرجه البخاري (٤٩٩٩)، مسلم (٢٤٦٤).

فقام عبد الواحد بن زيد البصري وكان من تلامذة الحسن البصرى يحث الناس على القتال والدفاع عن هذا الدين ودولة الإسلام.

قام عبد الواحد بن زيد البصري في الناس خطيبًا فحضهم على الجهاد...

وكانت أم إبراهيم هذه حاضرة في مجلسه، وتمادى عبد الواحد في كلامه، ثم وصف الحور العين، وذكر ما قيل فيهن، وأنشد في صفة حوراء :

غـــــــــــادة ذات دلال ومـــــــــــــرح
يجـــــد الناعـــــت فيهـــــا مـــــا اقـــــترح
خلقـــــت مـــــن كـــــل شـــــيء حســـــن
طيـــــب فالـــــ"ليـــــتَ" فيهـــــا مطـــــرح
زانهـــــــا الله بوجـــــــه جمعـــــــت
فيـــــــه أوصـــــــاف غريبـــــــات مُلـــــــح
وبعـــــين كحلهـــــا مـــــن غُنْجِهـــــا
وبخـــــد مســـــكه فيـــــه رشـــــح
ناعـــــم تجـــــري علـــــى صفحتـــــه
نضـــــرة الملـــــك ولَأْلاء الفـــــرح
أتُـــــرى خاطبهـــــا يســـــمعها
إذ تـــــدير الكـــــأس طـــــورًا والقـــــدح
في ريـــــاض مـــــورق نرجســـــه
كـــــلَّ مـــــا هـــــب لـــــه الـــــريح نفـــــح
وهـــــى تـــــدعوه بـــــود صـــــادق
ملـــــئ القلـــــب بـــــه حتـــــى طفـــــح
ياحبيبًـــــا لســـــت أهـــــوى غيـــــره
بالخواتيـــــم يـــــتم المفتتـــــح

لا تكـــــــونن كمـــــــن جـــــــدَّ إلـــــــى
منتهـــــــى حاجتـــــــه ثـــــــم جـــــــنح
لا فمـــــــا يخطـــــــب مثلـــــــى مـــــــن ســـــــها
إنمـــــــا يخطـــــــب مثلـــــــى مـــــــن ألـــــــح

فماج الناس بعضهم في بعض، واضطرب المجلس...

فوثبت أم ابراهيم من وسط الناس...

وقالت لعبد الواحد: يا أبا عبيد ألست تعرف ولدي إبراهيم، ورؤساء أهل البصرة يخطبونه على بناتهم، وأنا أضن به عليهم؟

فقد واللّه أعجبتنى هذه الجارية، وأنا أرضاها عروسًا لولدي، فكرر ما ذكرت من حسنها وجمالها.

فأخذ عبد الواحد في وصف حوراء، ثم أنشد :

تولـــــد نـــــور النـــــور مـــــن نـــــور وجههـــــا
فمـــــازج طيـــــب الطيـــــب مـــــن خـــــالص العطـــــر
فلـــــو وطئـــــت بالنعـــــل منهـــــا علـــــى الحصـــــى
لأعشـــــبت الأقطـــــار مـــــن غيـــــر مـــــا قطـــــر
ولـــــو شـــــئت عقـــــد الخصـــــر منهـــــا عقدتـــــه
كغصـــــن مـــــن الريحـــــان ذي ورق خضـــــر
ولـــــو تفلـــــت في البحـــــر شـــــهد رُضَـــــابها
لطـــــاب لأهـــــل الـــــبر شـــــرب مـــــن البحـــــر
يكـــــاد اختـــــلاس اللحـــــظ يجـــــرح خـــــدها
بجـــــارح وهـــــم القلـــــب مـــــن خـــــارج الســـــر

فاضطرب الناس أكثر...

فوثبت أم إبراهيم...

وقالت لعبد الواحد: يا أبا عبيد قد واللّه أعجبتنى هذه الجارية وأنا أرضاها عروسًا لولدي فهل لك أن تزوجه منها وتأخذ منى مهرها عشرة آلاف دينار، ويخرج معك في هذه الغزوة، فلعل اللّه يرزقه الشهادة، فيكون شفيعًا لى ولأبيه في القيامة؟

فقال لها عبد الواحد: لئن فعلت لتفوزن أنت وولدك وأبوولدك فوزًا عظيمًا.

ثم نادت ولدها: يا إبراهيم.

فوثب من وسط الناس...

وقال لها: لبيك يا أماه.

قالت: أي بنى أرضيت بهذه الجارية زوجة ببذل مهجتك في سبيله وترك العود في الذنوب؟ فقال الفتى: إي والله يا أماه رضيت أي رضى.

فقالت: اللهم إني أشهدك أني زوجت ولدي هذا من هذه الجارية ببذل مهجته في سبيلك، وترك العود في الذنوب فتقبله منى يا أرحم الراحمين.

ثم انصرفت فجاءت بعشرة آلاف دينار...

وقالت: يا أبا عبيد هذا مهر الجارية تجهز به وجهز الغزاة في سبيل الله.

وانصرفت، فابتاعت لولدها فرسًا جيدًا، واستجادت له سلاحًا.

فلما خرج عبد الواحد، خرج إبراهيم يعدو والقراء حوله يقرءون ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾

[التوبة: ١١١]

فلما أرادت فراق ولدها دفعت إليه كفنًا وحنوطًا...

وقالت له: أي بنى إذا أردت لقاء العدو فتكفن بهذا الكفن وتحنط بهذا الحنوط وإياك أن يراك الله مُقصِّرًا في سبيله، ثم ضمته إلى صدرها، وقبلت بين عينيه...

وقالت: يا بنى لا جمع الله بينى وبينك إلا بين يديه في عرصات القيامة.

قال عبد الواحد: فلما بلغنا بلاد العدو ونودي في النفير وبرز الناس للقتال برز إبراهيم في المقدمة فقتل من العدو خلقًا كثيرًا ثم اجتمعوا عليه فقتل.

قال عبد الواحد: فلما أردنا الرجوع إلى البصرة قلت لأصحابى: لا تخبروا أم إبراهيم بخبر ولدها حتى ألقاها بحسن العزاء لئلا تجزع فيذهب أجرها.

فلما وصلنا البصرة خرج الناس يتلقوننا...

وخرجت أم إبراهيم فيمن خرج...

قال عبد الواحد: فلما بصرت بى.

قالت: يا أبا عبيد هل قُبلَت منى هديتى فأُهنأ أم رُدت علىَّ فأُعزى؟

فقلت لها: قد قبلت والله هديتك إنَّ إبراهيم حىٌّ مع الأحياء يُرزق.

قال: فخرت ساجدة لله شكرًا.

وقالت: الحمد لله الذي لم يخيب ظنى وتقبل نسكى منى.

وانصرفت...

فلما كان من الغد...

أتت إلى مسجد عبد الواحد...

فنادته: السلام عليك يا أبا عبيد... بشراك... بشراك.

فقال: لا زلتِ مبشرة بالخير.

فقالت له: رأيت البارحة ولدي إبراهيم في روضة حسناء وعليه قبة خضراء وهو على سرير من اللؤلؤ وعلى رأسه تاج وإكليل وهو يقول لى يا أماه أبشري فقد قبل المهر وزفت العروس[١].

إنها امرأة قامت لتؤدي أمانة ربها وإن كلفها ذلك أحب ما تملك وهو المال والولد.

سبحان الله!

ومن يقوى على فعل هذه المرأة الصالحة...

لكنَّ الأمناء يستمدون القوة من السماء...

فأنت صاحب أمانة سيسألك الله عنها يوم القيامة ماذا فعلت بها؟

فإياك إياك أن تلقى الله مضيِّعًا أو مُفرِّطًا.

فهذا هو النوع الأول والأعظم من الأمانات ألا وهو أمانة الدين وكل أمانة ترجع إليه.

فلابد أن تسأل نفسك عنها هل حافظت عليها هل بلغتها أم قصرت فيها أم ضيعتها؟

---

(١) ذكر هذه القصة الشيخ محمود العالم رحمه الله في مختصره فكاهة الأذواق من مشارع الأشواق إلى مصارع العشاق ومثير الغرام إلى دار السلام (صـ٢٦-٢٩) للعلامة أحمد بن إبراهيم النحاس رحمه الله.

أمانة الأبناء:

إنَّ كلًّا منَّا أمين على أهله وأولاده " **ألا كلُّكم راع وكلُّكم مسؤولٌ عن رعيته فالإمام الذى على الناس راع وهو مسؤولٌ عن رعيته والرجل راع على أهل بيته وهو مسؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ والمرأَةُ رَاعِيَةٌ على بيت زوجها وولده وهى مسؤولةٌ عنهم وعبد الرجل راع عَلى مال سيده وهو مسؤولٌ عنه ألا فكلُّكم راع وكلُّكم مسؤولٌ عَن رعيتِه**"[(١)].

فطالما أنك راع فأنت صاحب أمانة فالرجل راع في بيته.

والنبى ﷺ يعبر بالراعى لأنَّ الراعى له وظيفتان:

الأولى: أن يأخذ ما يرعاه إلى أماكن الخير والكلأ.

والثانية: أن يمنع الذئاب والمخاطر من أن تقترب مما يرعاه.

وهذه هى وظيفة الراعى في البيت فأبناءك يجب أن تكون أمينًا عليهم، يجب أن تأخذهم لكل مكان فيه خير، وتمنع عنهم كل شر وإلا كنت مفرطًا مضيعًا خائنًا للأمانة.

لذا عنون البخاري لهذا الحديث عنوانًا فقال باب ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾ [التحريم: ٦][(٢)]. فكما نقيهم من الحر والبرد لابد أن نقيهم من النار.

فلابد أن تحافظ على أبنائك حتى لا يكونوا خصومًا لك يوم القيامة ويقولون يارب إنه خان الأمانة وضيعها.

فليكن هذا نصب عينيك فإنهم قد يغفرون لك بعض الضيق عليهم في

---

(١) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٥٩٣)، مسلم (١٨٢٩).

(٢) البخاري: كتاب النكاح (٦٧)، باب (٨٢).

الدنيا، ولا يغفرون لك ضيق النار يوم القيامة.

فإياك أخى الحبيب أن تضيع هذه الأمانة فلذة أكبادك وقرة عينك...

فافتح لهم طريق الله والدار الآخرة، واحبسهم عن طريق النار وأعنهم على ذلك فبذلك تكون قد أديت الأمانة ورضى الله عنك وأرضى عنك أولادك ورعيتك في الدنيا والآخرة.

أمانة البيع والشراء:

وهى أمانة المعاملة...

وهى أمانة بين العبد والناس...

يظهر فيها حب الخير لهم كما يحبه لنفسه، وينصح لهم كما ينصح لنفسه...

فيكون حقًّا من المؤمين الأمناء...

قال النبى ﷺ " **وَالَّذِى نَفْسِى بِيَدِهِ لَا يُؤمن أحد حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ**"[(١)] فكونك أمينًا مع أخيك المسلم فأنت مؤمنٌ ولا تكون مؤمنًا إلا بذلك.

فهى أمانة تشيع بها الألفة والمودة والإيخاء في المجتمع المسلم فلا يوجد مسلم يخون أخاه المسلم إلا وبإيمانه خلل.

لذلك قال النبي ﷺ " **من غشنا فليس منا** "[(٢)] وفي روايه أخرى زاد فيها

---

(١) **متفق عليه:** أخرجه البخاري (١٣)، مسلم (٤٥).

(٢) أخرجه مسلم (١٠٢، ١٠١)، أبو داود (٣٤٥٢)، ابن ماجه (٢٢٢٤) بلفظ " ليس منا من غش ".

النبى ﷺ فقال "... **والمكر والخداع فى النار** "[١] لأنه فعل أمرًا عظيمًا حين غش أخاه المسلم أو مكر له أو خدعه.

قال النبى ﷺ هذه المقالة لما مر على صبرة طعام فأدخل يده فيها فنالت أصابعه بللًا فقال " **ما هذا يا صاحب الطعام؟** " قال أصابته السماء يا رسول الله قال " **أفلا جعلته فوق الطعام حتى يراه الناس من غشنا فليس منا**"[٢] لذلك سادت الأمانة في هذا المجتمع فكثر فيه الخير وعمت فيه البركة.

وإن غاب الراعى فالمراقبة تكون لرب الراعى.

فعن عروة بن أبى الجعد البارقى قال (عرض للنى ﷺ جلب فأعطانى دينارًا وقال " **أى عروة ائت الجلب فاشتر لنا شاة** " فأتيت الجلب فساومت صاحبه فاشتريت منه شاتين بدينار فجئت أسوقهما فلقينى رجل فساومنى فأبيعه شاة بدينار فجئت بالدينار وجئت بالشاة فقلت يا رسول الله هذا دينارك وهذه شاتك قال " **وصنعت كيف؟** " فحدثته الحديث

فقال: **اللهم بارك له فى صفقة يمينه فلقد رأيتنى أقف بكناسة الكوفه فأربح أربعين ألفًا قبل أن أصل إلى أهلى**"[٣] وفي رواية أخرى " فدعا له رسول الله ﷺ في بيعه بالبركة فكان لو اشترى ترابًا لربح فيه "[٤].

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (١٠/ ١٣٨)، وابن حبان (٢/ ٣٢٦)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٤٠٨).

(٢) تتمة حديث " من غشنا فليس منا ".

(٣) أخرجه أحمد (٤/ ٣٧٦) والسياق له، الترمذي (٢٣٧)، ابن ماجه (٢٤٠٢)، وقال الألباني في الإرواء: صحيح (٥/ ١٢٨)

(٤) أخرجه البخاري (٣٦٤٢)، أبو داود (٣٣٨٤)، ابن ماجه (٢٤٠٢).

فهذه هى الأمانة لذلك بارك الله له وكافأه على ذلك وفاز فوزًا كبيرًا في الدنيا والآخرة أما في الدنيا بدعوة النبى ﷺ له بالبركة فكان لو تاجر في التراب ربح وأما في الآخرة ففاز برضا الله عنه وجعله مع الأمناء.

يروى أهل السير أنه كان عند يونس بن عبيد حُلل مختلفة الأثمان...

ضربٌ قيمةُ كلِّ حلةٍ منها أربعمائة...

وضربٌ كلُّ حلةٍ قيمتها مائتان...

فمرَّ إلى الصلاة وخلَّف ابن أخيه في الدكان...

فجاء أعرابى وطلب حلة بأربعمائة...

فعرض عليه من حلل المائتين...

فاستحسنها ورضيها فاشتراها فمضى بها وهى على يديه...

فاستقبله يونس فعرف حلته...

فقال للأعرابى: بكم اشتريت؟

فقال: بأربعمائة.

فقال: لا تساوي أكثر من مائتين فارجع حتى تردها.

فقال: هذه تساوي في بلدنا خمسمائة وأنا أرتضيها.

فقال له يونس: انصرف فإنَّ النصح في الدين خير من الدنيا بما فيها ثم ردَّه إلى الدكان وردَّ عليه مائتى درهم.

وخاصم ابن أخيه في ذلك...

وقال: أما استحييت أما اتقيت الله؟!

تربح مثل الثمن وتترك النصح للمسلمين...

فقال: والله ما أخذها إلا وهو راض بها.

قال: فهلا رضيت له بما ترضاه لنفسك [١].

روي عن محمد بن المنكدر أنه كان له شقق بعضها بخمسة وبعضها بعشرة فباع غلامه في غيبته شقة من الخمسيات بعشرة...

فلما عرف لم يزل يطلب ذلك الأعرابى المشتري طول النهار حتى وجده.

فقال له: إنَّ الغلام قد غلط فباعك ما يساوي خمسة بعشرة.

فقال: ياهذا قد رضيت.

فقال: وإن رضيت فإنا لا نرضى لك إلا ما نرضاه لأنفسنا [٢].

أخي الحبيب:

احرص أن تكون من الأمناء...

فإنَّ أصحاب الأمانة هم المحسنون ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ [القصص: ١٤].

إنَّ أصحاب الأمانة هو المخلَصون ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [يوسف: ٢٤].

إنَّ أصحاب الأمانة هم الصادقون ﴿ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦۚ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍۚ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠

(١) إحياء علوم الدين (٢/ ٧٩).

(٢) إحياء علوم الدين (٢/ ٨٠).

﴿رَوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٥١﴾ [يوسف: ٥١].

ألا ترضى أن تكون من المحسنين والمخلصين والصادقين، جعلنا الله وإياكم من الأمناء والصالحين والمخلصين والصادقين.

❁ فوائد الأمانة:

✍ الأمانة تجلب لك الخير والبركة:

عن زيد بن أسلم قال: مرَّ ابن عمر براعى غنم...

فقال: يا راعى الغنم هل من جَزَرة؟

قال الراعى: ليس ههنا ربُّها.

فقال ابن عمر: تقول أكلها الذئب.

فرفع الراعى رأسه إلى السماء...

ثم قال: فأين الله؟!

فاشترى ابن عمر الراعى واشترى الغنم فأعتقه وأعطاه الغنم [(١)].

✍ الأمانة سبب في تفريج الكربات:

وذكر النبى ﷺ ذلك في قصة الثلاثة الذين دخلوا الغار...

قال النبى ﷺ " **انطلق ثلاثة رهط ممن كان قبلكم حتى أووا المبيت إلى غار فدخلوه فانحدرت عليهم صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار، فقالوا إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم، قال رجل**

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (١٢/ ٢٦٣)، وقال الألباني في السلسلة الصحيحة وهذا إسناد صحيح رجاله ثقات (٢٤/ ١٩).

منهم اللهم كان لى أبوان شيخان كبيران و كنت لا أغبق قبلهما أهلًا ولا مالًا فنأى بى فِ طلب شيءٍ يومًا فلم أرح عليهما حتى ناما فحلبت لهما غبوقهما فوجدتهما نائمين فكرهت أن أغبق قبلهما أهلًا أو مالًا فلبثت والقدح على يدى أنتظر استيقاظهما حتى برق الفجر فاستيقظا فشربا غبوقهما اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة؟ فانفرجت شيئًا لا يستطيعون الخروج، وقال الآخر اللهم كانت لى ابنة عم كانت أحب الناس إلى فأردتها على نفسها فامتنعت منى حتى ألمت بها سنة من السنين فجاءتنى فأعطيتها عشرين ومائة دينار على أن تخلى بينى وبين نفسها ففعلت حتى إذا قدرت عليها قالت لا أحل لك أن تفض الخاتم إلا بحقه فتحرجت من الوقوع عليها فانصرفت عنها وهى أحب الناس إلىَّ وتركت الذهب الذى أعطيتها اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه فانفرجت الصخرة غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها، وقال الثالث اللهم استأجرت أجراء فأعطيتهم أجرهم غير رجل واحد ترك الذى له وذهب فثمَّرتُ أجره حتى كثرت منه الأموال فجاءنِى بعد حين فقال يا عبد الله أعطنى أجرى فقلت له كل ما ترى من أجرك من الإبل والبقر والغنم والرقيق فقال يا عبد الله لا تستهزئ بى فقلت إنِى لا أستهزئ بك فأخذه كله فاستاقه فلم يترك منه شيئًا اللهم فإن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه فانفرجت الصخرة فخرجوا يمشون"[1].

دعوا الله بالأمانة ففرج الله عنهم كربهم.

فأحدهم: دعا الله بأمانته مع أبويه وكان بارًّا بهما.

والثاني: كان أمينًا على ابنة عمه بعد ما أوشك على الوقوع بها.

---

(١) **متفق عليه:** أخرجه البخاري (٢٢٧٢)، مسلم (٢٧٤٣).

والثالث: كان أمينًا على مال أخيه المسلم ففرج الله كربهم لحفاظهم على الأمانات.

إنَّ صاحب الأمانة يرعاه الله ويقضي حاجته:

عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ ﷺ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ (أَنَّهُ ذَكَرَ رَجُلًا مِنْ بَنِى إِسْرَائِيلَ سَأَلَ بَعْضَ بَنِى إِسْرَائِيلَ أَنْ يُسْلِفَهُ أَلْفَ دِينَارٍ، فَقَالَ ائْتِنِى بالشُّهَدَاءِ أُشْهِدُهُمْ، فَقَالَ كَفَى باللهِ شَهِيدًا، قَالَ فَأْتِنِى بالْكَفِيلِ، قَالَ كَفَى باللهِ كَفِيلًا، قَالَ صَدَقْتَ فَدَفَعَهَا إِلَيْهِ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَخَرَجَ فِى الْبَحْرِ فَقَضَى حَاجَتَهُ ثُمَّ الْتَمَسَ مَرْكَبًا يَرْكَبُهَا يَقْدُمُ عَلَيْهِ لِلْأَجَلِ الَّذِى أَجَّلَهُ فَلَمْ يَجِدْ مَرْكَبًا فَأَخَذَ خَشَبَةً فَنَقَرَهَا فَأَدْخَلَ فِيهَا أَلْفَ دِينَارٍ وَصَحِيفَةً مِنْهُ إِلَى صَاحِبِهِ ثُمَّ زَجَّجَ مَوْضِعَهَا ثُمَّ أَتَى بهَا إِلَى الْبَحْرِ، فَقَالَ اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنِّى كُنْتُ تَسَلَّفْتُ فُلَانًا أَلْفَ دِينَارٍ فَسَأَلَنِى كَفِيلًا فَقُلْتُ كَفَى باللهِ كَفِيلًا فَرَضِىَ بكَ وَسَأَلَنِى شَهِيدًا فَقُلْتُ كَفَى باللهِ شَهِيدًا فَرَضِىَ بكَ وَأَنِّى جَهَدْتُ أَنْ أَجِدَ مَرْكَبًا أَبْعَثُ إِلَيْهِ الَّذِى لَهُ فَلَمْ أَقْدِرْ وَإِنِّى أَسْتَوْدِعُكَهَا فَرَمَى بهَا فِى الْبَحْرِ حَتَّى وَلَجَتْ فِيهِ ثُمَّ انْصَرَفَ وَهُوَ فِى ذَلِكَ يَلْتَمِسُ مَرْكَبًا يَخْرُجُ إِلَى بَلَدِهِ فَخَرَجَ الرَّجُلُ الَّذِى كَانَ أَسْلَفَهُ يَنْظُرُ لَعَلَّ مَرْكَبًا قَدْ جَاءَ بمَالِهِ فَإِذَا بالْخَشَبَةِ الَّتِى فِيهَا الْمَالُ فَأَخَذَهَا لِأَهْلِهِ حَطَبًا فَلَمَّا نَشَرَهَا وَجَدَ الْمَالَ وَالصَّحِيفَةَ ثُمَّ قَدِمَ الَّذِى كَانَ أَسْلَفَهُ فَأَتَى بالْأَلْفِ دِينَارٍ فَقَالَ وَاللهِ مَا زِلْتُ جَاهِدًا فِى طَلَبِ مَرْكَبٍ لِآتِيَكَ بمَالِكَ فَمَا وَجَدْتُ مَرْكَبًا قَبْلَ الَّذِى أَتَيْتُ فِيهِ قَالَ هَلْ كُنْتَ بَعَثْتَ إِلَىَّ بشَىْءٍ؟ قَالَ أُخْبِرُكَ أَنِّى لَمْ أَجِدْ مَرْكَبًا قَبْلَ الَّذِى جِئْتُ فِيهِ قَالَ فَإِنَّ اللهَ قَدْ أَدَّى عَنْكَ الَّذِى بَعَثْتَ فِى الْخَشَبَةِ فَانْصَرِفْ بالْأَلْفِ الدِّينَارِ رَاشِدًا)[1].

---

(١) أخرجه البخاري معلقًا (١٤٩٨).

صاحب الأمانة إذا خسر شيئًا من الدنيا عوضه الله أفضل مما أخذ منه:

وهذا وعد الله الذي قال ﴿إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِى قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٠﴾﴾ [الأنفال: ٧٠].

كان والد عبد الله بن المبارك حارسًا على بستان، فلم يتطلع يومًا للأكل من البستان...

وهو ما اكتشفه صاحب البستان وتعجب له...

ففى إحدى زياراته طلب منه عنبًا وقيل رمانًا يأكله...

فجاءه بواحدة فوجدها حامضة فطلب منه واحدة أخرى فكانت كذلك...

فقال له: كم لك في هذا البستان وأنت لا تعرف الحامض من الحلو؟!

فقال المبارك: وكيف أعرف وأنا لم أذق شيئًا منه.

فتعجب صاحب البستان...

وقال: ألا تتمتع ببعض ما هو تحت يديك.

قال المبارك: لَمْ تأذن لى في ذلك فكيف أستحل ما ليس لى؟!

فتعجب صاحب البستان من أمانة هذا الرجل وأخلاقه...

فعرض عليه أن يزوجه ابنته.

وتزوج هذا الرجل من تلك الزوجة الصالحة وكان ثمرة هذا الزواج عبد الله بن المبارك هذا العالم الزاهد [(١)].

---

(١) وفيات الأعيان لابن خلكان (٣/ ٣٣).

فلتعلم أخى الحبيب أنك بالأمانة لن تخسر أبدًا في الدنيا ولا في الآخرة.

بنت بائعة اللبن:

وكيف كافأها الله تعالى على أمانتها؟!

عن عبد الله بن زيد بن أسلم عن أبيه عن جده قال: كنت مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو يعس المدينة...

إذ أعيا فاتكأ على جانب جدار في جوف الليل...

فإذا امرأة تقول لابنتها: يا ابنتاه قومى إلى ذلك اللبن فامذقيه بالماء.

فقالت: يا أَمتاه وما علمت ما كان من عزمة أمير المؤمنين؟!

فقالت: وما كان من عزمته يا بنية؟

قالت: لقد أمر مناديًا فنادى ألا يشاب اللبن بالماء.

فقالت: لها يا ابنتاه قومى إلى اللبن فامذقيه بالماء فإنك في موضع لا يراك عمر ولا منادي عمر.

فقالت الصبيَّة لأمها: يا أمتاه والله ما كنت لأطيعه في الملأ وأعصيه في الخلاء.

وعمر يسمع كل ذلك...

فقال يا أسلم: علم الباب واعرف الموضع.

ثم مضى في عسسه...

فلما أصبح...

قال يا أسلم امض إلى الموضع فانظر من القائلة ومن المقول لها؟ وهل لهم من بعل؟

فأتيت الموضع فنظرت فإذا الجارية أيم لا بعل لها فأتيت عمر وأخبرته...

فدعا عمر ولده فجمعهم...

فقال هل فيكم من يحتاج إلى امرأة أو زوجة فلو كان بأبيكم حركة إلى النساء ما سبقه أحد منكم إلى هذه الجارية؟

فقال عبد الله لى زوجة، وقال عبد الرحمن لى زوجة، وقال عاصم يا أبتاه لازوجة لى زوجنى فبعث إلى الجارية فزوجها من عاصم)[١].

هذه هى أم عمارة بنت سفيان بن عبد الله الثقفى، فكافأها الله تعالى، فرزقها ابن أمير المؤمنين زوجًا لها وهذا من ثمرة أمانتها بل وبارك الله لهما، فكان من ذريتهما الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز.

وغير ذلك من فوائد الأمانة، جعلنا الله وإياكم من الأمناء.

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر (٧٠/ ٢٥٣)، صفة الصفوة (٣/ ٢٠٣).

بـــر الوالـــــدين

إنَّ الله تعالى يأمر بالخير ويرشد إلى الإصلاح وإلى بناء المجتمع المسلم خير بناء.

وذلك يقوم على أسس:

من هذه الأسس الهامة: التعاون وشكر الجميل والمكافأة عليه:

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال:قال ﷺ " **من استعاذ باللهِ فأَعيذوه، ومن سأل باللهِ فأَعطوه، ومن دعاكم فأَجيبوه، و من صنع إليكم معروفًا فكافِئوه، فإن لم تجدوا ما تُكافِئوه، فادعوا له حتى تروا أنكم قد كافأْتُموه** "(١).

لذا كان النبى ﷺ يقبل الهدية ويجازى عليها ويعلمنا أنَّ من صنع لكم معروفًا فقولوا له جزاك الله خيرًا فعن أسامة بن زيد قال:قال رسول الله ﷺ "**من صُنع إليه معروفٌ فقال لفاعلِه جزاك اللهُ خيرًا فقد أبلغ في الثَّناءِ**"(٢).

فإن عجز الإنسان عن شكر العمل وجزاء صاحب المعروف فليدعُ الله أن يكافئه ويجزيه خيرًا.

وإنَّ من أعظم المخلوقات معروفًا على العبد بعد الله ورسوله ﷺ الوالدين.

---

(١) أخرجه أبوداود (١٦٧٢)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٨٥٢).
(٢) أخرجه الترمذي (٢٠٣٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٣٦٨).

إذ هما سبب حياتك ووجودك وخاصة الأم...

فلكم تألمت وأنت آمن في بطنها...

ولكم سهرت وما اكتحلت عينها بالنوم لكى تنام...

ولكم بكت عينها إذا ألمَّت بك الآلام...

إن رأتك فرحًا فالفرحة تملأ قلبها...

وإن رأتك حزينًا فالحزن والغم يخيم عليها...

تجوع لتشبع أنت...

وتظمأ لترتوي أنت...

بل ترجو أن يكون الموت نصيبها لتحيا أنت...

إنها صاحبة البسمة الحانية... واللمسة اللينة... والحضن الدافئ الآمن.

ولكن لما كان العبد ينسى هذا المعروف وهذا الفضل ذكره الله به وأمره به وتوعده على التقصير فيه.

✍قرن الله برهما بعبادته:

تالله إنَّ ذلك لفضل عظيم ومنة كبرى أن يقرن الله برهما بطاعة ربهما قال تعالى ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ ﴾ [الإسراء: ٢٣].

هذا أمر من الله تعالى بعبادته وحده لا شريك له...

ثم ثنى بالأمر بالإحسان للوالدين...

ثم بين صورة من صور هذا الإحسان وخاصة عند الكبر بعدما أديا ما

عليهما واحتاجا لأبنائهما وإنَّ ذلك قد يسبب ضجرًا وتعبًا لأبنائهما.

فيقول تعالى ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ ﴾وهذا أقل الضجر أن تقول لهما " أف "كلمة بسيطة قليلة قد لا ينتبه إليها الأبوان لكن نهى الله عنها.

وقال ﴿وَلَا تَنْهَرْهُمَا ﴾ ليس هذا فحسب...

بل قال ﴿وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾ كل قول كريم حتى الكلمات الخارجة من فيك إليهما لا يكون إلا قولًا كريمًا.

ليس هذا فحسب بل عليك أن تذل لهما وتتواضع لهما ومع كل ذلك تدعو لهما قال ﴿ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ ﴾ [الإسراء: ٢٤].

وكأنَّ سائلًا يسأل لم كل هذا؟ هل هما يستحقان كل ذلك؟

فيذكرك الله تعالى بفضل واحد من فضائلهما عليك فقال ﴿كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ ﴾.

- قال تعالى ﴿ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ ﴾ [الأنعام: ١٥١].

وتبدأ الآية بتنبيه شديد، بتنبيه السامع عما يأتى بعدها...

فقال ﴿ قُلْ تَعَالَوْا۟ ﴾انتبهوا واسمعوا...

ماذا يارب؟

﴿أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ﴾والمحرمات كثيرة لكن جمع الله في هذه الآية عشرة أوامر ونواهي وكأنها أهم الأوامر والنواهي.

وبدأها بقوله ﴿أَلَّا تُشْرِكُوا﴾، وثناها بقوله ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾.

- إنَّ الأمر ببر الوالدين أمر قديم في كل الشرائع فقال تعالى فيما أخذ على بنى اسرائيل من المواثيق ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [البقرة: ٨٣] فالأمر ليس جديدًا ولاخاصًّا بهذه الأمة بل هو في كل الأمم وفي كل الشرائع.

وكثير من الشرائع والأحكام تتغير من شريعة إلى شريعة لكن الأمر ببر الوالدين والإحسان إليهما لم يتغير ولم يتبدل في شريعة من الشرائع.

❁ من هم أهل البر؟

الأنبياء:

هم أكثر الناس برًّا بآبائهم مسلمين كانوا أو كفارًا.

إبراهيم عليه السلام:

يقوم داعيًا أباه إلى الإسلام فإنَّ أعظم البر أن تقدم للأبوين ما ينفعهما في الآخرة.

ويدعوه برفق وإحسان مع غلظة أبيه ومع توعده إياه، فيقول﴿ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ﴿٤٢﴾﴾ [مريم: ٤٢].

أبوه يتوعده، وإبراهيم يتودد إليه...

أبوه يهدده بالرجم والقتل، وهو يعده بالاستغفار له...

أبوه يأمره بالهجر وخروجه من رعايته، وهو يقول سلام عليك وأمان...

إنه البر والإحسان...

ومع كل ذلك توجه إلى ربه وقال ﴿ وَٱغۡفِرۡ لِأَبِيٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٨٦﴾ ﴾ [الشعراء: ٨٦].

إسماعيل عليه السلام:

يأمره أبوه أن يطلق زوجته...

فيطلقها... وإن أحبها...

وإن خالف رأي أبيه مهجة فؤاده لكنه بارٌّ بأبيه وخاصة إذا كان يعلم أنَّ أباه لا يأمره إلا بخير...

يأمره أن يبنى معه الكعبة...

فيقول سمعًا وطاعة ويقف ويناول أباه الحجارة حتى أتمها...

ويأمره أن يتجهز ويستعد لذبحه فيقول ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الصافات: ١٠٢]، ياله من بر عظيم.

يحيى عليه السلام:

قال عنه الله تعالى ﴿وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَيۡهِ وَلَمۡ يَكُن جَبَّارًا عَصِيّٗا ﴿١٤﴾ ﴾ [مريم: ١٤].

عيسى عليه السلام:

قال عنه الله تعالى ﴿وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمۡ يَجۡعَلۡنِي جَبَّارٗا شَقِيّٗا ﴿٣٢﴾ ﴾ [مريم:٣٢]

النبي محمد عليه السلام:

الذي ماتت أمه قبل أن تسلم ومع ذلك كان يأخذه البر والإحسان ويحاول أن يقدم لها شيئًا فيقول " استأذنت ربي أن أستغفر لأمي فلم يأذن

لى، واستأذنته أن أزور قبرها فأذن لى"[١].

❁ الصـــالحـــون:

حارثة بن النعمان:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ " **نمتُ فرأيتُنى فى الجنَّةِ فسَمِعْتُ صوتَ قارئ يقرأُ فقُلتُ مَن هذا؟ فقالوا: هذا حارثةُ بنُ النُّعمانِ فقالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وعلَى آلِه وسلَّمَ كذلكَ البرُّ كذلكَ البرُّ وَكانَ أبرَّ النَّاس بأمِّهِ**"[٢].

أويس القرنى:

عن عمر رضي الله عنه قال:قال رسول الله ﷺ " **إنَّ خيرَ التَّابعينَ، رجلٌ يُقالُ له: أُوَيسٌ، وله والدةٌ هو بها بَرٌّ، لو أقسم على الله لأَبَرَّه، و كان به بياضٌ، فمُروه فلْيَسْتَغْفِرْ لكم**"[٣].

ها هو أويس القرني تابعى لم ير النبى ﷺ ولم يفز بصحبته...

لكنه وإن لم يصحبه بذاته ونفسه صحبه بعمله وسيرته...

وهو أنه كان صالحًا وبارًّا بأمه، ولعظم البر عند الله ذكر النبى ﷺ أعظم أعماله إنه بارٌّ بأمه.

بل وأمر أصحابه الأبرار أن يطلبوا منه الاستغفار.

تالله إنها لمنة عظيمة وجزاء كبير لأصحاب هذا البر.

---

(١) أخرجه مسلم (٩٧٦)، أبوداود (٣٢٣٤)، النسائى (٢٠٣٤)، ابن ماجه (١٥٧٢).
(٢) أخرجه ابن حبان في صحيحه (١٥/ ٤٧٩)، وصححه الألباني في الصحيحة (٩١٣).
(٣) أخرجه مسلم (٢٥٤٢).

قد يسأل سائل كيف أبر والدىَّ وأحسن إليهما؟

البر والإحسان أبوابه كثيرة لذا لم يحدد الله نوعًا واحدًا من الإحسان ولم يعدد صور الإحسان إذ أنها صور كثيرة ولكنها ذكرت مطلقة لكى تكون بكل بر وإحسان في طاقتك.

❁ بعض صور البر والإحسان:

الإحسان بتقديم الخير والدين اليهما:

إنَّ أعظم ما تحسن به لوالديك أن تقدم لهما خير الآخرة وأن تعلمهما أمر دينهما وأن تأمرهما بالمعروف وتنهاهما عن المنكر في حدود البر والأدب معهما كما فعل إبراهيم عليه السلام وإنَّ البار بوالديه غاية ما يتمناه أن ينقذ أبويه من النار وأن يسكنهما الدرجات العليا في الجنان.

- أبو هريرة وأمه:

قال أبوهريرة: كنتُ أدعو أمى إلى الإسلام وهى مشركةٌ...

فدعوتُها يومًا...

فأسمعَتْنى في رسول اللهِ ﷺ ما أَكره...

فأتيتُ رسولَ اللهِ ﷺ وأنا أبكى.

قلتُ: يا رسولَ اللهِ ! إني كنتُ أدعو أمى إلى الإسلام فتأبى علىَّ، فدعوتُها اليومَ فأسمعَتْنى فيك ما أكره، فادعُ اللهَ أن يهديَ أمَّ أبى هريرةَ.

فقال رسولُ اللهِ " ﷺ**اللهمَّ اهْدِ أمَّ أبى هريرةَ.**

"فخرجتُ مُستبشرًا بدعوةِ نبىِّ اللهِ ﷺ... فلما جئتُ فصرتُ إلى البابِ... فإذا هو مُجافٍ... فسمعتْ أمِّي خشفَ قدمي...

فقالت: مكانَكَ ! يا أبا هريرةَ! وسمعتُ خَضخَضَةَ الماءِ...

قال فاغتسلتْ ولبستْ دِرْعَها وعَجِلَتْ عن خمارِها...

ففتحتِ البابَ...

ثم قالت: يا أبا هريرةَ !أشهدُ أن لا إله إلا اللهُ، وأشهد أنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه.

قال فرجعتُ إلى رسولِ اللهِ ﷺ، فأتيته وأنا أبكى من الفرح.

قال قلتُ: يا رسولَ اللهِ ! أَبشِرْ قد استجاب اللهُ دعوتَك وهدى أمَّ أبى هريرةَ. فحمد اللهَ وأثنى عليه وقال خيرًا.

قال قلتُ: يا رسولَ اللهِ ! ادعُ اللهَ أن يُحبِّبَنى أنا وأمى إلى عباده المؤمنين، ويحبِّبَهم إلينا.

قال: فقال رسولُ اللهِ ﷺ: **اللهمَّ حبِّبْ عُبَيدَك هذا** - يعنى أبا هريرةَ -**وأمَّه إلى عبادِك المؤمنين. وحبِّبْ إليهم المؤمنين.**

فما خُلِقَ مؤمنٌ يسمعُ بى، ولا يرانِي، إلا أَحبَّنى [(١)].

إنَّ هذا هو عين البر وأعظمه...

البر الذي ينجى من النار ويفتح أبواب الجنان...

حتى في طلب الدعوة لحب المؤمنين إليه وحبه إليهم ما استطاع أبو هريرة أن يطلبها لنفسه فقط، بل أشرك فيها أمه رضي الله عنهما.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٤٩١).

- عمرو بن الجموح وأبناءه:

وها هم أبناء عمرو بن الجموح لا تكتحل أعينهم بنوم وهم يرون أباهم يوشك أن يكون في نار تلظى فقاموا بعمل الحيل والمحاولات حتى هداه الله فحسن إسلامه.

كان عمرو بن الجموح له صنم فلما أسلم أبناءه قاموا بعمل الحيل لإسلامه...

حيث حملوا صنمه بالليل ووضعوه في حفرة بها عذرة.

فجاء عمرو إلى صنمه فلم يجده...

فبحث عنه فوجده في مكان العذرة منكسًا...

فأتى به وطيَّبه وطهره... ثم قال أما والله لو أعلم من فعل بك هذا لأخزينه. ثم إذا نام فعلوا ذلك مرارًا... فلما أكثروا عليه ذلك...

وضع في عنقه سيفًا وقال له إن كان فيك خير فامتنع.

فلما أمسى عَدَوا عليه وفعلوا به ما سبق...

وقرنوا به كلبًا ميتًا ثم ألقوه في بئر بها عذرة.

فلما رآه عمرو على هذه الحال تركه وأسلم وحسن إسلامه [(١)].

حتى أتت غزوة أحد...

ويخرج عمرو فيها ويقول إنى أريد أن أطأ بعرجتى الجنة فيخرج

(١) الإصابة في تمييز الصحابة (٤/ ٦١٥)، تاريخ الإسلام (١/ ٦٦٤)، البداية والنهاية (٣/ ٢٠٢).

ويموت شهيدًا. إنها آثار الإحسان والبر...

رجل ينتقل من نار جهنم إلى منازل الشهداء في الجنة...

أليس هذا أعظم البر؟!

أخي الحبيب:

إنَّ أعظم البر والإحسان أن تبذل لوالديك الآخرة وأن تفتح لهم طريقًا لرضي الله عنهم.

الأدب معهما:

ومن البر أن تتأدب معهما في لفظك ولحظك وعملك.

قيل لعمرو بن زيد كيف بر ابنك بك؟

قال: ما مشيت نهارًا قط إلا وهو خلفي ولا ليلًا إلا وهو أمامي ولا رقى سطحًا وأنا تحته[١].

قال محمد بن محيريز"من مشى بين يدي أبيه فقد عقه إلا أن يمشي فيميط الأذى عن طريقه"[٢]، وغيرذلك من صور البر.

فضائل بر الوالدين:

١- يفرج الله به الكربات:

كما حدث مع الثلاثة الذين أووا إلى الغار للمبيت فسدت صخرة الكهف فدعوا الله بصالح أعمالهم وكان منهم رجل بارٌّ بوالديه ففرج الله عنهم.

---

(١) وفيات الأعيان (٣/ ٦١٥)، عيون الأخبار (١/ ٣١٣).

(٢) صفة الصفوة (٤/ ٢٠٧).

٢- بر الوالدين كفارة للكبائر:

عن عطاء بن يسار عن ابن عبَّاس أنَّهُ أتاهُ رجلٌ، فقال: إنِّى خَطبتُ امرأةً فأبَت أن تنكِحَنى، وخطبها غَيري فأحبَّت أن تنكِحَهُ، فَغِرْتُ عليها فقتَلتُها، فهل لى مِن توبةٍ؟ قالَ: أُمُّكَ حيَّةٌ؟ قالَ: لا، قالَ: تُب إلى اللهِ ﷻ، وتقرَّب إليهِ ما استطعتَ، فذهبتُ فسألتُ ابنَ عبَّاس: لمَ سألتَهُ عن حياةِ أُمِّهِ؟ فقالَ: إنِّى لا أعلَمُ عملًا أقرَبَ إلى اللهِ ﷻ مِن برِّ الوالدة [(١)].

٣- بر الوالدين يعدل الحج والعمرة:

عن عبد الله بن عمرو قال: أقبل رجلٌ إلى نبيِّ اللهِ ﷺ فقال: أُبايِعْك على الهجرةِ والجهادِ أبتغى الأجرَ من اللهِ قال " **فهل من والدَيك أحدٌ حيٌّ؟** " قال: نعم بل كلاهما قال" فتبتغى الأجرَ من اللهِ؟" قال: نعم. قال " **فارجِعْ إلى والدَيك فأحسِنْ صُحبتَهما** "[(٢)].

وغير ذلك من الفضائل.

❁ برهما بعد موتهما:

إنَّ بر الوالدين لا ينقطع بموتهما بل يبقى باقيًا لهما ما دمتَ حيًّا.

وبرهما يكون ببر كل شيء يصل إليهما.

عن عبدالله بن دينار عن ابن عمر أنه كان إذا خرج إلى مكةَ كان له حمارٌ يتروَّحُ عليه، إذا ملَّ ركوبَ الراحلةِ. وعمامةٌ يشدُّ بها رأسَه. فبينا هو يومًا على ذلك الحمارِ. إذ مرَّ به أعرابيٌّ. فقال: ألستَ ابنَ فلانِ بنِ فلانٍ؟ قال:

---

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٤)، وقال الألباني في السلسلة الصحيحة: صحيح على شرط الشيخين (٦/ ٧١١).

(٢) أخرجه مسلم (٢٥٤٩).

بلى. فأعطاه الحمارَ وقال: اركب هذا. والعمامةَ، قال: اشدُدْ بها رأسَك. فقال له بعضُ أصحابه: غفر اللهُ لك !أعطيتَ هذا الأعرابيَّ حمارًا كنت تروحُ عليه، وعمامة كنت تشدُّ بها رأسَك ! فقال: إني سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول " **إنَّ مِن أَبَرِّ البرِّ صلةُ الرجل أهلَ وُدِّ أبيه، بعد أن يُولِّيَ " وإنَّ أباه كان صديقًا لعمرَ**[(١)].

عن أبى أسيد مالك بن ربيعة قال: بينا نحن جلوسٌ عند رسولِ اللهِ ﷺ إذ جاء رجلٌ من بنى سلمةَ فقال يا رسولَ اللهِ **هل بَقِى من برِّ أبوَىَّ شىءٌ أبرُّهما به بعد موتِهما قال نعم الصَّلاةُ عليهما والاستغفارُ لهما وإنفاذُ عهدِهما من بعدِهما وصلةُ الرَّحِم الَّتى لا تُوصَلُ إلَّا بهما وإكرامُ صديقِهما"**[(٢)].

❁ إياك من غضب الوالدين:

أخى الحبيب: احذر أن يغضب عليك والداك فإن رضا الله في رضاهما وسخطه في سخطهما فاحذر سخطهما وتجنب دعاءهما عليك فقد يصيبك دعاؤهما بشر وإن كنت صالحًا تقيًّا.

عن عمران بن حصين قال: تذاكَرْنا البرَّ عندَ رسولِ اللهِ ﷺ فأنشَأ يُحدِّثُنا قال **إنَّه كان فيمَن كان قبلَكم من الأمم رجلٌ يتعبَّدُ صاحبُ صومعةٍ يقال له جُريجٌ فكانت له امرأةٌ أو أمٌّ فكانت تأتيه فتُنادِيه فيُشرفُ عليها فيُكلِّمُها فأتَتْه يومًا وهو فى صلاتِه مُقبلٌ عليها فنادَتْه** - فحكاها رسولُ اللهِ ﷺ ووضَع يدَه على جبهتِه - **فجعَلت تُنادِيه رافعةً رأسَها إليه واضعةً يدَها على جبهتِها أَيْ**

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٥٢).

(٢) أخرجه أبوداود (٥١٤٢)، ابن ماجه (٣٦٦٤)، وقال شعيب الأرنؤوط فيه على بن وهو مجهول لم يرو عنه إلا ابنه أسيد وذكره ابن حبان في الثقات وباقى رجاله ثقات، وضعفه الألباني في ضعيف الترغيب والترهيب.

جُرَيجُ أَىْ جُرَيجُ ثلاثَ مرَّاتٍ كلُّ ذلك يقولُ جُرَيجٌ أَىْ ربِّ أمِّى أم صلاتى فغضِبَت فقالت اللَّهمَّ لا يموتَنَّ جُريجٌ حتَّى ينظُرَ فِى وجوهِ المُومِساتِ قال وبلَغَت بنتُ مَلِكٍ القريةَ فحمَلَت فولَدت غلامًا فقالوا لها مَن فعَل هذا بك مَن صاحبُك؟ قالت هو من صاحب الصَّومعةِ جُريجٌ فما نشِب جُريجٌ حتَّى سمِع بالفؤوس فى أصل صومعتِه فجعَل يسأَلُهم ويلَكم ما لكم فلا يُجِيبُوه فلمَّا رأى ذلك أخَذ الحبلَ فتدلَّى فجعلوا يجرُّونَ أنفَه ويضربونَه ويقولون مُراءٍ تُخادِعُ النَّاسَ بعملِك قال ويلَكم ما لكم قالوا بنتُ صاحب القريةِ بنتُ المَلِكِ الَّتى أحبَلْتَها قال ما فعَلْتُ قالوا ولدَت غلامًا قال الغلامُ حىٌّ هو؟ قالوا نَعَمْ قال فولُّوا عنِّى فتولَّى فصلَّى ركعتين ثُمَّ مشى إلى شجرةٍ فأخَذ منها غصنًا ثُمَّ أتى الغلامَ وهو فى مهدِه ثُمَّ ضرَبه بذلك الغصن وقال يا طاغيةُ مَن أبوك قال أبى فلانٌ الرَّاعى قالوا إن شِئْتَ بنَيْنا لك صومعتَك بذهب وإن شِئْتَ بفِضَّةٍ قال أعيدوها كما كانت فزعَم أبو حرب أنَّه لم يتكلَّمْ فى المهدِ إلَّا ثلاثةٌ عيسى ابنُ مريمَ وشاهدُ يوسفَ وصاحبُ جُريج"[1].

إنه كان قائمًا يصلى ولم يجب أمه، فما منعه من إجابتها إلا الصلاة ليس الإعراض ولا العقوق، وهذا درس للأمم جميعًا، مع أنَّ الله تعالى عوضه فأنطق على يديه الصغير وأظهر براءته إذ لا ذنب له فيما حدث وما قصد عقوق أمه.

❁ عقوق الوالدين يعجل العقوبة في الدنيا:

عن نفيع بن الحارث الثقفى قال:قال ﷺ " ما من ذنب أجدرُ أن يُعجِّلَ اللهُ تعالى لصاحبه العقوبةَ فى الدنيا، مع ما يَدَّخِرُه له فى الآخرةِ من قطيعةِ الرَّحِمِ، والخيانةِ، والكذبِ، وإنَّ أَعجلَ الطاعةِ ثوابًا لصلَةُ الرَّحِمِ، حتى إنَّ

(١) أخرجه البخاري (١٢٠٦)، مسلم (٢٥٥٠).

أهلَ البيتِ ليكونوا فجَرةً، فتنمو أموالُهم، ويكثُرُ عددُهم، إذا تواصَلوا "[١].

وفي رواية عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال ﷺ " بابان مُعجَّلان عقوبتهما فى الدنيا: البغى، والعقوق "[٢].

العقوق من أكبر الكبائر:

عن نفيع بن الحارث الثقفى ﷺ قال:قال ﷺ " ألا أنبِّئُكم بأكبر الكبائر. ثلاثًا، قالوا: بلَى يا رسولَ اللهِ، قال: الإشراكُ باللهِ، وعقوقُ الوالدين - وجلَس وكان متكئًا، فقال – ألا وقولُ الزُّورِ. قال: فما زال يكرِّرُها حتَّى قلنا: ليتَه يَسكتُ[٣].

عقوق الوالدين يحبط الأعمال:

عن أبى أمامة الباهلى ﷺ قال:قال ﷺ " ثلاثةٌ لا يقبلُ اللهُ مِنهم يوم القِيامةِ صرْفًا و لا عَدْلًا: عاقٌّ، ومَنّانٌ، ومُكَذِّبٌ بالقدر"[٤].

العاق لا ينظر الله إليه ولايدخل الجنة:

عن عبد الله بن عمر ﷺ قال: قال ﷺ " ثلاثةٌ لا ينظرُ اللهُ إليهم يومَ القيامةِ: العاقُّ لوالدَيه، ومدمنُ الخمر، والمنَّانُ عطاءَه. وثلاثةٌ لا يدخلون الجنةَ: العاقُّ لوالديه، والدَّيُّوثُ، والرَّجِلَةُ"[٥].

---

(١) أخرجه أبوداود (٤٩٠٢)، الترمذي (٢٥١١)، ابن ماجه (٤٢١١)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٧٠٤).

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك (٤/ ١٩٦)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٨١٠)

(٣) أخرجه البخاري (٢٦٥٤)، مسلم (٨٧).

(٤) أخرجه ابن عساكر (٤١/ ٢١٨)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٣٠٦٥).

(٥) أخرجه البزار (٢/ ٢٥٨)، وقال الألباني في صحيح الترغيب: حديث حسن صحيح (٢٥١١)

نفحات شهر رمضان

شهر رمضان:

شهر رمضان هو شهرٌ أُنزل فيه القرآن...

شهر رمضان هو شهر أصحاب الهمة والإيمان...

شهر رمضان هو شهر تغلق فيه أبواب النيران...

شهر رمضان هو شهر تفتح فيه أبواب الجنان...

شهر رمضان فيه ليلة من أفضل ليالى الزمان...

شهر رمضان هو شهر العطش فى الدنيا والري يوم القياة للظمآن بشربة هنيئة من يد سيد ولد عدنان...

شهر رمضان هو شهر التوبة والطهر من الآفات والأدران...

شهر رمضان هو شهر العودة من الذنوب والزلات وطلب الغفران...

شهر رمضان هو شهر الأنس والقرب من اللطيف الرحمن...

شهر رمضان:

هو شهر ترك الدنيا ولذاتها، والبعد عن المعاصى وشهواتها...

شهر رمضان هو شهر تُشفى فيه القلوب من أمراضها...

شهر رمضان هو شهر تُغسل فيها الصحائف من ذنوبها، وتزداد الخيرات في موازينها...

شهر رمضان:

هو سوق الخيرات وفتح البركات...

شهر رمضان هو شهر الصدقة والزكاوات...

إنه شهر تكثر فيه العبادات...

ويظهر فيه أثر الجود والخيرات...

وتزداد فيه الخلوة برب البريات.

إنه سوق فيه لكل طالب ما يريد.

فحق لقلوب المتقين له أن تَحِن، ومن ألم الفراق تَئِن.

إنه شهر رمضان...

إنه نفحة من نفحات الرحيم الرحمن...

فإنَّ الله جعل فى دهره نفحات، ومواسم للطاعات والعبادات يختصها الله بكثير من الخيرات ومن هذه النفحات شهر رمضان.

أركانُ العمل في شهر رمضانَ:

إنَّ لشهر رمضان أركانًا ثلاثة:

❁ أولها: الصيام:

فما هو الصيام؟

هل الصيام هو الإمساك عن الطعام والشراب، أم أنه اكتساب التقوى لرب الأرباب؟

قال المناوى رحمه الله" وفي الصوم خلاء عن الطعام وانصراف عن حال الأنعام وانقطاع شهوة الفرج وسلامة الأعراض عن الاشتغال بالدنيا والتوجه

إلى الله والعكوف في بيته "[١].

قال ابن القيم " الصوم هو لجام المتقين وجنة المحاربين ورياضة الأبرار والمقربين وهو من بين سائر الأعمال لرب العالمين...

فإنَّ الصائم لا يفعل شيئًا وإنما يترك شهوته وطعامه وشرابه من أجل معبوده فهو ترك محبوبات النفس وملذاتها إيثارًا لمحبة الله ومرضاته....

وهو سر بين العبد وربه لا يطلع عليه سواه والصوم يحفظ على القلب والجوارح صحتها ويعيد إليها ما استلبته منها أيدي الشهوات فهو من أكبر العون على التقوى قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣ ﴾ [البقرة:١٨٣] [٢].

والصوم قهر لعدو الله لأن وسيلة العدو الشهوات وانما تقوى الشهوات بالأكل والشرب وما دامت أرض الشهوات خصبة فالشياطين يترددون على هذا المرعى وبترك الشهوات تضيق عليهم المسالك.

قال عليٌّ رضي الله عنه: " ليس الصيام من الطعام والشراب ولكن من الكذب والباطل واللغو "[٣].

قال جابر " إذا صمت فليصم سمعك وبصرك ولسانك عن الكذب والمآثم ودع أذى الخادم وليكن عليك وقار وسكينة يوم صيامك، ولا تجعل يوم صيامك وفطرك سواء "[٤].

---

(١) فيض القدير للمناوي (٤/ ٢٧٧).
(٢) زاد المعاد لابن القيم (٢/ ٢٩).
(٣) السنن الكبرى للبيهقي (٤/ ٢٠٩)، مصنف ابن أبي شيبة (٣/ ٤).
(٤) شعب الإيمان (٣/ ٣١٧)، مصنف ابن أبي شيبة (٣/ ٣).

❁ بعض نفحات الصيام:

١- شهر الزيادة للحسنات:

عن أبى هريرة رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال " **كل عمل ابن آدم له، إلا الصيام، فإنه لى وأنا أجزى به، والصيام جنة، وإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب، فإنْ سابَّهُ أحدٌ أو قاتله، فليقل إني امرؤ صائم والذى نفس محمد بيده، لخلوف فم الصائم أطيب عند الله، يوم القيامة، من ريح المسك وللصائم فرحتان يفرحهما: إذا أفطر فرح بفطره، وإذا لقى ربه فرح بصومه** "[(١)] وفى رواية "**كل عمل ابن آدم يضاعف الحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف** قال الله عز وجل **إلا الصوم فإنه لى وأنا أجزى به يدع شهوته وطعامه من أجلى للصَّائم فرحتان فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه. ولخلوف فيه أطيب عند الله من ريح المسك**"[(٢)].

فالأعمال كلها لله لكن جعل الله لكل عمل ثوابًا معلومًا قد يضاعفه إلى عشرة أضعاف إلى سبعمائة ضعف أو أضعاف كثيرة، لكن الصوم لما صبر أصحابه على البعد عن الشهوات والملذات أعطاهم الله أجرهم بغير حساب.

٢- الصيام جنة:

أي وقاية وستر في الدنيا والآخرة، وقاية من الذنوب والمعاصى في الدنيا ووقاية من نار جهنم يوم القيامة.

---

(١) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (١٩٠٤)، مسلم (١١٥١).

(٢) أخرجه مسلم (١١٥١).

٣- الصيام يهذب الأخلاق ويدعو إلى مكارمها:

الصائم لا يرفث ولا يصخب ولا يرفع صوته فالصائم له أخلاق خاصة.

٤- الصيام يعلم كظم الغيظ والدعوة بالأخلاق الحسنة:

قال ﷺ " **فإن سابه أحد أو قاتله فليقل إني امرؤ صائم**" أي ما يمنعنى من أن أرد عليك إساءتك العجزُ والضعفُ وإنما يمنعنى أني صائم وليس السوء والفحش من أخلاق الصائمين.

٥- الصيام يعلمنا أنَّ الأحكام عند الله تختلف عنها عند الناس:

قال ﷺ "**لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك** "[(١)].

فالعبد إذا أصابه المكروه من أجل الله فهو عند الله حسن وإن كان عند الناس مذمومًا.

فإنَّ بعض العبادات فى الظاهر تؤدي إلى شيء مكروه عند الناس لكنه لما كان من أجل رضوان الله صار عند الله حسنًا.

فالخلوف وإن كان كريهًا عند الناس لكنه لما كان من أجل الله كان عند الله أطيب من ريح المسك.

وذلك كمن قتل في سبيل الله يأتي يوم القيامة وجرحه يدمى، والدم وإن كان قبيحًا في الدنيا لكنه لما كان من أجل الله جاء يوم القيامة اللون لون الدم والريح ريح المسك.

٦- الصيام يجلب لك الفرح فى الدنيا والآخرة:

وهذا غاية مراد العبد - الفرح في الدنيا والفرح في الآخرة - قال ﷺ

(١) سبق تخريجه.

"وللصائم فرحتان يفرحهما "[١].

٧- الصيام مغفرة للذنوب:

عن أبى هريرة ﷺ أنَّ النبى ﷺ قال " **مَنْ صَامَ رَمَضَانَ، إيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**"[٢].

وعنه أنَّ النبى ﷺ " رقى المنبر، فلما رقى الدرجة الأولى قال: "**آمين**". ثم رقى الثانية، فقال: "**آمين**".. ثم رقى الثالثة: فقال: "**آمين**". فقالوا: يا رسول الله! سمعناك تقول: "آمين" ثلاث مرَّاتٍ؟ قال: "**لما رقيت الدرجة الأولى جاءني جبريل ﷺ، فقال: شقى عبد أدرك رمضان فانسلخ منه ولم يغفر له. فقلتُ: آمين** "[٣].

٨- الصيام يفتح أبواب الجنة:

عن أبى هريرة ﷺ أنَّ النبى ﷺ قال " **إذا جاء رمضان فُتِحَتْ أبواب الجنة** "[٤].

٩- الصيام يحفظ ويقى من الوقوع فى الكبائر:

قال ﷺ " **يا معشر الشباب مَن استطاع منكم الباءة فليتزَوَّجْ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وِجَاءٌ** "[٥].

---

(١) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (١٩٠٤)، مسلم (١١٥١).

(٢) أخرجه البخاري (٣٨)، مسلم (٧٦٠).

(٣) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (١/ ٢٢٤)، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد (٥٠٣).

(٤) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (١٨٩٨)، مسلم (١٠٧٩).

(٥) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٥٠٦٥، ٥٠٦٦)، مسلم (١٤٠٠).

١٠- الصيام يشفع للعبد فى أرض المحشر:

يوم تدنو الشمس من الرؤوس وكل يبحث عمن يدفع عنه أو يجيره أو يشفع له، فيأتي الصيام شفيعًا، عن عبدالله بن عمرو أنَّ النبى ﷺ قال "**الصيام والقرآن يَشْفَعَانِ للعبد يوم القيامة يقول الصيام أَىْ رَبِّ منعْتُهُ الطعام والشهوات بالنهار فشفعنى فيه ويقول القرآن منعْتُهُ النوم بالليل فشفعنى فيه قال فَيُشَفَّعان**"(١).

١١- الصيام يباعد وجه صاحبه عن النار:

إذا جاءت جهنم في أرض المحشر...

وقشع الناسَ لهيبُها...

والخوف والفزع منها قد ملأ القلوب...

يتذكر كل عبد ذنوبه...

واذا به يراها مهلكة من شدة الموقف...

وحينها يأتي يوم واحد ليدفع عنه...

فيقال هل يستطيع يوم واحد أن يدفع كل ذلك؟!

نعم إنه يوم صامه العبد في سبيل الله...

لا يحجبه عن النار فقط بل يباعد وجه صاحبه بعيدًا بعيدًا عن النار عن أبى سعيد أنَّ النبى ﷺ قال " **من صام يومًا فى سبيل الله، بَعَّدَ الله وجهه عن النار سبعين خريفًا**"(٢).

---

(١) أخرجه الحاكم (١/ ٧٤٠)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٩٨٤).

(٢) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٢٨٤٠)، مسلم (١١٥٣).

١٢- يُنادَى صاحبه من باب الريان:

وبعد كل هذه الأحوال والمفاوز تزلف الجنة للمتقين...

وأبوابها تنادي على أصحابها...

فينادي كل باب على أصحابه...

من كان من أهل الصدقة دُعى من باب الصدقة...

ومن كان من أهل الصلاة دعى من باب الصلاة...

ومن كان من أهل الجهاد دعى من باب الجهاد...

وإذا بالصوام لا يجدون بابًا يسمى باب الصيام...

كأنهم يقولون... أين نحن؟ ومن أين ندخل؟

وإذا بابهم يسمى باب الريان...

إذ لا صوم هناك ولا جوع ولا عطش، إنما هو الري بعد الظمأ، والشبع بعد الجوع فإذا شربوا لا يظمأون بعدها أبدًا عن سهل بن سعد أنَّ النبى ﷺ قال " **إنَّ فى الجَنَّةِ بابًا يقال له الرَّيَّانُ، يدخلُ منه الصائمون يوم القيامَةِ، لا يدخُلُ منه أحَدٌ غيرهم، يُقَالُ: أين الصائمون؟ فيقومون لا يدخل منه أحَدٌ غيرهم، فإذا دخلوا أُغلِقَ فلم يدخُلْ منه أَحَدٌ**"[(١)].

محروم من النفحات:

أخى الحبيب: ومع كل هذا الخير وهذه النفحات والبركات...

تجد أناسًا حرمهم الله التوفيق...

---

(١) **متفق عليه:** أخرجه البخاري (١٨٩٦)، مسلم (١١٥٢).

حُرموا بذنوبهم من كل هذه الخيرات والنفحات...

لاتباعهم الشهوات ورفقاء السوء...

فاستبدلوا بالعبير بعرًا، وبالثريا الثرى.

ها هم أناس فى حال أخرى يوم القيامة...

إذ هم أفطروا فى هذا الشهر بغير عذر وحرموا من خيري الدنيا والآخرة.

عن أبى أمامة الباهلى، قال: سمعتُ رسول الله ﷺ، يقول: «**بينا أنا نائمٌ إذ أتاني رجلان، فأخذا بضَبْعَيَّ، فأتيا بى جبلًا وَعْرًا، فقالا لى: اصعد حتى إذا كُنْتُ فِي سواء الجبل، فإذا أنا بصوتٍ شديدٍ، فَقُلْتُ: ما هذه الأصوات؟ قال: هذا عواء أهل النار، ثم انطلقا بى فإذا أنا بقوم معلقين بعراقيبهم مشققةٍ أشداقهم تسيل أشداقهم دمًا، فَقُلْتُ: من هؤلاء؟ فقيل: هؤلاء الذين يفطرون قبل تحلة صومهم** "[(١)].

الصوم من أعظم الأعمال وأفضلها:

عن أبى أمامة أنه سأل رسول الله ﷺ أَيُّ العمل أفضل قال « **عَليك بالصوم فإنه لا عدل له** »"[(٢)].

عن أبى هريرة قال: قال النبى ﷺ **الساعى على الأرملة والمسكين كالمجاهد فِي سبيل الله أو القائم الليل الصائم النهار**"[(٣)].

فغاية مراد العباد أن يصلوا لدرجة الصائم القائم عن عبدالله بن عمرو

---

(١) أخرجه ابن خزيمة (٣/ ٢٣٧)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٣٩٥١).

(٢) أخرجه النسائى (٢٢٢٢)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب (٩٨٦).

(٣) أخرجه البخاري (٥٦٥٣، ٦٠٠٦، ٦٠٠٧)، مسلم (٢٩٢٨).

قال " المسلم المسدد ليدرك درجة الصوام القوام بآيات الله "[١].

❁ الركن الثاني: القيام:

قيام الليل:

- **قيام الليل علامة المؤمن:** قال قتادة " ما سهر الليل منافق "[٢].

- **مدرسة الليل مدرسة الدعوة والهداية:**

إنَّ من يتخرج من مدرسة الليل يؤثر في الأجيال الحاضرة والأجيال القادمة، والمتخلف عنها قاسى القلب لا تأثير له ولا عمل في أفئدة الناس.

قال بشر بن الحارث " بحسبك أنَّ قومًا موتى تحيا القلوب بذكرهم، وأنَّ قومًا أحياء تقسو القلوب لرؤيتهم "[٣].

- **قيام الليل تزكية للنفوس:**

إذ فيه الخلوة والقرب والأنس بالله العزيز الحميد.

- **قيام الليل سمو بالنفس وبعد بها عن الآفات:**

إذ هو ترك للحياة الأرضية واتصال بالسماء العالية والنفس كالطائر كلما علت بعدت عن الآفات والمهالك.

إنَّ العبد ضعيف لذا لابد له من صلة بإلهه القوي...

إنَّ العبد فقير لذا لابد له من صلة بإلهه الغنى...

وخاصة لو كانت هذه الصلة في أوقات قرب الله من عبده في أوقات

---

(١) أخرجه أحمدمرفوعًا (٢/ ١٧٧)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٥٢٢).

(٢) حلية الأولياء (٢/ ٣٣٨).

(٣) تاريخ دمشق (١٠/ ٢١٤)، صفة الصفوة (٢/ ٣٣٣).

الليل.

اعلم: أنَّ العبد كلما كان عمله أخص من غيره كان أقرب إلى الله.

والليل أصعب وأشق على الناس لذا كان لأهل الليل ميزة وفضل قال تعالى ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡئٗا وَأَقۡوَمُ قِيلٗا ۝٦﴾ [المزمل: ٦]، وقال تعالى ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعۡلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدۡنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيۡلِ وَنِصۡفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحۡصُوهُ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡۖ فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرۡضَىٰۙ وَءَاخَرُونَ يَضۡرِبُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَبۡتَغُونَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِۙ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنۡهُۚ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقۡرِضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗاۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٖ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيۡرٗا وَأَعۡظَمَ أَجۡرٗاۚ وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝٢٠﴾ [المزمل: ٢٠].

إنَّ سجود المحراب والاستغفار بالأسحار ودموع المناجاة علامة وفضل يحتكره المؤمنون.

فلإن توهم أصحاب الدنيا ومتاعها أنَّ جنتهم في الدنيا والنساء والأموال فإنَّ جنة المؤمن في محرابه بين يدي ربه.

إنه حين يطول الأمد ويشق الجهد يحتاج العبد إلى الصبر:

الصبر على الطاعات...

والصبر على بطء النصر...

والصبر على انتفاش الباطل...

والصبر على الطريق الشائك...

والصبر على كثرة الشهوات...

والصبر على غرور الدنيا...

فلابد وقتها أن يقترن الصبر بالصلاة، وأن يلجأ ما لا حول له إلى من له الحول والقوة...

فالصلاة هى المعين الذى لا ينتهى والزاد الذى لا ينفد والذي ينهل منه الصالحون الصابرون في كل وقت وحين...

إنه لابد للإنسان الفاني الضعيف أن يتصل بالله حين تضعف قوته وتعجز قدرته.

إنَّ الصلاة هى الصلة المباشرة بين الانسان الفاني ومولاه الباقى...

إنها مفتاح الكنز الذى يغنى وقت الفقر ويفيض بالعزاء والسلوى وقت الشدة...

إنها الروح والندى...

إنها الظلال فى الهاجرة وشدة الحر...

إنها اللمسة الحانية اللينة للقلب المجهد...

إنها الراحة وقت التعب...

إنها الشفاء للقلب المكلوم المجروح...

انها زاد الطريق الطويل...

إنها مدد الروح المجهدة...

إنها جلاء القلوب التى صدأت بعد طول الأمد.

إنَّ الله تعالى حينما اختار النبى ﷺ للرسالة، وهو حمل عظيم كبير أمره أن يستعد لهذا الحمل الثقيل فقال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ۝٢ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ۝٤ إِنَّا سَنُلۡقِي عَلَيۡكَ قَوۡلٗا ثَقِيلًا ۝٥ إِنَّ

نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡئٗا وَأَقۡوَمُ قِيلًا ۝٦﴾ [المزمل: ١ – ٦]، فكان الإعداد للقول الثقيل والتكليف الشاق والدور العظيم هو قيام الليل وترتيل القرآن.

إنَّ قيام الليل وترتيل القرآن هى العبادة التى:

تفتح القلب المغلق...

وتوثق الصلة بالله...

وتيسر الأمر مهما كان صعبًا وشاقًّا...

وتشرق بالنور في غياهب الظلمات...

وتضىء الطريق المظلم...

وتضع منارات الهدى للحيارى التائهين...

وتفيض بالعزاء والسلوى والراحة والاطمئنان على القلوب وإن أظلمت الدنيا واشتد البلاء.

❁ أهل الليل وحبهم لقيام الليل:

قال على بن بكار "منذ أربعين سنة ما أحزننى إلا طلوع الفجر"[(١)].

قال المغيرة بن حبيب: لما برز العدو...

قال عبدالله بن غالب: على ما آسى من الدنيا...

والله لولا محبتى لمباشرة السهر بصفحة وجهى...

وافتراشى الجبهة لك ياسيدي...

والمراوحة بين الأعضاء والكراديس في ظلم الليل رجاء ثوابك وحلول

(١) إحياء علوم الدين للغزالي (١/ ٣٥٨).

رضوانك لقد كنت متمنيًا لفراق الدنيا وأهلها...

فقاتل حتى قتل... فلما دفن أصابوا من قبره مسكًا...

ورآه رجل فيما يرى النائم... فقال: ياأبافراس ماذا صنعت؟

قال: خير صنيع. قال: إلى ما صرت؟

قال: إلى الجنة. قال: ثم قال: بحسن اليقين وطول التهجد وظمأ الهواجر. قال: فما هذه الرائحة الطيبة؟

قال: تلك رائحة التلاوة والظمأ بالهواجر.

قال: له أوصنى. قال: اكسب لنفسك خيرًا، لا تخرج عنك الليالى والأيام عطلًا، فإني رأيت الأبرار نالوا البر بالبر [(١)].

إنَّ أهل الليل يكونون دائمًا مشغولين عن النوم المريح اللذيذ بما هو أروح منه وأمتع وألذ، إنهم مشغولون بالتوجه إلى ربهم وتعليق أرواحهم وجوارحهم به... لذا نام الناس وهم قائمون ساجدون...

وخلد الناس إلى الأرض وهم يتطلعون لعرش الرحمن...

ومع ذلك تمتلئ قلوبهم بالخوف من عذاب جهنم.

- أهل الليل تحسن وجوههم كما تطهر قلوبهم لأنهم خلوا بالله بالليل فأجزل لهم ربهم العطاء.

قال شريك بن عبدالله القاضى: من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار [(٢)].

---

(١) التهجد وقيام الليل لابن أبي الدنيا (٣٤٨).

(٢) مقدمة ابن الصلاح (١/ ٥٨)، تدريب الراوي للسيوطي (١/ ٢٨٧)، فتح المغيث=

أيهـــا الراقـــد ذا الليـــل التمـــام قـــم فالليـــالى في انصـــرام
وتقـــرب بصـــلاة وصيـــام وابتهـــل لله في جـــنح الظـــلام
فعـسى تلحـق بالقـوم الكـرام

❁ **قيام الليل يفتح لك أبواب السماء:**

قيام الليل يفتح لك أبواب السماء.

إذ فيه ينام الناس وأنت قائم...

ويغفل الناس وأنت منتبه...

تترك الدفء والراحة وتقوم تنصب قدميك لربك...

تقف على عتباته...

وتطرق بابه.

والله ينزل لعباده إلى سماء الدنيا لا ينتظر أن يدعوه بل هو يدعو سبحانه وتعالى أحبابه أن قوموا إليَّ واطلبوا واسألوا ما تريدون...

وأنا أعطى المحتاج حاجته...

وأجيب للداعى دعوته...

وأغفر للمستغفر زلته.

فقم واطرق الباب وأدم الطرق يفتح لك بإذن الله وفضله ومنته.

قال ابن مسعود "ما دمت فى صلاة فأنت تقرع باب الملك ومن يقرع

=للسخاوي (١/ ١٦٦).

باب الملك يفتح له"[(١)].

❁ الركن الثالث: القرآن

رمضان هو شهر القرآن فعليك بالقرآن في هذا الشهر المبارك وفي غيره إذ فيه كل حاجاتك وأمنياتك وغاياتك.

إذ هو كتاب الله المبين، وحبله المتين...

فيه خبر ما قبلنا، ونبأ ما بعدنا، وحكم ما بيننا...

هو الفصل ليس بالهزل...

من حكم به عدل...

ومن قال به صدق...

ومن عمل به هدي إلى صراط مستقيم...

ومن استمسك به استمسك بالعروة الوثقى.

إنه جاء ليخرج الناس من الظلمات إلى النور ويهدي الناس إلى الطريق المستقيم والهدى القويم قال تعالى ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ ﴾ [الإسراء: ٩].

إنه الشفاء والرحمة قال تعالى ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ ﴾ [الإسراء: ٨٢].

إنَّ العبد كلما اقترب من القرآن رفع الله قدره وذكره ونشر حبه بين العباد.

---

(١) حلية الأولياء (١/ ١٣٠)، صفة الصفوة (١/ ٤١٥)، شعب الإيمان (٤/ ٥٠٥).

عن مسروق قال ذكر عبدالله بن مسعود عند عبدالله بن عمرو فقال: ذاك رجل لاأزال أحبه بعدما سمعت رسول الله ﷺ يقول "استقرئوا القرآن من أربعة ابن مسعود فبدأ به وسالم مولى أبى حذيفة وأبيٍّ ومعاذ"[١].

عن عمرو بن ميمون عن أبيه قال أتى عمرَ رجلٌ...

فقال: ياأمير المؤمنين لما فتحنا المدائن أصبنا كتابًا فيه كلام معجب.

قال: أمن كتاب الله؟

قال: لا.

قال: فدعا بالدرة فجعل يضرب بها ويقرأ ﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ١﴾ [يوسف:١]...

ثم قال إنما أهلك من كان قبلكم أنهم أقبلوا على كتب علمائهم وأساقفتهم وتركوا التوراة والإنجيل حتى درسا وذهب ما فيهما من العلم"[٢].

❁ فضل القرآن:

✍ في الدنيا:

١- يمنع الشياطين من دخول البيت:

عن أبى هريرة أَنَّ رسول الله ﷺ "قال **لا تجعلوا بيوتكم مقابر وإنَّ البيت الذي تقرأ فيه البقرة لا يدخله الشيطان**"[٣] والبيت الذى لا يدخله

(١) أخرجه البخاري (٤٩٩٩)، مسلم (٢٤٦٤).
(٢) كنز العمال للمتقى الهندي (١/ ٣٧٤).
(٣) أخرجه مسلم (٧٨٠)، الترمذي (٢٨٧٧).

الشيطان بيت آمن وهادئ ومستقر تسوده الألفة والمودة والاجتماع على الخير والطاعة فتكثر فيه البركة والنعمة.

٢- يحفظ العبد من الشياطين:

قصة أبي هريرة مع الشيطان وفيه قال: إذا أويتَ إلى فراشك، فاقرأ آية الكرسي: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، حتى تختم الآية، فإنك لن يزال عليك من الله حافظٌ، ولا يقربنك شيطان حتى تصبح)[(١)].

٣- يعصم من الدجال:

الدجال من أعظم الفتن لذا حذر النبى ﷺ منه أمته وما من نبى إلا أنذر أمته الدجال فالنجاة منه أمر يشغل الناس جميعًا فجعل الله العصمة منه في عشر آيات في كتاب الله، قال النبى ﷺ: «**من حفظ عشر آياتٍ من أول سورة الكهف عصم من الدجال**»[(٢)].

٤_ نزول السكينة والرحمة:

عن البراء بن عازب، قال: كان رجلٌ يقرأ سورة الكهف، وإلى جانبه حصانٌ مربوطٌ بشطنين، فتغشَّتْهُ سحابةٌ، فَجَعَلَتْ تدنو وتدنو وجعل فرسه ينفر، فلما أصبح أتى النبى ﷺ فذكر ذلك له فقال: «**تلك السكينة تنزلت بالقرآن**»[(٣)].

---

(١) أخرجه البخاري (٢٣١١).

(٢) أخرجه مسلم (٨٠٩).

(٣) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٥٠١١)، مسلم (٧٩٥).

في الآخرة:

١- يمنع من عذاب القبر:

القبر أول المنازل ومن نجى منه فقد نجى وإنَّ هناك سورة من سور القرآن ثلاثين آية تمنع من عذاب القبر ألا وهى سورة الملك فعن ابن مسعود رضي الله عنه أنَّ النبى ﷺ قال: « **تبارك هى المانعة، تمنع من عذاب القبر** »[(١)].

٢- الشفاعة فى أرض المحشر:

عن أبى أمامة الباهلى، قال: سمعتُ رسول الله ﷺ، يقول: «**اقرءوا القرآن فإنه يأتى يوم القيامة شفيعًا لأصحابه، اقرءوا الزهراوين البقرة، وسورة آل عمران، فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غَمَامَتَانِ، أو كأنهما غَيَايَتَانِ، أو كأنهما فِرْقَانِ من طير صَوَافَّ، تُحَاجَّان عن أصحابهما،اقرءوا سورة البقرة فإنَّ أخذها بركةٌ وتركها حسرةٌ ولا تستطيعها البطلة** ». قال معاوية بلغنى أنَّ البطلة السحرة»[(٢)].

٣- منزلتك فى الجنة بقدر أخذك من القران:

إنه يقال لقارئ القرآن اقرأ وارتق ورتل فإنَّ منزلتك عند آخر آيه تقرأها فعن عبدالله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: " يُقَالُ لِصَاحِبِ القرآن: اقْرَأْ وَارْتَقِ وَرَتِّلْ كما كُنْتَ تُرَتِّلُ في الدنيا فَإِنَّ مَنْزِلَكَ عند آخر آيَة تقرؤها "[(٣)].

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٨٩٠)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٦٤٣)، وفي الصحيحة (١١٤٠).

(٢) أخرجه مسلم (٨٠٤).

(٣) أخرجه أبوداود (١٤٦٤)، الترمذي (٢٩١٤)، وقال الألباني في صحيح وضعيف سنن أبي داود حسن صحيح.

❁ الهاجر للقران:

الهاجر للقرآن يأتى يوم القيامة عاضًّا على يديه...

باكيًا نادمًا... ويتمنى لو كان سار خلف النبى ﷺ...

ولكن لا ينفعه الندم وقتها...

بل إنَّ النبى ﷺ الرحيم بالأمة يقف خصمًا له يوم القيامة لبعده عن القرآن وهجره إياه قال تعالى ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾ ﴾ [الفرقان: ٢٧ – ٣٠].

أخى الحبيب: استمسك بكتاب الله ووحيه تكن على صراط مستقيم.

أخى الحبيب: رمضان شهر الخيرات والبركات والنفحات...

فلابد أن تتعرض لها... وتنهل من نفحاتها...

وتستكثر من خيراتها وبركاتها...

وإلا ستكون ممن رغم أنفه وتكون من الخاسرين.

إنَّ من فاز برمضان فقد فاز فوزًا عظيمًا لذا كان السلف يدعون ستة أشهر بعد رمضان فيقولون " اللهم تقبل منا رمضان " وخمسة أشهر قبل رمضان يدعون " اللهم بلغنا رمضان"[(١)].

(١) لطائف المعارف لابن رجب (١/ ١٥٨).

الإنفـــــاق

إنَّ الله تعالى خلق الإنس والجن، وخلق لهما ما في الأرض جميعًا يتمتعون به، وأعطاهم ما يصلح حياتهم من الأموال والبنين وغيرها، وحث العبد أن يدخر من ذلك لآخرته ولا تشغله الدنيا عن ذلك ووعده على ذلك خيري الدنيا والآخرة، ولكن منهم من رضى بوعد الله وصدقه، ومنهم من غرته الحياة الدنيا ورضي بالعاجلة فخسر الدنيا والآخرة.

❁ فضل الإنفاق والترغيب فيه:

- قال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ١٠ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ١١ يَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ وَيُدۡخِلۡكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٢ ﴾ [الصف: ١٠ – ١٢].

فالله تبارك وتعالى – جل ذكره – إذا ناداك فلابد أن ترعيه سمعك...

لأنه يدلك على فلاحك...

لأنه يأمرك وهو الغنى عنك...

لأنه يرشدك وأنت فقير إليه ولا مصلحة له وإنما المصلحة هى لك...

فلو كانت المصلحة مشتركة لكان حريًّا بك أن تسمع فكيف وإن كانت المصلحة خالصة لك.

الله هو الذي خلق العباد ويعلم أنَّ الدنيا تسيطر على أحوالهم وقلوبهم...

لذلك يحدثك الله بلغة التجارة التى هى أعظم أبواب الرزق في الدنيا...

فإن كنت تتاجر وتحب المتاجرة فالله تبارك وتعالى يقول لك هناك نوع من المتاجرة لا تنسه أبدًا ألا وهو ﴿تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ... ﴾.

هذه التجارة هى الإيمان بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ثم بيَّن لك الجزاء بإجمال فقال ﴿ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾﴾.

ثم بين الجزاء التفصيلى ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ لم يقل من ذنوبكم بل قد تصبح صفحتك بيضاء ناصعة البياض ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾﴾.

العبد الذي يتاجر مع الله تكون الآخرة في قلبه والدنيا تحت قدميه.

فكافأه الله أن أقر عينيه بالجنة وأجري الأنهار من تحت قدميه.

فإن كان هذا الوصف في الدنيا لكان نعيمًا عظيمًا فما بالك وإن كان في جنات عدن.

فلما تاجر الناس مع الله بأموالهم الطيبة أسكنهم الله مساكن طيبة ﴿وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾﴾[الصف:١٢].

لأن التجارة مع الله تجارة لن تبور ولن تكسد أبدًا بل هى تجارة رابحة دائمًا وأبدًا.

- قال تعالى ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ ۚ وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ ۖ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٣٩﴾﴾ [سبأ: ٣٩] فالنفس فطرت على حب العاجلة لذلك جعل الله من جزاء الإنفاق شيئًا عاجلًا وبيَّنه الله تعالى ﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ ۖ﴾ الفاء تدل على السرعة والتعقيب، إنه سيخلفك سريعًا.

ثم يقول وهو خير الرازقين فلابد أن تثق بوعده.

- قال تعالى ﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضۡعَافًا كَثِيرَةً وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾ ﴾ [البقرة: ٢٤٥].

فالقرض مردود عليك...

والقرض الحسن في الدنيا يكون بغير فائدة، أما عند الله فهو بزيادة بل يضاعفه له أضعافًا كثيرة.

ثم بيَّن لك أنَّ الفقر والغنى ليس بالبخل أو الإعطاء لا تظن أنك إذا أعطيت ستفتقر أو إذا منعت ستغتنى...

قال تعالى ﴿فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجۡرٞ كَرِيمٞ ﴿١١﴾ ﴾[الحديد:١١] ثم يعرض صورًا من هذا الأجر الكريم.

قال ﴿ يَوۡمَ تَرَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَسۡعَىٰ نُورُهُم بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِم بُشۡرَىٰكُمُ ٱلۡيَوۡمَ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١٢﴾ ﴾ [الحديد: ١٢] ولم يقل المتصدقين فإن الصدق دليل وبرهان على الإيمان.

﴿يَسۡعَىٰ نُورُهُم ... ﴾بما قدمت أيديهم...

واليمنى هى التى أخرجت وفي الحديث "حتى لا تعلم شماله ما أنفقته يمينه".

وتتلقاهم الملائكة لم يكتف الله تبارك وتعالى بهذه الصورة بل ذكر لك صورة أخرى لأناس منافقين كانوا مع المؤمنين في الظاهر ولكنهم في الباطن أعداء.

كانوا يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات ﴿ يَوۡمَ يَقُولُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱنظُرُونَا نَقۡتَبِسۡ مِن نُّورِكُمۡ قِيلَ ٱرۡجِعُواْ وَرَآءَكُمۡ فَٱلۡتَمِسُواْ نُورٗا

﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ﴾ [الحديد: ١٣] لأنهم إذا ساروا أضاءوا الطريق.

فارجعوا إلى الدنيا لأنَّ النور لا يلتمس هنا وإنما يلتمس في الدنيا بالعمل والصدقة.

﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ﴾ هذا هو يوم الفصل، والسور يحجز الرؤية ولكنه لا يحجز السماع.

﴿فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾﴾ [الحديد: ١٥] إنَّ هذا اليوم يحتاج فدية يفتدي بها العبد نفسه من النار وأعظم ما يفتدي به العبد نفسه الصدقة لذا يقول ﷺ: إن الله أوحى ليحيى بن زكريا بخمس كلمات أن يعمل بهن وأن يأمر بنى إسرائيل أن يعملوا بهن وكان منها أن الله يأمركم بالصدقة فإنَّ مثل ذلك كمثل رجل أخذه العدو ليضرب عنقه فقربه ليضرب عنقه فقال أنا أفتدي نفسى بكل ما أملك فافتدى نفسه فتركوه فكذلك الصدقة إنها فدية لهذا العنق[(١)].

ثم يعاتبك الله تبارك وتعالى عتابًا لطيفًا فيقول ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقْرَضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١٨﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ ۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٩﴾ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى

(١) أخرجه الترمذي (٢٨٦٣)، وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي.

ٱلْأَخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾ سَابِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢١﴾

[الحديد: ١٦-٢١].

ألم يأن للقلوب أن تخشع وتلين لذكرالله لينالهم الفلاح في الدنيا والآخرة.

لكن طال عليهم الأمد فقست قلوبهم.

سؤال:هل يمكن أن يحيى الله قلبى بعدما قسى؟

يقول الله تعالى ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ﴾ أي أنَّ الذي أحيى الأرض بعد موتها قادرٌ على أن يحيى القلوب بعد موتها.

ثم يقول الله تعالى ﴿إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقْرَضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١٨﴾﴾ وما أغفلك ومارك إلا الدنيا.

لذا يقول الله تعالى ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾.

أما عن الآخرة قال ﴿وَفِى ٱلْأَخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ﴾.

إذًا فماذا أصنع؟

يجيبك الله بعدها بقوله﴿سَابِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾....

يقول ابن القيم:

إنَّ العبد إذا أراد أن يقرض أحدًا فتسمح نفسه بذلك، ولا يفعل ذلك إلا إذا ضمن أن يعود إليه ماله...

فإذا علم أنَّ الله تعالى هو الذي سيقترض، والله وعده حق ووعده أن يرد

إليه ماله سمحت نفسه بذلك...

وإذا علم أنَّ الله سيتاجر له في ماله زادت سماحته في ذلك...

فإذا علم أنَّ الله سيعطيه أجرًا زائدًا سمحت نفسه بذلك وطار طيرانًا إلى ربه [١].

بل يقول الله ﴿وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٢٤٥﴾[البقرة:٢٤٥]

فإن كنت بذاتك وشحمك ولحمك سترجع إلى الله فأين يكون المال إذن.

- عن أبى هريرة ﷺ قال: قال النبى ﷺ "**ما من يوم يصبحُ العبادُ فيه، إلا ملَكان ينزلان، فيقول أحدُهما: اللهم أعطِ مُنفقًا خلفًا، ويقول الآخرُ: اللهم أعطِ مُمسكًا تلفًا**[٢].

فربما يقال إنَّ هذه دعوة ملك ولا أعلم هل يستجيبها الله أم لا؟

أريد أن أطمئن أكثر...

فيأتى القسم من النبى ﷺ على ذلك...

هل ستصدق قسم الصادق المصدوق؟

- عن أبى كبشة أنَّ النبىَّ ﷺ قال " **ثَلاثٌ أقسمُ عليهنَّ وأحدِّثُكُم حديثًا فاحفَظوهُ. قال: ما نَقصَ مالُ عبدٍ من صَدقةٍ، ولا ظُلِمَ عبدٌ مظلمةً صبرَ عليها إلَّا زادَهُ اللهُ عزًّا، ولا فتحَ عبدٌ بابَ مسألَةٍ إلَّا فتحَ اللهُ علَيهِ بابَ فَقرٍ - أو كلِمَةً نحوَها – وأحدِّثُكُم حَديثًا فاحفَظوهُ. فقالَ: إنَّما الدُّنيا لأربعةِ نفرٍ: عبدٌ رزقَه**

(١) طريق الهجرتين لابن القيم (١/ ٥٣٨).
(٢) أخرجه البخاري (١٤٤٢)، مسلم (١٠١٠).

اللهُ مالًا وعِلمًا فهوَ يتَّقى ربَّهُ فيهِ ويصلُ بهِ رحِمَهُ ويعلَمُ للهِ فيهِ حقًّا فَهَذا بأفضل المَنازِلِ. وعبد رزقَهُ اللهُ علمًا ولم يرزُقهُ مالًا فَهوَ صادقُ النيَّةِ يقولُ: لَو أنَّ لى مالًا لعَمِلتُ فيه بعَمل فلانِ فهو بنيَّتِهِ فأَجرُهُما سواءٌ. وعَبدٌ رزقَهُ اللهُ مالًا ولَم يَرزُقهُ عِلمًا يخبطُ فِى مالِهِ بغير عِلم لا يتَّقى فيهِ ربَّهُ ولا يَصلُ فيهِ رحمَهُ ولا يعلَم للهِ فيهِ حقًّا فهو بأخبَثِ المنازِلِ، وعبدٌ لم يَرزُقْهُ اللهُ مالًا ولا عِلمًا فَهوَ يقولُ: لَو أنَّ لى مالًا لعَمِلْتُ فيهِ بعمَل فلانِ فَهوَ بنيَّتِهِ فوزرُهُما سواءٌ"[(١)].

سبحان الله ! يجمع المال وباب الفقر يفتح عليه...

ويخرج المال وباب الغنى يفتح عليه...

في هذا الحديث يقسم النبى ﷺ، يقسم أنَّ مال العبد لا ينقصه صدقة.

بل إنَّ الله تبارك وتعالى يعظم لك الأمر ويحدثك مباشرة فعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: ﷺ **" قال اللهُ تبارك وتعالى: يا ابنَ آدمَ !أَنفِقْ أُنفِقْ عليك. وقال: يمينُ اللهِ ملأى (وقال ابن نمير ملآن) سحاء. لا يغيضُها شىءٌ الليلَ والنهارَ"**[(٢)].

يقول الله تعالى ﴿ ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغۡفِرَةٗ مِّنۡهُ وَفَضۡلٗاۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ﴿٢٦٨﴾ ﴾ [البقرة: ٢٦٨].

فسل نفسك بأي الوعدين تثق؟

تثق بوعد ربك أم تثق بوعد الشيطان؟

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٣٢٥)، ابن ماجه (٤٢٢٨)، وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي.

(٢) أخرجه البخاري (٤٦٨٤)، مسلم (٩٩٣).

ودليل تصديقك بأي الوعدين هو عملك، والصدقة إعطاءها أو منعها هو الدليل.

ولذلك يقول النبى ﷺ" **الطهورُ شطرُ الإيمانِ. والحمدُ للهِ تملأُ الميزانَ. وسبحان اللهِ والحمدُ للهِ تملآنِ (أو تملأُ) ما بين السماواتِ والأرض. والصلاةُ نورٌ. والصدقةُ برهانٌ. والصبرُ ضياءٌ. والقرآنُ حُجَّةٌ لكَ أو عليكَ. كل الناس يغدُو. فبائعٌ نفسَه. فمُعْتِقُها أو مُوبقُها**"(١).

فهى برهان على تصديق وعد الله لك، فلما طلب الله منك أن تخرج مالًا ضمن قرضك.

- يقول الله تعالى ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ ﴾ [البقرة: ٢٦١].

وهذه صورة من صور الإخلاف...

صورها الله تعالى كسنبلة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء.

عن عقبة بن عمرو بن ثعلبة رضي الله عنه قال: جاء رجلٌ بناقةٍ مخطومةٍ فقال: هذه في سبيلِ اللهِ فقال رسولُ اللهِ ﷺ"**لك بها، يومَ القيامةِ سبعمائةِ ناقةٍ كلُّها مَخطومةٌ**"(٢).

في نفس الوقت بشَّره النبىُّ ﷺ بإخلاف الله له ومضاعفة الأجر إلى سبعمائة ضعف.

---

(١) أخرجه مسلم (٣٢٣)، الترمذي (٣٥١٧).

(٢) أخرجه مسلم (١٨٩٢).

يقول النبى ﷺ "**ما منكم من أحدٍ إلَّا وسيُكلِّمُه اللهُ يومَ القيامةِ، ليس بين اللهِ وبينه ترجمانٌ، ثمَّ ينظُرُ فلا يرَى شيئًا قُدَّامَه، ثمَّ ينظُرُ بين يدَيْه فتستقبلُه النَّارُ، فمن استطاع منكم أن يتَّقىَ النَّارَ ولو بشقِّ تمرةٍ. قال الأعمشُ: حدَّثنى عمرٌو، عن خَيْثمةَ، عن عدىِّ بن حاتم قال: قال النَّبىُّ ﷺ: اتَّقوا النَّارَ. ثمَّ أعرض وأشاح، ثمَّ قال: اتَّقوا النَّارَ. ثمَّ أعرض وأشاح ثلاثًا، حتَّى ظننَّا أنَّه ينظُرُ إليها، ثمَّ قال: اتَّقوا النَّارَ ولو بشقِّ تمرةٍ فمن لم يجِدْ فبكلمةٍ طيِّبةٍ**"[(١)].

وماذا يفعل شق التمرة مع النار التى لها سبعون ألف زمام فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال:قال رسول الله ﷺ" **يؤتَى بجَهنَّمَ يومئذٍ لَها سبعونَ ألفَ زمام معَ كلِّ زمام سبعونَ ألفَ ملَكٍ يجرُّونَها**"[(٢)].

فإذا كان الحال هكذا فماذا سيصنع شق التمرة وكيف يقى من النار؟

والجواب في كلام النبى ﷺ عن أبى هريرة رضي الله عنه قال:قال ﷺ "**من تصدَّقَ بعدلِ تمرةٍ من كسب طيِّب، ولا يصعدُ إلى اللهِ إلا الطِّيبُ، فإنَّ اللهَ يتقبَّلُها بيمينِه، ثم يُربِّيها لصاحبها كما يُربِّى أحدُكم فَلُوَّهُ، حتى تكونَ مثلَ الجبل. ورواه عن عبدِ اللهِ بن دينار، عن سعيدِ بن يسار، عن أبى هريرةَ، عن النبىِّ ﷺ:ولا يصعدُ إلى اللهِ إلا الطيِّبُ**"[(٣)].

إنَّ شق التمرة لما وقع في يد الله أولًا ورباها لصاحبها استطاع شق التمرة أن يقى وجه صاحبه من النار.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٤٠)، مسلم (١٠١٦).

(٢) أخرجه مسلم (٢٨٤٢).

(٣) أخرجه البخاري (٧٤٣٠).

❁ المال قد يكون نعمة وقد يكون نقمة:

يقول سعيد بن المسيب: لا خير في رجل لا يحب جمع المال يتقى به ربه ويصل به رحمه، ويكف وجهه عن الناس ويعطى حق الله فيه [١].

والمال لا يذم لذاته بل يقع الذم لمعنى من الآدمى كشدة حرصه أو تناوله من غير حله أو حبسه عن حقه ذلك لأنَّ الحرص على الدنيا والمال يفسد الدين أشد من إفساد الذئب الجائع للغنم، عن كعب بن مالك الأنصاري، قال: قال رَسُولُ اللهِ ﷺ: **ما ذئبان جائعان أُرْسلا فى غنم بأفسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه** [٢].

قال يحيى بن معاذ " الدرهم عقرب فإن لم تحسن رقيته فلا تأخذه، فإن لدغك قتلك سمه، قيل وما رقيته، قال: أخذه من حله ووضعه في حقه "[٣]

اعلم أنَّ المال بين يديك أعطاه الله إليك لتصلح دنياك وتدخر لآخرتك، فإذا ذهبت إلى ربك سُئلت عنه بعد ما تركته في الدنيا.

يقول يحيى بن معاذ: مصيبتان للعبد في ماله عند موته لم يسمع الخلائق بمثلها يُؤخذ منه كله ثم يسأل عنه كله [٤].

❁ التجارة مع الله:

لمَّا حدثت مجاعة في زمن أبي بكر شكا له الناس...

---

(١) مكارم الأخلاق للخرائطى (١/ ٢)، شرح السنة للبغوي (١٤/ ٢٩١).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٣٧٦)، ابن حبان (٣٢٢٨)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٦٢٠).

(٣) إحياء علوم الدين (٣/ ٢٣٣)، مختصر منهاج القاصدين لابن قدامة (٣/ ٦١).

(٤) صفة الصفوة (٤/ ٩١).

قال إن شاء الله لا تمسون حتى يفرج الله...

وفي الصباح وصلت قافلة لعثمان بن عفان...

فجاء التجار ليشتروها...

فجاء عثمان ملتحفًا بملاءة...

فقال كم تعطوني.

قالوا العشرة باثنى عشر.

قال زادني.

قالوا: العشرة بخمسة عشر.

قال: زادني.

قالوا: من زادك ليس غيرنا تجارًا بالمدينة؟

قال: قد أعطاني الدرهم بعشرة.

قالوا: ومن هذا فنحن جميع تجار المدينة؟

قال: الله.

فانصرفوا وهو يقول اللهم إني أعطيتها لفقراء المسلمين بلا ثمن[(١)].

❁ قصة رجل صالح من المتصدقين:

قال الشوكاني رحمه الله: كان رجل من الزرعة وكان ذا دين وصدقة...

فاتفق أنه بنى مسجدًا يُصلى فيه...

---

(١) الرياض النضرة في فضائل العشرة لأبي جعفر الطبري (١/ ٢١٦).

وجعل يأتى ذلك المسجد كل ليلة بالسراج وبعشائه...

فان وجد في المسجد من يتصدق عليه أعطاه ذلك العشاء والا أكله وصلى صلاته واستمر على ذلك الحال...

ثم إنها اتفقت شدة ونضب ماء الآبار...

وكانت له بئر...

فلما قل ماؤها أخذ يحتفرها هو وأولاده...

فخربت تلك البئر والرجل في أسفلها خرابًا عظيمًا...

حتى إنه سقط ما حولها من الأرض إليها...

فأيس منه أولاده ولم يحفروا له...

وقالوا قد صار هذا قبره...

وكان ذلك الرجل عند خراب البئر في كهف فيها...

فوقعت إلى بابه خشبة منعت الحجارة من أن تصيبه...

فأقام في ظلمة عظيمة...

ثم إنه بعد ذلك جاءه السراج الذى كان يحمله إلى المسجد...

وذلك الطعام الذى كان يحمله كل ليلة...

وكان به يفرق ما بين الليل والنهار...

واستمر له ذلك مدة ست سنين والرجل مقيم فى ذلك المكان على تلك الحال...

ثم انه بدا لأولاده أن يحفروا البئر لإعادة عمارتها فحفروها...

حتى انتهوا الى أسفلها...

فوجدوا أباهم حيًّا فسألوه عن حاله...

فقال لهم ذلك السراج والطعام الذى كنت أحمل إلى المسجد يأتينى على ما كنت أحمله تلك المدة فعجبوا من ذلك [١].

ذلك بما قدمت يداه...

هذا في الدنيا فما بالكم في الآخرة.

أخى الحبيب:

اعلم أنك إذا أنفقت إنما تنفق لنفسك فاشتر نفسك الآن وتاجر مع الله...

إنها تجارة رابحة في الدنيا والآخرة.

لما آلت دار الندوة إلى حكيم بن حزام باعها بمائة ألف درهم...

فقال له ابن الزبير: بعت مكرمة قريش...

فقال: له ذهبت المكارم يابن أخى إلا التقوى...

إني اشتريت بها دارًا في الجنة أشهدكم أني قد جعلتها لله"[٢].

❁ العبد المتصدق أقوى مخلوقات الله:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: لما خلق اللهُ الأرضَ جعلتْ تَمِيدُ، فخلق الجبالَ، فقال: بها عليها، فاستَقَرَّتْ، فعَجِبَتِ الملائكةُ من شِدَّةِ الجبالِ. فقالوا: يا رَبِّ ! هل مِن خلقكَ شيءٌ أَشَدُّ من الجبالِ؟ قال: نعم ! الحديدُ.

---

(١) البدر الطالع بمحاسن القرن الرابع للشوكاني (١/ ٤٧٠).

(٢) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٦/ ٥٧).

فقالوا: يا ربِّ ! فهل مِن خلقكَ شيءٌ أَشَدُّ من الحديدِ؟ قال: نعم ! النارُ. قالوا: يا رَبِّ ! فهل مِن خلقك شيءٌ أَشَدُّ من النارِ؟ قال: نعم ! الماءُ. قالوا: يا رَبِّ ! فهل في خلقك شيءٌ أَشَدُّ من الماءِ؟ قال: نعم ! الرِّيحُ. قالوا: يا رَبِّ ! فهل في خلقك شيءٌ أَشَدُّ من الرِّيح؟ قال: نعم ! ابنُ آدمَ تَصَدَّقَ بصدقةٍ بيمينه يُخْفِيها من شماله"[(١)].

ذلك لأنه تغلب على نفسه وشهوته والشيطان وحبائله والدنيا وملذاتها صار بذلك أقوى مخلوقات الله تعالى.

❁ صور للسباق في الصدقة:

جاء أبو بكر ﷺ في غزوة تبوك بكل ماله يقول عمر ﷺ:أمرَنا رسولُ اللهِ ﷺ أن نتصدَّقَ فوافقَ ذلِكَ عندي مالًا فقلتُ اليومَ أسبقُ أبا بَكر إن سبقتُهُ يومًا قالَ فَجِئْتُ بنِصفِ مالي فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ **"ما أبقيتَ لأَهْلِكَ" قلتُ مثلَهُ وأتَى أبو بَكر بكُلِّ ما عندَهُ فقالَ يا أبا بَكر ما أبقَيتَ لأَهْلِكَ فقالَ أبقيتُ لَهُمُ اللهَ ورسولَهُ قلتُ لا أسبقُهُ إلى شيءٍ أبدًا ".**[(٢)] وما نقص مال أبي بكر بذلك.

بل على العكس ما هي إلا أيام وسنين وأصبح خليفة للمسلمين وأصبحت كل أموال المسلمين تحت تصرفه و أمره.

وجاء عثمان بن عفان بتسعمائة وأربعين بعيرًا وستين فرسًا وألف دينار، فعن عبد الرحمن بن سمرة قال: جاءَ عثمانُ إلى النَّبيِّ ﷺ بألفِ دينارٍ قالَ الحسَنُ بنُ واقعٍ: وفي موضعٍ آخرَ من كتابي، في كمِّهِ حينَ جَهَّزَ جيشَ العُسرةِ

(١) أخرجه أحمد في مسنده (١٩/ ٢٧٧)، الترمذي (٣٣٦٩) وقال حديث حسن غريب، وحسن إسناده ابن حجر في الفتح (٢/ ١٤٧).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٦٨٤)، وقال الألباني في المشكاة (٦٠٢١) حديث حسن.

فينثرَها في حجرهِ قالَ عبدُ الرَّحمن: فرأيتُ النَّبيَّ ﷺ يقلِّبُها في حجرهِ **ويقولُ** " **ما ضرَّ عثمانَ ما عَمِلَ بعدَ اليوم مرَّتين**"[(١)].

وجاء عبد الرحمن بن عوف بأربعة آلاف وقال يا ر سول الله مالى ثمانية آلاف هذا نصفه ولم يفتقر عبد الرحمن بن عوف من ذلك كما لم ينقص ماله بل وفى الله له وعده في الدنيا قبل الآخرة فلما مات عبد الرحمن بن عوف قيل كان نصيب المرأة من نسائه مائة ألف يعنى أنَّ الثمن كان أربعمائة ألف وقيل أنهم كانوا يكيلون ماله بالمسحاة[(٢)].

فإنه جزاء الثقة بوعد الله تعالى.

وجاء أبوعقيل بنصف ماله وكان نصف صاع...

قال يا ر سول الله والله ما كنت أملك شيئًا فأجَّرت نفسى ليلة بصاع تركت لأهلى نصف صاع وأتيت بنصف صاع[(٣)].

هناك أناس من الصحابة لم يجدوا شيئًا فعادوا يبكون.

وجاء عُلبة بن زيد وكان لا يملك مالًا فجاء رسول الله ﷺ فرده...

وبحث عمن يعطيه مالًا فما وجد...

فعاد إلى بيته فصلى وأطال الصلاة بالليل وبكى...

وقال: يارب إنك قدرت الجهاد وما استطعت الخروج...

وما أملك مالًا أتصدق به...

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٧١٠)، وقال الألباني في صحيح الترمذي (٢٩٢٠) حديث حسن.
(٢) تاريخ دمشق (٣٥/ ٣٠٣)، سير أعلام البلاء (١/ ٩٠).
(٣) سبق تخريجه.

يارب إني أتصدق بكل مظلمة لمسلم ظلمنى إياها رد إليه حسناته فتكون صدقة...

ثم صلى الفجر مع الناس...

فلما أتم رسول الله ﷺ...

قال: من المتصدق الليلة؟

فما تكلم أحد...

فأعادها ثلاثة...

فتذكر علبة...

فقال: أنا يارسول الله فعلت الليلة كذا وكذا.

فقال النبى ﷺ: أبشر فوالذي نفسى بيده لقد كتبها الله لك في الزكاة المتقبلة [(١)].

فلما لم يستطع أن يتصدق بماله تصدق بأعظم من ماله وهى حسناته.

وكأنه يوم عيد...

يومٌ يقوم فيه المسلمون جميعًا يدخلون حلبة السباق رجالًا ونساءًا وشيوخًا كلٌّ يقدم أغلى وأعظم ما عنده.

❁ الصدقةُ طريقٌ لنيل البرِّ والتوفيق:

قال تعالى ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٞ ٩٢﴾ [آل عمران: ٩٢].

(١) أخرجه البزار (١/ ٨٣٤)، وصححه الألباني في فقه السيرة (١/ ٤٠٥).

وكان ابن عمر ﷺ يتصدق بالسكر فلما سئل عن ذلك قال لأني أحبه وقال تعالى ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ﴾[(١)].

يقول عامر بن عوف عن أبى بن كعب بعثنا رسول الله ﷺ على الصدقة

فذهبت إلى رجل فطلبت ما عنده فإذا فيه ابنة مخاض...

يقول أبيٌّ: فقال الرجل (إنَّ هذا أول عام يقوم فيه رسولُ رسولِ الله ﷺ في مالى وابنة مخاض لا لحم فيها ولا لبن ولكن أعددت هذا البعيرالسمين لله فقال أُبيٌّ وما أنا آخذ إلا ما أُمرتُ به ورسول الله ﷺ منك قريب.

فيذهب الرجل...

فيقول يا رسول الله في مالى ابنة مخاض - أي أنه يملك خمسًا وعشرين بعيرًا - وهى صغيرة لا لحم فيها ولا لبن وقد أعددت هذا البعير لله تعالى.

فقال رسول الله ﷺ هذا ما عليك فما زدت أجرك الله تعالى وأسأل الله أن يبارك لك.

يقول ابن عمرو الذي يروى الحديث عن عبادة:

(وُليت الصدقة في زمن معاوية وجاء وقت الصدقة من الناس ورأيت فيهم هذا الرجل وإذا بعيره ألف وخمسمائة بعيراً وكانت زكاته ثلاثين حقة)[(٢)].

حقًّا إن يمين الله ملأى.

---

(١) إحياء علوم الدين (١/ ٢٢٦).

(٢) أخرجه ابن خزيمة (٤/ ٢٤)، صحيح ابن حبان (٨/ ٦٣)، وصححه الألباني في التعليقات الحسان (٥/ ١٩٤).

❁ صور من الواقع:

يذكر أحد القائمين على بناء بعض المساجد قال: كنا نبنى مسجدًا ورأينا صورًا كثيرة للبذل والعطاء.

ومن ذلك:

فتاة في الثالثة عشرة من عمرها في أذنها قرط (الذي يسمى الآن الحلق)...

قالت لى إني لا أملك إلا هذا القرط...

وإني تذكرت أبا بكر رضي الله عنه في غزوة تبوك لما جاء النبى ﷺ وأعطاه ماله كله... فأنا أرسل لكم مالى كله لعل الله يرحمنى به.

- يقول آخر:

كنا نريد أن نشتري قطعة من الأرض لبناء مسجد عليها ودعوت الله أن أكون أول من يتصدق لشراء قطعة الأرض...

وكان سيأتي لى مال من تجارة لى وكان موعده بعد العصر في اليوم التالى...

فنويت أن أُخرجه قبل الناس جميعًا...

فاتصل بى أحد أقاربى...

قال: لقد علمت أنكم تبنون مسجدًا عندكم وأنا سوف آتي إليكم لأعطيك بعض المال في صباح اليوم التالى...

يقول على قدر فرحى بالمال على قدر حزني أننى لن أكون الأول...

فلما أتى: طلبت منه المال فقال لا حول ولا قوة إلا بالله أنا نسيت المال ولكني أخبرت زوجتى أن تتذكره هي لعلي أنساه وسأجده معها...

فكلم زوجته...

فقالت لا حول ولا قوة إلا بالله والله لقد نسيته أنا أيضًا...

قال فزرفت الدموع من عينى...

كأنَّ الله استجاب دعاءه فأراد أن يكون هو الأول.

فالله يقول أنا عند ظن عبدي بى.

- امرأة أخري:

أتت إلينا ونحن نبنى المسجد...

وحالها ضيق...

فهى تعيش هى وأبناؤها الأيتام في غالب الأحوال على ماء وسكر تشربه وتسقى أبناءها لضيق الحال وشدة الفقر وتعيش على الصدقات...

فأرسلت بناتها الصغار كل واحد بخمسة جنيهات وتقول يا عم هذا مصروف الدراسة عشرة أيام فضعه في المسجد...

أخى الحبيب:

اشتر نفسك الآن...

ولا تأخر ولا تسوف ولا تأجل...

واعلم أنَّ ما تخرجه يقع في يد الله أولًا.

الحج مناسك وعبر

الحج: عبادة العمر وختام الأمر وكمال الدين...

الحج: العج والثج...

الحج: التعب والمشقة والبذل والتضحية...

الحج: هو ترك الدنيا وراء ظهرك والذهاب واللجوء إلى الله الملك...

الحج: هو التجرد من الدنيا وملذاتها ولباسها ومظهرها والذهاب لله بأقل متاع يستر العورة.

الحج: هو الطهر للبدن والطهر للقلب من الآثام والذنوب...

الحج: هو ذهاب العبد بأحمال ثقيلة على ظهره ويضعها هناك ويعود خفيفًا من دون أحمال ولا أوزار...

الحج: هو تحول الصحائف السوداء إلى بيضاء ناصعة البياض...

الحج: هو عودة العبد من ذنوبه كيوم ولدته أمه، إنه يعود بالحسنات معافى من الذنوب والسيئات...

الحج: عبادة خاصة في زمانها قال تعالى ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾﴾ [البقرة: ١٩٧].

الحج: عبادة خاصة في مكانها...وخاصة في مواقيتها...وخاصة في لباسها.

لذا جعل الله للحج مناسك، وجعل عند كل منسك منها حِكَمًا وأسبابًا وآياتٍ باهراتٍ ودلائلَ بينات.

رزقنا الله والمسلمين جميعًا حج بيته.

❁ نفحات في الحج:

إنَّ الحج فيه كل مرادك وغايتك.

إن أقلقتك ذنوبك: فمغفرتها فى الحج:

عن أبى هريرة رضي الله عنه أنَّ النبى صلَّى اللهُ عليهِ سلَّمَ قال " من حج هذا البيت، فلم يرفث، ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه "[(١)].

إن كنت صاحب همة تبحث عن أجل الأعمال وأفضلها: فعليك بالحج:

عن أبى هريرة رضي الله عنه قال سئل النبى ﷺ أي العمل أفضل؟ قال: فقال: «**إيمانٌ بالله ورسوله**». قيل: ثم ماذا؟ قال: «**الجهاد فى سبيل الله**» قيل: ثم ماذا؟ قال: حجٌّ مبرورٌ."[(٢)].

إن كنت وحيدًا تريد ضامنًا وكفيلًا لك: فعليك بالحج:

عن أبى هريرة، أَنَّ رسول الله ﷺ قال: " **ثلاثةٌ فى ضمان الله: رجلٌ خرج إلى مسجدٍ من مساجد الله عز وجل، ورجلٌ خرج غازيًا فى سبيل الله، ورجلٌ خرج حاجًّا**"[(٣)].

---

(١) أخرجه البخاري (١٨٢٠)، واللفظ له، مسلم (١٣٥٠).

(٢) أخرجه البخاري (٢٦، ١٥١٩)، مسلم (٨٣).

(٣) أخرجه الحميدي في مسنده (٢/ ٤٦٦)، أبو نعيم (٩/ ٢٥١)، وصححه الألباني في الصحيحة (٥٩٨).

✍إن كنت تبحث عن كريم تنزل عليه وتكون وفده فيكرمك ويجزل لك العطاء: فسارع بالحج:

عَنْ ابْن عُمَرَ عَنْ جابر عن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ " **الحجاج والعمار وفد الله دعاهم فأجابوه وسألوه فأعطاهم** "[(١)].

✍ إن كنت تخاف الفقر وتبحث عن الغنى وتريد أن يزيد رزقك، ويُمحى أثر فقرك: فتابع بين الحج والعمرة:

عن ابن مسعود أنَّ النبى ﷺ قال " **تابعوا بين الحج والعمرة فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفى الكير خبث الحديد والذهب والفضة وليس للحجة المبرورة ثوابٌ إلَّا الجنة** "[(٢)].

✍إن وسع الله عليك فى رزقك، وأصح لك جسمك، وكنت تخاف الحرمان من فضل الله ومعيته: فلا تترك الحج والعمرة:

عن أبى سعيدٍ الخدري، عن النبى ﷺ قال: " يقول اللهُ ﷻ: **إنَّ عبدًا أَصْحَحْتُ له جسمه وأَوْسَعْتُ له فِى رزقه لا يَفِدُ إلىَّ فِى كلِّ خمسة أعوام لعبدٌ محرومٌ** "[(٣)].

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٢٨٩٣)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٣١٧٣)، وفي الصحيحة (١٨٢٠).

(٢) أخرجه الترمذي (٨١٠)، النسائى (٢٦٣٠، ٢٦٣١)، ابن ماجه (٢٨٨٧)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٩٠١).

(٣) أخرجه أبو يعلى (٢/ ٣٠٤)، البيهقى في الشعب (٦/ ٣٤)، وصححه الألباني في الصحيحة (١٦٦٢).

إذا كنت قد أديت ما عليك وتريد أن تضمن الجنة فى الآخرة: فمن أبوابها الحج:

قال ﷺ " **العمرةُ إلى العمرة كفَّارةٌ لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاءٌ إلَّا الجنة** "[1].

أخى الحبيب: استجب لربك يستجب لك ربك...

تواضع له يرفعك... أذل له يعزك...

واعلم أنه مهما زاد التعب واشتدت المشقة لأجل الله فإن فيها السرور والسعادة بفضل الله ورحمته.

حكم وعبر في مناسك الحج:

أولًا: الإحرام:

الإحرام بالبدن والروح:

يخرج الحاج والمعتمر من كل زينة الدنيا ومتاعها ويتجرد الناس من كل الفروق ويلبسون لباسًا واحدًا.

فالإحرام كما أنه إحرامٌ بالبدن واللباس، فهو إحرام بالقلب وتطهير له بالتوبة والإنابة.

الإحرام ويوم الحشر:

يخرج الحجاج من لباسهم كما يخرجون للقاء ربهم حفاة عراة ليس عليهم من الزينة الا ما يستر عورتهم كاشفى رؤوسهم بادين ظاهرين لربهم حتى غطاء الرأس لا يوجد على رؤوسهم.

(١) أخرجه البخاري (١٧٧٣)، مسلم (١٣٤٩).

أبصر ابن عمر رجلًا على بعيره وهو محرم قد استظل بينه وبين الشمس فقال له " ابد لمن أحرمت له "[(١)].

❁ ثانيًا: التلبية:

وصيغتها " لبيك اللهم لبيك،لبيك لاشريك لك لبيك، إنَّ الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك". عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، أَنَّ تلبية رسول الله ﷺ: «**لبَّيك اللهمَّ، لبَّيك، لبَّيك لا شريك لك لبَّيك، إنَّ الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك**»[(٢)].

والتلبية من معانيها: " الإجابة " أي أجبتك إجابة بعد إجابة.

وكأنه يقول يارب مع التعب والمشقة فإني اجبتك إجابة بعد إجابة.

ومن معانيها: " الاتجاه والقصد " أي اتجاهي وقصدي إليك.

ومن معانيها: " المحبة ": مأخوذة من " امرأة لبة " أي محبة لولدها أي مع كل هذه المشاق وهذا الجهد فمحبتى الكاملة لك.

ومن معانيها: " الإخلاص " مأخوذ من قولهم " حب لباب " أي خالص أي إخلاصى في حجى وعملى إليك.

ومن معانيها: " الإقامة " مأخوذ من قولهم " لب الرجل المكان " أي أقام فيه أي أقمت على طاعتك مستمر فيها مع ما ينالنى من التعب والمشقة.

فيكون معنى التلبية: يارب مع كل هذه المشاق وهذا الجهد والتعب أجبتك، واتجهت إليك، وأقمت على طاعتك، وليس هذا مع الضجر بل مع

---

(١) أخرجه البيهقى في السنن الكبرى (٥/ ٧٠)، مصنف ابن أبى شيبة (٣/ ٢٠، ٧٢٢)، وصححه الألباني في الإرواء موقوفًا (٤/ ٢٠٠) بلفظ "أضح لمن أحرمت له ".

(٢) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (١٥٤٩)، مسلم (١١٨٤).

المحبة الكاملة لك، وجعلت كل عملى خالصًا إليك.

وتذكر التلبية أربع مرات:

ألبى لك: لأنك أنت الله الواحد الأحد لا شريك لك.

ألبى لك: لأنَّ الحمد والثناء والكمال كله لك والخير كله بيديك والشر ليس إليك.

ألبى لك: لأنَّ النعمة منك ونعمك سابغة على عبادك ﴿ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾ ﴾ [النحل: ١٨].

ألبى لك: لأنَّ الملك كله لك، الملك والقوة في الدنيا، والملك والقوة يوم القيامة فلا حول ولا قوة لمخلوق إلا بك لا شريك لك ولا ند لك ولا معين لك ولا ظهير لك.

التلبية جزاؤها الجنة:

عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " **ما أَهلَّ مُهلٌّ قَطُّ إلَّا بُشِّر، ولا كبَّر مكبِّرٌ قَطُّ إلَّا بُشِّر** " ، قيل: يا رسول الله بالجنة؟ ، قال: " **نعم** "[(١)].

رفع الصوت بالتلبية:

إنهم يأتون إلى الله تعالى رجالًا أو ركبانًا مع المشقة يلبون ويرفعون أصواتهم بالتلبية حتى تبح أصواتهم مع أنهم يدعون سميعًا بصيرًا، هم يبذلون أقصى طاقاتهم حتى في رفع الصوت وهذا أمر من السماء قال رسول الله ﷺ " **أتاني جبريل فأمرني أن آمر أصحابي أن يرفعوا أصواتهم بالإهلال**

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (٧/ ٣٧٩)، السنن الكبرى للبيهقى (٥/ ٢٦٢)، وحسنه الألباني في الصحيحة (١٦٢١).

والتلبية"[١].

إنما الأجر على قدر النصب لذا قال ابن عباس: " ما آسى على شيء فاتنى من الدنيا إلا أنِّى لم أحُجَّ ماشيًا حتى أدركنى الكبر، اسمع الله تعالى يقول: "يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ"[٢].

ومع كل هذا التعب والعنت والمشقة تجد نفوس المؤمنين تتوق وتشتاق إلى الحجِ.

عن مجاهد: في قوله: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ﴾ [الحج: ٢٧]، قال: " لما فرغ إبراهيم عليه السلام من بناء البيت، فقيل له: ناد في الناس بالحج، قال: كيف أقول يارب؟، قال: قل: يا أيها الناس استجيبوا لربكم، فقالها فوقرت في قلب كل مؤمن "[٣].

ومن أجل ذلك:

فإنَّ الحج يحتاج إلى نية صادقة خالصة لأنَّ الخسران الكبير أن يرى العبد كل هذا العنت وكل هذه المشقة ثم لا يقبل منه.

قال الأصمعى " دعا أعرابى بمكة فقال " اللهم لا تمنعنى خير ما عندك بسوء ما عندي وإن كنت لم تقبل تعبى ونصبى فلا تحرمنى أجر المصاب على مصيبتى"[٤].

---

(١) أخرجه أبو داود (١٨١٤)، الترمذي (٨٢٩)، ابن ماجه (٢٩٢٢، ٢٩٢٣)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٢).

(٢) شعب الإيمان للبيهقى (٣/ ٤٣٠)، السنن الكبرى للبيهقى (٤/ ٣٣١).

(٣) شعب الإيمان (٣/ ٤٣٩)، تفسير الطبري (٣/ ٧٦).

(٤) عيون الأخبار لابن قتيبة (١/ ٢٤٢).

❁ ثالثًا: الوقوف بعرفة:

وعرفة جبل لا نعلم له نفعًا ولا ضرًّا لكن أمرنا الله أن نقف عليه ونتضرع ونجتهد في الدعاء عنده حتى غروب الشمس ولا تنشغل عليه إلا بالذكر والدعاء وهو أعظم أركان الحج قال ﷺ **"الْحَجُّ عَرَفَةُ"**[(١)] لذا فإنَّ هناك نفحات عظيمة تحدث على هذا الجبل المبارك:

❁ نفحات الوقوف بعرفة:

✍ مباهاة الله بالناس ملائكته:

عن أبى هريرة أنَّ رسول الله ﷺ قال " **"إنَّ الله يُباهى بأهل عرفاتٍ ملائكة السماء فيقول: انظروا إلى عِبادى هؤلاء، جاؤونِ شُعْثًا غُبرًا"**[(٢)].

✍ يوم عرفة يوم مغفرة الذنوب:

تذهب وتقف على جبل عرفات وأنت مُحمَّل بالذنوب والأوزار والأثقال وتضعها هناك وتذهب سليمًا معافى قد غفر الله كل ذلك.

عن أنس أنَّ النبى ﷺ قال " **معشر الناس أتانى جبرائيل عليه السلام آنفًا فأقرأني من ربى السلام وقال إنَّ الله عز وجل غفر لأهل عرفات وأهل المشعر وضمن عنهم التبعات "**[(٣)].

---

(١) أخرجه أبوداود (١٩٤٩)، النسائى (٣٠١٦، ٣٠٤٤)، الترمذي (٨٨٩)، ابن ماجه (٣٠١٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣١٧٢).

(٢) أخرجه ابن حبان (٩/ ١٦٣)، الحاكم (١/ ٦٣٦)، ابن خزيمة (٤/ ٢٦٣)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٨٧٦)، وفي صحيح الترغيب والترهيب (١١٥٢).

(٣) أخرجه ابن حبان (٩/ ١٦٦)، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب (١١٥١).

يوم عرفة يوم العتق من النار:

إنَّ العبد قد يفرح بمغفرة الذنوب وعوده كيوم ولدته أمه...

فهذا غفران ما مضى...

لكنَّ العبد قد يخاف من المستقبل، قد غُفر لى ما مضى، فماذا أصنع فيما بقى؟

فتظهر النفحة العظيمة على عرفات...

أنَّ أناسًا يحكم الله ويقضى فيهم بأن يعتقهم من النار إنهم ضمنوا المستقبل كما استراحوا من الماضى عن عائشة رضي الله عنها أنَّ النبى ﷺ قال " **مَا مِنْ يَوْم أَكْثَرَ مِنْ أَنْ يُعْتِقَ اللهُ فِيهِ عَبْدًا مِنَ النَّارِ، مِنْ يَوْم عَرَفَةَ** "[(١)].

❁ رابعًا: الذهاب إلى مزدلفة:

والمبيت بها والنوم هناك...

إنه تشريعٌ اللطيف الرحيم...

بعد عناء ومشقة السفر وعناء ومشقة يوم عرفات يأذن الله بالراحة والنوم، والاستعداد لتتمة المناسك.

❁ خامسًا: الرمي:

الذى يُذَكر برميات إبراهيم ويُعلم الإنسان أنه عبد مستسلم لربه مؤمن بتشريعه.

إنه يرمى حجرًا بحجر لكن هذا هو أمر الله.

---

(١) أخرجه مسلم (١٣٤٨)، النسائي (٣٠٠٣)، ابن ماجه (٣٠١٤).

❁ سادسًا: الذبح والحلق:

الذبح هو تقديم النسك لله، وإراقة الدم تقربًا لله المتعال وتركها للفقراء.

ثم التجرد والتحلل من شيء آخر من متاع آخر من متاع الدنيا ألا وهو الشعر الجميل الحسن فيأمر بحلقه أو بتقصيره...

وكلما كان العمل أتم وأكمل كان أحب لله تعالى...

فالتقصير فيه الحفاظ على شيء من متاع الدنيا والزينة والشكل والمظهر، أما الحلق فهو تجرد من كل هذه الزينة لذا دعا النبى ﷺ للمحلقين ثلاثًا ثم دعا للمقصرين.

قال ﷺ «**اللهمَّ اغْفِرْ للمُحلِّقين**» قالوا: وللمُقصِّرين، قال: «**اللهمَّ اغْفِر للمُحلِّقين**»، قالوا: وللمُقصِّرين، قالها ثلاثًا، قال: «**وللمُقصِّرين**»[(١)].

فكلما تجرد العبد من الدنيا ومتاعها نال من الآخرة ونعيمها.

❁ سابعًا: الطواف:

وهو الطواف بأفضل بقعة في الأرض، في بيت الله الحرام.

قال ابن مسعود النظر للبيت عبادة[(٢)].

وبين ﷺ أنَّ الصلاة فيه بمائة ألف صلاة[(٣)].

يطوف به آمنا ويتذكر لكم أوذي رسول الله ﷺ وصحابته هنا وضربوا

---

(١) أخرجه البخاري (١٧٢٧، ١٧٢٨)، مسلم (١٣٠١، ١٣٠٢).

(٢) شعب الإيمان (٦/ ١٨٧).

(٣) أخرجه أحمد (٢٣/ ٤١٥)، ابن ماجه (١١٥٥)، وقال الألباني في إرواء الغليل – صحيح – (٤/ ١٤٦).

هناك وأسيل دمهم هناك لكى يصل إليك هذا الدين صافيًا، وتطوف وتحج وأنت سعيدٌ آمنٌ.

❁ الحجر الأسود:

وفيه يمسك الحجر بيديه ويستلمه ويقبله، أو يمسه بيده ويقبل يده، أو يشير إليه فقط إن لم يستطع هذا ولا ذاك.

الحجر هو الشيء الوحيد في الأرض من الجنة.

الحجر الذى نزل من الجنة وهو أشد بياضًا من اللبن والثلج فسودته خطايا بنى آدم.

عَنْ ابْن عَبَّاس قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ **نَزَلَ الْحَجَرُ الْأَسْوَدُ مِنْ الْجَنَّةِ وَهُوَ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنْ اللَّبَن فَسَوَّدَتْهُ خَطَايَا بَنِى آدَمَ**[1] وفي رواية عند ابن خزيمة **(أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ الثَّلْج).**

- كأنه يقول لك في كل استلام له احذر الذنوب التى سودت حجرًا من الجنة كان أبيض كالثلج.

ألا تغير قلبك أيها المسكين.

- إنَّ الحجر يشهد لك يوم القيامة:

حيث يخلق الله له عينين تبصران ولسانًا ينطق به ويشهد لمن استلمه بحق.

عن ابن عباسٍ قال: قال رسول الله ﷺ في الحجر " **والله لَيَبْعَثَنَّه الله يوم**

---

(١) أخرجه الترمذي (٨٧٧)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٧٥٦).

القيامة له عينان يبصر بهما ولسانٌ ينطق به يشهد على من استلمه بحق"[١].

- استلام الحجر يحط الذنوب والخطايا:

عن عبد الله بن عبيد قال: قال رجل لابن عمر: يا أبا عبد الرحمن مالى أراك تستلم الركنين ولا تتركهما وكان ابن عمر يفعله قال إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: **إنَّ مسحهما يحط الذنوب**[٢].

❁ صلاة ركعتين خلف مقام ابراهيم:

خلف أثر أقدام إبراهيم التى رفع الله قدرها وذكرها...

إذ هو عامل لله، وضحى وبذل من أجل دين الله.

وما كان إبراهيم يرى أن يكون لقدميه هذا الأثر لكن هذا عطاء الله إذا أراد أن يعطى فعطاؤه واسع جزيل.

❁ الشرب من ماء زمزم:

التى هى طعام طعم وشفاء سقم.

كأنَّ الله يذكرك بهذا الماء الذى نبع من تحت قدمى إسماعيل في أرض صحراء لتعلم أنَّ الله لا يضيع أولياءه فيطمئن قلب أوليائه وتهدأ نفوسهم وتركن إلى ربهم.

---

(١) أخرجه الترمذي (٩٦١)، الدارمى (٢/ ٦٣)، ابن حبان (٩/ ٢٦)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١١٤٤).

(٢) أخرجه الترمذي (٩٥٩)، النسائى (٢٩١٩)، الطبراني في الكبير (١٢/ ٣٩٢)، وصححه الألباني في المشكاة (٢٥٨).

❁ ثامنًا: السعي بين الصفا والمروة والدعاء بينهما:

تذكيرًا بأم إسماعيل الصالحة التى ذهبت هنا وهناك بحثًا عن الطعام لابنها فخلد الله ذكرها وجعل السعى لها مكرمة، ولنا عبادة.

وصدق القائل:

أمـــــا والـــــذي حـــــج المحبـــــون بيتـــــه
فلبـــــوا لـــــه عنـــــد المهـــــل وأحرمـــــوا
وقـــــد كشـــــفوا تلـــــك الـــــرؤوس تواضـــــعا
لعـــــزة مـــــن تعنـــــوا الوجـــــوه وتســـــلم
يهلـــــــون بالبيـــــــداء لبيـــــــك ربنـــــــا
لـــــك الملـــــك والحمـــــد الـــــذي أنـــــت تعلـــــم
دعـــــاهم فلبـــــوه رضـــــا ومحبـــــة
فلمـــــا دعـــــوه كـــــان أقـــــرب منهـــــم
تـــــراهم علـــــى الأنضـــــاء شـــــعثًا رؤوسهـــــم
وغـــــبرًا وهـــــم فيهـــــا أســـــر وأنعـــــم

❁ فوائد هامة لمناسك الحج:

إنَّ الحج من أعظم ما يزيد الصلة بالرب وهو رأس مال العابدين وزيادة تقوى المتقين.

هو مدرسة للعبودية وتهذيب للنفوس وبعدها عن الشهوات والملذات وعدم تعلق القلب بالدنيا الفانية وتعلقها بالآخرة الباقية وله كثير من الفوائد منها:

١- تحقيق التوحيد لله تعالى:

وهذه فائدة عامة في عامة المناسك يظهر فيها أثر التوحيد والعبودية لله

وحده كما يظهر ذلك في صيغة التلبية وركعتى الطواف والدعاء على الصفا والمروة وغيرها.

٢- تعظيم شعائر الله:

قال تعالى ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الحج: ٣٢].

لذا من سنته الاغتسال للإحرام والتطيب وسوق الهدي من ذي الحليفة واللهج بالتلبية برفع الصوت بها والتزام الحجر وتقبيله.

٣- كثرة التضرع والمناجاة:

وفيه غاية الذل والتضرع والدعاء واللجوء إلى الله.

٤- يعلم الناس التسليم لأمر الله تعالى:

وإن كان العقل لا يدرك حكمته...

فيمسك بحجر ويقبله...

ويطوف بأحجار...

ويرمى أحجارًا في أحجار...

وفي السعى يمشى ويهرول...

وفي الطواف يمشى ويرمل...

كل ذلك تسليمًا لأمر الله.

لسان حالهم يقول ﴿ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾ ﴾ [آل عمران: ٧].

❁ **إلى كل من لم يحج:**

أخى الحبيب:

يا من لم تحج إلى الآن...

فإن لم تكن قادرًا فأخلص النية لله لعل الله يرزقك أجر الحجاج...

فإن رأيت الحجاج خارجين فقل في نفسك ياليت لى مثل ما لهم من الاستطاعة والقدرة فأحج كما حجوا فتكون ممن قال فيهم النبى ﷺ " **إنما الدنيا لأربعة نفر: عبد رزقه الله مالًا وعلمًا فهو يتقى فيه ربه ويصل رحمه ويعمل لله فيه بحقه فهذا بأفضل المنازل. وعبد رزقه الله علمًا ولم يرزقه مالًا فهو صادق النيَّة ويقول: لو أنَّ لى مالًا لعملتُ بعمل فلانٍ فأجرُهما سواءٌ**"[(١)].

وتذكَّرْ أنَّ أناسًا كانوا بالمدينة يوم تبوك ولم يخرجوا مع النبى ﷺ ولكنهم صدقوا النية والعزم فكانوا كما لو أنهم خرجوا قال ﷺ " **إنَّ بالمدينة أقوامًا، ما سرتم مسيرًا، ولا قطعتم واديًا إلَّا كانوا معكم**»، قالوا: يا رسول الله، وهم بالمدينة؟ قال: «**وهم بالمدينة، حبسهم العذر** "[(٢)].

واجتهد في الدعاء أن يوسع الله عليك حتى تخرج وتحج مع من يحج العام القادم.

أخى الحبيب: يا من لم تحج وأنت قادر:

ماذا تنتظر؟

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٣٢٥)، ابن ماجه (٤٢٢٨)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٠٢٤)، وفي المشكاة (٥٢٨٧).

(٢) أخرجه البخاري (٤٤٢٣)، مسلم (١٩١١).

ولِمَ تحرم نفسك من هذا الخير؟

أترضى أن تحشر يوم القيامة مع المحرومين؟

أم تريد أن تكون مع المعتقين من النار؟

قم واستعد...

وجهز زادك وطاقتك...

وتعجل الحج...

فإنَّ النبى ﷺ لم يأمرك بالحج وحثك عليه فقط، بل أمرك بالتعجل إليه.

عن ابن عباس، قال: قال رسولُ الله ﷺ: "**تعجلوا إلى الحج فإنَّ أحدكم لا يدرى ما يعرض له** "[(١)].

لذا قال عمر " هممت أن أبعث رجالًا إلى هذه الأمصار فينظروا كل من كان له جدة ولم يحج فيضربوا عليهم الجزية ما هم بمسلمين ما هم بمسلمين "[(٢)].

أخى الحبيب:

يا من حججت مرة وتملك الطاقة...

تابع بين الحج والعمرة...

فما أظنك قد قضيت وطرك...

أو سكن فؤادك...

---

(١) أخرجه أبوداود (١٧٣٢)، ابن ماجه (٢٨٨٣)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٩٥٧).

(٢) كنز العمال (٥/ ١٤٤) للمتقي الهندي، وعزاه إلى سنن سعيد بن منصور.

أو هدأ شوقك.

فإنَّ العبد يشتاق للذهاب ويظن أنه إذا ذهب هدأت نفسه وروحه وذهب شوقه.

فإذا به كلما ذهب وعاد إلى أهله زاد شوقه وتعلق فؤاده.

لذا قال تعالى ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ﴿١٢٥﴾﴾ [البقرة:١٢٥].

قال ابن عباس: مثابة أى وطرًا يأتونه ثم يرجعون إلى أهليهم ثم يعودون إليه[(١)].

وعن ابن أبى لبابة " لا ينصرف عنه منصرف وهو يرى أنه قد قضى منه وطره ولو تردد إليه كل عام استجابة من الله لدعوة خليله ابراهيم ﴿فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ﴾ [إبراهيم:٣٧][(٢)].

أخى الحبيب:

إنَّ الحج وإن كان فيه بذل المال وتعب النفس والمشقة...

لكن لابد أن تعلم أنه إذا طال السفر عظم المطلوب...

وأنَّ لحم الغزال لا يطيب إلا إذا أدخل النار.

فكلما كانت المطالب عالية كانت الأثمان غالية.

---

(١) ابن جرير في تفسيره (٢/ ٢٧).

(٢) المصدر السابق.

أخى الحبيب: أجد في نفسى ونفسك أنَّ الحج يهز مشاعر كل مسلم من حجَّ ومن لم يحج.

ذلك لأنَّ الحج فيه:

إقالة العثرات...

وسكب العبرات...

ومحو السيئات...

وغفران الذنوب والبليات...

إنَّ فى الحج:

إجابة دعوة المهلوف...

وتفريج كربات المكروب...

وزوال الهموم والغموم...

إنَّ الحج يصدق فيه قول القائل:

وحيٌ من الروح لا وحى من القلم
هز المشاعر من رأسى إلى قدمى
لما رأيتُ حجيج البيت يدفعهم
شوق إلى الله من عرب ومن عجم
لبوا النداء فما قرت رواحلهم
حتى أناخوا قبيل الصبح بالحرم
لبيك اللهم ياربَّا ألوذ به
سجع الحناجر تحدوها بلا سهم
لما رأوا البيت حقًّا قال قائلهم

مزجت دمعًا جرى من مقلتي بدمي
وصفَّقتْ من أريج الفرح أفئدة
فزال عنها سواد الهم والسقم
في ساحة البيت والأبصار شاخصة
كأنما هي أطياف من الحلم
والطائفون كأمواج البحار وهم
ما بين باكٍ على ذنب ومبتسم
الله أكبر كم مدت هناك يد
وكم عليها أريقت أدمع الندم
وكم توسل محروم فبلغه
رب الحجيج أمان الروح والنعم
وكم تنفس مظلوم بحرقته
وكم أقيل عظيم الذنب واللمم

اللهم ارزقنا حج بيتك ولا تحرمنا نفحاته...

اللهم إن كنا لسنا أهلًا لأن تنالنا نفحاتك ومغفرتك على عرفات، فرحمتك أهل لأن تنالنا في كل مكان.

اللهم إن قدرت لنا الحج فاجعله حجًّا مبرورًا جزاؤه الجنة ورضوانك.

اللهم إن حبسنا العذر، فلا تحرمنا الفضل والأجر.

رسالة إلى الشباب

الشباب هم عمود الأمة...

الشباب هم القوة...

الشباب هم حملة الدين ودعاة السنة.

أخى الحبيب:

إنَّ العبد الذى يريد أن يعلم مكانته وقدره عند سيده فلينظر ماذا يوليه...

فانظر ماذا ولاك سيدك؟

فإن ولَّاك الأمور العظيمة فإنَّ لك عنده مكانه...

وإلَّا فراجع نفسك...

فإنك إذا أقصاك سيدك وأبعدك فلا شفاء لك ولا سعادة.

وصدق القائل:

فكيف يصنع من أقصاه مالكه
فليس ينفعه طب الأطباءِ
من غص داوى بشرب الماء غصته
فكيف يصنع من قد غص بالماءِ

ولما كان الشباب هم القوة والهمة والعزيمة قدر الله عز و جل للنبى ﷺ مجموعة من الشباب، كانوا حوله يدفعون عنه ويحملون تبعة هذا الدين.

- فحوارى النبى ﷺ: الزبير بن العوام كان من الشباب.

عن جابر بن عبد الله أنَّ النبى ﷺ قال"**من يأتينى بخبر القوم**(بنى قريظة)يوم الأحزاب، قال الزبير: أنا، ثم قال: من يأتينى بخبر القوم قال الزبير: أنا، فقال النبى " ﷺ **إن لكل نبى حواريًّا، وحوارىي الزبير**"[(١)].

- سيف الله: خالد بن الوليد كان من الشباب.

عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: نزلنا مع رسولِ اللهِ ﷺ منزلًا فجعل الناسُ يمرون فيقولُ رسولُ اللهِ ﷺ "**من هذا يا أبا هريرةَ**" فأقولُ فلانٌ فيقولُ نعمَ عبدُ اللهِ هذا فيقولُ "من هذا" فأقولُ فلانٌ فيقولُ بئسَ عبدُ اللهِ هذا حتى مرَّ خالدُ بنُ الوليدِ فقال "مَن هذا" قلت هذا خالدُ بنُ الوليدِ قال "نعمَ عبدُ اللهِ خالدُ بنُ الوليدِ سيفٌ من سيوفِ اللهِ"[(٢)].

- حب رسول الله وابن حبه: أسامة بن زيد كان من الشباب.

عن عائشة رضي الله عنها قالت:أنَّ قريشًا أهمَّهم شأنُ المرأةِ المخزوميَّةِ التى سرقت في عهدِ النبيِّ ﷺ في غزوةِ الفتح فقالوا: من يُكلِّمُ فيها رسولَ اللهِ ﷺ؟ فقالوا: ومن يجترئُ عليه إلا أسامةُ بنُ زيدٍ، حِبُّ رسولِ اللهِ ﷺ.....[(٣)].

- على بن أبى طالب ابن عم النبى وزوج ابنته: كان من الشباب.

و كان من النبى ﷺ بمنزلة هارون من موسى.

عن سعد بن أبى وقاص رضي الله عنه قال: أمر معاويةُ بنُ أبى سفيانَ سعدًا فقال: ما منعك أن تسُبَّ أبا التُّرابِ، فقال: أما ما ذكرتُ ثلاثًا قالهنَّ له رسولُ اللهِ

(١) أخرجه البخاري (٢٨٤٦).
(٢) أخرجه الترمذي (٣٨٤٦)، وصححه الألباني في الصحيحة (١٢٣٧).
(٣) أخرجه البخاري (٣٤٧٥)، مسلم (١٦٨٨).

ﷺ، فلن أَسُبَّه لأن تكون لى واحدةٌ منهنَّ أحب إلىَّ من حُمْر النَّعم سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول له، خلَّفه فِي بعض مغازيه، فقال له علىٌّ: يا رسولَ اللهِ ! خلَّفتَنى مع النساءِ والصِّبيانِ فقال له رسولُ اللهِ ﷺ " **أما ترضى أن تكون منى بمنزلةِ هارونَ من موسى إلا أنه لا نُبُوَّةَ بعدى** " وسمعتُه يقول يومَ خيبرَ " لأُعطينَّ الرايةَ رجلًا يحبُّ اللهَ ورسولَه، ويحبُّه اللهُ ورسولُه " قال فتطاولْنا لها فقال " ادعوا لى عليًّا " فأُتِىَ به أرْمَدُ فبصقَ فِي عينِه ودفع الرايةَ إليه ففتح اللهُ عليه ولما نزلت هذه الآيةُ: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ﴾ [آل عمران:٦١] دعا رسولُ اللهِ ﷺ عليًّا وفاطمةَ وحسنًا وحُسَينًا فقال " **اللهمَّ هؤلاءِ أهلى**[(١)].

- مؤذن النبى ﷺ: بلال كان من الشباب.

فكان عموم هؤلاء من الشباب لأنهم أهل الهمَّة والطاقة الذين يرفع الله بهم الأمة أو تنكس رءوسها.

لذا فإنَّ الإسلام عنىَ عناية فائقة بالشباب وتربية الشباب تربية خاصة ورفع شأن كل من يسلك هذا الطريق منهم.

فجعله من السبعة الذين يظلهم الله بظله يوم لا ظل إلا ظله وهو شاب نشأ في عبادة ربه.

❁ كيف ربَّى الإسلام الشباب؟

ربَّى الإسلام الشباب على العمل والهمة العالية:

رباهم على اتباع نهج النبى ﷺ واقتفاء أثره بهمة عالية.

نجد ابن عباس رضي الله عنه وهو صبى صغير في بيت النبى ﷺ يبحث:كيف صلاته بالليل؟

(١) أخرجه البخاري (٣٧٠٦، ٤٤١٦)، مسلم (٢٤٠٤) واللفظ له.

يقول: بتُّ في بَيتِ خالَتى مَيمونةَ، فقامَ رسولُ اللهِ ﷺ مِنَ اللَّيل فأطلقَ القِربةَ فتوضَّأَ، ثمَّ أوكأَ القِربةَ، ثمَّ قامَ إلى الصَّلاةِ، فقُمتُ فتوضَّأتُ كما توضَّأَ، ثمَّ جِئتُ فقمتُ عن يسارِهِ، فأخذَنِي بيمينِهِ فأدارَنِي من ورائِهِ فأقامَنى عن يمينِهِ فصلَّيتُ معَهُ[(١)].

وصلى مع النبى ﷺ إحدى عشرة ركعة وهو قائم بجوار النبى ﷺ، ما فتر وما تركه حتى إذا أخذه النوم كان النبى ﷺ يفرك أذنه.

- إنهم يربون على العبادة وعلى الهمَّة العالية، لا عمل بهزل وضعف وخور.

فإنَّ العمل بضعف وخور وإن نفع صاحبه قليلًا لكنه لايدوم ولا ينفع أمة.

- علمهم أنَّ خدمة الدين نعمة وفضل من الله تعالى من حُرمها فقد حُرم خيرًا كثيرًا.

يقول سعد بن أبى وقاص رضي الله عنه رأيت أخى عميرًا في غزوة بدر يختبئ من النبى ﷺ...

فقلت له: لم تختبئ؟

فقال: أخاف أن يراني رسول الله ﷺ.

فقلت: وماذا لو رآك؟

قال: أخاف أن يستصغرنى فيردنى.

قال: فعرضه النبي ﷺ فاستصغره فرده.

(١) أخرجه البخاري (٦٩٧، ٦٩٨، ٦٩٩)، مسلم (٧٦٣).

فبكى عمير.

فرَقَّ له النبى ﷺ وأذن له[١].

رباهم على حب العمل والهمَّة...

إن حُرم أحدهم من العمل كان يبكى ويرى أنَّ ذلك حرمانٌ من الله تعالى.

كانوا شبابًا يستغلون شبابهم قبل فوات الأوان.

ربى الإسلام الشباب على المنافسة في الخير:

رباهم على العمل والمنافسة فيه، ولا يعتمد على غيره، ولا يؤثر غيره على نفسه في الخير والعمل للآخرة وإن كان أخاه أو أباه.

إنه يتمنى أن يكون سبَّاقًا للخير دائمًا وأن يكون العامل للدين أولًا.

هاهو سعد بن خيثمة يريد أن يخرج هو وأبوه للجهاد.

فقال أبوه: يجلس واحد منا لأخواتك...

فأبى سعد...

وأبى أبوه...

وعرض أبوه عليه أن يؤثره...

فقال ياسعد: اجلس أنت مع أخواتك ودعنى أخرج.

فقال سعد: يا أبتى والذي نفسى بيده لو كان غير الجنة لآثرتك به.

يا ليتها متعة من متع الدنيا، ولكنها الجنة...

---

(١) الطبقات الكبرى (٣/ ٤٩)، صفة الصفوة (١/ ٣٩٤).

فاختصما للنبى ﷺ...

فقال النبى ﷺ: يخرج أحدكما.

فاستهما، فخرج سهم سعد الابن.

قال أبو هريرة: خرج سعد فأصابه سهم فلقى ربه شهيدًا [١].

هؤلاء هم الشباب:

الذين يستغلون الفرصة...

الذين يستغلون الطاقة...

الذين يرفعون الهمة لكى يصلوا إلى الله تبارك وتعالى.

ربى الإسلام الشباب على أنهم حماة للدين:

أخى الحبيب:

كم مر على الأمة أزمان كان فيها شباب غيروا مجرى التاريخ لما أخلصوا وصدقوا مع الله ولما أخذوا من شبابهم لهرمهم ومن قوتهم لضعفهم.

وصدق فيهم قول القائل:

أنت تدري أيها الحيران عنا ... كيف فوق الشمس أزمانًا حللنا

وذلك لأنهم تربوا على الإسلام الخالص.

تربوا في محاريب الصلاة ليس في الخمارات ولا الحانات.

---

(١) معرفة الصحابة لأبى نعيم (٨/ ٤٨٦)، الطبقات الكبرى (٣/ ٤٨١)، تاريخ بغداد (١/ ١٧٦).

تربوا على مائدة الكتاب والسنة تحت رعاية الله ومعيته.

إنهم بدأوا العمل من المحراب، والأوقات الطويلة بين يدى الله متضرعين.

إنهم علموا أنَّ أيَّ دعوة تريد أن تستقيم إلى الله فعليها أن تسلك إليه من باب الاستقامة، وبابها المحراب.

لذلك ملكوا الدنيا قرونا طويلة، فسطروا في الأزمان تاريخًا بماء الذهب.

وصدق فيهم قول القائل:

ملكنا هذه الدنيا قرونا
وأخضعها جدود خالدونا
وسطرنا صحائف من ضياء
فما نسى الزمان وما نسينا
شباب ذللوا سبل المعالى
وما عرفوا سوى الإسلام دينا
تعهدهم فأنبتهم نباتا كريما
طاب في الدنيا غصونا
شباب لم تحطمه الليالى
ولم يسلم إلى الخصم العرينا
وإن جن المساء فلا تراهم
من الإشفاق إلا ساجدينا

ربى الإسلام الشباب على الثبات في العمل إلى الله تعالى ولو كلفهم ذلك حياتهم:

هاهو الغلام الذي تعلم الإيمان والدين على يد الراهب يبيع حياته لكى يوصل الدين إلى الناس عن صهيب بن سنان قال: قال النبي ﷺ: **كان ملكٌ**

فيمن كان قبلكم وكان لهُ ساحرٌ فلما كبرَ قال للملكِ: إني قد كبرتُ فابعث إليَّ غلامًا أُعلِّمه السحرَ فبعث إليهِ غلامًا يُعلِّمُه فكان فِي طريقِه، إذا سلك، راهبٌ فقعد إليهِ وسمع كلامَه فأعجبَه فكان إذا أتى الساحرَ مرَّ بالراهب وقعد إليهِ فإذا أتى الساحرَ ضربَه فشكا ذلك إلى الراهب فقال: إذا خشيتَ الساحرَ فقل: حبسنى أهلى وإذا خشيتَ أهلك فقل: حبسنى الساحرُ فبينما هو كذلك إذ أتى على دابةٍ عظيمةٍ قد حبستِ الناسَ فقال: اليومَ أعلمُ آلساحرُ أفضلُ أم الراهبُ أفضلُ؟ فأخذ حجرًا فقال: اللهم إن كان أمرُ الراهب أحب إليك من أمر الساحر فاقتل هذهِ الدابةَ حتى يمضى الناسُ فرماها فقتلها ومضى الناسُ فأتى الراهبَ فأخبرَه فقال لهُ الراهبُ: أى بنيَّ أنت اليوم، أفضلُ منى قد بلغ من أمرك ما أرى وإنك ستُبتلى فإن ابتُليتَ فلا تَدُلَّ علىَّ وكان الغلامُ يُبرئُ الأكمهَ والأبرصَ ويُداوى الناسَ من سائر الأدواءِ فسمع جليسٌ للملكِ كان قد عمى فأتاهُ بهدايا كثيرةٍ فقال: ما ههنا لكَ أجمعُ، إن أنتَ شفيتنى فقال: إني لا أشفى أحدًا إنما يشفى اللهُ فإن أنت آمنتَ باللهِ دعوتُ اللهَ فشفاكَ فآمنَ باللهِ فشفاهُ اللهُ فأتى الملكُ فجلس إليهِ كما كان يجلسُ فقال لهُ الملكُ: من ردَّ عليك بصرك؟ قال: ربى قال: ولك ربٌّ غيرى؟ قال: ربى وربك اللهُ فأخذَه فلم يزل يُعذبه حتى دَلَّ على الغلام فجىء بالغلام فقال لهُ الملكُ: أى بنيَّ قد بلغ من سحركَ ما تُبرئُ الأكمهَ والأبرصَ وتفعلُ وتفعلُ فقال: إني لا أشفى أحدًا إنما يشفى اللهُ فأخذَه فلم يزل يعذبه حتى دلَّ على الراهب فجىء بالراهب فقيل لهُ: ارجع عن دينك فأبى فدعا بالمئشارِ فوُضع المئشارُ على مفرقِ رأسِه فشقَّه حتى وقع شِقَّاه ثم جىء بجليس الملكِ فقيل لهُ: ارجع عن دينك فأبى فوُضعَ المئشارُ فِى مفرقِ رأسِه فشقَّهُ بهِ حتى وقع شِقَّاهُ ثم جىء بالغلام فقيل لهُ: ارجع عن دينك فأبى فدفعَه إلى نفر من أصحابه فقال: اذهبوا بهِ إلى جبل كذا وكذا فاصعدوا بهِ الجبلَ فإذا بلغتم ذروتَه، فإن رجع عن دينِه، وإلا فاطرحوهُ فذهبوا بهِ فصعدوا بهِ الجبلَ فقال: اللهم ! اكفنيهم

بما شئتَ فرجف بهم الجبلُ فسقطوا وجاء يمشى إلى الملكِ فقال لهُ الملكُ: ما فعل أصحابك؟ قال: كفانيهم اللهُ فدفعَه إلى نفر من أصحابه فقال: اذهبوا بهِ فاحملوهُ فى قرقور، فتوسَّطوا بهِ البحرَ فإن رجع عن دينِه وإلا فاقذفوهُ فذهبوا بهِ فقال: اللهم ! اكفنيهم بما شئتَ. فانكفأت بهم السفينةُ فغرقوا وجاء يمشى إلى الملكِ فقال لهُ الملكُ: ما فعل أصحابك؟ قال: كفانيهم اللهُ فقال للملكِ: إنك لستَ بقاتلى حتى تفعلَ ما آمرك بهِ قال: وما هو؟ قال: تجمعُ الناسَ فى صعيدٍ واحدٍ وتصلبنى على جذع ثم خذ سهمًا من كنانتى ثم ضع السهمَ فى كبدِ القوس ثم قل: باسم اللهِ، ربِّ الغلام ثم ارمنى فإنك إذا فعلت ذلك قتلتنى فجمع الناسَ فى صعيدٍ واحدٍ وصلبَه على جذع ثم أخذ سهمًا من كنانتِه ثم وضع السهمَ فى كبدِ القوس ثم قال: باسم اللهِ، ربِّ الغلام ثم رماهُ فوقع السهمُ فى صدغِه فوضع يدَه فى صدغِه فى موضع السهم فمات فقال الناسُ: آمنَّا بربِّ الغلام آمنَّا بربِّ الغلام آمنَّا بربِّ الغلام فأتى الملكُ فقيل لهُ: أرأيتَ ما كنت تحذرُ؟ قد، واللهِ نزل بك حذرك قد آمنَ الناسُ فأمر بالأخدودِ فى أفواهِ السككِ فخُدَّت وأُضرمَ النيرانُ وقال: من لم يرجع عن دينِه فأحموهُ فيها أو قيل له: اقتحم ففعلوا حتى جاءت امرأةٌ ومعها صبيٌّ لها فتقاعست أن تقعَ فيها. فقال لها الغلامُ: يا أمه ! اصبرى فإنكِ على الحقّ[1]

هؤلاء هم الشباب:

لا يدفعون حياتهم فى العبث واللهو...

لا يضيعون أوقاتهم فيما يغضب الله أو فيما لا ينفع ولا يضر...

إنما يستغلون كل لحظة في حياتهم.

(١) أخرجه مسلم (٣٠٠٥).

لقد أتى الإسلام والشباب لا يعرفون لهم قيمة إلا قيمة الذراع.

القوي يأكل الضعيف، والناس يعيشون في غابة يرتكبون فيها الفواحش والآثام.

فجاء الإسلام فهذب النفوس وهذب الأخلاق فاستغل طاقة هؤلاء الشباب.

فنحن في أمس الحاجة لإستغلال طاقاتهم.

لذا أعداء الأمة لما أرادوا ضرب الأمة في أصلها وفي قوتها ضربوها في شبابها.

لذا: فانظر أين هى طاقات الشباب اليوم،ما أمنياتهم، وما آمالهم؟!

تجد القليل...القليل منهم يسلك طريق الله ويستغلون طاقتهم للعمل لهذا الدين، والعمل لآخرتهم.

❁ نصائح ورسائل إلى الشباب:

- **أخى الشاب:** حدد هدفك وغايتك ولتكن أسمى الغايات هى رضا الله تعالى.

- **أخى الشاب:** لا تسوف أو تؤجل فالعمر قليل، واطرح سوف وحتى فهما داء دخيل، ولا تكن ممن ثقل عليه ترك الذنوب والآثام.

يقول يحيى بن معاذ: مسكين ابن آدم نقل الجبال أخف عليه من ترك الأوزار [(١)].

- **أخي الشاب:** كما خفت على قوتك وبدنك من الضعف والأمراض،

(١) حلية الأولياء (١٠/ ٥٢).

فخف على نفسك من نار وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون.

يقول ابن شبرمة: عجبت لمن يحتمى من الطيبات مخافة الداء فكيف لا يحتمى من المعاصى مخافة النار [١].

- **أخى الشاب:** صاحب الأخيار أصحاب الأهداف الإيمانية والغايات الربانية، واحذر أن تصادق إلا من يخشى الله تبارك تعالى...

حتى لا تأتي يوم القيامة نادمًا وتقول ياويلتى ليتنى لم أتخذ فلانًا خليلًا لقد أضلنى عن الذكر بعد إذ جاءنِي وكان الشيطان للإنسان خذولًا.

يقول عمر رضي الله عنه: لا تصاحب الفجار، واعتزل عدوك، واحذر صديقك إلا الأمين ولا أمين إلا من خشى الله تعالى، وتخشع عند القبور، وذل عند الطاعة، واستعصم عند المعصية [٢].

- **أخى الشاب:** إن كنت تبحث عن الغنى فهو فى الطاعة...

وإن كنت تبحث عن العزة فهى في الطاعة...

وإن كنت تبحث عن المكانة والمهابة والراحة فإنها في الطاعة...

قال محمود الوراق:

---

(١) سير أعلام النبلاء (٦/ ٣٤٨).

(٢) المتفق والمفترق للخطيب البغدادي (٢/ ٥١)، وذيل تاريخ بغداد لابن النجار (٢/ ١٦١).

هـــذا الـــدليل لمـــن أراد غنًـــى يـــدوم بغيـــر مـــال
وأراد عـــــزًّا لـــــم توطـــــده العشـــــائر بالقتـــــال
ومهابـــة مـــن غيـــر ســـلطان وجاهًـــا في الرجـــال
فليعتصـــم بدخولـــه في عـــز طاعـــة ذي الجـــلال
وخروجـــه مـــن ذل معصـــية لـــه في كـــل حـــال

- **أخي الشاب:** يا من لا غنى لك عن الله لابد أن تكون قريبًا منه لأنك لا تستغنى عنه طرف عين.

حتى إذا خفت منه فاقترب إليه...

فإن العبد إذا خاف من شيء استوحشه وهرب منه إلا الله الملك فإذا خفت منه فأنس به واقترب إليه.

- **أخي الحبيب:**

اجعل همك الله...

فإنك إن جعلته همك...

صرف الله عنك الهم والغم...

وفرغ قلبك لمحبته...

وفرغ لسانك لذكره...

وفرغ جوارحك لعبادته.

وإذا جعلت همك الدنيا ونسيت ربك...

تركك الله بهمك وغمك...

وشغل قلبك عن محبته...

وشغل لسانك عن ذكره...

وشغل جوارحك عن طاعته.

عن زيد بن ثابت ﷺ قال:قال رسول الله ﷺ" **مَن كانتِ الدُّنيا هَمَّهُ، فرَّقَ اللهُ علَيهِ أمرَهُ، وجعلَ فَقرَهُ بينَ عينيهِ، ولم يأتِهِ منَ الدُّنيا إلَّا ما كتبَ لَهُ، ومن كانتِ الآخرةُ نيَّتَهُ، جمعَ اللهُ لَهُ أمرَهُ، وجعلَ غِناهُ فِي قلبِهِ، وأتتهُ الدُّنيا وَهيَ راغِمةٌ**"[(١)].

- أخي الشاب:

ادخل حلبة السباق لا تكن متفرجًا...

فإنَّ السباق قد عقد ومن الناس من قد وصل وأنت لازلت سائرًا...

وإنَّ الناس قد قاموا وأنت مازلت نائمًا.

أخي الحبيب:

اعلم أنَّ الفرصة قد لا تتكرر...

قد تأتي مرة واحدة ولا تعلم هل ستعود إليك أم لا تعود قد تأتي مرة ثم يغلق الباب.

عن ابن عباس عن النبيِّ ﷺ قال " **عُرضتْ علىَّ الأممُ فرأيتُ النبيَّ ومعهُ الرُّهيطُ والنبيَّ ومعهُ الرجلُ والرجلانِ والنبيَّ ليس معهُ أحدٌ إذْ رُفعَ لى سوادٌ عظيمٌ فظننتُ أنَّهُم أمَّتى فقيلَ لى: هذا موسى ﷺ وقومُهُ ولكن انظُر إلى الأفقِ فنظرتُ فإذا سوادٌ عظيمٌ فقيل لي: انظُر إلى الأُفقِ الآخرِ فإذا سوادٌ**

(١) أخرجه الترمذي (٢٤٦٥)، ابن ماجه (٤١٠٥)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٩٥٠).

عظيمٌ فقيل لى: هذهِ أمَّتُكَ ومعهُم سبعونَ ألفًا يدخلونَ الجنةَ بغير حساب ولا عذاب ثم نهض فدخل منزلَهُ فخاضَ الناسُ فى أولئكَ الذينَ يدخلونَ الجنةَ بغير حساب ولا عذاب" فقال بعضُهُم: فلعلَّهُمُ الذينَ صحِبوا رسولَ اللهِ ﷺ وقال بعضُهُمْ: فلعلهمُ الذينَ وُلدوا فِي الإسلام ولم يشركُوا باللهِ وذكَروا أشياءَ فخرج عليهمْ رسولُ اللهِ ﷺ فقال: **ما الذى تخوضونَ فيهِ؟** فأخبروهُ فقال **همُ الذينَ لا يَرقُونَ ولا يسترقُوونَ ولا يتطيرونَ وعلى ربهمْ يتوكلونَ** فقامَ عُكَّاشةُ بنُ محصن فقال: ادعُ اللهَ أن يجعلَنى منهمْ فقال **أنتَ منهُمْ** ثم قام رجلٌ آخرُ فقال: ادعُ اللهَ أن يجعلَنى منهُم فقال **"سبقكَ بها عُكَّاشَةُ"**[(١)].

إنها كانت فرصة واحدة أخذها من سبق، وانتهز عكاشة الفرصة وطلبها، فقال يا رسول الله أدع الله أن أكون منهم قال أنت منهم، ثم أغلق باب الإخبار.

فقام رجل فقال يا رسول الله ادع الله أن أكون منهم، قال سبقك بها عكاشة.

- أخى الشاب:

اعلم أنَّ نور الهداية واضح جليٌّ بل هو أعظم من نور الشمس، فلا تُظلمه الشهوات والشبهات أمام عينيك.

ـ أخى الحبيب:

لا تكن كالخفاش كلما زاد النور ضعف عن الإبصار، ولكن كن كالصقر يرى من بعيد وإن كان النور قليلًا.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٤١)، مسلم (٢٢٠) واللفظ له.

- أخى الشاب:

خذ من شبابك لهرمك وخذ من صحتك لضعفك فإنك ستضعف يومًا ما وتهرم ولن تستطيع العمل فعن ابن عباس وعمرو بن ميمون ﷺ أنَّ النبى ﷺ قال"**اغتنِمْ خمسًا قبلَ خمس: حَياتَك قبلَ موتِك، وصِحَّتَك قبلَ سَقَمِك، وفراغَك قبلَ شُغْلِك، وشبابَك قبلَ هَرَمِك، وغِناك قبلَ فقرِكَ**"[(١)].

أخى الشاب:

خذ من الدنيا رفيقًا صالحًا.

يعينك في الطريق إلى الله إذا سلكته...

وينصحك إذا عصيت الله ونسيته...

يثبت قدمك إذا أحسنت...

ويسدد عملك إذا زللت...

ويرفع همتك إذا ضعفت.

فهذا هو المسلم الحق والرفيق الصدق الذي يجبر كسرك ويسدد خللك.

عن ابن عمر ﷺ أنَّ النبى ﷺ قال"**المسلمُ أخو المسلم لا يظلمُه ولا يخذلُه ويقولُ والذى نفس محمدٍ بيده ما توادَّ اثنانِ ففُرِّقَ بينهما إلا بذنب يُحدثُه أحدُهما وكان يقولُ للمرءِ المسلم على أخيه من المعروفِ ستٌّ يُشَمِّتُه إذا عطسَ ويعودُه إذا مرضَ وينصحُه إذا غاب ويشهدُه ويُسلِّمُ عليه إذا لقِيَهُ ويُجيبُه إذا دعاه ويتْبعُهُ إذا مات ونهى عن هِجرةِ المُسلمِ أخاه فوقَ**

(١) أخرجه الحاكم (٤/ ٣٤١)، ابن أبى شيبة (١٣/ ٢٢٣)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٠٧٧).

ثلاثٍ"[١].

وعن أبي هريرة ﷺ أنَّ النبي ﷺ قال"المؤمِنُ مرآةُ أخيهِ، المؤمنُ أخو المؤمن يَكُفُّ عليهِ ضَيْعَتَه ويحوطُه مِن ورائِهِ"[٢].

وعن أبي موسى عبد الله بن قيس الأشعري ﷺ أنَّ النبي ﷺ قال"**إنَّما مثلُ الجليس الصَّالح والجليس السُّوءِ، كحامل المِسكِ ونافخ الكير فحاملُ المسكِ، إمَّا أن يُحذِيَك، وإمَّا أن تبتاعَ منه، وإمَّا أن تجدَ منه ريحًا طيِّبَةً ونافخُ الكير، إمَّا أن يحرقَ ثيابك، وإمَّا أن تجدَ ريحًا خبيثةً**"[٣].

- أخى الحبيب:

سل نفسك: إذا لقيت الله الآن هل سيكون ربك راضيًا عنك؟

هل عمرت بيتك هناك قبل أن تسكنه؟

- أخى الحبيب:

اعلم أن الله أخرج إبليس من الجنة لما أبى السجود لأبينا آدم، فكيف تتبعه وتعرض عن ربك.

وكأنَّ الله يقول عجبًا لك يا ابن آدم لقد أخرجته من الجنة بسببك ثم صالحته وتركتنى.

- أخي الحبيب:

---

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٣٣)، والحديث في الصحيحين مفرق، وقال الألباني في إرواء الغليل صحيح بشواهده (٨/ ١٤١).

(٢) أخرجه أبوداود (٤٩١٨)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٦٦٥٦).

(٣) أخرجه البخاري (٢١٠١، ٥٥٣٤)، مسلم (٢٦٢٨).

يامن حافظت على شبابك وقوتك، وعملت فيهما بأمر الله، وحفظت حدوده وسرت على أمره، فاحمد الله واستمسك بالعروة الوثقى حتى تلقى الله تعالى، فإنك ستكون من الفائزين إن شاء الله.

- أخي الحبيب:

يامن أضعت كثيرًا من شبابك في اللهو واللعب والعبث فما زالت الفرصة أمامك ما دمتَ حيًّا، فأدرك نفسك قبل أن تقف بين يدي الله حزينًا نادمًا ووقتها لا ينفع الندم إذ أنَّ الفرصة قد انتهت.

عن أبي سعيد أنَّ رسول الله ﷺ قال " **بينا أنا نائم رأيت الناس يعرضون على وعليهم قمص منها ما يبلغ الثدى، ومنها ما يبلغ دون ذلك، ومَرَّ عَلَىَّ عمر بن الخطاب وعليه قميص يجره** ». قالوا ما أولت يا رسول الله قال «**الدين** »"[(١)].

قال ابن العربي " أنما أوله النبي ﷺ بالدين لأنه يستر عورة الجهل كما يستر الثوب عورة البدن وأما غير عمر، فالذى يبلغ الثدي هو الذى يستر قلبه عن الكفر وإن كان يتعاطى المعاصى والذى كان يبلغ أسفل من ذلك وفرجه بادٍ هو الذى لم يستر رجليه عن المشى إلى المعاصى، والذى يستر رجليه هو الذى احتجب بالتقوى من جميع الوجوه والذى يجر قميصه زائد على ذلك بالعمل الصالح الخالص "[(٢)].

---

(١) أخرجه البخاري (٢٣، ٧٠٠٩)، مسلم (٢٣٩٠).

(٢) فتح الباري (١٢/ ٣٩٦) باب جر القميص في المنام.

✍أخي الحبيب: اعلم أنَّ الصبر أنواع:

صبر على طاعة الله وصبر عن معصية الله وصبر على امتحان الله[١].

والصبر على الطاعة وعن المعصية أعظم عند الله من الصبر على الابتلاء والمصائب.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: كان صبر يوسف على مطاوعة امرأة العزيز على شأنها أكمل من صبره على إلقاء إخوته له في الجب وبيعه وتفريقهم بينهم وبين أبيه.

فإنَّ هذه أمور جرت عليه بغير اختياره لا كسب له فيها ليس للعبد فيها حيلة غير الصبر.

أما صبره عن المعصية فصبر اختيار ورضا ومحاربة للنفس.

أخي الحبيب:

اجعل الله نصب عينيك ولا تراقبه أمام الناس وتجترئ على حدوده في الخلوات.

ما كرهت أن يراه الناس منك فلا تفعله إذا خلوت "[٢].

قال ابن المبارك لرجل: راقب الله، فسأله عن تفسيره؟

فقال: كن أبدًا كأنك تراه.

قال محمد بن عليٍّ الترمذي " اجعل مراقبتك لمن لا تغيب عن نظره إليك واجعل شكرك لمن لا تنقطع نعمه عليك، واجعل طاعتك لمن لا

(١) مدارج السالكين (٢/ ١٥٦).

(٢) أخرجه ابن حبان في صحيحه (٢/ ١٣٠)، وحسنه الألباني في الصحيحة (١٠٥٥).

تستغنى عنه، واجعل خضوعك لمن لا تخرج عن ملكه وسلطانه "[١].

قال ابن الجوزى:

" إنَّ للخلوة تأثيرات تبين في الخلوة كم من مؤمن يحترمه عند الخلوات فيكون كأنه قد طرح عودًا هنديًّا على مجمر فيفوح طيبه فيستنشقه الخلائق ولا يرون أين هو؟ فترى عيونهم تعظمه، وألسنتهم تمدحه، وقد تمتد هذه الأرواح بعد الموت على قدرها، وعلى عكس ذلك تفوح منه الريح الخبيث فتمقته القلوب "[٢].

قال أبو الدرداء: إنَّ العبد ليخلو بمعصية الله فيلقى الله بغضه في قلوب المؤمنين وهو لا يشعر "[٣].

أخى الحبيب:

إياك والنظر للنساء والاستهانة بذلك فإنَّ النظرة سهم قاتل لقلبك.

كل الحوادث مبداها من النظر
ومعظم النار من مستصغر الشرر
كم نظرة بلغت من قلب صاحبها
كمبلغ السهم بين القوس والوتر
والمرء ما دام ذو طرف يقلبها
في أعين العين موقوف على الخطر
يسر مقلته ما ضر مهجته
لا مرحبًا بسرور عاد بالضرر

(١) صفة الصفوة (٤/ ١٦٨).
(٢) صيد الخاطر (١/ ٥٦).
(٣) صيد الخاطر (١ / ٥٥).

أخى الحبيب:

اعلم أنَّ سنة الله اقتضت:

أنَّ مع العسر يسرًا...

ومع الضيق فرجًا...

ومع كل هم وحزن فرحًا وسرورًا...

ومع كل تعب راحة.

لهذا يتبع رمضان بالعيد.

وهكذا يمضى العمر وتعقبه الفرحة لمن صبر وعمل برضوان الله تعالى.

أخى الحبيب:

اعلم أنَّ من جد وجد...

وليس من سهر كمن رقد...

ومن لم تبك الدنيا عليه لم تضحك الآخرة له.

أخي الحبيب:

لاتجعل عملك كالسراب يطمئن صاحبه، ويظن أنه من المقربين، ومن أصحاب الكواعب الأتراب حتى إذا جاءه لم يجده شيئًا.

يقول يحيى بن معاذ: عمل كالسراب، وقلب من التقوى خراب، وذنوب كعدد الحصى والتراب، ثم تريد الجنة والكواعب الأتراب، إذًا أنت سكران بغير شراب [(١)].

(١) صفة الصفوة (٤/ ٩٠)، تاريخ بغداد (١٤/ ٢١٠).

أخى الشاب:

إنك مهما بذلت وتعبت واجتهدت فإنَّ هذا لا يكثر على ما تطلب وما أعد الله لك.

فلو قمت الليل لا تنامه...

وصمت النهار لا تفطره...

ومشيت على جفون عينيك لتصل إلى مرادك ورضوان ربك...

إنَّ هذا لقليل فى جناب الله وفيما أعد الله لك.

وصدق القائل:

يـــا خاطـــب الحـــور الحســـان وطالبًـــا
لوصـــالهن بجنـــة الحيـــوان
لـــو كنـــت تـــدري مـــن خطبـــت ومـــن
طلبـــت بـــذلت مـــا تحـــوي مـــن الأثمـــان
أو كنـــت تـــدري أيـــن مسكنـــها
جعلـــت الســـعى منـــك لهـــا علـــى الأجفـــان
أســـرع وجـــد الســـير جهـــدك
إنمـــا مســـراك هـــذا ســـاعة لزمـــان
فاعشـــق وحـــدث بالوصـــال النفـــس
وابـــذل مهرهـــا مـــا دمـــت ذا إمكـــان

كان صلة بن أشيم يمر على الشباب وهم يلعبون فيقول " حدثوني عن قوم أرادوا سفرًا فحادوا النهار عن الطريق وباتوا الليل متى يقطعون

سفرهم؟!"[١].

أخي الحبيب:

اعلم أنَّ من سار على درب الهداية يسر له سبيلها.

أخي الحبيب:

اعلم أنَّ أعمال البر تثمر فكلما ازددت فيها ازددت هدى.

أخي الحبيب:

اعلم أنه قد مضى على الأمة زمنًا ملكوا الدنيا،وقادوا العالم، وكانوا منارات للهدى، يوم أن كان فيها شباب تربوا على الكتاب والسنة وعملوا بهذا الدين.

لكن خلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات وأصبح مجدهم ذكرى.

وصدق فيهم قول القائل:

إنِّـــــــى تـــــــذكرت والـــــــذكرى مؤرقـــــــة
مجـــــــدًا تليـــــــدًا بأيـــــــدينا أضـــــــعناه
أنَّـــــــى اتجهـــــــت إلـــــــى الإســـــــلام في بلـــــــد
تجـــــــده كـــــــالطير مقصوصًـــــــا جناحـــــــاه
كـــــــم صـــــــرفتْنا يـــــــدٌ كنـــــــا نصـــــــرفها
وبـــــــات يملكنـــــــا شـــــــعبٌ ملكنـــــــاه
استرشـــــــد الغـــــــرب بالماضـــــــى فأرشـــــــده
ونحـــــــن كـــــــان لنـــــــا مـــــــاض نســـــــيناه

(١) صفة الصفوة (٣/ ٢١٦).

بالله سل خلف بحر الروم عن عرب
بالأمس كانوا هنا واليوم قد تاهوا
وانزل دمشق وسائل صخر مسجدها
عمن بناه لعل الصخر ينعاه
هذي معالم خرس كل واحدة
منهن قامت خطيبًا فاغرًا فاه
الله يعلم ما قلبت سيرتهم يومًا
واخطأ دمع العين مجراه
يا من يرى عمر تكسوه بردته
والزيت أدم له والكوخ مأواه
يهتز كسرى على كرسيه فرقا
من خوفه وملوك الروم تخشاه
يارب فابعث لنا مثلهم نفرًا
يشيدون لنا مجدًا أضعناه

أخي الحبيب:

اعلم أنَّ الله ليس بينه وبين أحد نسبٌ فلن ينفعك إلا عملك.

لذا أوصى عمر سعدًا عندما أرسله إلى القادسية:

فقال:

" يا سعد لا يغرنك أن قيل خال رسول الله ﷺ وصاحب رسول الله ﷺ، فإنَّ الله لا يمحو السيئ بالسيئ، ولكن يمحو السيئ بالحسن...

والله تعالى ليس بينه وبين أحد نسب إلا طاعته...

فالناس شريفهم ووضيعهم في ذات الله سواء...

الله ربهم وهم عباده...

يتفاضلون بالعافية ويدركون ما عنده بالطاعة...

هذه عظتى إياك إن رغبت عنها كنت من الخاسرين.

أخى الحبيب:

اعلم أنَّ النصر على النفس قبل النصر على الأعداء فعليك أن تحترس من المعاصى أشد من احتراسك من أعدائك.

لذا قال عمر لسعد...

آمرك ومن معك بتقوى الله على كل حال...

فإن تقوى الله أفضل العدة على العدو...

وآمركم أن تكونوا أشد احتراسًا من المعاصى منكم من عدوكم فإنَّ ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم وإنما ينصر المسلمون بمعصية عدوهم "[١].

أخى الحبيب:

اعلم أنَّ ظلمة القبور تضاء بكف العيون عن الآثام، وزرف الدموع منها والناس نيام.

قال الربيع بن عبدالرحمن " إنَّ لله عبادًا:أخمصوا البطون عن مطاعم الحرام، وغضوا له الجفون عن مناظر الآثام، وأهملوا له العيون لما اختلط عليهم الظلام رجاء أن ينير لهم ظلمة قبورهم "[٢].

---

(١) تاريخ الطبري (٢/ ٣٨٢)، الكامل في التاريخ (١/ ٤٠٨)، البداية والنهاية (٧/ ٤٢).
(٢) صفة الصفوة (٣/ ٣٥٤).

أخي الحبيب:

كن قويًّا في أمر الله وإن كنت ضعيفًا في بدنك...

كن متواضعًا في نفسك عظيمًا عند الله...

كن قليلًا في أعين الناس كبيرًا في أنفسهم...

أخي الحبيب:

بادر بالعمل وبكر به فإنَّ من خاف أدلج وسار مبكرًا.

قال بشر بن الحارث " يا أخي بادر بادر فإنَّ ساعات الليل والنهار تذهب بالأعمار "[(١)].

أخي الحبيب:

إن كنتَ تخاف من لقاء الله وتوقن بالحساب فاحذر الغفلة فإنها تنسى هذا اللقاء وتضعف هذا اليقين.

قال يوسف بن أسباط " عجبت كيف تنام عين مع المخافة ويغفل قلب مع اليقين بالمحاسبة "[(٢)].

أخي الحبيب:

إن كان قلبك قد قسى بسبب المعاصي والآثام فألنه بالطاعات والسهر بالليل للآخرة كما كنت تسهر للعاجلة حتى ينتفع قلبك بكلام الله تعالى والذكر، ولا يكن قلبك كالحجارة أو أشد قسوة إذ أنَّ القلب القاسي لا ينتفع بالذكر.

---

(١) تاريخ دمشق (١٠/ ٢٠٨)، صفة الصفوة (٢/ ٣٢٦).

(٢) صفة الصفوة (١/ ٤٩٧).

وصدق القائل

لا ينفع الذكر قلبًا قاسيًا أبدًا ... وهل يلين لقلب الواعظ الحجر
ولا أرى أثرًا للذكر في جسدي ... والماء في الحجر القاسي له أثر
لو كان يسهر عيني ذكر آخرتي ... كما يأرقني للعاجل السهر

أخى الحبيب:

إنَّ الإسلام هذب النفوس ورباها على الخير فلا تحرم نفسك من هذا الخير، وانهل من مورد الهادي ﷺ كل خير.

أخى الحبيب:

كن رقيق القلب، صلب التمسك بدينك.

أخى الحبيب:

كن ثابت الخطى فلا تؤثر فيك الشهوات وإن كانت كالأعاصير.

أخى الحبيب: اجعل زادك كتاب الله، فإنه خير زاد.

أخى الحبيب: إن دعيت للبذل والإنفاق فكن كالسحابة في العطاء...

وإن دعتك النفوس للشر فكن كالصخر في الإباء.

أخى الحبيب: كن بلسمًا إذا رآك الناس ذهبت عنهم الكآبة.

أخى الحبيب: إنَّ كونك مسلمًا هذا فخر لك ولكل الأجيال السابقة واللاحقة.

أخي الحبيب: كن ممن صدق فيه قول القائل:

رحم الله فتى ... هذب الدين شبابه
ومضى يجزي إلى العلـ ... ـياء فيعزم ركابه
مخبتًا لله صيَّر ... الزاد كتابه

واردًا من منهل الهادي ... ومن نبع الصحابة
إن طلبت الجود منه ... فهو دومًا كالسحابة
أو نشدت العزم فيه ... فهو ضرغام بغابة
جاذبته النفس للشر ... فلم يبد استجابة
متق لله تعلو ... من يلاقيه المهابة
رق منه القلب لكن ... زاد في الدين صلابة
بلسم للأرض يمحو ... عن محياها الكآبة
ثابت الخطو فلم ... تطف الأعاصير شهابه
جربته صولة الدهر ... فألفت ذا نجابة
إن يقم يومًا خطيبًا ... يسمع الصم خطابه
أو يسر في الدرب يومًا ... أبصر الأعمى جنابه
مسلم يكفيه فخرًا ... أنَّ للدين انتسابه

قل لى من صاحبك أقل لك من أنت

إنَّ الله تعالى خلق المخلوقات وفطرها على حب الأنس والمخالطة.

وجعلها تتأثر بهذه المخالطة بالحسن والسوء.

وهذا الأمر معلوم، ويدل عليه الشرع والفطرة والعقل.

فالمشاهد أنَّ الماء و الهواء والتراب يتغيران بالمجاورة والمخالطة.

لذلك عنى الشرع عناية عظيمة بالخلطة والمجالسة والمصاحبة...

حثَّ كثيرًا على مخالطة الصالحين والبعد عن رفقاء السوء حتى تصل إلى بر الأمان.

❁ الجليس الصالح والجليس السوء:

عن أبى موسى عن النبى ﷺ قال « **إنما مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير فحامل المسك إمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ وإمَّا أَنْ تبتَاع منه وإمَّا أَنْ تجد منه ريحًا طيبةً ونافخ الكير إمَّا أَنْ يحرق ثيابك وإمَّا أَنْ تجد ريحًا خبيثة** »[(١)].

✍ الجليس الصالح:

إنه ينفعك وإن لم ترد...

---

(١) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٥٥٣٤)، مسلم (٢٦٢٨).

ينفعك وإن لم يقصد النفع...

لأنه كحامل المسك إما أن يهديك وإما أن يبيعك وإما أن تجد منه ريحًا طيبة.

وكذلك الجليس الصالح:

هو يرشدك وينصحك ويدلك على الخير ابتداءً...

وإما أن تسأله عن خير فيدلك عليه...

وإما أن تجد منه سمتًا أو هديًا ينفعك الله به.

وإنه إن لم ينفعك فلن يضرك.

الجليس السوء:

كنافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد منه ريحًا خبيثة.

فلابد أن يصيبك بسوء ولو بهديه وشكله ومظهره.

كل إنسان عاقل يبحث عن أفضل صحبه:

وهذا فعل العقلاء...

أن يختار لنفسه صديقًا صالحًا...

بل وأفضل الأقران صلاحًا.

كان ﷺ يحب صحبة جبريل ولقائه ومجالسته.

عَن ابْن عَبَّاس رضي الله عنهما قال: قال رَسُولُ اللهِ ﷺ لِجِبْرِيلَ « **أَلاَ تَزُورُنَا أَكْثَرَ مِمَّا تَزُورُنَا** » قَالَ فَنَزَلَتْ ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا﴾

[مريم:٦٤][(١)].

اتَّخَذ من أصحابه أفضلهم لصحبته أبابكر وعمر ﷺ.

وكان يقول ولو كنتُ مُتخذًا خليلًا لاتَّخذتُ أبابكر خليلًا .ولكن أُخوَّةُ الإسلام [(٢)].

وقال على بن أبى طالب ﷺ كثيرًا ما كنتُ أسمع رسول الله ﷺ يقول **كنتُ وأبوبكر وعمر وفعلتُ وأبوبكر وعمر وانطلقتُ وأبوبكر وعمر** [(٣)].

❁ الملائكة يلتمسون أهل الذكر:

عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ **«إنَّ لله ملائكةً يطوفون فِى الطرق، يلتمسون أهل الذِّكر، فإذا وجدوا قومًا يذكرون الله تَنَادَوْا هَلُمُّوا إلى حاجتكم قال فَيَحُفُّونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا قال فيسألهم ربهم وهو أعلم منهم ما يقول عبادى قالوا يقولون يُسَبِّحُونك، ويُكَبِّرُونك، ويَحْمَدُونك ويُمَجِّدونك.**

قال فيقول هل رأونِى قال فيقولون لا والله ما رأوك قال فيقول وكيف لو رأونِى قال يقولون لو رأوك كانوا أشدَّ لك عبادةً وأشدَّ لك تمجيدًا، وأكثر لك تسبيحًا، قال يقول فما يسألونِى قال يسألونك الجنة قال يقول وهل رأوها قال يقولون لا والله يا رَبِّ ما رأوها قال يقول فكيف لو أنهم رأوها قال يقولون لو أنهم رأوها كانوا أشدَّ عليها حرصًا، وأشدَّ لها طلبًا، وأعظم فيها رغبةً قال فَمِمَّ يَتَعَوَّذون قال يقولون من النار قال يقول وهل رأوها قال يقولون لا والله ما رأوها قال يقول فكيف لو رأوها قال يقولون لو رأوها كانوا أشدَّ منها فرارًا، وأشدَّ لها

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢١٨).

(٢) أخرجه البخاري (٤٦٦)، مسلم (٢٣٨٢).

(٣) أخرجه البخاري (٣٦٧٧، ٣٦٨٥)، مسلم (٢٣٨٩).

مخافةً قال فيقول فأشهدكم أنى قد غَفَرْتُ لهم قال يقول ملكٌ من الملائكة فيهم فلانٌ ليس منهم إنَّما جاء لحاجةٍ. قال هم الجلساء لا يشقى بهم جليسهم »"[(١)].

حتى الملائكة تبحث عن أهل الخير والصلاح وعن أهل الذكر يلتمسونهم ليجلسوا معهم ويرافقوهم.

❁ صديق السوء يخذلك أحوج ما تكون إليه:

وليس شيء أحوج من يوم القيامة فيخذلك هناك يقول تعالى ﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [الزخرف: ٦٧] فإنهم يوم القيامة ينقلبون ويكونون أعداءًا...

لأنه كان عدوًّا لك في الدنيا وأنت لاتشعر.

وهل هناك أكثر عدواة ممن يأخذ بيديك ويدخلك إلى نار جهنم ويدعوك إليها وكل ما هممت لتنهض خذلك.

❁ شدة الأثر بالمخالطة والصحبة:

بين النبيُّ ﷺ أنَّ المخلوقات فطرت على ذلك.

- إنَّ الغنم من صفاتها السكينة فمن خالطها كانت السكينة والوقار من صفاته.

عَنْ أَبى هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَن النبى - ﷺ – قَالَ « **أَتَاكُمْ أَهْلُ الْيَمَنِ، هُمْ أَرَقُّ أَفْئِدَةً وَأَلْيَنُ قُلُوبًا، الإِيمَانُ يَمَانٍ وَالْحِكْمَةُ يَمَانِيَةٌ، وَالْفَخْرُ وَالْخُيَلاَءُ فِى أَصْحَابِ الإِبِلِ، وَالسَّكِينَةُ وَالْوَقَارُ فِي أَهْلِ الْغَنَمِ** »"[(٢)].

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤٠٨)، مسلم (٢٦٨٩).

(٢) **متفق عليه:** أخرجه البخاري (٤٣٨٨)، مسلم (٥٢).

لما كان الأنبياء يحتاجون إلى تبليغ أمر الله بسكينة ووقار قدر الله عليهم أن يقوموا برعى الأغنام.عن أبى هريرة ﷺ عَن النبى ﷺ قال « **ما بعث الله نبيًّا إلا رعى الغنم** ». فقال أصحابه وأنت فقال « **نعم كنتُ أرعاها على قراريط لأهل مكة** »[(١)].

وبيَّن النبى ﷺ أنَّ القسوة من طباع الإبل وبيَّن ﷺ أنَّ من خالط الإبل كان شديدًا غليظ القلب، لذا فإنَّ قسوة القلوب في الأعراب رعاة الإبل.

فإذا كفروا كانوا أشد كفرًا ونفاقًا، قال تعالى ﴿ ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا۟ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٩٧﴾ ﴾ [التوبة: ٩٧].

وإن أسلم كان فظًّا غليظًا فكان الواحد منهم إذا أراد المال يقول للرسول ﷺ أعطنى فإنك لا تعطينى من مالك ولا مال أبيك.

عن أنس بن مالكٍ قال كنتُ أمشى مع رسول الله ﷺ وعليه بُرْدٌ نَجْرانىٌّ غليظ الحاشية، فأدركه أعرابىٌّ فجبَذَهُ بردائِهِ جَبْذَةً شديدةً، حتى نظرتُ إلى صَفحة عاتق رسول الله ﷺ قد أثَّرَتْ بها حاشِيَةُ الْبُرْد من شدَّةِ جَبْذته، ثمَّ قال يا محمد مُرْ لى من مال الله الذى عندك. فالتفت إليه رسول الله ﷺ ثمَّ ضحك ثمَّ أمر له بعطاءٍ[(٢)].

- عن ابن عباس ﷺ قال نهى رسول الله - ﷺ- عن كلِّ ذي ناب من السِّباع وعن كلِّ ذي مخلبٍ من الطير[(٣)].

---

(١) أخرجه البخاري (٢٢٦٢)، ابن ماجه (٢١٤٩).
(٢) أخرجه البخاري (٥٨٠٩)، مسلم (١٠٥٧).
(٣) أخرجه مسلم (١٩٣٤)، أبوداود (٣٨٠٣، ٣٨٠٥).

ذلك لأنها متعدية مفترسة وهى صفة لا تنبغى أن توجد في المجتمع المسلم.

- ومن ذلك نهيه ﷺ عن أكل لحوم الجلالة والشرب من ألبانها.

عن ابن عمر قال" نهى رسول الله ﷺ عن أكل الجلَّالة وألبانها" [(١)].

كل ذلك لخطر المخالطة والمجاورة.

الخلطة مؤثرة وإن كانت للآثار المتبقية:

إنَّ المخالطة للأموات والآثار المتبقية قد تؤثر على الحى إن خالطها.

فكان النبى ﷺ يمر على ديار ثمود مسرعًا باكيًا وكان يقول «**لا تدخلوا على هؤلاء المُعَذبين إلَّا أن تكونوا باكين، فإن لم تكونوا باكين فلا تدخلوا عليهم، لا يصيبكم ما أصابهم**» "[(٢)].

بل نهى عن الشرب من مائهم وأمر بالشرب من البئر التى كانت تردها ناقة صالح.

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أَنَّ الناس نزلوا مع رسول الله ﷺ أرض ثمود الحجر فَاسْتَقَوْا من بئرها واعتجنوا به فأمرهم رسول الله ﷺ أَنْ يُهَريقُوا ما اسْتَقَوْا من بئرها وأَنْ يعلفوا الإبل العجين وأمرهم أَنْ يستقوا من البئر التى كانت تردها الناقة"[(٣)].

وهذا يدل على أنَّ مخالطة الديار التي خالطها السفهاء والكفار قد تكون

---

(١) أخرجه أبوداود (٣٧٨٥)، الترمذي (١٨٢٤)، ابن ماجه (٣١٨٩)، وصححه الألباني في الإرواء (٨/ ٢١٤).

(٢) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٤٣٣، ٣٣٨٠)، مسلم (٢٩٨٠).

(٣) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٣٣٧٩)، مسلم (٢٩٨١).

ذات تأثير على القلوب والنفوس بالقسوة والغلظة والعناد.

- نهى ﷺ عن صحبة جلد النمر عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ عَن النبى ﷺ قَالَ « **لاَ تَصْحَبُ الْمَلاَئِكَةُ رُفْقَةً فِيهَا جِلْدُ نَمِر** »"[1].

حتى صحبة جلدها بعد موتها نهى ﷺ عنه.

أخى الحبيب:

لابد أن تكون على وعى وانتباه وأن تختار لنفسك فإن المخالطة أشد الأشياء أثرًا.

❁ الخلطة مؤثرة في الجمادات:

ويظهر ذلك في حديث سحر النبى ﷺ.

حيث وجد أنَّ الماء قد تغير لونه بمخالطة السحر فأثر فى الجماد أثر في هيئته وشكله.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: سحر النبي ﷺ حتى إِنَّهُ لَيُخَيَّل إليه أنه يفعل الشيء وما فعله حتى إذا كان ذات يوم وهو عندي دعا الله وَدَعَاهُ ثم قال أَشَعَرْتِ يا عائشة أَنَّ الله قد أفتاني فيما اسْتَفْتَيْتُهُ فيه قُلْتُ وما ذاك يا رسول الله قال جاءني رجلان فجلس أحدهما عند رأسي والآخر عند رِجْلَيَّ ثم قال أحدهما لصاحبه ما وَجَعُ الرجل قال مَطْبُوبٌ قال ومَن طَبَّهُ قال لَبِيدُ بْنُ الْأَعْصَمِ الْيَهُودِيُّ مِنْ بَنِي زُرَيْقٍ قال فيما ذا قال في مُشْطٍ وَمُشَاطَةٍ وَجُفِّ طَلْعَةِ ذَكَرٍ قال فأين هو قال في بِئْرِ ذِي أَرْوَان قال فذهب النبي ﷺ في أناسٍ من أصحابه إلى البئر فنظر إليها وعليها نخلٌ ثم رجع إلى عائشة فقال والله

(١) أخرجه أبوداود (٤١٣٥)، وحسنه الألباني في المشكاة (٣٩٢٤)، وفي صحيح الجامع (٧٣٤٥).

لكأَنَّ ماءها نُقاعة الْحِنَّاءِ ولكأَنَّ نخلها رءوس الشياطين قُلْتُ يا رسول الله أَفَأَخْرَجْتَهُ قال لا أَمَّا أنا فقد عافاني الله وشفاني وَخَشِيتُ أَنْ أُثَوِّرَ على الناس منه شرًّا وأمر بها فَدُفِنَتْ[١].

قال الحافظ ابن حجر: وفى روايه أبى سعيد وصححه الحاكم "ووجد الماء قد اخضر".

وفى رواية عمر بن سعيد عن عائشة وكأنَّ نخلها الذي يشرب ماءها وقد التوى سعفه كأنه رؤوس الشياطين[٢].

بل إنها أثرت على حجر نزل من السماء، وهو الحجر الأسود الذي نزل من السماء وكان أبيض كالثلج، لكنه اسودَّ من آثار ذنوب لم يقترفها هو بل إنه خالط من اقترفها وهم بنوا آدم.

أخى الحبيب:

اعلم أنَّ قلبك لن يصبر على مخالطة أهل المعاصى فإنَّ النخل والماء والحجر لم يصبروا فاحذر من ذلك.

نفعنا الله وإياك بصحبة الأخيار.

❁ صديقك هو دليلك:

قال عليٌّ "ما من شيء أدل على شيء ولا الدخان على النار من الصاحب على صاحبه"[٣].

قال مالك بن دينار"الناس أشكال كأشكال الطير الحمام مع الحمام

(١) أخرجه البخاري (٥٧٦٣)، مسلم (٢١٨٩).
(٢) فتح الباري (١٠/ ٢٣٠).
(٣) أدب الدنيا والدين لأبي الحسن الماوردي (٢٠٦)، فيض القدير (٣/ ١٥٣).

والغراب مع الغراب والصعو مع الصعو"[١].

❁ لا تسأل عن الرجل وسل عن صاحبه:

قال عدي بن زيد:

عـــن المـــرء لا تســـأل وســـل عـــن قرينـــه
فكـــل قـــرين بالمقـــارن يقتـــدي
إذا كنـــت في قـــوم فصـــاحب خيـــارهم
ولا تصـــحب الأردى فـــتردى مـــع الـــردي[٢]

✍ الصاحب ساحب:

فإما أن يسحبك إلى الخير وإما أن يسحبك إلى الشر فاختر لنفسك صاحبًا يسحبك إلى الخير.

✍ الأرواح جنود مجندة:

أخي الحبيب:

اعلم أنَّ الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف.

فإن تلاقت روحك بروح غيرك فاعلم أنَّ ذلك لشيء اتفقتما عليه فإن تلاقت بأهل الطاعة فهذا دليل الخير فى قلبك، وإن تلاقت بأهل السوء فإنَّ فى قلبك الشر والسوء.

قال مالك بن دينار ما اجتمع شيئان إلا وقد اتفقا...

فرأى يومًا حمامة وغراب...

---

(١) تاريخ دمشق (٥٦/ ٤٢٥).

(٢) الآداب الشرعية لابن مفلح (٤/ ٢٧٧).

فقال سبحان الله !

اجتمعا ولم يتفقا...

فلما طارا وجدهما أعرجين...

قال من هنا اتفقا[١].

قد يسأل سائلًا ويقول: من أصاحب؟

✍ لا تصاحب إلا مؤمنًا:

عن أبى سعيد عن النبى ﷺ قال « **لا تصاحب إلا مؤمنًا ولا يأكل طعامك إلا تقى** »[٢].

وذلك لأن المؤمن يأخذ بيدك إلى الله...

ويحب لك الخير... لا تسمع منه إلا الخير...

ولا ترى منه إلا الخير...

❁ اتخذ خليلًا وصاحبًا يدلك على الآخرة:

- جالس وصاحب أهل الذكر والعلم:

إنهم عندهم تجتمع الملائكة ألا ترغب في صحبة الملائكة.

- صاحب من يذكرك بالله:

فإن هناك أناسًا إذا رأيتهم ذكرت الله...

---

(١) إحياء علوم الدين (٢/ ١٦٢).

(٢) أخرجه أبوداود (٤٨٣٢)، الترمذي (٢٣٩٥)، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣٠٣٦).

إما لهديهم...

أو لسمتهم...

أو لأعمالهم الصالحة.

قال عمر "ما أعطى عبد بعد الإسلام خير من أخ صالح يذكره بالله فإذا رأى أحدكم من أخيه ودًّا فليستمسك به"[١].

- صاحب من يزيد فى عملك كلامه:

إذا تكلم أرشدك إلى الله، ولا تستكثر عنده من العمل.

- صاحب من يرغبك فى الآخرة عمله:

فإنك لا تراه إلا عاملًا...

قائمًا يصلى... جالسًا يذكر الله...

رافعًا يديه يدعو ويتضرع...

إذا سكت سكت عن الباطل...

وإذا تكلم تكلم بالخير.

قال الأوزاعى "سمعت بلال بن سعد يقول"أخ لك كلما لقيك ذكرك بحظك من الله خير لك من أخ كلما لقيك وضع فى كفك دينارًا" [٢].

سئل محمد بن واسع: أي العمل في الدنيا أفضل؟

قال: صحبة الأصحاب، ومحادثة الإخوان إذا اصطحبوا على البر والتقوى

(١) إحياء علوم الدين (٢/ ١٦١).

(٢) الزهد لابن المبارك (٤٨٧)، شعب الإيمان (٧٦٩٣)، الحلية (٥/ ٢٢٥).

ولا خير في صحبة الأصحاب ومحادثة الإخوان إذا كانوا عبيدًا لبطونهم لأنهم إذا كانوا كذلك ثبط بعضهم بعضًا عن الآخرة"[١].

قال رجل لداود الطائى: أوصنى...

قال اصحب أهل التقوى فإنهم أيسر أهل الدنيا عليك مؤنة وأكثر لك معونة"[٢].

سئل بعض الحكماء: أي الكنوز خير؟

قال أما بعد تقوى الله فالأخ الصالح [٣].

✍صاحبك من يقدم لك ما ينفعك لا ما يرضيك:

فإن هذا هوالذي يحبك حقًّا.

فكم من شخص يدَّعى المحبة والصداقة ويقدم لك ما يهلكك يقدم لك فتاة خليعة أو بعض المسكرات، وغير ذلك مما يغضب الله وذلك مما يرضيك عنه وتريد صداقته ويزيد صداقتك به لكنه يضرك ولا ينفعك.

فإن صديقك الحق يقدم لك ما ينفعك، وإن بعدت عنه، وإن لم ترض عنه.

إنه كالطبيب يقدم للمريض ما ينفعه وقد يكون فيه الألم والتعب.

ولكنه مع ذلك يريد لك النفع والخير وإن لم ترض.

✍صاحب من يكون بجانبك فى الأزمات والشدائد:

لا من يعرفك فى الرخاء ويتركك وقت الشدة.

---

(١) تاريخ دمشق (٥٦/ ١٦٢).
(٢) الإخوان لابن أبى الدنيا (١/ ٩٥).
(٣) الإخوان لابن أبي الدنيا (١/ ١١٢).

قال عمر "عليك بإخوان الصدق فعش في أكنافهم فإنهم زين في الرخاء وعدة في البلاء"(١)

فرحم الله الشدائد كل حين تعرفنى عدوي من حبيبى.

وصدق القائل:

إن أخاك الحق من كان معك ... ومن يضر نفسه لينفعك

ومن إذا ريب الزمان صدَّعك ... شتت فيه شمله ليجمعك

رفيق السوء يريدك معه في نار جهنم:

أخى الحبيب:

اعلم أنَّ رفيق السوء يريد أن يكون كل الناس مثله وإنَّ إبليس لما غوى تمنى أن يكون كل الناس غاوون قال تعالى ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [ص: ٨٢].

فالمرأة الزانية تتمنى لو أنَّ كل النساء زنين...

إنَّ الإنسان بطبيعته يحب الأنس بغيره ولو كان في المعصية...

فاحرص على اللحاق بمن سبق من الصالحين...

وغض الطرف عمن سواهم فإنهم لن يغنوا عنك من الله شيئًا...

وإذا نادوك أو نعقوا بك فلا تلتف إليهم.

ماذا أصنع في رفقاء السوء؟

قد يقول قائل ماذا أصنع فى رفقاء السوء وكيف أتركهم بعد عمر طويل؟

---

(١) تاريخ دمشق (٤٤/ ٣٦٠)، شعب الإيمان (٨٣٤٥).

أنا لا أستطيع الحياة بغيرهم.

أخى الحبيب:

إنَّ هذا من تلبيس الشيطان وهمزاته...

لأنك كلما كنت في رفقة أهل السوء فأنت قريب من السوء بعيدٌ عن الصالحات...

إنهم:

كلما اقتربت من الصالحات وحسنت نيتك أفسدوها...

وكلما قويت همتك في السير إلى الله أضعفوها...

وكلما استيقظت توبتك أناموها...

قال مالك بن دينار لختنه المغيرة " انظر كل أخ لك وصاحب لك وصديق لك لا تستفيد منه خيرًا فانبذ عنك صحبته فإنما ذلك عدو لك "[(١)].

أخى الحبيب:

اعقد العزم... وهبَّ هبَّة الأسود...

وانو نية الصالحين... واعزم عزم المتوكلين...

واترك الرفقاء المفسدين...

فإنك إن ابتعدت عنهم قد تجد الخير فى نفسك وهم سبب غيابه وخفائه.

ودليل ذلك قصة قاتل المائة [(٢)].

---

(١) مكارم الأخلاق للخرائطى (٢/ ٢)، تاريخ دمشق (٥٦/ ٤٢٥).

(٢) **متفق عليه:** أخرجه البخاري (٣٤٧٠)، مسلم (٢٧٦٦).

وهو رجل قتل تسعة وتسعين نفسًا...

ولما أراد التوبة دلوه على راهب...

فسأله هل لى من توبة؟

قال: لا...

فقتله فأكمل به المائة...

ثم أراد التوبة...

فسأل فدُلَّ على عالم...

فقال هل لى من توبة؟

فقال: ومن يحول بينك وبين التوبة...

ولكن اترك قريتك فإنها قرية سوء.

وهنا نظر العالم الذي يري بنور الله فرأى أن سبب هلاكه هو سوء قريته، وسوء قرنائه ولكن إذا تركهم سيكون له شأن.

من قتل مائة نفس هل تظن أو تنتظر منه خيرًا؟!

ظهر أنَّ فيه الخير ولكن قريته قرية سوء...

فيدله على قرية أخرى صالحة...

فترك قريته التى نشأ فيها، وعاش مع أهلها، وقد يكون تزوج منهم، وأقاربه فيها...

ولكنه لما علم أنَّ صحبتهم رفقة سوء ستهوي به إلى نار جهنم تركهم ولجأ إلى الله...

وذهب إلى قرية لا يعرف أهلها ولا يعرفونه...

لكنه يعرف أنهم يعبدون الله...

رفقة صالحة تأخذ بيده إلى الجنة...

ولذلك خرج من قريته وترك كل ذلك...

ولذا منَّ الله عليه ولم يعان الغربة ولا المشقة طويلًا...

فقبض الله روحه في الطريق...

وغير الله له نواميس الكون وحرك الأرض واقتربت من القرية الصالحة...

وإن كان لم يصلها ببدنه فقد وصلها بقلبه وروحه وتوبته...

فلما اختصم فيه الملائكة حكَّموا فيهم حكمًا، فقال قيسوا بينه وبين القريتين فأيها كان إليها أقرب كان من أهلها، فوجدوه أقرب إلى القرية الصالحة.

❁ محبة الصالحين تنجيك:

أخي الحبيب:

اعلم أنَّ محبة الصالحين تنجيك فكيف بصحبتك لهم إنَّ النبى ﷺ بين أنَّ من يحب الصالحين قد يلحق بهم وإن لم يعمل عملهم لكن المحبة الخالصة الصادقة توصله إليهم.

عن أنس رضي الله عنه: أنَّ رجلًا سأل النبى ﷺ عن الساعة فقال: متى الساعة؟ قال **وماذا أعددْتَ لها؟** قال لا شيء إلَّا أنِّى أُحِبُّ الله ورسوله ﷺ فقال **أنت مع من أحببْتَ**. قال أنسٌ فما فَرِحْنَا بشيءٍ فَرَحَنا بقول النبى ﷺ أنت مع من أحببْتَ.

قال أنسٌ فأنا أحب النبي ﷺ وأبا بكرٍ وعمر وأرجو أَنْ أكون معهم بحُبِّي

إيَّاهم وإنْ لم أعمل بمثل أعمالهم[١].

قال ابن السماك عند موته "اللهم إنك تعلم أني إذا عصيتك كنت أحب من يطيعك فاجعل ذلك قربة لى"[٢].

قال الفضيل "نظر الرجل إلى وجه أخيه على المودة والرحمة عبادة"[٣].

قال أبوزرعة"ما تحاب رجلان في الله إلا كان أفضلهما أشد حبًّا لصاحبه"[٤].

❁ ابحث عن الرفقاء الصالحين:

أخى الحبيب:

ابحث عن الرفيق الصالح ولا تجلس إلى أهل الدنايا فإنَّ خلائق السفهاء تعدي.

قد يقول قائل: أين أجد هؤلاء؟ إنهم قليلون.

بحثت عن هؤلاء فلم أجدهم.

أخى الحبيب:

إنَّ هؤلاء موجودون في كل زمان وكل مكان وإن كانوا قليلين...

فإن السعداء في كل مكان وزمان موجودون وإن قلوا.

---

(١) **متفق عليه:** أخرجه البخاري (٣٦٨٨)، مسلم (٢٦٣٩).

(٢) إحياء علوم الدين (٢/ ١٦٠).

(٣) إحياء علوم الدين (٢/ ١٦١).

(٤) وهو حديث عن أنس رواه الطبراني (٣/ ١٩٢)، وأبويعلى (٦/ ١٤٣)، وصححه الألباني في الصحيحة (٤٥٠).

وصدق القائل:

تعيرنـــا أنَّـــا قليـــلٌ عديـــدنا فقلـــتُ لهـــا إنَّ الكـــرام قليـــلُ

واعلم أنَّ طريق العُلى قليلة الإيناس...

واعلم أنه إذا عظم المطلوب قل المساعد.

عن إبراهيم التيمى، قال: قال رجل عند عمر اللهم اجعلنى من القليل، قال، فقال: عمر: ما هذا الذي تدعو به؟ فقال: إني سمعت الله يقول: وقليل من عبادي الشكور فأنا أدعو أن يجعلنى من أولئك القليل، قال: فقال: عمر: كل الناس أعلم من عمر [(١)].

قال رسول الله ﷺ **لقد أوذيت فى الله وما يؤذى أحد "**[(٢)].

أخى الحبيب:

اعلم: أنَّ أصحاب الدنيا قد يضلوك، فإنهم يحبونك أنيسًا لهم.

فكلما استوحشت لتفردك فاذكر أهل الآخرة...

واحرص على اللحاق بهم وغض الطرف عمن سواهم فإنهم لن يغنوا عنك من الله شيئًا.

امض فى طريق سيدك ولا تلتف إليهم فإنك إن التفت إليهم أخذوك وأخروك.

يقولون: إنَّ الظبي أسرع من الكلب لكنَّ الكلب يدركه لأنه كثير الالتفات.

---

(١) مصنف ابن أبى شيبة (١٠/ ٣٢٢).

(٢) أخرجه أحمد (١٩/ ٢٤٥)، ابن ماجه (١٥١)، الترمذي (٢٤٧٢)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥١٢٥).

❁ الأمر جد خطير:

ربما يقول: قائل هل صديق السوء بكل هذه الخطورة والضرر؟

نعم: لأن رفقته تجلب لك كل سوء وتجلب لك رفقة الشياطين ورفقة أهل السوء، وقد يكون منهم مغضوبًا عليه، أو ملعونًا، أو مطرودًا من رحمة الله.

فأين تتنزل الرحمات والبركات؟!

عن عمران بن حصين قال بينما رسولُ اللهِ ﷺ فِي بعض أسفارِه، وامرأةٌ من الأنصارِ على ناقةٍ .فضجَرتْ فلعنَتْها .فسمع ذلك رسولُ اللهِ ﷺ. فقال " **خذوا ما عليها ودَعوها. فإنها ملعونةٌ" فكأني أراها تمشى فى الناس ما يعرض لها أحد**[(١)].

فلم يقربوها ولم يخالطوها لأنها ملعونة.

قال لقمان "من لا يملك لسانه يندم، ومن يكثر المراء يُشتم، ومن يصاحب صاحب السوء لايسلم، ومن يصاحب الصالح يغنم"[(٢)].

❁ رفيقك فى الدنيا رفيقك عند الموت:

أخى الحبيب: اعلم:أنَّ رفيقك فى الدنيا هو رفيقك عند الموت...

يحضرك فيذكرك بالمعاصى بالقول أو بالفعل حتى يشغلك عن الآخرة.

وها هى صورة لهذه الرفقة التى تخفق بصاحبها فى آخر لحظات حياته إلى نار جهنم وتضيع عليه أعظم فرصة ألا وهى فرصة التوبة يرويها لنا المسيب بن حزن رضي الله عنه.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٩٥)، أبوداود (٢٥٦١).

(٢) الزهد لابن المبارك (١٠٥٩)، مساوئ الأخلاق للخرائطي (٢/ ٢٠٦).

عن ابن شهاب قال أخبرني سعيد بن المسيب عن أبيه أنه أخبره أنه لمَّا حضرَتْ أباطالب الوفاة جاءه رسول الله ﷺ فوجد عنده أباجهل بن هشام، وعبدالله بن أبى أمية بن المغيرة، قال رسول الله ﷺ لأبى طالب « **يا عمِّ، قل لا إله إلا الله، كلمةً أشهد لك بها عند الله** ».

فقال أبوجهل وعبد الله بن أبى أمية يا أباطالب، أترغب عن ملة عبدالمطلب فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه، ويعودان بتلك المقالة، حتى قال أبوطالب آخر ما كلمهم هو على ملة عبدالمطلب، وأَبَى أَنْ يقول لا إله إلا الله[(١)].

- في يوم من الأيام ذهبنا لزيارة مريض موشك على الموت فحضر بعض أصحابه...

فأخرج واحد منهم سيجارة وأشار له بها...

فقلت له: اتق الله الرجل ينتظر الموت...

فإذا بالمريض يمد يده وهى مرتعشة ويأخذها منه...

فنظر إلىَّ بعض أصدقائه وقال: حتى لا يموت ونفسه فيها شيء.

فقلت في نفسى: بل حتى لا يموت إلا على ما كان يفعل.

فهذا يفعله صديق السوء الذي حضره عند وفاته.

(١) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (١٣٦٠)، مسلم (٢٤).

أما في الآخرة:

فيلعن بعضهم بعضا ويعادي بعضهم بعضا قال تعالى ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾ ﴾ [الفرقان: ٢٧ -٢٩] وقال تعالى ﴿ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [الزخرف: ٦٧] وقال تعالى ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓا۟ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [سبأ]

فوائد وعبر من قصة أصحاب الكهف

إنَّ القصص القرآني هو أكثر آيات القرآن الكريم.

ذلك لأنَّ القصص له وقع في النفوس وعظم في التأثير حيث إنه تقبله كل النفوس وتتشوق لسماعه.

وكذلك فإنَّ كثيرًا ما يعجز الإنسان عن اقتحام العقبات إذا لم يجد أمامه قدوة.

ولذا فكثير ما يذكر الله القصص للعظة والعبرة ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾ ﴾ [يوسف: ١١١].

فإن كان القصص لأناس صالحين كان ذلك لعلو الهمة ورفعها وأخذهم قدوة ومثلًا يسهل به اقتحام العقبات...

وإن كانت لأناس ضالين معرضين فإنه للعظة والعبرة أن لا يصيب الإنسان ما أصابهم.

وجعل الله القصص في أحسن صورة ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴾ [يوسف: ٣].

أحسن القصص في عرضه...

أحسن القصص في إيمائه وبيانه...

أحسن القصص في العظات والعبر...

أحسن القصص في شدة تأثيره.

إنه أحسن القصص...

ومن هذا القصص الذي أورده الله في كتابه قصة أصحاب الكهف...

وهى وردت في سورة الكهف...

ولقد ورد في سورة الكهف بعض القصص...

ورد فيها قصة أصحاب الكهف...

وورد فيها قصة أصحاب الجنتين...

وورد فيها قصة موسى والخضر...

وورد فيها قصة ذى القرنين...

ومع كل ذلك سميت " سورة الكهف ".

وفي ذلك إشارة إلى عظم هذه القصة وأهميتها للمسلم فليكن ذلك منك على بال.

إن الله لطيف خبير حليم ودود فإن أراد انتباه الناس إلى شيء نبه الناس عليه ورغبهم فيه.

❁ ومن ذلك عظَّم أجر قراءة هذه السورة:

لكى يعتنى بها المسلم ويهتم بقراءتها وتدبرآياتها لعله يفوز بهذا الأجر ومن ذلك:

١ – بقراءتها نزلت السكينة من السماء:

عن البراء قال: قرَأ رجلٌ الكهفَ، وفي الدارِ الدابَّةُ، فجعلَتْ تنفِرُ، فسلَّمَ، فإذا

ضبابَةٌ، أو سَحابَةٌ، غشِيَتْه، فذكَره للنبيِّ ﷺ فقال:" **اقرَأْ فُلانٌ، فإنها السكينةُ نزلَتْ للقرآنِ، أو تنزلتْ للقرآنِ**[(١)].

فكأنَّ الله يحث كل حائر تائه مضطرب قلبه، متعب فؤاده، يبحث عن الراحة والسكينة فليقرأ سورة الكهف.

٢- يعصم الله بها من الدجال:

عن أبى الدرداء قال:"قال ﷺ: من حفظ عشر آياتٍ من أول سورة الكهف عصم من الدجال "[(٢)].

وعن أبى الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ "**من قرأ عشر آياتٍ من آخر سورة الكهف عصم من فتنة الدجال**"[(٣)].

ما من نبى إلا وأنذر أمته الدجال:

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: كنا نُحدثُ بحجَّةِ الوداع ولاندري أنه الوداعُ من رسولِ اللهِ ﷺ فلمَّا كان في حجَّةِ الوداع خطب رسولُ اللهِ ﷺ فَذَكَرَ المسيحَ الدجالَ فأطْنَبَ في ذِكْرِهِ ثم قال :"**ما بعث اللهُ من نبيٍّ إلا قد أنذرهُ أُمَّتَه لقد أنذرهُ نوحٌ ﷺ أمتَه والنبيونَ عليهم الصلاةُ والسلامُ من بعدِه إلا ما خَفِيَ عليكم من شأنِه فلا يَخفينَّ عليكم أنَّ ربَّكم ليس بأعورَ**"[(٤)].

وكان ﷺ يستعيذ منه في كل صلاة:

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦١٤)، ومسلم (٧٩٥).

(٢) أخرجه مسلم (٨٠٩).

(٣) أخرجه مسلم (٨٠٩)، أبوداود (٤٣٢٣)، الترمذي (٢٨٨٦) إلا أنه قال "من قرأ ثلاث آيات.."ولفظة ثلاث شاذة كما بينه العلامة الألباني في السلسلة الضعيفة (٣/ ٥٠٩).

(٤) أخرجه البخاري (٣٤٣٩)، مسلم (٢٩٣٣).

عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن رسولَ اللهِ ﷺ كان يَدْعو في الصلاةِ :" **اللَّهُمَّ إني أعوذُ بك مِن عَذاب القَبر، وأعوذُ بك مِن فِتنَةِ المَسيح الدَّجَّالِ، وأعوذُ بك مِن فِتنَةِ المَحْيا وفِتنَةِ المَماتِ، اللَّهُمَّ إني أعوذُ بك مِنَ المَأثَم والمَغْرَم**. فقال له قائلٌ: ما أكثَرَ ما تستعيذُ مِنَ المغرَم؟ فقال: **إنَّ الرجلَ إذا غَرِمَ، حدَّثَ فكَذَبَ، ووعَدَ فأخْلَفَ**"(١).

إنها فتنه كبرى في آخر الزمان، فكل إنسان مسلم يبحث عن عصمته منها إن أدركته، وها هى العصمة في سورة الكهف في حفظ عشر آيات من أولها وفي رواية من آخرها.

٣ – نور فى الدنيا:

عن أبى سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ " **مَن قرأَ سورةَ الكَهفِ فى يوم الجمعةِ ؛ أضاءَ لهُ منَ النُّورِ ما بينَ الجُمعتَين**"(٢).

٤ – نور فى الآخرة:

عن أبى سعيدٍ قال :قال رسول الله ﷺ "**من قرأَ سورةَ الكهفِ كما أُنزلتْ كانت لهُ نورًا يومَ القيامةِ**"(٣).

٥- ومن فضائلها أنها ذكر فيها النبى ﷺ بلفظ العبد:

وهو من أجل الألفاظ وأكرمها أن يوصف الإنسان بالعبودية لله ولذا وصف الله نبيه وحبيبه ﷺ بالعبودية في ثلاث حالات:

---

(١) أخرجه البخاري (٨٣٢).
(٢) أخرجه البيهقى في السنن الكبرى (٥٧٢٩)، الحاكم (٣٣٩٢)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٧٣٦).
(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك (٢٠٧٢)، وصححه الألباني في الصحيحة (٢٦٥١).

- حال إنزال القرآن مثل سورة الكهف ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ﴿١﴾﴾ [الكهف: ١].

- حال الدفاع عنه ﷺ قال ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [البقرة].

- في حال الإكرام والتفضيل كما في الإسراء قال ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾﴾ [الإسراء: ١].

ومن كل ذلك يقول الله لك انتبه وأرعه سمعك وقلبك لتستمع إلى قصة هؤلاء وتتعلم منهم.

ويبدأ الله القصة ببيان قدرته وقوته:

يبين أنَّ قصة أصحاب الكهف كانت عجيبه لكنها ليست أعجب آيات الله ولا تنتهي قدرته سبحانه وتعالى ﷻ عند حد معين مهما عظم فقال ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾﴾ [الكهف: ٩].

القصة مجملة:

يقول تعالى ﴿إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا ﴿١٢﴾﴾ [الكهف: ١٠ – ١٢].

والقصة المجملة تبين لنا موقف أصحاب الكهف وذهابهم إلى الكهف ثم يتناول سبب ذهابهم إلى الكهف.

ولكنه أظهر لنا صورة مشرقة من يقين المسلم...

وأنَّ رحمة الله ليس لها مكان خاص...

قد لا توجد بين الدور والقصور ولا في المباني الفارهه...

وقد توجد في الكهوف المظلمة...

إنهم موقنون مؤمنون بذلك.

فمع أنهم يذهبون إلى الكهف لكنهم علموا أن ربَّ القصور والدور هو رب الكهوف وأنه لا يعجزه شيء في السموات ولا في الأرض.

علموا أنَّ ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها لذلك قالوا ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ ...﴾.

بدءوا بالاعتراف بالربوبية...

أن يا رب ما آوينا إلى الكهف إلا لأننا قلنا أنت ربنا، فهيء لنا أمورنا على أحسن حال ورشد.

ومن أول هذا الرشد قال ﴿ فَضَرَبْنَا ...﴾.

إنَّ الفار بدينه يجلس خائفًا من عدوه ينتظر مصيره ولا يعلم ما يقدر الله...

فلجأوا إلى الله في شدة الجوع والعطش وظلمة الليل والنهار في الكهف.

لذا كافأهم الله وأراح بالهم وأجسادهم وآمنهم حتى لا يخافون ويفزعون فضرب على آذانهم إلى أجل مقدور يبعثهم سبحانه وتعالى.

وهذه ومضه واحدة من قدرة الله ولمسة حانيه من رحمته وحلمه.

❁ القصة تفصيلاً:

يذكر الله القصة مرة أخرى بشيء من التفصيل.

يقول الله تعالى: ﴿ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ ﴾ [الكهف: ١٣]

وكأنَّ سائلًا يسأل:

هل أصحاب الكهف هؤلاء يستحقون كل هذا التفضيل والتعظيم؟

يستحقون أن تسمى السورة باسم كهفهم؟

يستحقون أن يُذكروا في أجل وأعظم كتب الله؟

فكأنَّ الله يجيب على هذا السؤال بـ "نعم ".

لماذا؟

﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾﴾

وقليل ما هم في كل زمان ومكان.

إنهم فتية:

إنَّ الفتوه: ليست بقوة الجسم ولا فتل العضلات...

إنما هى بقوة القلب وثبات الدين...

قال أحمد بن حنبل" الفتوة ترك ما تهوى لما تخشى ".

إنهم فتية:

لأنهم تحملوا المشاق من أجل الحفاظ على دينهم لذا كافأهم الله وزادهم هدى.

لماذا ذهبوا إلى الكهف؟

إنهم كانوا يعيشون في عصر ملك ظالم كافر يدعو الناس إلى عبادة غير الله، لكنهم آمنوا بربهم، ورأوا طريق النور، ودعوا قومهم إلى هذا النور فأبوا، فخافوا على أنفسهم ففروا بدينهم.

وقيل إنَّ بعضهم كان من أبناء الأمراء والملوك في هذا الزمان لكنهم تذوقوا

حلاوة الإيمان ولذته فأنَّى لهم ترك ذلك.

فآثروا الآخرة وتركوا القصور والدور والمتاع وذهبوا إلى ربهم...

إنهم قاموا يدعون قومهم...

ويقولون لهم ربنا رب السماوات والأرض....

فلما لم يجدوا نفعًا ولا خيرًا فيهم اعتزلوهم.

وترك الله الحديث عن قومهم وتحدث عن أحبابه وأوليائه فقال ﴿ وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴿١٦﴾ ﴾ [الكهف: ١٦].

كأنهم خُيروا بين أن يعبدوا الله بالخوف والجوع وفي الكهوف المظلمة...

وأن يعبدوا غيره في الدور والقصور الفارهه...

فآثروا عبادة الله...

فكيف لمسلم ذاق طعم الإيمان أن يتركه لكل متاع الدنيا؟!

ولذا ظهر أثر ذلك في أصحاب النبى ﷺ فتركوا أموالهم وديارهم هجرة وفرارًا بدينهم لله.

وترك سلمان كل ماله ومع كل ذلك قال له النبى ﷺ:ربح البيع أبا يحى.

إنَّ ماله لم يضع، وإنما باعه لله، والبيع والتجارة مع الله تجارة رابحة دائمًا.

إنَّ هذا لشيء عجاب !

إنهم فارقوا أهلهم وديارهم وأموالهم فرارًا بدينهم وآووا إلى الكهف الخشن المظلم.

ولكن هذا الكهف المظلم لك أن تتصوره إذا انتشرت فيه رحمة الله.

وتأمل لفظ "ينشر" لم يقل يرحمكم، أو ينزل عليكم رحمته، وإنما قال ﴿يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴿١٦﴾﴾.

وكأنَّ الكهف الخشن الصلب الصخر أصبح لينًا لما انتشرت فيه رحمة الله.

وكأنَّ الكهف الضيق الصغير أصبح واسعًا فسيحًا لما انتشرت فيه رحمة الله.

وكأنَّ الكهف المظلم المخيف أصبح مضيئًا آمنًا لما انتشرت فيه رحمة الله.

ويالله العجب !

فإنهم يشعرون أنهم في فضاء فسيح واسع آمن لين وهم داخل الكهف.

يالله العجب !

إن الظلمة لتضاء، والأماكن الضيقة تتسع، والأماكن الصلدة لترق وتلين برحمة الله ولطفه.

وكيف يترك الله أولياءه وأحبابه دون رعاية منه ولطف وهو اللطيف الودود.

وصدق قتادة إذ يقول (ومن يتق الله يكن الله معه ومن يكن الله معه تكن معه القوة التى لا تغلب والحارس الذي لا ينام والهادي الذي لا يضل)[(١)].

❁ بعض آثار الرحمة بهم:

١ – إن الله استجاب دعاءهم وهيأ لهم المرفق وهيأ لهم من أمرهم رشدًا ومن ذلك:

قال ﴿وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ۗ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن

(١) صفة الصفوة (٣/ ٢٥٩)، حلية الأولياء (٢/ ٣٣٩).

يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾ ﴾ [الكهف: ١٧] هيأ لهم كهفًا مناسبًا له فتحتان يدخله الهواء وأشعة الشمس ولا تمس الشمس أجسادهم مباشرة حتى لا تؤثر في جلودهم.

وكان الله قادرًا أن ينجيهم من قومهم ثم يميتهم ويدخلهم جنته وهذا أعظم ما تمنوا...

ولكن الله أراد بهم أعظم من ذلك، أراد جعلهم آية...

وأراد رفع ذكرهم وعلو شأنهم...

وأراد العظة والعبرة لمن بعدهم.

كل ذلك من آيات الله.

ثم بين أنَّ الهداية بيد الله...

قد يهدي أناسًا في الكهوف، ويضل أناسًا في القصور إذا أراد ذلك...

ومن أضله الله فلن تجد له وليًّا مرشدًا ولو اجتمعت له الدنيا.

٢- ومن هذه الآثار كانوا ينامون وأعينهم مفتوحة ليمسها الهواء حتى لا تفسد لذا قال ﴿ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ۚ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ ۖ وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ ۚ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿١٨﴾ ﴾ [الكهف: ١].

٣ – هم نائمون والله يتولى أمرهم ﴿وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ ﴾ حتى لا تأكل الأرض أجسادهم.

- ثم يذكر الله موقف كلبهم:

وياالله العجب !

الكلب الذي حرم الله بيعه وشراءه يذكر في كتاب الله...

عن ابن عباس ﷺ قال: نَهى رسولُ اللهِ ﷺ عن ثَمن الكَلب[١] وقالَ: "**إن جاءَ يطلُبُ ثمنَ الكَلب فاملأ كفَّهُ ترابًا**"[٢].

وعن أبى طلحة زيد بن سهل الأنصاري قال: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول :" **لا تدخلُ الملائكةُ بيتًا فيه كلبٌ ولا صورةُ تماثيلَ** "[٣].

ومع ذلك لما رافق الصالحين، وقام بحراستهم لم يحرم من خصيصة له أن يذكر في كتاب الله بل أعظم كتب الله، لقيامه بحراسة أهل الدين وإن كان كلبًا.

يقول ابن كثير: وشملت كلبَهم بركتُهم، فأصابه ما أصابهم من النوم على تلك الحال وهذه فائدة صحبة الأخيار[٤].

٤ – من آثار الرحمة بهم منع الله العبث بهم أو القرب منهم فما رآهم أحدٌ إلا وخاف منهم قال ﴿لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴾.

وظلوا في الغار أكثر من ثلاثمائة سنة...

وأراد الله أن يبعثهم ثانية ليقر أعينهم قبل لقائه...

لأن أصحاب الدعوات والعاملين إلى الله ما يقر أعينهم شيء أكثر مما تقر بهداية الناس وعودتهم إلى الله.

فهم ذهبوا إلى الكهف يملأ قلبهم الخوف على أنفسهم والحزن على قومهم لعدم هدايتهم.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٠٨٦)، مسلم (١٥٦٧).
(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٣/ ٣٩٥)، وقال أحمد شاكر إسناده صحيح.
(٣) أخرجه البخاري (٣٢٢٥)، مسلم (٢١٠٦).
(٤) تفسير ابن كثير (٤/ ٤٢٩).

فأمنهم الله ورعاهم وأيقظهم بعد مئات السنين ليقر أعينهم قبل موتهم.

❁ موقف الاستيقاظ:

ولقد قاموا خائفين...

أصابهم الجوع من طول المكث...

ينظر بعضهم إلى بعض...

كأننا نمنا طويلًا...

لكن لم يعلموا كم لبثوا...

لكنهم يشعرون أنهم لبثوا كثيرًا ويدل على ذلك ما يشعرون به من شدة الجوع.

أراد الله أن ينكشف أمرهم وأن يعثر الناس عليهم...

وهم تصوروا أنَّ الزمان ما زال على حاله ولم يعلموا أنَّ عجلة الزمان قد دارت واستدارت وتغير الحال وآمن قومهم...

فلما ذهب أحدهم ليشتري عُثر عليه وعلم به قومه وجاءهم قومهم فرأوا قومهم على حال أخرى غير ما تركوهم عليه...

وأقر الله أعينهم بإيمانهم وهدايتهم وجعل لهم نصيبًا من هذه الهداية وهم نائمون في الكهف.

ومن هنا أخي الحبيب لابد أن نتعظ ونعتبر من قصص هؤلاء ونتعلم:

- أنَّ دين المسلم أغلى عنده من الدنيا وما فيها، وأنه يستغنى عن الطعام والشراب ولا يستغنى عن دينه.

- أنَّ الهداية بيد الله وأنه يقدر لها وقتًا ومكانًا لا يعلمه إلا الله.

- أنَّ معية الله مع المؤمنين وهو ولى الذين آمنوا في أي مكان وفي أي زمان.

- أنَّ صحبة الأخيار ترفع قدر صاحبها وتديم ذكره وتجلب له الخير.

- المسلم الطائع يكون سعيدًا برحمة الله وتوفيقه وإن كان قليل المتاع وفي أضيق الأحوال.

- إنَّ أعظم قرار لعين الدعاة والعاملين إلى الله هو هداية الناس ورجوعهم إلى الله.

الابتـــــــــلاء

إنَّ الابتلاء سنة سائرة على جميع الخلق...

لا أقول على جميع المؤمنين بل على جميع الخلق.

قال تعالى ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ۝٢﴾ [الإنسان: ٢].

إنَّ البلاء ينزل بالمؤمن الحق لكنه لا يقهره، بل لا تزيده الشدائد إلا عزيمة مع عزيمة وقوة مع قوة كالذهب الأصيل لا تزيده النار إلا نقاءً وصفاءً.

قال على بن أبى طالب: جئت المسجد فطلع علينا مصعب بن عمير فى بردة له مرقوعة بفروة وكان أنعم غلام بمكة وأرفه فلما رآه رسول الله ﷺ ذكر ما كان فيه من النعيم فذرفت عيناه له [(١)].

لا بد أن نعلم أنَّ الدين الذى جاء به النبى محمد ﷺ ليس حركة إصلاح عارضة إنما هو منهج حياة.

ولا بد للمؤمن أن يأخذ هذا الدين بتاريخه وبطولاته وتضحياته.

إنَّ هذه التضحيات هى الأساس والقوة التى تهب هذا الدين ثباتًا لايزول وخلودًا لا يبلى... ثباتًا لا تعرف البشرية له مثيلًا...

إنها العبير الذى يملأ قلوب المؤمنين راحة وطمأنينة...

---

(١) مسند أبي يعلى الموصلي (١/ ٣٨٧)، سير أعلام النبلاء (١/ ١٤٧).

إنها المنار الذي يهدي الأجيال القادمة إلى حقيقة هذا الدين.

ولقد بين القرآن الكريم هذا المعنى للمؤمنين فقال تعالى ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ ﴾ [العنكبوت: ٢].

هكذا علم القرآن حملته وأبناءه أنَّ التضحية هى جوهر الإيمان...

وأنَّ مقاومة الابتلاءات بالثبات والصبر والإصرار إنما تشكل أبهى فضائل الإيمان وأروعها.

ومن ثم يختارالله لهذه المهمة الجليلة نفرًا من أبناء هذا الدين وأوليائه وأبراره ويكونون قدوة سامقة ومثلًا عليا للمؤمنين القادمين...

وأزاد الله ابتلاء الصالحين فعن أبى سعيد الخدرى ﷺ قال: قال ﷺ " **أشدُّ الناس بلاءً الأنبياءُ، ثم الأمثلُ فالأمثلُ، يُبتلى الناسُ على قدْرِ دينِهم، فمن ثَخُنَ دينُه اشْتدَّ بلاؤُه، ومن ضعُف دينُه ضَعُف بلاؤه، وإنَّ الرجلَ لَيُصيبُه البلاءُ حتى يمشىَ فى الناس ما عليه خطيئةٌ**"[(١)].

وسنن الله لا تتغير ولا تتبدل بضجر مضطجر أو اعتراض معترض، بل هى سنة دائمة للناس جميعًا.

فإن قيل ما فائدة الابتلاء؟

الابتلاء ليس عذابًا للناس بغير حكمة...

فالله يريد بالناس التخفيف واليسر ولا يريد بهم العذاب قال تعالى ﴿ مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾ ﴾

[النساء: ١٤٧].

(١) أخرجه الترمذي (٢٣٩٨)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٩٩٣).

ولكن ما قدر الله شيئًا إلا لحكمة عظيمة علمها من علمها وجهلها من جهلها.

❁ حكم ومنن في أمواج الابتلاء:

١ - إظهار الصادق من الكاذب:

فكل الناس يظن في نفسه الخير ويدعيه ولكن ليس كل دعوى مصدقة أو صحيحة.

فلابد من إثبات لهذا الزعم...

ويكون هذا بالابتلاء...

فكم من ضعيف ظنَّ أنه لا يصبر على الابتلاء فلما ابتلاه الله صبر وكان له قوة...

وكم من قوي ظن في نفسه القوة فلما نزل به الابتلاء جزع وذهبت قوته.

قال تعالى ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝٢﴾ [العنكبوت: ١ - ٢].

٢- رفع الدرجات:

قد يكون الابتلاء لرفع درجات المبتلَى.

فقد يكون العبد ضعيف الهمة قليل العمل لكنه صالح النية والقلب فيريد الله أن يرفعه إلى درجة لا يبلغها عمله فيبتليه.

وقد يكون رفع الدرجات باتخاذه عنده من الشهداء قال تعالى ﴿إِن يَمۡسَسۡكُمۡ قَرۡحٞ فَقَدۡ مَسَّ ٱلۡقَوۡمَ قَرۡحٞ مِّثۡلُهُۥۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيۡنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمۡ شُهَدَآءَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٠]

٣- محو الذنوب والخطايا:

قد يحمل العبد بالذنوب ويثقل بالخطايا...

وقد لا يجعل لنفسه سبيلًا إلى التوبة والرجوع...

لغفلة منه... أو فتنة تحيط به...

أو شيطان يُمنِّيه... أو دنيا تشغله...

فيريد الله أن ينقيه من الذنوب وإن لم يشعر أو يلتفت... فيبتليه.

يالها من رحمة ولطف من اللطيف الرحيم.

لذا يقول ﷺ " **عجبًا لأمر المؤمن إنَّ أمرَه كلَّه خيرٌ وليس ذاك لأحدٍ إلا للمؤمن إن أصابته سراءُ شكرَ فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراءُ صبر فكان خيرًا له**"(١).

وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال ﷺ " **ما يُصيبُ المُسلِمَ، مِن نَصَب ولا وَصَب، ولا همٍّ ولا حزنٍ ولا أذًى ولا غمٍّ، حتى الشَّوكةِ يُشاكُها، إلا كفَّر اللهُ بها ن خَطاياهُ**"(٢).

٤- رفعه لدرجة الصابرين:

إنَّ الصابرين لهم درجة عظيمة لا يرفع إليها ولا يمتثلها إلا أهل الابتلاء،فإنَّ الله إذا ابتلاهم وصبروا قد أعطاهم الله أوسع عطاء.

عن أبى سعيد الخدرى قال: قال ﷺ " **إنَّ ناسًا من الأنصارِ، سألوا رسول الله ﷺ فأعْطَاهم، ثم سألُوهُ فأعْطاهم، حتى نَفِدَ ما عندهُ**، فقال "**ما**

(١) أخرجه مسلم (٢٩٩٩).

(٢) أخرجه البخاري (٥٦٤١)، مسلم (٢٥٧٣).

يكون عِندى من خير فلن أدَّخِرَهُ عنكم، ومن يستعْفِفْ يُعِفَّهُ اللهُ، ومَن يَستَغن يُغنِهِ اللهُ، ومَن يتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللهُ، وما أُعطِىَ أحدٌ عطاءً خيرًا وأوسعَ مِنَ الصَّبر"[(١)].

ولما كان الصبر أوسع عطاء جازاهم الله عليه بأوسع أجر قال ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾ ﴾ [الزمر: ١٠].

بل أثنى الله عليهم فقال ﴿ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَ�ٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ ﴾ [البقرة: ١٥٦].

٥- الابتلاء يذكر العبد بالله:

فإنَّ العبد تحيط به الأعداء من كل جانب...

الدنيا...الشهوات...الشيطان، وغيرها.

كلٌّ ينال منه، وكل يريد أن يقطع عليه طريقه إلى الله أو يشغله عن ذكر الله وتذكر أمره.

لذا كلما أخذته الدنيا وانشغل عن ربه ابتلاه الله تعالى بأخذ ماله أو ولده أو مرض يصيبه أو غير ذلك، فعندها يتذكر ربه ويرفع يديه إلى السماء طالبًا من الله العفو والغفران ورفع البلاء.

وغير ذلك من الفوائد العظيمة...

ومن هنا تعلم أخى الحبيب:

أنَّ الله ما ابتلاك ليعذبك...

---

(١) أخرجه البخاري (١٤٦٩)، مسلم (١٠٥٣).

فإنه ما ابتلاك إلا ليرقيك...

وما أمرضك إلا ليشفيك...

وما أخذ منك إلا ليعطيك...

❁ الابتلاء دليل إرادة الخير بالعبد:

عن أبى هريرة رضي الله عنه قال:قال ﷺ" **من يُرِدِ اللهُ به خيرًا يُصِبْ مِنهُ** "[١]

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ" **إنَّ عِظَمَ الجزاءِ مع عِظَمِ البلاءِ ؛ وإنَّ اللهَ تعالى إذا أحبَّ قومًا ابتلاهم، فمن رضىَ فله الرضى، ومن سخِط فله السُّخطُ** "[٢].

❁ الدنيا دار بلاء:

وهكذا جبل الله الدنيا على حال لا تخلو من الكدر والابتلاء...

حتى لا يركن العبد إليها وكلما ركنت إليها أخذها منك حتى تتركها وتعود إلى ربك...

وإن بحثت جاهدًا عن راحة كاملة في الدنيا...

فستجهد نفسك... وسينقطع أملك...

ولن تحصل على ذلك أبدًا.

❁ الابتلاء قرين الإيمان:

فالابتلاء أمر عام ولكن يزيد بأهل الإيمان والعمل الصالح...

---

(١) أخرجه البخاري (٥٦٤٥).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٣٩٦)، ابن ماجه (٤٠٣١)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢١١٠).

قال ﷺ " **أشد الناس بلاء...**"[(١)].

ربما يسأل سائل: كيف يكون ذلك؟!

أكلما اقتربتُ من الله ابتلاني أم رحمنى؟!

إنَّ الابتلاء رحمة، والله تعالى يبتلى العبد الصالح...

ليرفع درجاته ويكفر سيئاته...

ويمنحه مننًا منه تعالى كالتوفيق والصبر والرضا...

فإنه إن لم يوفقه لم يوفق...

وقد يكون الابتلاء قليلًا...

ولكن الله يحرم صاحبه التوفيق فيجزع ويسخط فيسخط الله عليه.

صور من الابتلاء:

ابتلاء الحبيب محمد ﷺ:

أخى الحبيب:

اعلم أنَّ أكرم الخلق على الله هو محمد ﷺ.

ومع ذلك فإنَّ الله قد ابتلاه...

فلو كان الابتلاء مهانة ما قدره الله على خليله وحبيبه...

فلما قدره عليه علم أنه مكرمة...

بل إنه ابتلاه واشتد عليه في الابتلاء.

---

(١) سبق تخريجه وهو حديث صحيح عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

ابتلاه الله في بدنه:

عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: دخلتُ على النبى ﷺ وهو يُوعَكُ، فَمَسسْتُهُ بيدي فقُلْت: إنَّكَ لَتُوعَكُ وَعْكًا شَدِيدًا، قال " **أجل، كما يُوعَكُ رَجُلانِ منكُم**" قال: لك أجرانِ؟ قال " **نعم، ما من مُسلم يُصيبُهُ أذًى، مرَضٌ فما سِواهُ، إلا حَطَّ اللهُ سَيِّئاتِهِ، كما تَحُطُّ الشَّجَرَةُ وَرَقَها**"[(١)].

عن عبد الله بن مسعود قال: بينما رسولُ اللهِ ﷺ يصلى عند البيتِ،وأبو جهل وأصحابٌ له جلوسٌ، وقد نُحِرَتْ جزورٌ بالأمس. فقال أبو جهل: أيكم يقوم إلى سَلا جزورِ بنى فلانٍ فيأخذه، فيضعه في كَتِفَى محمدٍ إذا سجد؟ فانبعث أشقى القوم فأخذه فلما سجد النبىُّ ﷺ وضعَه بين كتفَيه. قال: فاستضحكوا. وجعل بعضُهم يميلُ على بعض. وأنا قائمٌ أنظر لو كانت لى منَعَةٌ طرحتُه عن ظهر رسولِ اللهِ ﷺ، والنبىُّ ﷺ ساجدٌ، ما يرفع رأسَه حتى انطلق إنسانٌ فأخبر فاطمةَ. فجاءت، وهى جُويريةٌ، فطرحتْه عنه. ثم أقبلت عليهم تشتُمُهم فلما قضى النبىُّ ﷺ صلاتَه رفع صوتَه ثم دعا عليهم وكان إذا دعا، دعا ثلاثًا وإذا سأل، سأل ثلاثًا. ثم قال " **اللهمَّ !عليك بقريش** " **ثلاثَ مراتٍ**، فلما سمعوا صوتَه ذهب عنهم الضحكُ وخافوا دعوتَه ثم قال " **اللهمَّ عليك بأبى جهل بن هشام، وعتبةَ بن ربيعةَ، وشيبةَ بن ربيعةَ، والوليدِ بن عتبة، وأميةَ بن خلفٍ، وعقبةَ بن أبى مُعَيطٍ** " (وذكر السابعَ ولم أحفظْه) فوالذي بعث محمدًا ﷺ بالحقِّ ! لقد رأيتُ الذين سمَّى صَرْعى يومَ بدرٍ. ثم سُحِبوا إلى القَليب، قليب بدر" [(٢)].

ولما ذهب الى الطائف يدعوهم إلى الله لا يريد منهم جزاءً ولا

---

(١) أخرجه البخاري (٥٦٦٧)، مسلم (٢٥٧١).

(٢) أخرجه البخاري (٢٤٠)، مسلم (١٧٤٩).

شكورًا...

إنهم يتهافتون في النار وهو يأخذ بحجزهم حتى لا يقعوا فيها...

ومع ذلك أرسلوا له الغلمان والعبيد يضربونه بالحجارة...

وتصور معى...

إنَّ خير الخلق أجمعين من لدن آدم يتبعه العبيد والأطفال يضربونه بالحجارة...

وهو يسرع ويهرول ويحمى نفسه ووجهه من الحجارة...

ويحميه زيد بجسده...

حتى هام ﷺ على وجهه، يسير وهو لا يشعر كأنه مغشى عليه، ولم يفق إلا بقرن الثعالب.

عن عائشة رضي الله عنها أنها قالتْ للنبيِّ ﷺ: هل أتى عليك يومٌ أشدُّ من يوم أُحدٍ؟ قال "**لقد لقيتُ من قومك ما لقيتُ، وكان أشدَّ ما لقيتُ منهم يومَ العقبةِ، إذ عرضت نفسى على ابن عبدِ ياليل بن عبدِ كلال، فلم يجبنى إلى ما أردتُ، فانطلقتُ وأنا مهمومٌ على وجهى، فلم أستفقْ إلا وأنا بقرنِ الثعالب، فرفعتُ رأسى، فإذا أنا بسحابةٍ قد أظلَّتنى، فنظرتُ فإذا فيها جبريلُ، فنادانِ فقال: إن اللهَ قد سمع قول قومِك لك، وما ردوا عليك، وقد بعث اللهُ إليك ملكَ الجبالِ، لتأمره بما شئتَ فيهم، فنادانِ ملكُ الجبالِ، فسلَّم علىَّ، ثم قال: يا محمدُ، فقال: ذلك فيما شئتَ، إن شئتَ أن أُطبقَ عليهم الأخشبَين؟** فقال النبيُّ ﷺ: **بل أرجو أن يخرجَ اللهُ من أصلابهم من يعبد اللهَ وحده، لا يشركُ به شيئًا**"[(١)].

(١) أخرجه البخاري (٣٢٣١)، مسلم (١٧٩٥).

وكان يأتيه عقبة بن أبى معيط فيضع ثوبه في عنقه ويخنقه به خنقًا شديدًا.

عن عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ قال: بينا رسولُ اللهِ ﷺ يُصلِّى بفِناءِ الكعبةِ إذ أقبَل عُقبَةُ بنُ أبى مُعَيطٍ فأخَذ بمنكب رسولِ اللهِ ﷺ ولوى ثوبَه في عُنُقِه فخنَقه خَنقًا شديدًا، فأقبَل أبو بكر فأخَذ بمنكبه ودفَع عن رسولِ اللهِ ﷺ وقال ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ﴾ [غافر:٢٨][(١)].

ابتلاه الله في ولده:

فمات أولاده الذكور في صغرهم بعدما قرت بولادتهم عينه فرضى واحتسب واسترجع.

عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ **"وُلِدَ لىَ اللَّيلةَ غلامٌ فسمَّيتُهُ باسم أبى إبراهيمَ** ثمَّ دفعتُهُ إلى أمِّ سيفٍ امرأةِ قين يقالُ لَهُ أبو سيفٍ فانطلقَ يأتيهِ واتَّبعتُهُ فانتَهينا إلى أبى سيفٍ وَهوَ ينفخُ بكيرِهِ قدِ امتلأَ البيتُ دخانًا فأسرعتُ المشىَ بينَ يدي رسولِ اللهِ ﷺ فقلتُ يا أبا سيفٍ أمسِك جاءَ رسولُ اللهِ ﷺ فأمسَكَ فدعا النَّبىُّ ﷺ بالصَّبىِّ فضمَّهُ إليْهِ وقالَ ما شاءَ اللهُ أن يقولَ فقالَ أنسٌ لقد رأيتُهُ وَهوَ يَكيدُ بنفسِهِ بينَ يدي رسولِ اللهِ ﷺ فدمَعت عينا رسولِ اللهِ ﷺ فقالَ: **"تدمعُ العينُ ويحزَنُ القلبُ ولا نقولُ إلَّا ما يُرضى ربَّنا واللهِ يا إبراهيمُ إنَّا بكَ لمَحزونونَ"**[(٢)].

ابتلاه الله في ماله:

فكان يمر عليه ثلاثة أهلَّة لا يوقد في بيته نار، وهو النبي ﷺ، الذي لو

---

(١) أخرجه البخاري (٤٨١٥).

(٢) أخرجه البخاري (١٣٠٣)، مسلم (٢٣١٥).

أراد أن تكون جبال مكة ذهبًا لكانت بإذن الله.

يقول أبو هريرة ﷺ: كان يمُرُّ بآلِ رسولِ اللهِ ﷺ هلالٌ ثُمَّ هلالٌ لا يُوقَدُ في بيوتِهم شيءٌ من النَّارِ لا لخبز ولا لطبيخ قالوا بأيِّ شيءٍ كانوا يعيشونَ يا أبا هُرَيرةَ قال الأَسْودانِ التَّمرُ والماءُ وكان لهم جيرانٌ من الأنصارِ جزاهم اللهُ خيرًا لهم منائِحُ يُرسِلونَ إليهم شيئًا من لبن [(١)].

وكان يقوم فيسأل نساءه عن طعام فإن لم يجد فيقول إني إذًا صائم فعن عائشة ﷺ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ أتاها، فقالَ " **هل عندَكُم طعامٌ؟**" فقُلتُ: لا ! فقالَ " **إنِّي صائمٌ** " ثمَّ جاءَ يومًا آخرَ، فقالت عائشةُ: يا رسولَ اللهِ، إنَّا قد أُهْديَ لَنا حَيسٌ، فدعا بهِ، فقالَ " **أما إنِّي قد أصبحتُ صائمًا** " فأَكَلَ [(٢)].

ابتلاء الله بالحديث في عرضه:

بل في أحب النساء إليه وأقربهم منه عائشة، فعن عمرو بن العاص أَنَّهُ، قالَ: يا رسولَ اللهِ مَن أحبُّ النَّاس إليكَ؟ قالَ "**عائشَةُ**" قالَ مِنَ الرِّجالِ؟ قالَ "**أبوها**"[(٣)].

وظل النبى ﷺ أيامًا في هذا الغم حتى رفع الله عنه وبرأها من فوق سبع سماوات بأبى أنت وأمى يا رسول الله.

❁ نبي الله يعقوب وابنه يوسف:

إنَّ يوسف كان من أحب أبناء يعقوب إليه لصغره وجماله وأمارات الدين والتقى التى تظهر في عينيه.

---

(١) أخرجه البخاري (٢٥٦٧).

(٢) أخرجه مسلم (١١٥٤)، النسائى (٢٣٢٨).

(٣) أخرجه البخاري (٤٣٥٨)، مسلم (٢٣٨٤).

فابتلاه الله فيه قال تعالى ﴿لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِّلسَّائِلِينَ ﴿٧﴾﴾ [يوسف: ٧].

ووضعوه في البئر وعادوا ليلًا لأبيهم قال تعالى ﴿وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ ﴿١٦﴾﴾ [يوسف: ١٦].

فلما نزل عليه الابتلاء قال قول الصابرين ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾﴾ [يوسف: ١٨].

ثم استمرالابتلاء بيعقوب، في كل يوم يذكر فيه يوسف أو يرى ملابسه أو مضجعه تتألب عليه الهموم والأحزان.

وبدأ البلاء مع يوسف:

ـ في البئر:

وهو صغير وحده في البئر لا حول له ولا قوة...

وبعد مدة وزمن جاءت سيارة...

فظن أنه الفرج وذهب البلاء...

ولكنه وجد نفسه منتقلًا من البلاء إلى البلاء...

- فأخذته السيارة فباعوه عبدًا وخادمًا...

وما أشد ذلك على النفس ابن نبى حر طليق يصبح عبدًا خادمًا في بيت عزيز مصر...

وظل في الرق زمنًا حتى إذا اشتد عوده واستوى...

ظن أنَّ الابتلاء قد انتهى والفرج قد حان...

وإذا بابتلاء آخر ومحنة جديدة أشد مما سبق ومضى...

- فتنة امرأة العزيز:

قال تعالى ﴿وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [يوسف].

واشتدت المحنة عليه...

إذ الداعى للمعصية شديد وعظيم...

فالمرأة هى الداعية...

وكانت ذا حسن وجمال...

وتزينت وتهيأت له...

وغلقت الأبواب...

وهى سيدته...

وهو خادمها مأمور بأمرها...

وهو غريب عن البلد...

وخيرته بين الفاحشة أو السجن...

لكنه مع كل ذلك لما خُيِّر بين الابتلاء في الدنيا والابتلاء في الدين ﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [يوسف: ٣٣].

ولجأ إلى ربه فاستجاب له فقال " وإلا تصرف عنى كيدهن...".

والمسلم كل ابتلاء عنده يهون إلا أن يكون في الدين.

لذا رضى يوسف بالسجن وترك اللذة والمتعة والشهوة لأنها في الحرام، فرضي بسجن الدنيا وعلم أنه أهون من سجن الآخرة.

- واشتد البلاء على أبيه:

ففقد ابنه الثانى...

وجلس يبكى حزينًا...

فزاد ابتلاؤه قال تعالى ﴿ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾ ﴾ [يوسف: ٨٤].

فلما علم الله منه الصدق والرضا والصبر الجميل رفع الله عنهم كل هذا الابتلاء، وعوضهم عن كل ما أخذ منهم خيرًا.

فجمعهم جميعًا...

وألف بين يوسف وإخوته...

وعفا عنهم...

ولقى أبويه ورفعهما على العرش...

وأصبح يوسف كالملك على خزائن مصر قال تعالى ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [يوسف: ٢٢].

❁ ابتلاء الصالحين:

عمار بن ياسر وأبوه وأمه:

ها هو الابتلاء يحيط ببيت كامل من أجل الدين والإيمان ﴿ وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٨﴾ ﴾ [البروج: ٨].

ويعذبون بالنار والضرب ووضع الصخور عليهم...

وهم ثابتون راسخون...

وكان النبي ﷺ يمر عليهم ويقول:

"**صبرًا آل ياسر، فإنَّ موعدَكم الجنةُ**"[١].

ويموت ياسر من العذاب أمام عين ابنه وزوجه...

ويشتد العذاب عليهم...

فيضرب أبو جهل أمه بحربة فتموت أمام عينه...

ويستمر العذاب والابتلاء على عمار...

فلما اشتد العذاب والبلاء ولم يتحمل، وأراد الله أن يخفف عنه راودوه أن يقول قولًا في النبى ﷺ...

فقال. فتركوه.

فذهب إلى النبى ﷺ باكيًا لما صنع كما جاء في الحديث:

أخذ المشركون عمار بن ياسر فلم يتركوه حتى سب النبى ﷺ وذكر آلهتهم بخير ثم تركوه فلما أتى رسول الله ﷺ قال " **ما وراءك؟**" قال: شر يا رسول الله ما تُركتُ حتى نِلتُ منك وذكرتُ آلهتهم بخير قال " **كيف تجد قلبك؟**" قال مطمئنًّا بالإيمان قال " **إن عادوا فَعُد**"[٢].

بل كرمه الله فأنزل فيه قرآنًا يطمئنه ويسلى قلبه...

بل جعل ذلك فرجًا للأمة كلها قال تعالى ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ

(١) قال الألباني في تعليقه على فقه السيرة حسن صحيح عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه (١٠٣).

(٢) أخرجه البيهقى في السنن الكبرى (٨/ ٢٠٨)، الحلية (١/ ١٤٠)، الحاكم في المستدرك وقال صحيح ووافقه الذهبى (٢/ ٣٨٩)، وقال ابن كثير في إرشاد الفقيه حديث صحيح (٢/ ٢٩٥).

غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾ ﴾ [النحل: ١٠٦].

أبوقلابة الجرمى:

قال الأوزاعى عن عبدالله بن محمد قال " فلما انتهيت إلى الساحل فإذا أنا ببطيحة وفي البطيحة خيمة فيها رجل قد ذهب يداه ورجلاه وثقل سمعه وبصره وما له من جارحة تنفعه إلا لسانه وهو يقول " اللهم أوزعنى أن أحمدك حمدًا أكافئ به شكر نعمتك التى أنعمت بها علىَّ وفضلتنى على كثير ممن خلقت تفضيلًا.

قال الأوزاعى: قال عبدالله: قلت والله لآتين هذا الرجل ولأسألنه أنَّى له هذا الكلام...

فهم أم علم أم إلهام؟!

فأتيت الرجل فسلمت عليه...

فقلت: سمعتك وأنت تقول كذا وكذا فأي نعمة من نعم الله عليك تحمده عليها...

وأي فضيلة تفضل بها عليك تشكره عليها.

قال: وما ترى ما صنع بى ربى؟

والله لو أرسل السماء علىَّ نارًا فأحرقتنى...

وأمر الجبال فدمرتنى...

وأمر البحار فأغرقتنى...

وأمر الأرض فابتلعتنى...

ما زدت لربي إلا شكرًا...

لما أنعم علىَّ من لساني هذا...

ولكن يا عبدالله...

إذ أتيتنى لى إليك حاجة...

قد تراني على أي حالة أنا وأنا لست أقدر لنفسى على ضر ولا نفع ولقد كان معى بنى لى يتعهادني في وقت صلاتي فيوضئنى...

وإذا جعت أطعمنى...

وإذا عطشت سقاني...

ولقد فقدته منذ ثلاثة أيام فتحسسه لى رحمك الله.

فقلت والله ما مشى خلق في حاجة خلق كان أعظم عند الله أجرًا ممن يمشى في حاجة مثلك ومضيت في طلب الغلام...

فما مضيتُ غير بعيد حتى صرتُ بين كثبان من الرمل...

فإذا أنا بالغلام قد افترسه سبع وأكل لحمه فاسترجعت...

أنَّى لى وجه رقيق آتي به الرجل؟!

فبينما أنا مقبل نحوه...

إذ خطر على قلبى ذكر أيوب النبى ﷺ...

فلما أتيت سلمت عليه.

فرد علىَّ السلام.

فقال ألست بصاحبى؟

قلتُ: بلى.

قال: فما فعلتَ في حاجتى؟

قلتُ: أنت أكرم على الله أم أيوب النبى؟

قال: بل أيوب النبى.

قلتُ: علمتَ ما صنع به ربك؟

أليس قد ابتلاه بماله وآله وولده؟

قال: بلى.

قلتُ: فكيف وجده؟

قال: وجده صابرًا شاكرًا حامدًا.

قلت: لم يرض منه ذلك حتى أوحش من أقربائه وأحبائه.

قال: نعم.

قلت: فكيف وجده ربه؟

قال: وجده صابرًا حامدًا شاكرًا.

أوجز رحمك الله.

قلتُ: إنَّ الغلامَ الذي أرسلتَنى في طلبه وجدتُه بين كثبان الرمل وقد افترسه سبع فأكل لحمه فأعظم الله لك الأجر وألهمك الصبر.

قال الحمد لله الذي لم يخلق من ذريتى من يعصيه فيعذبه بالنار...

ثم استرجع...

وشهق شهقة ثم مات...

فقلتُ: إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون عظمت مصيبتي...

مثل هذا إن تركتُه أكلتْه السباع، وإن قعدتُ لم أقدر على ضر ولا نفع...

فسجيته بشملة كانت عليَّ وقعدتُ عند رأسه باكيًا.

فينما أنا قاعد إذ تهجم عليَّ أربعة رجال...

فقالوا: يا عبد الله ما حالك وما قصتك؟

فقصصتُ عليهم قصتى وقصته.

قالوا لى: اكشف لنا عن وجهه عسى أن نعرفه.

فكشفتُ عن وجهه.

فانكب القوم عليه يقبلون عينيه مرة ويديه أخرى...

ويقول أحدهم بأبى عين طالما غضَّتْ عن محارم الله...

وبأبى جسد طالما كان ساجدًا والناس نيام...

فقلت: من هذا؟ يرحمكم الله.

فقالوا: هذا أبوقلابة الجرمى صاحب ابن عباس...

لقد كان شديد الحب لله ولرسوله ﷺ.

فغسلناه وكفناه بأثواب كانت معنا وصلينا عليه ودفناه...

فانصرف القوم وانصرفتُ إلى رباطى...

فلما أن جنَّ عليَّ الليل وضعتُ رأسى...

فرأيتُه فيما يرى النائم في روضة من رياض الجنة وعليه حلتان من حلل الجنة وهو يتلو الوحى ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ٢٤﴾ [الرعد: ٢٤].

فقلتُ: ألست بصاحبي؟

قال: بلى.

قلت: أنَّى لك هذا؟

قال: إنَّ لله درجات لا تُنال إلا بالصبر عند البلاء والشكر عند الرخاء مع خشية الله ﷻ في السر والعلانية [(١)].

❁ صورة من ابتلاء النساء:

وكيف يحرم الله النساء من الابتلاء وفيه رفع الدرجات وتكفير السيئات ومنحة رب البريات. فإنَّ المرأة وان كانت ضعيفة لكنَّ الله تعالى لا يكلف نفسًا إلا وسعها...

ولا يقدر الله الابتلاء على عبد أو أمة إلا وهو يقدر على الصبر عليه...

لكنَّ الموفق من وفقه الله تعالى، والمحروم من حرمه الله تعالى.

✍ ماشطة ابنة فرعونْ:

وهى قصة أغرب من الخيال...

لشدة البلاء فيها وعظم الصبر والثبات...

ولولا أنَّ رسول الله ﷺ أشار إليها ما صدقناها.

ماشطة بنت فرعون:

إنَّ اسم فرعون اسم يقذف في القلب الرعب لما له من الطغيان والجبروت.

لقد توعد موسى بالسجن قال تعالى ﴿قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى

(١) الثقات لابن حبان (٥/ ٣).

﴿لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [الشعراء: ٢٩].

وتوعد السحرة بقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف قال تعالى ﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾﴾ [الأعراف: ١٢٤].

وذهب خلف موسى وجنده وأحاط بهم وأوشك على القضاء عليهم لولا معية الواحد القهار. وماذا عساها أن تصنع امرأة ضعيفة خادمة في بيت فرعون.

امرأة أسلمت لله رب العالمين كانت ماشطة لابنة فرعون...

وهى تمشط ابنة فر عون سقط المشط من يدها...

فقالت: بسم الله.

فقالت: البنت أبى؟

قالت: كلا بل ربى ورب أبيك هو الله.

فأخبرت أباها...

ولك أن تتصور عندما يصل الخبر إلى فرعون...

امرأة في بيته أسلمت لله...

فما قدر الغيظ والحنق من فرعون عليها...

وما قدر الخوف والفزع للمرأة الضعيفة...

فأتى بها فرعون فسألها ليتبين من الأمر إذ أنه لا يتصور الأمر...

فقالت: ربى وربك الله.

قال: ارجعى.

لن أرجع.

القتل سيكون مصيرك.

قالت: وإن.

سأحرمك من أبنائك.

قالت: وإن.

فأتى بها ليجعلها عبرة للناس...

وأراد الله أن يجعلها أسوة ونبراسًا للمؤمنين.

أرادوا بها كيدًا، فجعلها الله العليا وجعلهم الأسفلين.

أرادوا أن يجعلوها خاسرة لنفسها وولدها، فأربحها الله وجعلهم الأخسرين.

وجمع فرعون الناس...

ياله من موقف مروع...

فرعون وملأه وحاشيته وجنوده والناس من خلفهم ينظرون...

وكل ذلك يكون مُتحدًّى بواسطة امرأة ضعيفة...

ضعيفة ببدنها قوية بإيمانها...

هزيلة بجسدها قوية بربها...

وحيدة بنفسها آنسة بمعية إلهها...

فأتى فرعون وملأه...

وأمروا بإيقاد النيران ووضعوا قدور الزيت عليها...

وأتوا بالأطفال مع أمهم...

أطفالها معها لا يدرون ما يُفعل بهم ولا ما هو مصيرهم غير أنهم يتعلقون بأمهم...

وإذا بالمفاجأة...

يؤخذ واحد منهم أمام أعينهم وعين أمهم ويرفع على قدور الزيت...

أتعودين؟

فقالت: لا.

الأمر ليس هزلًا أو تهديدًا إنه جد وحق...

فوُضع الابن في الزيت...

فكأنِّى بالأم...

لا تستطيع النظر لابنها...

وتغمض عينيها...

وتصرخ ولدي... ولدي...

وإذا به ينتهى في لحظات وتفيض روحه ولم تبق إلا عظامه...

وهنا يشتد الموقف وتشتد المحنة ويعلم الأبناء مصيرهم وتعلم الأم مصيرهم...

فيؤخذ الثاني...

ويرفع...

ويصرخ...

وتصرخ الأم ولدي... ولدي...

فيوضع في الزيت...

فتفيض روحه ولم تبق إلا عظامه...

وتشتد المحنة على الأم المسكينة...

ويتعلق أبناءها بها وبثيابها...

يظنون أنَّ عندها النجاة والحماية...

ولكنها لا تستطيع حماية نفسها فلا تدري أتبكى على مصيرها المنتظر؟!

أم تبكى على أبنائها وفلذات كبدها الذين يموتون أمامها أبشع ميته؟!

وهكذا الثالث يُرفع ويصبح مع إخوته...

وهكذا حتى لم يبق إلا الصغير الرضيع الذي لا يدري ما يحدث حوله...

سوى أنه في حضن أمه يشعر بالحنان والأمان...

وتتعلق أمه به عندما يؤخذ منها...

وقد تضعف الأم خاصة عند البلاء النازل في صغيرها...

ولكن الله تعالى يقول أنا معكِ، واثبتى حتى النهاية والراحة هناك عند رب العالمين... فينطق الله لها صغيرها...

ليثبتها في آخر لحظة وليرفع شأنها وذكرها وتصبح نبراسًا ومنارةً للمبتلَين الثابتين الراسخين على طريق الحق.

فيقول لها " يا أمه اقتحمى فإنَّ عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة ".

فتحتضنه أمه وتلقى به في النار...

فتقلب عليهم جنة ونعيمًا بإذن الله.

وتظهر رائحتها ورائحة أبنائها كرائحة الشواء.

ولذا لما سار النبى ﷺ في المعراج وجد في السماء ريحًا طيبة...

لا أقول في الأرض بل في السماء...

فسأل ما هذا الريح الطيبة؟

فقيل له: رائحة ماشطة ابنة فرعون وأبنائها.

عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه قال:أنَّ رسول الله ﷺ لما أسري به مرت عليه رائحة طيبة فقلت " **يا جبريل ما هذه الرائحة الطيبة" فقال: هذه رائحة ماشطة ابنة فرعون وأولادها قال: قلت " وما شأنها" قال: بينما هى تمشط ابنة فرعون ذات يوم إذ سقطت المدرى من يديها فقالت: بسم الله فقالت لها ابنة فرعون: أبى قالت: لا ولكن ربى ورب أبيك الله قالت: أخبره بذلك قالت: نعم فأخبرته فدعاها فقال: يا فلانة وإنَّ لك ربًّا غيرى قالت: نعم ربى وربك الله فأمر ببقرة من نحاس فأحميت ثم أمر بها أن تلقى هى وأولادها فيها قالت له: إنَّ لى إليك حاجة قال: وما حاجتك قالت: أحب أن تجمع عظامى وعظام ولدى فى ثوب واحد وتدفننا قال: ذلك لك علينا من الحق قال: فأمر بأولادها فألقوا بين يديها واحدًا واحدًا إلى أن انتهى ذلك إلى صبى لها مرضع وكأنها تقاعست من أجله قال: يا أمه اقتحمى فإنَّ عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة فاقتحمت قال: قال ابن عباس: تكلم أربعة صغار عيسى بن مريم عليه السلام وصاحب جريج وشاهد يوسف وابن ماشطة ابنة فرعون**[(١)].

يالها من كرامة دفعت ثمنها الأم صبرًا ورضًا وثباتًا فاستحقت رضا الله

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٢٥٩)، وصححه أحمد شاكر.

والنعيم المقيم.

أخي الحبيب:

اعلم أنَّ الابتلاء سنة من سنن الله فيه شدة لكن عاقبته اليسر...

به تعب لكن آخرته الراحة...

هو يحتاج إلى الصبر لكنَّ أجره بغير حساب...

والصبر مر المذاق لكن عواقبه أحلى من العسل...

وصدق فيه القائل:

الصبر مثل اسمه مر مذاقته لكن عواقبه أحلى من العسل

❁ صبرًا والراحة هناك:

إنَّ أهل الإيمان علموا أنَّ الحياة الخالدة الخالية من الابتلاء والألم والمشقة ليست في الدنيا إنما هى في الآخرة...

بصحبة الأخيار وجوار الرب الغفار.

علموا أنَّ الموت وقتها هو الراحة إن صبروا ورضوا بقضاء الله في الدنيا سيفوزون برضوان الله في الآخرة.

علموا أنَّ الجزع لا يرفع البلاء كما أنَّ الصبر لا يزيده...

بل إنَّ الرضا يخففه...

وشتان بين من يبتلى ويصبر ويرجو الجزاء...

ومن يبتلى فيجزع ويكفر بالنعماء.

دروس وعبر من حادثة الإفك

إنَّ الإسلام العظيم يحث الناس على مكارم الأخلاق، ويظهر الأخلاق في أحسن صورها وأبهى حللها، ودعى الناس لكل فضيلة وحذرهم من كل رذيلة.

لذلك بنى الإسلام مجتمعًا في أعظم صوره...

مجتمع مترابط متوحد كالبنيان المرصوص يفرح الجميع لفرح أحدهم ويحزن لحزنه.

ينظر كل واحد للآخر على أنه نفسه التى بين جنبيه بل علمهم الله ذلك فقال ﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾﴾ [النور: ٦١]، وقال سبحانه ﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾﴾ [النور: ١٢].

ومن هذه الآداب والأخلاق التى تحافظ على المجتمع وتثبت أركانه حفظ اللسان.

فلا يطلق المسلم لسانه في أخيه بما لا يعلم، ولا يفتح أذنه لسماع ما لا يعلم.

وأمره أن يحسن الظن بإخوانه فيما يعلم وفيما لا يعلم.

وقدر الله تعالى لنبيه وآل بيته ابتلاءً عظيمًا يمس شرف النبي الطاهر

ومقام النبوة وعرضه وآله وأزواجه.

وضرب الله المثل في إطلاق اللسان، وفتح بعض الآذان للشائعات والاتهامات وكيف أنها أثرت على أفضل المجتمعات وأطهرها، فما بالك بغيرها من المجتمعات.

❁ الآيات التى تروي لنا القصة:

وردت الآيات في سورة النور، وهى حقًّا نورٌ في ظلمات الحيرة والشك والضلالات...

نورٌ لمن أراد أن يستضىء.

أضاء الله قلوبنا بالإيمان.

عشر آيات في سورة النور نزلت لتروي لنا بعض أحداث هذه القصة وبراءة الطاهرة المطهرة أمنا عائشة.

يقول الله تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾﴾ [النور: ١١].

فإنه إفك بشهادة الله تبارك وتعالى...

وأصحابه أفَّاكون مفترون والذي قام به ليس واحد ولا إثنان إنما هم جماعة ظالمة...

قال سبحانه ﴿عُصْبَةٌ مِّنكُمْ﴾.

ويبدأ الله القصة بطمأنة النفوس وتسليتها وأنَّ قضاء الله وقدره لا يكون للمسلم إلا خيرًا فقال سبحانه وتعالى ﴿لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ﴾.

ربما يسأل سائل كيف ذلك؟

نقول إنَّ حكمة الله تقتضى ذلك ليميز الله الخبيث من الطيب، ليربى الله المجتمعات على الفضائل ويريها آثار الرذائل في شخص أطهر الخلق وآل بيته، إذ إيذاء بيت النبوة هو إيذاء للأمة وإلى كل مسلم.

❁ أحداث القصة:

وأتركك الآن مع صاحبة القصة تروي لنا أحداثها لتعلم أخى الحبيب كم كان أثر هذا الظلم والإفك والافتراء ولتحذر من ذلك فلا تكن ظالمًا ولا تكن مع الأفاكين الظالمين.

فلا تعطهم أذنك، ولا تسمع لهم، ولا تروج شائعاتهم وإلا ستكون في ركابهم.

تقول أمنا عائشة رضي الله عنها [(١)]: (كان رسول الله ﷺ إذا أراد سفرًا أقرع بين أزواجه فَأَيُّهُنَّ خرج سهمها خرج بها رسول الله ﷺ معه ، قالت عائشة: فأقرع بيننا في غزوةٍ غزاها فخرج فيها سهمى ، فخَرَجْتُ مع رسول الله ﷺ بعد ما أُنزل الحجاب فَكُنْتُ أُحْمَلُ فِى هَوْدَجِى وَأُنْزَلُ فيه ، فسرنا حتى إذا فرغ رسول الله ﷺ من غزوته تلك وَقَفَلَ دَنَوْنا من المدينة قافلين آذن ليلةً بالرحيل ، فَقُمْتُ حين آذَنُوا بالرحيل فمشَيْتُ حتى جاوَزْتُ الجيش ، فلمَّا قضيْتُ شأني أَقْبَلْتُ إلى رحلى فَلَمَسْتُ صدري فإذا عِقْدٌ لى من جَزْع ظفَارِ قد انقطع ، فَرَجَعْتُ فَالْتَمَسْتُ عِقْدِي فحبسنى ابْتِغَاؤُهُ ، قالت: وأقبل الرَّهْطُ الذين كانوا يُرَحِّلُونِى فاحتملوا هَوْدَجِى فَرَحَلُوهُ على بعيري الذي كُنْتُ أركب عليه وهم يَحْسِبون أَنِّي فيه وكان النساء إذ ذاك خِفَافًا لم يَهْبُلْنَ ولم

(١) أصل الحديث: أخرجه البخاري (٢٦٦١)، مسلم (٢٧٧٠).

يَغْشَهُنَّ اللَّحْمُ ، إنَّمَا يَأْكُلْنَ الْعُلْقَة من الطعام فلم يستنكر القوم خِفَّةَ الْهَوْدَج حين رفعوه وحملوه ، وَكُنْتُ جاريةً حديثة السن ، فبعثوا الجمل فساروا وَوَجَدْتُ عِقْدي بعد ما استمر الجيش فجِئْتُ منازلهم وليس بها منهم داع ولا مجيبٌ ، فتيَمَّمْتُ منزلى الذي كنت به وَظَنَنْتُ أنهم سيفقدوني فيرجعون إلَيَّ ، فبينا أنا جالسةٌ في منزلى غلبتنى عينى فَنِمْتُ).

تقول (وكان صفوان بن الْمُعَطَّل السُّلَمِيُّ ثم الذَّكْوَانِى من وراء الجيش فأصبح عند منزلى فرأى سواد إنسانٍ نائم فعرفنى حين رآني وكان رآني قبل الحجاب فاسْتَيْقَظْتُ باسترجاعه حين عرفنى فخَمَّرْتُ وجهى بجلبابى ووالله ما تكلمنا بكلمةٍ ولا سَمِعْتُ منه كلمةً غير استرجاعه).

فسقط أهل الإفك في إفكهم وعائشة رضي الله عنها لم تعلم بشيء إذ هى قد عادت مريضة ووقع بعض الصحابة في هذا وكان من بينهم مسطح رضي الله عنه.

وفي يوم من الأيام خرجت عائشة لقضاء حاجتها مع أم مسطح...

تقول عائشة: فعثرتْ أم مِسطح في مِرْطها...

فقالت: تَعِسَ مسطحٌ...

فَقُلْتُ لها: بئس ما قُلْتِ ، أَتَسُبِّين رجلًا شهد بدرًا...

فقالت: أي هنتاه ولم تسمعى ما قال؟

قالت: وَقُلْتُ ما قال ، فأخبرتنى بقول أهل الإفك...

قالت: فازْدَدْتُ مرضًا على مرضى ، فلمَّا رَجَعْتُ إلى بيتى دخل عَلَيَّ رسول الله ﷺ فسلم ، ثم قال: " **كيف تِيكُم** "...

فَقُلْتُ لَهُ: أَتَأْذَنُ لِي أَنْ آتِيَ أَبَوَيَّ. وفي رواية قالت (فأرسل معى الغلام فدخلت الدار فوجدت أم رومان في السفل وأبو بكر فوق البيت يقرأ).

أبوها وأمها تذهب لهما لعلها تجد حلًّا أو طمأنينة لقلبها إنها فاجعة عظيمة لأم المؤمنين حديثة السن ﵂.

قالت (فَقُلْتُ لأمى: يا أمتاه ماذا يتحدث الناس؟

قالت: يَا بُنَيَّةُ هوِّنِي عليك فوالله لَقَلَّمَا كانت امرأةٌ قطُّ وَضِيئَةً عند رجل يحبها لها ضرائر إلا كَثَّرْن عليها).

إنها كلمات تهدهد بها على قلب ابنتها المجروح...

قالت: فقُلْتُ سبحان الله أولقد تحدث الناس بهذا؟

قالت: فبكيْتُ تلك الليلة حتى أصبحْتُ لا يرقأ لى دمعٌ ولا أكتحل بنوم ، ثم أصبحْتُ أبكى) وفي رواية (فقالت أمى ما جاء بك يا بنية قالت فأخبرتها وذكرت لها الحديث فإذا هو لم يبلغ منها ما بلغ منى.

قالت: يا بنية خففى عليك الشأن فإنه والله لقلما كانت امرأة حسناء عند رجل يحبها لها ضرائر إلا حسدنها وقيل فيها.

قالت: قلت وقد علم به أبى. قالت: نعم.

قلت: ورسول الله ﷺ. قالت: نعم. فاستعبرتُ وبكيتُ.

فسمع أبو بكر صوتي وهو فوق البيت يقرأ، فنزل فقال لأمى ما شأنها قالت بلغها الذي ذكر من شأنها ففاضت عيناه.

فقال: أقسمت عليك يا بنية إلا رجعت إلى بيتك فرجعت).

فها هو أبو بكر وزوجته وابنته في الغم والحزن بسبب عصبة أفاكة وآذان تسمع ولعن الله تعالى كل ظالم مفتر أدخل عليهم وعلى كل مسلم الحزن والهم والغم ظلمًا وزورًا.

ثم قالت: ولقد جاء رسول الله ﷺ بيتي فسأل عني خادمتي.

فقالت لا والله ما علمت عليها عيبًا إلا أنها كانت ترقد حتى تدخل الشاة فتأكل خميرتها أو عجينتها...

وانتهرها بعض أصحابه فقال اصدقى رسول الله ﷺ حتى أسقطوا لها به

فقالت: سبحان الله والله ما علمت عليها إلا ما يعلم الصائغ على تبر الذهب الأحمر).

يا لها من محنة عظيمة لأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها والرجل الصالح والصحابى الطاهر صفوان.

إنه ابتلاء عظيم.

إنه يتهم في عرض نبيه وفي خيانة دينه وأمانته.

(وبلغ الأمر ذلك الرجل) حينها قال صفوان (سبحان الله والله ما كشفت كنف أنثى قط قالت عائشة فقتل شهيدًا في سبيل الله).

جزاءًا وفاقًا... جزاءًا لستره لأم المؤمنين...

جزاءًا لحفاظه عليها... جزاء رضاه بقضاء الله وقدره...

جزاء عفته وطهارته... أن يختم الله له بهذه الخاتمة الحسنة.

قالت عائشة: وأصبح أبواي عندي فلم يزالا حتى دخل عليَّ رسول الله ﷺ وقد صلى العصر...

ثم دخل وقد اكتنفنى أبواي عن يمينى وعن شمالى...

فتشهد النبى ﷺ وحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله...

ثم قال أما بعد يا عائشة...

إن كنت قارفتِ سوءًا أو ظلمًا فتوبي إلى الله فإن الله يقبل التوبة عن

عباده. قالت: وقد جاءت امرأة من الأنصار وهى جالسة بالباب.

فقلت: (ألا تستحيى من هذه المرأة أن تذكر شيئًا).

إنها كلمة تفتت الكبد إنَّ رسول الله ﷺ قد ظهر في كلماته أنه قد يتسرب الشك إلى قلبه...

في من؟ في عائشة...

يأمرها أن تتوب إلى الله إن كانت قد اقترفت ذنبًا...

إنها لفتنة وبلاء كبير على أم المؤمنين المسكينة المظلومة.

قالت: (فالتفتُّ إلى أبى...

فقلت: أجبه. قال: فماذا أقول.

فالتفت إلى أمى فقلت: أجيبيه.

قالت: ماذا أقول. قالت: فلما لم يجيبا...

تشهدت فحمدت الله وأثنيت عليه بما هو أهله...

ثم قلت: أما والله لئن قلت لكم إني لم أفعل والله يشهد إني لصادقة ما ذاك بنافعى عندكم لى لقد تكلمتم وأشربت قلوبكم...

ولئن قلت إني قد فعلت والله يعلم أني لم أفعل لتقولُن إنها قد باءت به على نفسها...

وإني والله ما أجد لى ولكم مثلًا - قالت والتمست اسم يعقوب فلم أقدر عليه - إلا أبا يوسف حين قال فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون...

وأنزل على رسول الله ﷺ من ساعته فسكتنا)

وتصور أخى الحبيب حينما ينزل الوحى في مثل هذه اللحظات...

إنه ينزل بالحقيقة...

فالفرح يملء قلب عائشة لعلمها ببراءتها...

والرعب والزعر والخوف يملء قلوب الظالمين...

قالت: فرفع عنه وإني لأتبين السرور في وجهه...

وهو يمسح جبينه...

ويقول أبشري يا عائشة فقد أنزل الله براءتك.

قالت: فكنت أشد ما كنت غضبًا.

فقال لى أبواي: قومى إليه.

فقلت: لا والله لا أقوم إليه ولا أحمده ولا أحمدكما، ولكن أحمد الله الذي أنزل براءتي لقد سمعتموه فما أنكرتموه ولا غيرتموه).

وفي رواية قال أبو بكر (أتقولين هذا لرسول الله ﷺ قالت نعم، فأمر رسول الله برجلين وامرأة فضربوا حدهم)[1].

روى ابن جرير في تفسيره عن محمد بن عبد الله بن جحش قال (تفاخرت عائشة وزينب بنت جحش...

فقالت: زينب أنا التى نزل تزويجى من السماء.

فقالت: عائشة أنا التى نزل عذري في كتابه.

فقالت لها زينب: يا عائشة ما قلتِ حين ركبتيها.

(١) أبو داود (٤٤٧٤)، وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن أبي داود.

قالت: قلت حسبى الله ونعم الوكيل.

قالت: قلت كلمة المؤمنين[(١)].

إنها محنة عظيمة حُكيت على لسان صاحبتها المطهرة ولكنها مع كل ذلك كما قال تعالى ﴿لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾[النور: ١١]، وقال سبحانه أيضًا ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾﴾ [البقرة: ٢١٦].

❁ الدروس والحكم والفوائد:

حسن الظن بأخيك المسلم:

قال تعالى ﴿لَّوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَٰذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾﴾ [النور: ١٢].

فمن أول وهلة يصل المسلم الخبر عن المسلم يظن به خيرًا.

فإحسان الظن لاسيما بالصالحين أمر واجب لأنه قطعة منك بل إنك إذا لم تعلم صدقه أو كذبه فلابد أن تعتبر ما يصل إليك إفكًا مبينًا.

وبين الله تعالى بعدها بما يثبت حد الزنا وهو بأربعة شهود وإلا فلا يجوز لمن رأى شيئًا الإخبار به حتى إن رأى وتأكد فمن فعل ذلك فإنه كذاب عند الله قال سبحانه ﴿لَّوْلَا جَاءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَٰئِكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٣﴾﴾ [النور: ١٣].

ومع كل ذلك فإنَّ فضل الله على الأمة عظيم وإن الله لا يؤاخذ الناس

---

(١) ذكره الطبري في تفسيره (١٠/ ٨٨، ٨٩).

بما كسبوا ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا ﴿٤٥﴾﴾ [فاطر: ٤٥].

لا تتكلم بلسانك إلا بما علمته يقينًا:

لأنَّ هذا وإن كان هيِّنًا على النفوس والأسماع لكنه عند الله عظيم قال سبحانه ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾﴾ [النور: ١٥].

ثم يكرر الله الأمر بطريقة أخرى فماذا يفعل المسلم لو وصله خبرٌ عن أخيه المسلم فقال سبحانه ﴿وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾﴾ [النور: ١٦].

ثم يحذر الله تعالى المسلمين في كل زمان ومكان أن يقعوا في مثل هذا الشراك ولسان حاله يأمر المسلم من عواقب ذلك ولا يعلم هل سيغفر الله له أم يأخذه بجريرة ذلك قال تعالى: ﴿يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾﴾ [النور: ١٧].

خطر إشاعة الفاحشة:

يبين الله تعالى أنَّ إشاعة الفواحش أو حب إشاعتها في المجتمع المسلم من أخطر الأعمال لذا لم يقل إنَّ الذين يشيعون الفاحشة بل قال ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾﴾ [النور: ١٩] وإن لم يُشِعْها بنفسه بل بحبه لإشاعتها.

فإشاعة الفاحشة تكون عاقبتها العذاب الأليم في الدنيا والآخرة واتهام المسلم زورًا وإفكًا خاصة في عرضه والتحدث بذلك والاستماع إليه مما يشيع الفاحشة في المجتمع المسلم.

وكم من عفيفة مطهرة انحرفت عن الطريق ووقعت في شراك الشيطان والفاحشة لما سمعت الناس يتحدثون عن الفواحش وعن فعل أصحابها.

باب التوبة مفتوح وإن عظم الذنب:

يدعوا الله تعالى الناس للتوبة والإنابة لكل من حدثته نفسه ولكل من أطلق لسانه إفكًا أنَّ الله تبارك وتعالى يقبلكم قال سبحانه ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ ﴾ [النور: ١٤].

كل الذنوب من خطوات الشيطان:

يبين الله تعالى أنَّ كل ذلك من خطوات العدو اللدود لك ألا وهو الشيطان ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۚ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾ ﴾ [النور:٢١] فكيف لعاقل أن يتبع عدوه ويسير خلف خطواته وهو يأمر بالفحشاء والمنكر.

ولو عامل الله الناس بعملهم ما زكى أحد منهم أبدًا أو طهره ولَأَهلَك جميع الناس، ولكن فضل الله تعالى أوسع.

العفو والصفح من أجل الأعمال:

ثم يدعو الله تعالى المجتمع المسلم في صورة أبى بكر إلى العفو والصفح، فمن أخطأ فلا تكونوا عونًا للشيطان عليه بل كونوا عونًا له على الشيطان بالعفو والصفح، فالعفو والصفح أفضل وأعظم أجرًا عند الله تعالى ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُو۟لُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓا۟ أُو۟لِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾

[النور: ٢٢].

قَالَ أَبُو بَكْر الصِّدِّيقُ: بَلَى وَاللهِ إِنِّى لَأُحِبُّ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لِى فَأَرَجَعَ إِلَى مِسْطَح النَّفَقَةَ الَّتِى كَانَ يُنْفِقُ عَلَيْهِ ، وَقَالَ: وَاللهِ لَا أَنْزِعُهَا مِنْهُ أَبَدًا [(١)].

الجزاء من جنس العمل:

فالعفو والصفح والمغفرة للناس يجلب لك عفو الله وصفحه ومغفرته وما أحوجنا لعفوه وصفحه.

ثم يختم الله القصة بعقاب القاذف الذى افترى وتجرأ على الله، واتهم المسلمات العفيفات الطاهرات كذبًا وزورً بأنَّ له عذابًا عظيمًا فى الدنيا والآخرة.

وأنَّ أعضاءه هى التى ستشهد عليه بما قال يوم القيامة وليس هذا ظلمًا من الله حاشاه بل إنَّ الله تعالى يحصى للناس أعمالهم قال ﷺ **" وهل يكب الناس فى النار على وجوههم أو على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم "**[(٢)].

فتمثل بقول نبيك ﷺ **" من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت"**[(٣)].

ومن هنا أخى المسلم:

اعلم أهمية التثبت قبل قبول الأخبار وقبل نقلها.

وأنَّ رد أهل الفتن والإفك فيه خير للمجتمع أفرادًا وجماعات، لذا كان المجتمع الطاهر يتعلم التثبت في كل الأخبار.

---

(١) أخرجه البخاري (٤١٤١)، مسلم (٢٧٧٠).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٦١٦)، ابن ماجه (٣٩٧٣)، وصححه الألباني في الجامع الصغير وزيادته (١/ ٩٢٧).

(٣) متفق عليه: أخرجه البخاري (٦٤٧٥)، مسلم (٤٧).

وكان النبى ﷺ يتثبت من الاتهام وإن كان الإخبار من أصحابه وإن كان عن نفسه فلما جاء ماعز وقال له طهرنى قد زنيت رده أكثر من مرة ثم لما عاد أراد التثبت ﷺ فسأل هل شرب الخمر هل به شىء [(١)].

هكذا يتثبت النبى ﷺ.

وكان الصالحون من أصحابه وأتباعه يعلمون الناس حفظ ألسنتهم وعدم إشاعة الفوضى في المجتمع المسلم.

ولذلك جاء رجل لعلىٍّ بن أبى طالب فقال له قولًا في رجل:

قال علىٌّ: نحن نسأل عما قلت...

فإن كنت صادقًا مقتناك...

وإن كنت كاذبًا عاقبناك...

وإن شئت أن نقيلك أقلناك...

قال: أقلنى يا أمير المؤمنين [(٢)].

وورد أنَّ عمر بن عبد العزيز دخل عليه رجل فذكر له عن رجل شيئًا...

فقال عمر: إن شئت نظرنا في أمرك فإن كنت كاذبًا فأنت من أهل هذه الآية ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ﴿٦﴾ ﴾ [الحجرات: ٦]...

وإن كنت صادقًا فأنت من أهل هذه الآية ﴿ هَمَّازٖ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٖ ﴿١١﴾ ﴾ [القلم: ١١]...

---

(١) أخرجه البخاري (٦٨٢٤)، مسلم (١٦٩٥).

(٢) ذكره الغزالي في إحياء علوم الدين (٣/ ١٥٧).

وإن شئت عفونا عنك...

فقال: العفو يا أمير المؤمنين لا أدعوا إليه أبدًا [١].

أخى الحبيب: تذكر دائمًا خطورة الافتراء وإشاعة الفتن.

أخى الحبيب: احفظ لسانك فإنما يكب الناس على وجوههم حصائد ألسنتهم.

أخى الحبيب: لا تعط سمعك لكل خبر حتى لا تكون في ركاب أهل الإفك والافتراء.

أخى الحبيب: تثبت من الأخبار قبل أخذها فإن هذا أمان لك وللمجتمع.

أخى الحبيب: كن حسن الظن بالمسلمين حتى يحسنوا الظن بك وتمتنع الفوضى في المجتمع المسلم.

أخى الحبيب: إنَّ أخاك المسلم هو نفسك هو روحك وهو بدنك هو قطعة من جسدك قال ﷺ " **مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى**"[٢].

(١) ذكره الغزالى في إحياء علوم الدين (٣/ ١٥٦)، الكبائر للذهبى (١/ ١٦٠)، الأذكار للنووي (١/ ٣٤٨)

(٢) أخرجه البخاري (٦٠١١) بلفظ ترى المؤمنين...، مسلم (٢٥٨٦).

إياك والظلم

إنَّ الله خلق الخلق وجعل لهم سننًا لا تتبدل ولا تتغير ﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾ ﴾ [الأحزاب: ٦٢]، وقال تعالى ﴿ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾ ﴾ [فاطر: ٤٣]، وبها ينتظم الكون وبها يستبشر الطائع ويحذر العاصي.

ومن سنن الله تعالى أنَّ شكر النعمة يزيدها وكفرها يأتي بالعذاب قال تعالى ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾ ﴾ [إبراهيم: ٧].

وجعل الله تعالى من سننه أنَّ الطاعة والتمسك بالكتاب والسنة يجلب لك النصر والتأييد قال تعالى ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [النور: ٥٥].

وجعل من سنن المعصية الهزيمة والعقاب قال تعالى ﴿ أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾ ﴾ [آل عمران: ١٦٥].

ومن سنته أن جعل من سنة العدل الإكرام والخير والعافية، ومن سنة الظلم الإهانة والشر وسوء العاقبة ﴿ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾ ﴾ [فصلت: ٤٦]، وجعل للظلم سننًا لا تتبدل ولا

تتغير منها سنن في الظالم ومنها سنن في المظلوم.

الظلم: هو أخذ حق الغير بدون حق، أو إضاعة الحق بغير وجه حق سواء كان إضاعة حق النفس أو إضاعة حق الغير.

❁ أنواع الظلم:

ظلم العبد لنفسه:

وذلك بحرمانها من لذة الطاعة والتوفيق وحرمانها من الراحة والطمأنينة ثم حرمانها من رضا الله ونعيمه في الجنة.

والله إنَّ هذا لظلم عظيم ﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٨﴾﴾ [النحل: ١١٨].

ظلم بين العبد وبين ربه:

بتفريطه في حق الله تعالى وتعدي حدوده وانتهاك حرماته.

ظلم بين العبد وبين الخلق:

وهو أخذ حقهم أو حرمانهم حقهم ظلمًا وعدوانًا.

يذكر ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ أنَّ الظلم عند الله له دواوين ثلاثة:

١ – ديوان لا يغفر الله منه شيئًا وهو الشرك ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾﴾ [النساء].

٢ – ديوان لا يترك الله منه شيئًا حتى يستوفيه وهو ظلم العباد بعضهم بعضًا فإنَّ الله يستوفيه كله.

٣ – ديوان لا يعبأ الله به وهو ظلم العبد نفسه بينه وبين ربه فإنَّ هذا الديوان أخف الدواوين وأسرعها محوًا فإنه يُمحى بالتوبة والاستغفار

والحسنات الماحيات وغيرها.

أما ديوان المظالم بين العباد لا يُمحى إلا بالخروج منها إلى أربابها واستحلالهم منها [١]. فالظلم عاقبته وخيمة.

لذا فأصل كل خير في العلم والعدل، وأصل كل شر في الظلم والجهل.

ولما كان في الظلم مذمة عظيمة حرَّمه الله تعالى على نفسه وهو الذي ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنبياء: ٢٣]، لكنه حرم على نفسه الظلم فقال "**يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرمًا فلا تظالموا**"[٢] وقال سبحانه وتعالى ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾﴾ [فصلت] لذا نهى عن الظلم فقال " فلا تظالموا ".

بل حذر الله تعالى من الركون إلى الظلمة فقال ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾﴾ [هود].

❁ أحاديث تحذر من الظلم وعاقبته:

عن ابن عمر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ "... **وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُوم فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَين الله حجاب** "[٣].

وعن أبي هريرة ﷺ أنَّ النبي ﷺ قال " **ثلاث دعوات مستجابات: دعوة الصائم، ودعوة المظلوم، ودعوة المسافر**"[٤].

---

(١) الوابل الصيب لابن القيم (١/ ٢٤).

(٢) أخرجه مسلم (٢٥٧٧).

(٣) أخرجه البخاري (٤٣٤٧)، مسلم (١٩).

(٤) أخرجه أبوداود (١٥٣٦)، الترمذي (١٩٠٥)، ابن ماجه (٣٨٦٢)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٠٣٠).

وقال ﷺ " **اتق دعوة المظلوم وإن كان كافرًا** "[١].

واعلم أنَّ الظلم لا أمان له ولا استمرار فإن دعتك قوتك أو ضعف الناس للظلم فتذكر دائمًا قدرة الله عليك وأنَّ الله على كل شيء قدير.

قال ﷺ" **إنَّ الله يملى للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته** "[٢].

وصدق القائل:

لا تظلمنَّ إذا ما كنتَ مقتدرًا
فالظلمُ آخره يفضي إلى الندم
تنامُ عينُكَ والمظلومُ منتبهٌ
يدعُو عليك وعينُ اللهِ لم تنم[٣]

إنَّ الله لم يبح الظلم حتى مع الحيوانات فإنَّ النبى ﷺ لما لقى بعيرًا دعا صاحبه فقال له "**من رب هذا الجمل؟** فقال شاب من الأنصار: أنا، فقال: **ألا تتقى الله في هذه البهيمة التى ملكك الله إياها، فإنه شكاك إلىَّ وزعم أنك تجيعه وتدئبه**"[٤].

بل وأمر بالإحسان عند الذبح والقتل فقال " **إذا قتلتم فأحسنوا القتلة وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة** "[٥].

بل إنَّ ظلم الحيوانات قد يوصل صاحبه إلى جهنم فلقد دخلت امرأة النار في هرة ظلمتها "فلا هي أطعمتها ولا هي تركتها تأكل من خشاش

(١) أخرجه أحمد (٣/ ١٥٣)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١١٩).
(٢) أخرجه البخاري (٤٦٨٦)، مسلم (٢٥٨٣).
(٣) الأبيات لعلى بن أبى طالب: ديوان على بن أبى طالب (١٥٣).
(٤) أخرجه أحمد (١/ ٢٠٥)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١/ ١٩).
(٥) أخرجه مسلم (١٩٥٥)، الترمذي (١٤٠٩)، ابن ماجه (٣١٧٠).

الأرض "[١].

❁ سنن الله في الظالمين:

تعجيل العقوبة لهم في الدنيا:

فإنَّ من العقوبات التى يعجل بها الله تعالى في الدنيا البغي قال ﷺ " **ما من ذنب أجدر أن يعجل الله تعالى لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يدخره له في الآخرة من البغي وقطيعة الرحم**"[٢] وذلك ليكون عبرة للظالمين وتطييبًا لنفوس المظلومين إذا رأو انتقام الله تعالى من الظالم أمام أعينهم ولو بعد حين.

إنَّ العبد قد ينسى ولكن الله تعالى لا ينسى:

اعلم أخى الحبيب أنَّ الله تعالى لا ينسى فإن أخَّر الظالم وأمهله إنما يمهله لحكمة، ولأجل مسمى لكن انتقامه شديد.

فالظلم تعود عاقبته على الظالم ولو بعد حين:

وهذا وعد الله لدعوة المظلوم.

قال ﷺ " **ثلاثٌ لا تُرَدُّ دعوتُهُم، الإمامُ العادلُ، والصَّائمُ حينَ يُفطرُ، ودعوةُ المظلوم يرفعُها فوقَ الغمام، وتُفتَّحُ لَها أبوابُ السَّماءِ، ويقولُ الرَّبُّ تبارك وتعالى: وعزَّتي لأنصرنَّكِ ولو بعدَ حينٍ** "[٣].

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣١٨)، مسلم (٢٢٤٢).

(٢) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (١/ ١٤)، أبوداود (٤٩٠٢)، الترمذي (٢٥١١)، ابن ماجه (٤٢١١)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٩١٨).

(٣) أخرجه الترمذي (٢٥٢٦)، ابن ماجه (١٧٥٢)، وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي.

ذكر الخطاب في كتابه عدالة السماء " أنه كان ببغداد رجل يعمل جزارًا يبيع اللحم وكان يذهب قبل الفجر فيذبح الغنم ثم يرجع إلى بيته وبعد طلوع الشمس يذهب ليبيع اللحم...

وفي يوم من الأيام وهو عائد إلى بيته ملطخ بالدماء...

سمع صوتًا يستغيث...

فتوجه إليه...

وفجأة سقط على جثة رجل وهو مطعون عدة طعنات...

فانتزع السكين وأخذ يحاول حمل الرجل ولكن لفظ أنفاسه الأخيرة...

فاجتمع الناس...

فلما رأوا السكين في يده وثيابه ملطخة بالدماء ورأوه فزعًا خائفًا اتهموه بالقتل...

وحكم عليه بالقتل قصاصًا...

فلما قدم ليضرب عنقه...

صاح وقال والله أنا لم أقتل هذا الرجل...

ولكنى قتلت نفسًا قبل عشرين سنة والآن يقام علىَّ القصاص...

قال: قبل عشرين سنة كنت شابًّا فتيًّا أعمل على مركب أنقل الناس بين ضفتى النهر...

وفي هذه الأيام جاءتنى فتاة مع أمها فنقلتها...

ثم جاءتنى في اليوم التالى وهكذا حتى تعلقت بها وتعلقت بى...

فذهبت وخطبتها فأبى أبوها لفقري...

ثم انقطعت أخبارها...

وبعد سنتين أو ثلاث جاءتنى امرأة مع طفلها...

فلما توسطنا النهر إذا هى صاحبتى فذكرتُها بالأيام الماضية.

ولكنها تكلمت بأدب وأخبرتنى أنها تزوجت وهذا ابنها.

فزين لى الشيطان الوقوع بها.

فصاحت وذكَّرتْنى بالله.

ولكنى لم ألتفت إليها.

فبدأت تدفعنى.

وطفلها يبكى ويصرخ فأخذت الطفل وقلت إن لم تمكنينى من نفسك قتلتُه.

فأبت.

فما زلتُ أضعه في الماء وأرفعه حتى لفظ أنفاسه...

ثم أتيتُ إليها وهى تدفعنى...

فأخذت رأسها ووضعتها في الماء...

ولكنها امتنعتْ وأبتْ...

فلما تعبَتْ يداي غمسْتُ رأسها في الماء وجعلَتْ تنتفض حتى ماتت...

فألقيتها في الماء...

ولم يكتشف أحد جريمتي[١].

(١) كتاب عدالة السماء للخطاب: نقلًا عن كتاب: من روائع العريفي (١٧٨).

وسبحان من يمهل ولا يهمل !

تفنى اللذاذة ممن نال صفوتها
من الحرام ويبقى الذل والعار
تبقى عواقب سوء في مغبتها
لا خير في لذة من بعدها النار

فإياك أخى الحبيب من الظلم فإنَّ المظلوم قد يعجز عن رد الظلم، أو معاقبة الظالم لضعفه وعجزه، لكنَّ الله تعالى وليُّ المظلومين والضعفاء.

وهم إن كانوا ضعفاء عاجزين بأنفسهم لكنهم أقوياء قادرون بقوة الله، فإياك أن تتعرض لانتقام الله وقوته بظلم عبد، وإن كان قليلًا، فإنَّ أخذ الله أليم شديد.

❁ أصحاب الجنة:

وها هم أصحاب الجنة أصحاب الأموال كان أبوهم بارًّا بأقاربه معطيًا للفقراء حقهم في ماله، ولكن الحديقة لما آلت إليهم بعد أبيهم ظنوا أنهم قادرون عليها...

فظلموا الفقراء وحرموهم حقهم...

فتواعدوا بالليل...

في وقت لا يراهم فيه المساكين...

حقًّا إنَّ الفقراء والمساكين لا يرونهم، ولكن وليُّ الفقراء والمساكين يراهم.

قال تعالى ﴿ إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ [القلم].

تواعدوا، وجزموا، بل وأقسموا ليصرمنها في الصباح ولا يستثنون.

ولماذا يستثنون ومن الذي يمنعهم؟!

فناموا...

لكن الله تعالى لا تأخذه سنة ولا نوم.

فعاملهم الله تعالى بعملهم وقصدهم، فلما أرادوا أن يحرموا المساكين حقهم حرمهم الله تعالى من كل ثمار هذه الجنة قال تعالى ﴿ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ ﴾ [القلم: ١٩ – ٢٠].

فلما رأوها ما صدَّقوا أنَّ هذه حديقتهم، لذا قالوا إنَّا لضالون لعلنا ضللنا الطريق وهذه ليست حديقتنا.

أين الشجر والثمار !

أين البهاء والازدهار !

أصبحت كلها خراب وبوار.

فلما تأكدوا منها علموا أنهم محرومون قال تعالى ﴿ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [القلم: ٢٧].

محرومون من التوفيق للعمل الصالح فظلموا الناس وظلموا أنفسهم...

محرومون من الحديقة وبهائها وخيراتها.

وكذلك عذاب كل ظالم فإنَّ سنة الله تعالى اقتضت أنَّ الجزاء من جنس العمل وجزاء الظالم من جنس عمله قال تعالى ﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾[الأنفال:٣٠] وقال سبحانه ﴿ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾ [النمل:٥٠].

وصدق القائل...

اصـــــــبر علـــــــى الظلـــــــم ولا تضـــــــطجر
فـــــــالظلم مـــــــردود علـــــــى الظالـــــــم
وَكِـــــــلْ إلـــــــى الله ظلـــــــومًا فمـــــــا
ربـــــــى عـــــــن الظـــــــالم بالنائـــــــم

❁ خراب البلاد بالظلم وعمارها بالعدل:

شكى والٍ إلى عمر بن عبد العزيز: أنَّ المدينة قد خربت فكيف مرمتها؟

قال: نقِّ طرقها من الظلم وحصنها بالعدل فهذه مرمتها [(١)].

- إنَّ الله تعالى قد يغير أحوال الكون من أجل عبد ضعيف فقير مسكين.

قد يغرق الله الأرض من أجل مظلوم...

وقد يحدث الزلازل والبراكين من أجل مظلوم...

وقد ينطق الصغير الرضيع من أجل مظلوم...

قال الشيخ محمد بن يحيى الزبيدى: إنَّ المظلوم إذا شكى إلى الله تعالى اقتضى عدل الله الإيقاع بظالمه، فيحب الله سبحانه أن يجهر المظلوم بالشكوى ليكون الإيقاع بالظالم مبسوط العذر عند الخلق، وزاجرًا لأمثاله عن أمثال فعله [(٢)].

قال مكحول الدمشقى "ينادي مناد يوم القيامة أين الظلمة وأعوانهم؟ فلا يبقى أحد مدَّ لهم حبرًا، أو حبر لهم دواة، أو برى لهم قلمًا، فما فوق ذلك

(١) أبونعيم في الحلية (٥/ ٣٠٥)، أبوبكر الدينوري في المجالسة (٥/ ٤١١).
(٢) الآداب الشرعية لابن مفلح (١/ ٢٤٦).

إلا حضر معهم، فيجمعون في تابوت من نار فيلقون في جهنم [١].

النبى ﷺ يستغيث بالله تعالى من أن يكون ظالمًا أو مظلومًا:

فكان من دعاء النبى ﷺ إذا خرج من بيته " **اللهم إنى أعوذ بك أن أَضل أو أُضل أو أَذل أو أُذل أو أَظلم أو أُظلم أو أَجهل أو يُجهل علىَّ** "[٢].

❁ الظالم في الآخرة:

قال الله تعالى ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ ﴾ [البقرة: ١٦٥] زال الملك والقوة والجبروت ولم تبق إلا قوة الله وملكه فمن ينجى الظالم اليوم؟!.

- الظلم ظلمات يوم القيامة كما قال النبى ﷺ " **اتقوا الظلم فإنَّ الظلم ظلمات يوم القيامة** "[٣].

❁ الظالم في أرض المحشر:

حيث يُقتص منه للمظلوم قال ﷺ " يجىء المقتول بالقاتل يوم القيامة ناصيته ورأسه بيده وأوداجُهُ تَشْخَبُ دمًا، يقول: يا ربِّ، قتلنى هذا، حتى يدنيه من العرش " قال: فذكروا لابن عباس، التوبة، فتلا هذه الآية: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا ﴾ [النساء: ٩٣]، قال: «**ما نُسِخَتْ هذه الآية، ولا**

---

(١) الكبائر للذهبى (صـ ١١٢).

(٢) أخرجه أبوداود (٥٠٩٤)، النسائى (٥٤٨٦)، وصححه الألباني في مشكاة المصابيح (٢٤٤٢).

(٣) أخرجه مسلم (٢٥٧٨).

بُدِّلَتْ، وَأَنَّى له التوبة» "[١].

وقال " **من قذف مملوكه، وهو برىء مما قال، جلد يوم القيامة، إلا أَن يكون كما قال** "[٢].

عن سعيد بن زيدٍ قال سمعتُ النبى ﷺ يقول « **من أخذ شبرًا من الأرض ظلمًا فإنه يُطَوَّقه يوم القيامة من سبع أرضين** »"[٣].

ولذا لما سأل النبى ﷺ أصحابه عن أعجب ما رأو في أرض الحبشة:

قال جابر لمَّا رَجَعَتْ إلى رسول الله ﷺ مهاجرة البحر قال: **ألا تُحَدِّثوني بأعاجيب ما رأيتم بأرض الحبشة.** قال: فتيةٌ منهم بلى يا رسول الله بينا نحن جلوسٌ مَرَّتْ بنا عجوزٌ من عجائز رهابينهم تحمل على رأسها قُلَّةً مِنْ ماءٍ فَمَرَّت بفتًى منهم فجعل إحدى يديه بين كتفيها ثم دفعها فَخَرَّتْ على ركبتيها فانكسرت قُلَّتها فلمَّا ارتفعت التفتت إليه فقالت سوف تعلم يا غُدَر إذا وضع الله الكرسى وجمع الأولين والآخرين وتكلمت الأيدي والأرجل بما كانوا يكسبون فسوف تعلم كيف أمري وأمرك عنده غدًا قال يقول رسول الله ﷺ صَدَقَتْ صَدَقَتْ كيف يقدس الله أمةً لا يؤخذ لضعيفهم من شديدهم [٤].

- إنَّ الظالم الذي رفع رأسه بالقوة على المظلوم وآذى أولياء الله والضعفاء والمساكين وتكبر وتجبر في الأرض يبعثه الله تعالى يوم القيامة في

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٠٢٩)، النسائى (٤٠٠٥)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٦٩٧).

(٢) أخرجه البخاري (٦٨٥٨)، مسلم (١٦٦٠).

(٣) أخرجه البخاري (٣١٨٩)، مسلم (١٦١٠).

(٤) أخرجه ابن ماجه (٤٠١٠)، وحسنه الألباني في صحيح ابن ماجه (٣٢٣٩)، وفي مختصر العلو (٤٦/ ٥٩).

أرض المحشر كأمثال الذر يغشاهم الذل من كل مكان يطأهم أهل المحشر بأقدامهم[١]، فياللمهانة والذلة في يوم يحتاج فيه العبد أن يعزه الله تعالى ولا يخزيه.

فما أسعد يوم القيامة للمظلوم، وما أحزنه وأشقاه للظالم.

لذا يقول أبو العتاهية:

أمـــــــــا والله إنَّ الظلـــــــــم لـــــــــؤم
ومـــــــا زال المســـــــيء هـــــــو الظلـــــــوم
إلـــــــى ديـــــــان يـــــــوم الـــــــدين نمضـــــــى
وعنـــــــد الله تجتمـــــــع الخصـــــــوم
ســـــــتعلم في الحســـــــاب إذا التقينـــــــا
غـــــــدًا عنـــــــد الإلـــــــه مـــــــن الملـــــــوم

❁ إنَّ الجنة لا يدخلها الظالم حتى يُنقى من الظلم:

حتى أهل الجنة يحبسون على قنطرة قبل الجنة كى ينقوا عليها قبل دخول الجنة[٢].

❁ الله لا يغفل عن الظالم:

قال تعالى ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ ﴾ [إبراهيم: ٤٢] فلا تظنه غافلًا ولا ناسيًا حاشاه وإنما يؤخر عنهم العقاب لحكمة، قد يؤخرهم للأخذة العظيمة الأخيرة ﴿ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ يوم تشخص الأبصار من

(١) أخرجه أحمد (١١/ ٢٦٠)، الترمذي (٢٤٩٢)، وحسنه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي.
(٢) أخرجه البخاري (٦٥٣٥).

الفزع والهلع والرعب والخوف.

﴿ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ۖ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴿٤٣﴾ ﴾ [إبراهيم: ٤٣] وتكون الوجوه مبهوتة مذهولة، والعيون شاخصة، والرءوس مقنعة، وليس ذلك بإرادتهم وإنما من هول موقفهم.

حينها ﴿ وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ ۗ أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴿٤٤﴾ ﴾ [إبراهيم: ٤٤] وكأنهم وقفوا الآن بين يدي الله تعالى ويطلبون منه التأخير وإعطاءهم الفرصة فيرد عليهم الله تعالى بالتبكيت والتأنيب﴿أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴾ وكأنه يقول لهم ما رأيكم الآن زلتم أم لم تزولوا.

والأعجب من ذلك أنكم كنتم تسكنون مساكن الظالمين من قبلكم ﴿ وَسَكَنتُمْ فِى مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [إبراهيم: ٤٥] فكيف تقولون ﴿مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴾ بل ران على قلوبهم أعمالهم.

ثم يصف الله تعالى حجم مكر الظالمين وأن مكرهم قد تزول منه الجبال قال تعالى ﴿ وَقَدْ مَكَرُوا۟ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ﴿٤٦﴾ ﴾ [إبراهيم: ٤٦] لولا أنَّ الله محيط بمكرهم ويمكر بهم كما يمكرون للمظلومين.

فالله لا يدع الماكر والظالم يفلت من يديه بل كلٌّ له موعد.

والموعد الأعظم في يوم تتبدل الأرض فيه والسماوات فقال ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ ﴾ [إبراهيم: ٤٨] فهم مكشوفون غير مستورين لا لباس لهم ولا قوة ولا منعة وليسوا في بيوتهم بل

إنهم في الخلاء، وليس هذا فحسب بل أمام الله الواحد القهار.

ويبين الله المشهد ﴿ وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ ﴾ [إبراهيم: ٤٩] اثنان اثنان موقف ذل وخزى وعار بما اقترفته أيديهم.

وما لباسهم؟ قال سبحانه وتعالى ﴿ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ ﴾ [إبراهيم: ٥٠].

أما عن وجوههم فقال ﴿وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴿٥٠﴾ ﴾ [إبراهيم: ٥٠].

وذلك ليس ظلمًا من الله تعالى ولا تعنتًا معهم بل هو عملهم يجزون به ﴿ لِيَجْزِىَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٥١﴾ ﴾ [إبراهيم: ٥١].

ثم قال في النهاية ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٢﴾ ﴾ [إبراهيم:٥٢] ليعلموا أنَّ القوة لله جميعًا وأنه إليه يرجعون وأنه على كل شيء قدير ولا مهرب للظالم منه سبحانه وتعالى.

الظلم عاقبته وخيمة عظيمة وإن كان قليلًا، إذ أنه ظلمات يوم القيامة لذا فالله ينتقم للمظلوم وينتصر له في الدنيا والآخرة.

- كان سلفنا الصالح يخافون الظلم خوفًا شديدًا:

ولو كان بأقل القليل لأنهم يعلمون عاقبته.

عن إياس بن سلمة عن أبيه أنه قال: مر عمر يومًا وأنا بالسوق، فقال: أمط عن الطريق يا سلمة ثم خفقني فما أصاب إلا طرف ثوبي، فلقيته بعد عام فأعطاني ستمائة درهم أستعين بها على الحج، قال: استعن بهذا واعلم أنه من الخفقة التي خفقت عام أول فقلت والله يا أمير المؤمنين ما ذكرتها حتى ذكرتنيها، فقال: عمر وأنا والله ما نسيتها بعد [(١)].

(١) تاريخ الطبري (٢١/ ٤١٨).

أخي الحبيب:

اعلم أنَّ الظالم عاقبته إلى الخراب والبوار.

ومهما كانت قوة الظالمين وجبروتهم لابد أن يذهبوا يومًا وتندثر آثارهم ولا يبقي إلا الله الواحد الجبار.

أيـــــن الجبـــــابرة الـــــذين تسلـــــطوا
ذهبـــــوا وظـــــل الواحـــــد الجبـــــار
تبقـــــى صـــــروح الحـــــق شامخـــــة وإن
أرخـــــى وأزبـــــد عنـــــدها الإعصـــــار
إنَّ البنـــــاء وإن تســـــامق واعتلـــــى
مـــــا لـــــم يُشـــــيَّد بـــــالتقى ينهـــــار
قـــــد يحصـــــد الطغيـــــان بعـــــض ثمـــــاره
لكـــــنَّ عقبـــــى الظـــــالمين دمـــــار

القـــــــــــيم

إنَّ الناس يختلفون فى هذه الحياة الدنيا فى القيم والأخلاق.

فمنهم أصحاب القيم الفاضلة الحميدة...

ومنهم أصحاب القيم الزائفة الذميمة...

لذا فالله تعالى كثيرًا في كتابه ما يقرر هذه القيم الحسنة النافعة لأصحابها وللناس حولهم

وذلك إما بالتوجيه المباشر أو بالقصص القرآني أو بغير ذلك.

وما تخلق الإنسان بالقيم الزائفة وترك القيم الباقية الحسنة التى يرضاها الله ورسوله ﷺ إلا لأنه انشغل عن الله واغتر بالحياة الدنيا وزينتها.

أخى الحبيب:

إياك أن تغرك الدنيا فإنَّ متاعها متاع الغرور قال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ٦ ﴾ [الانفطار: ٦].

الذي له صفات المحامد والكمال...

الذي يراك حين تقوم...

الذي خلق لك ما في الأرض جميعا...

الذي يجيب دعاء من دعاه...

الذي يفرج كرب المكروب...

الذي يعطى كل محتاج.

فكيف تغرك الدنيا بهذا الإله العظيم فإنَّ الله تعالى لا يليق به منك إلا أن تقول:

رب لـــــك الحمـــــد العظـــيم لـــــذاتك
حمـــــــدًا ولـــــــيس لواحـــــــدٍ إلَّاك
يـــــا مـــــدرك الأبصـــــارِ والأبصـــــارُ
لا تـــــدري لـــــه ولكنهـــــه إدراكـــــا
إن لـــــم تكـــــن عينـــــى تـــــراك فـــــإننى
في كـــــل شـــــىء أســـــتبين عـــــلاك
يـــــا منبـــــت الأزهـــــار عـــــاطرة الشـــــذى
يـــــا مجـــــري الأنهـــــار عازمـــــة النـــــدى
مـــــا خـــــاب يومًـــــا مـــــن دعـــــا ورجـــــاك
ياأيهـــــــــا الإنســـــــــان مهـــــــــلًا
مـــــا الـــــذي بـــــالله جـــــل جلالـــــه أغـــــراك

أخى الحبيب:

إنَّ الدنيا وإن كان ظاهرها حسنًا لكن باطنها قبيح...

هل تستوى الدنيا التى جبلت على الكدر والشر، بالآخرة التى جبلت على النعيم والراحة.

فإذا سرتَ وراء الدنيا تطلب الراحة فإنك تطلب الراحة في غير مكانها، وتكون كمن يطلب في الماء جذوة النار.

وصدق القائل:

جُبلـت علـى كـدرٍ وأنـت تريـدها ... صـــفوًا مـــن الآلام والأكـــدار
ومكلـــف الأيـــام ضـــد طباعهـــا ... متطلـــب في المـــاء جـــذوة نـــار

وكان السلف يعلمون قدر هذه الدنيا لذا كانت الآخرة نصب أعينهم دائمًا لا تفارق قلوبهم ولا أجسادهم...

فقد كان نقش خاتم عمر" كفى بالموت واعظًا "[(١)].

وكان الشافعي يصف الدنيا فيقول:

ومـن يـذق طعـم الحيـاة فـإني خُبِّرتُهـا ... وســيق إلــيَّ عــذبها وعــذابها
فلـــم أرهـــا إلا جيفـــة مســـتحيلة ... عليهـــا كـــلاب هَمُّهـــن اجتـــذابها
فـإن تجتنبهـا كنـت سـلمًا لأهلهـا ... وإن تجتـــذبها ناهشـــتك كلابهـــا

أخى الحبيب:

اعلم أنَّ الفضل بين الناس كان بإعراضهم عن الدنيا فكلما ابتعدت عنها اقتربت من الله والدار الآخرة...

لذا كان معاوية يقول " أما أبوبكر فلم يرد الدنيا ولم ترده، وأما عمر فأرادته الدنيا ولم يردها "[(٢)].

وكان سعد بن أبى وقاص يقول " والله ما كان عمر أقدمنا هجرة وقد عرفت بأي شيء فضلنا كان أزهدنا في الدنيا "[(٣)].

---

(١) معرفة الصحابة لأبى نعيم (١/ ٢٢٦)، تاريخ دمشق (٤٤/ ٢٦٠)، الاستيعاب (١/ ٣٥٤).

(٢) تاريخ دمشق (٤٤/ ٢٨٧).

(٣) ابن أبى شيبة (١٢/ ٣٥)، ابن عساكر (٤٤/ ٢٨٧).

قال تعالى ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾﴾ [الأعلى: ١٦] وقال ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾﴾ [القيامة: ٢٠].

- **أخي الحبيب:**

كن فطنًا واتخذ الدنيا لجة تصل بها إلى شاطئ الراحة والأمان.

إنَّ لله عبـــــادًا فطنـــــا ... طلقـــوا الـــدنيا وخـــافوا الفتنـــا
نظـــروا إليهـــا فلمـــا علمـــوا ... أنهـــا ليســـت لحـــيٍّ وطنـــا
جعلوهـــا لجـــة واتخـــذوا ... صـــالح الأعمـــال فيهـــا ســـفنا

- اعلم أنَّ الله تعالى جعل لك متاعًا في الدنيا وعدة للآخرة، فخذ من هذا وهذا واجعل غايتك الآخرة.

- اعلم أنَّ الله جعل لك في الدنيا لباسًا وفي الآخرة لباسًا فقال ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [الأعراف: ٢٦].

- اعلم أنَّ الله جعل لك في الدنيا زادًا وفي الآخرة زادًا فقال ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾﴾ [البقرة: ١٩٧].

اعلم أنَّ الله جعل لك في الدنيا ما تتمتع به وتركبه وتتزين به لكن إيَّاك إيَّاك أن يشغلك عن قصدك الأول وغايتك العظمى ألا وهي قصد السبيل إلى الله قال تعالى ﴿وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ ۚ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩﴾﴾ [النحل: ٨- ٩].

- أخى الحبيب:

اعلم أنه على قدر أخذك من الدنيا تفقد من الآخرة.

قال ابن مسعود " من أراد الآخرة أضر بالدنيا ومن أراد الدنيا أضر بالآخرة، يا قومى فأضروا بالفانى للباقى "[(١)].

- أخى الحبيب:

اعلم أنَّ أهل الدنيا غافلون وأنَّ أهل الآخرة عاملون، لذا حث الله على البعد عن أهل الدنيا كى لا يصيبوك بالغفلة قال تعالى ﴿ فَأَعۡرِضۡ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكۡرِنَا وَلَمۡ يُرِدۡ إِلَّا ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ﴿٢٩﴾ ﴾ [النجم: ٢٩].

- أخى الحبيب:

اجعل الهموم همًّا واحدًا ولا يكن همك ما تأكل وما تشرب فقط فإنَّ هذا هم النفس والطبع وليكن همك هم القلب فهذا هو الطريق إلى الله.

❁ صورة للقيم الحسنة الباقية والقيم الذميمة الفانية:

يعرض الله تعالى صورة يجتمع فيها الفريقان...

ويقرر ربنا تبارك وتعالى في هذه الصورة أنَّ القيم في ميزان العقيدة الإسلامية والشرع المطهر هى القيم الحقيقية التى تُستقَى أصولها من هذا الدين الصافي الزكى...

وما عداها فهى قيم زائلة زائفة متخبطة لا دوام لها.

---

(١) الطبراني في الكبير (٩/ ١٠٨)، ابن أبى شيبة (١٣/ ٢٨٧)، وجاء مرفوعًا من حديث أبى هريرة وأبي موسى وصححه الألباني في الصحيحة (٣٢٨٧).

إنها ترسم الصورة لنموذجين:

أحدهما: نموذج لنفس مغترة بزينة الحياة الدنيا، وترى أنها هى السعادة والبقاء.

الثانية: نفس أخرى معتزة بالله لأنها تعلم أنَّ العزة لله جميعًا.

إنها تعرض قصة رجل صاحب جنتين...

أغرته الثروة والمال وما شكر نعمة الله، بل جعلته يتبطر على الله...

ونسى أنَّ كل هذا بفضل الله ولو شاء لأزاله في لحظة واحدة...

لكنه أخذته الغفلة والغرور ونسى نعمة الله عليه.

وهناك رجل آخر:

هو فقير من المال لكنه غنى بثقته بالله...

هو مؤمن معتز بالإيمان...

ويدين بالشكر والاعتراف لرب النعمة...

إنه يرى رب هذه النعمة في قلبه وعينيه...

لذا لم تغره النعمة ولا تبطره إن وجدت، ولا تيئسه أو تسخطه إذا زالت.

إنَّ قلبه ليس معلقًا بالنعمة، وإنما معلق برب النعمة.

❁ أحداث القصة:

وصف الجنتين:

قال تعالى ﴿ وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلٗا رَّجُلَيۡنِ جَعَلۡنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيۡنِ مِنۡ أَعۡنَٰبٖ وَحَفَفۡنَٰهُمَا بِنَخۡلٖ وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُمَا زَرۡعٗا ٣٢ ﴾ [الكهف: ٣٢].

وضرب المثل في القرآن ليس عبثًا ولا سدى إنما هو للعظة والعبرة.

وكأنَّ الله تعالى يقول لكل إنسان انظر واعتبر.

ويبدأ الله القصة بوصف الجنتين اللتين منَّ الله على صاحبهما بهما.

وينسب الله العطاء لنفسه ليتذكر كل صاحب نعمة أنها من عند الله.

ويصف الله الجنتين بأنَّ فيهما كثيرًا من الخير والمتاع ولا أدلَّ على ذلك من أنَّ الله سماهما جنتين ولا ينبئك مثل خبير.

يصفهما بأنهما جنتان من الفاكهة: من العنب والنخل وجعل بينهما زرعًا...

بل إنه من المتاع فيها أنه لاعنت يجده في رعايتها ولا سقايتها.

قال تعالى ﴿ كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾ ﴾ [الكهف: ٣٣].

يبين الله تعالى أنه من تمام نعمته على صاحب الجنتين أنَّ ثمار الجنتين خرجت كاملة لم ينقص منها شيئًا.

تأمل:

عبر الله تعالى بلفظ "ولم تظلم " ولم يقل ولم تنقص.

وفيه دلالة أنَّ الشجر لم يظلم ولم يخالف أمر ربه، وصاحب الشجر مع كل ذلك نسى ربه وظلم نفسه.

الحوار بين الرجلين:

صاحب الجنتين:

قال المغتر بنفسه والدنيا لصاحبه أنا أكثر منك مالًا وأعز نفرًا.

ظنَّ أنَّ مقياس الفضل والعزة هو المال وكثرة المتاع في الحياة الدنيا أو كثرة الولد والبنين.

بل إنه انتفش وتعالى وتبطر وتكبر على من لم يرزقه الله...

وظنَّ أنَّ إعطاء الله له بعض الدنيا هو دليل الفضل...

وهذه هى بداية البعد عن الله والانحراف عن طريق الله دائمًا...

إنَّ نفسه ظلت تتعالى في نفسه على الناس...

وما تعالت نفس بالظلم إلا وقد تهاوت...

إنَّ نفسه تعلقت بالجنتين ونسى رب الجنتين.

قال تعالى ﴿ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [الكهف: ٣٦].

إنه لما تعلقت نفسه بالجنة ما ظنَّ أن يحيى بدونهما، فظنَّ أنهما دائمتان...

ولما ظن دوام الجنتين ظن أن لا قيام للساعة إذ لو قامت الساعة لبادت الجنتان.

قال تعالى ﴿وَلَئِن رُّدِدتُّ ﴾.

وكأنه رجع إلى نفسه وقال لعلها تقوم، فقال وإن قامت فلست خاسرًا، فالذي أعطاني في الدنيا لابد وحتمًا أن يعطيني في الآخرة.

وهذا من الضلال والهلاك أن يرى أنَّ مقياس الفضل عند الله هو المال والمتاع في الدنيا.

❁ صاحبه الفقير:

أما صاحبه الفقير الذي يرى بنور الله ورسخ الإيمان في قلبه...

صحت عنده الموازين ووفق إليها...

يقدم له النصيحة استجابة لأمر الله تعالى.

قال تعالى ﴿ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ ﴾ [الكهف: ٣٧].

قال له احذر...

إنك بقولك وفعلك هذا قد كفرت بالله...

ولم يقل قد كفرت بالذي أعطاك هذه النعم بل رده إلى ما هو أعظم من ذلك...

رده إلى أصله الأول قال الذي خلقك ولم تكن شيئًا، خلقك من تراب ثم سواك رجلًا فاقدر الله حق قدره.

ثم انتقل للحديث عن نفسه إتمامًا لدعوته وتعريضًا بصاحبه قال ﴿ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾ ﴾ [الكهف: ٣٨].

إنك إن اعتززت بنفسك ومالك وجنتك وكفرت بربك...

فأنا أعتز بربى ولا أشرك به أحدًا.

ثم إنه لم يفقد الأمل في هدايته بل عاد يدعوه مرة أخرى.

وهكذا أهل الخير والدعوات لا يفقدون الأمل في الخير وفي هداية الناس، ولا يغضبون لأنفسهم.

فقال له ﴿ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ

مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ ﴾ [الكهف: ٣٩].

إنَّ صاحبه المؤمن يرده إلى الشكر فإنَّ العبد إذا شكر الله واعترف بنعمة الله عليه وعلم أنَّ كل ما أعطاه الله هو بحول الله وقوته فإنَّ ذلك يحفظ نعمة الله عليه ويزيدها وينميها.

قال تعالى ﴿ فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا ﴿٤١﴾ ﴾ [الكهف: ٤٠ -٤١].

يبين الرجل المؤمن أنَّ المال والعطاء بيد الله يأخذه ممن يشاء ويعطيه من يشاء...

فإذاحرمنى الله الآن وأعطاك...

فهو قادر على أن يعطينى خيرًا من جنتك...

ليس هذا فحسب...

بل هو قادر في نفس الوقت أن يزيل ما أعطاك، وكل ذلك في آنٍ واحد، فهو على كل شيء قدير.

❁ موقف الدمار للجنتين:

وينتقل الله تعالى بالحديث من الحوار بينهما الذي لم يُجْدِ نفعًا إلى الجزاء والعقاب وموقف الدمار الهائل قال تعالى ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾ ﴾ [الكهف].

فإنَّ الله تعالى بين أنَّ الدمار لم يأت للجنتين من ناحية دون الأخرى، بل أتاها من جميع جوانبها وجهاتها...

وإن كان هلاك الجنة لا يحتاج إلى كل ذلك ولكنه بيان لقدرة الله تعالى...

وعلاج للنفوس المتمردة والقلوب الضعيفة المريضة التى فتنت ببعض زينة الدنيا، ونسيت قوة الله وقدرته وتصرفه في الأمور حيث يشاء سبحانه.

وتصبح الجنة بأمر واحد في لحظة واحدة بعد أن كانت ثمارًا وأزهارًا أصبحت دمارًا وبوارًا.

وذلك جزاء الظالمين.

❁ موقف صاحب الجنتين:

تذكر **أخى الحبيب:**

من قليل كان صاحب الجنتين زاهيًا منتشيًا، وبطرًا متكبرًا...

لم تُرُدَّه النصيحة... ولم ينفعه الإرشاد...

ولم ير قدرة الله وقوته... ولا رأى قيامًا للقيامة...

كان زاهيًا رافعًا رأسه ما يرده أحد...

انظر إليه الآن: لقد انقلب هذا الزهو والكبر ندمًا واستغفارًا...

فقد كان ما توقعه الرجل المؤمن حقًّا...

لقد دمرت الجنتان وأصبحت خاوية على عروشها...

وأصبح صاحبها يقلب كفيه ويضرب كفًّا على كفٍّ على ماله الذي ضاع والثمار التى دمرت وجهده الذي ذهب...

بل إنه ندم على إشراكه بالله واعترف الآن بالربوبيه لله الملك ﴿وَيَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُشۡرِكۡ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا ٤٢﴾ [الكهف: ٤٢]...

فقال تعالى ﴿ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾ ﴾ [الكهف:٤٣] هنا يبين الله تعالى أن الحول والقوة له وحده والولايه والنصرة بيديه...

فإن أراد خيرًا فلا رادَّ لخيره...

وإن أراد سوءًا فلا مانع ولا حافظ منه...

وإن حكم فلا معقب لحكمه قال تعالى ﴿ هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ ۚ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾ ﴾ [الكهف: ٤٤].

❁ ضرب المثل للحياة الدنيا:

وبعد ذكر هذه القصة يبين الله العظة والعبرة منها، ويضرب مثلًا للحياة الدنيا يبين حقيقتها قال تعالى ﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾ ﴾ [الكهف: ٤٥].

ويضرب الله المثل بكلمات قليله سريعة تتناسب مع قصر الحياة الدنيا وزهرتها...

فيصف الحياة الدنيا بماء نزل من السماء ثم يختلط به نبات الأرض...

فما هو إلا وقت قصير ويصبح هشيمًا تذروه الرياح وكل ذلك بقدرة الله تعالى.

فكل ما في الدنيا زينة زائلة إلا الباقيات الصالحات إنها هى الدائمة الباقية قال تعالى ﴿ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾ ﴾ [الكهف: ٤٦].

❁ المقارنة بين الحياة الدنيا والآخرة:

إنَّ هذه الأمثلة تذكر للعظة والعبرة، وتبين أن هنالك فرقًا كبيرًا وبونًا شاسعًا بين صفات الدنيا وصفات الآخرة ومن ذلك:

١- **أنَّ ما في الدنيا من اللذة إنما هو متاع** أي لذة ظاهرة ليس لها حقيقة قال تعالى ﴿ ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ وَفَرِحُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٞ ﴿٢٦﴾ ﴾ [الرعد: ٢٦].

أما الآخرة فما بها من اللذة لذة حقيقية لا يعقبها ضرر وهو نعيم حقيقي لذا سماه الله بالنعيم قال تعالى ﴿ إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٖ ﴿٢٢﴾ ﴾ [المطففين: ٢٢].

٢ – **متاع الدنيا متاع الغرور** قال تعالى ﴿ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ ﴾ [آل عمران: ١٨٥]، وهو غار للإنسان ينسيه الله والدار الآخرة كما حدث في قصة أصحاب الجنتين...

أما نعيم الآخرة فهو نعيم حق.

٣ – **متاع الدنيا متاع زائل**، أما نعيم الآخرة فهو نعيم دائم قال تعالى ﴿ مَا عِندَكُمۡ يَنفَدُۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٖۗ وَلَنَجۡزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ [النحل: ٩٦].

٤ – **متاع الدنيا متاع قليل** قال تعالى ﴿ قُلۡ مَتَٰعُ ٱلدُّنۡيَا قَلِيلٞ وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظۡلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾ ﴾ [النساء: ٧٧].

ونعيم الآخرة نعيم كثير قال تعالى ﴿ وَفَٰكِهَةٖ كَثِيرَةٖ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الواقعة: ٣٢] وقال ﴿ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٖ زَوۡجَانِ ﴿٥٢﴾ ﴾ [الرحمن: ٥٢].

- إنَّ الدنيا يكفيك منها ما يبلغك المحل وإن قل متاعها.

لما قدم عمر الشام تلقاه الأمراء فقال عمر أين أخي أبوعبيدة؟

قالوا: يأتيك الآن...

فجاء على ناقة مخطومة بحبل...

فسلم عليه. فقال عمر للناس: انصرفوا عنا.

وقال له: اذهب بنا إلى منزلك ياأباعبيدة.

فقال له: ما تصنع عندي ياأمير المؤمنين؟!

ما تريد إلا أن تعصر عينيك عليَّ. ودخل عمر فلم ير في البيت شيئًا.

فقال أين متاعك؟أعندك طعام؟ فقام إلى سلة فأخذ منها كسيرات.

فبكى عمر. فقال أبوعبيدة: قلت لك إنك ستعصر عينيك عليَّ ياأمير المؤمنين. يكفيك من الزاد ما بلغك المحل...

فقال عمر: غيرتنا الدنيا كلنا غيرك يا أباعبيدة [(١)].

- كان على بن أبى طالب وهو خليفة يذهب لبيت المال ويدعو الفقراء ويعطيهم أموالهم وأرزاقهم. ثم يقول ياصفراء يابيضاء غري غيري [(٢)].

ثم يأمر بنضح بيت المال ويصلى فيه ركعتين وكان يصلى فيه ويتخذه مسجدًا رجاء أن يشهد له يوم القيامة.

(١) تاريخ دمشق (٢٥/ ٤٨١)، سير أعلام النبلاء (١/ ١٧).

(٢) مصنف ابن أبى شيبة (١٢/ ٣١٩)، حلية الأولياء (١/ ٨٠) بلفظ " يادنيا غري غيري....."

التـــوبـــــــة

التوبة معناها الرجوع إلى الله والندم على ما بدا منه والاعتراف بالذنب...

التوبة معناها الاعتراف بأن المرجع والمصير إلى الله...

التوبة معناها الإيمان بأنه لا يغفر الذنوب إلا الله...

التوبة معناها اليقين بأنه القوي الغنى، وأنا الفقير الضعيف...

التوبه معناها الإيمان بأن لاملجأ ولا منجا منه إلا إليه....

لذا كانت التوبة أحب الأعمال إلى الله.

و الله يفرح بتوبة عبده أكثر من فرح الأم الفاقدة لولدها ووجدته بعد طول غياب وفقدان أمل.

بل وأكثر من ذلك.

فالله يفرح بتوبة عبده أكثر من فرح رجل سقط على بعيره الذى عليه طعامه وشرابه وقد أضله بأرض فلاة قال ﷺ " « **لَلَّهُ أَفْرَحُ بتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ رَجُل نَزَلَ مَنْزِلًا، وَبِهِ مَهْلَكَةٌ، وَمَعَهُ رَاحِلَتُهُ عَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَوَضَعَ رَأْسَهُ فَنَامَ نَوْمَةً، فَاسْتَيْقَظَ وَقَدْ ذَهَبَتْ رَاحِلَتُهُ، حَتَّى اشْتَدَّ عَلَيْهِ الْحَرُّ وَالْعَطَشُ أَوْ مَا شَاءَ اللهُ، قَالَ أَرْجِعُ إِلَى مَكَانِي. فَرَجَعَ فَنَامَ نَوْمَةً، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ، فَإِذَا رَاحِلَتُهُ عِنْدَهُ** »[1].

(١) أخرجه البخاري (٥٣٠٨)، مسلم (٢٧٤٤).

❁ باب التوبة مفتوح:

أخى الحبيب:

إنَّ الله رحيم لطيف بعباده...

علم أنهم لا يقوون على الطاعة في كل وقت وحين، وأنهم سوف يذنبون و يخطئون ويحتاجون إلى التوبة والإنابة...

لذا فتح لهم باب التوبة دائمًا...

ودعا الناس جميعًا إليه مهما كان جرمه ومهما عظم خطؤه حتى لا يدع مجالًا لليأس والقنوط من رحمته...

علم الله تعالى أنَّ كل الناس يخطئون ولكن عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ **"كل بنى آدم خطاء وخير الخطائين التوابون"**[(١)].

ولذا فتح بابًا للتوبة عرض مابين مصراعيه مسيرة سبعين عامًا[(٢)].

❁ دعا الله الناس جميعًا إلى التوبة:

دعا إليها اليهود:

الذين قالوا عزير ابن الله...

والذين قالوا يد الله مغلوله...

والذين قالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودًا أو نصارى...

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٤٩٩)، ابن ماجه (٤٢٥١)، وحسنه الألباني في صحيح وضعيف سنن ابن ماجه.

(٢) أخرجه الترمذي (٣٥٣٦)، وحسنه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي.

الذين افتروا على الله الكذب...

الذين قتلوا أولياءه وأنبياءه...

الذين حاولوا قتل خاتم الأنبياء وسيد المرسلين...

الذين كتموا ما أنزل الله وحرفوه وغيروه وهم يعلمون...

ومع كل ذلك دعاهم إلى التوبة فقال ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾ ﴾ [البقرة: ١٥٩ -١٦٠].

دعى النصارى إلى التوبه:

الذين قالوا إنَّ الله ثالث ثلاثة...

الذين قالوا إنَّ لله زوجة...

الذين قالوا المسيح ابن الله...

الذين حرفوا وبدلوا في كتاب الله...

الذين أكلوا أموال الناس بالباطل وباسم الدين...

دعاهم إلى التوبة فقال ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾ ﴾ [المائدة: ٧٣ -٧٤].

- دعا إليها الذين حاربوا دينه وفتنوا أولياءه وأحرقوهم بالنار:

قال تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ

عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٠﴾ ﴾ [البروج:١٠].

دعا إليها المنافقين:

الذين أظهروا الإسلام وأبطنوا الكفر وحاكوا المؤامرات لدين الإسلام ومع كل ذلك بعدما توعدهم دعاهم إلى التوبة فقال ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾ ﴾ [النساء: ١٤٥، ١٤٦].

دعا إليها أهل المعاصي:

لا أقول المذنبين بل الذين أسرفوا على أنفسهم بالذنوب والمعاصى قال تعالى ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ ﴾ [الزمر: ٥٣].

فلم يدع الله مجالًا لمذنب ييأس من رحمة الله عَظُم ذنبه أو صَغُر.

إنَّ الله تعالى يريد لك التوبة ويريد أصحاب الشهوات الضلال والغواية قال تعالى ﴿ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ ﴾ [النساء: ٢٧].

فاختر لنفسك هل تريد أن تكون مع الذى يريده الله لك، أم مع الذى يريده الشيطان وأصحاب المعاصى والشهوات.

❁ خصائص التوبه:

١- قبول التوبه من صفات الرحمن:

قالى تعالى ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓا۟ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ

ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾ ﴾ [البقرة: ٥٤].

وقال تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾ ﴾ [البقرة: ١٥٩ - ١٦٠].

٢- التوبة من صفات الأنبياء:

فإن آدم أبا البشر لما عصى وأكل من الشجرة عاد وتاب إلى الله تعالى قال تعالى ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ ﴾ [البقرة: ٣٧].

وأبو الأنبياء إبراهيم قال الله عنه لما دعى الله تعالى ﴿ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [البقرة:١٢٨].

ونوح عليه السلام لما سأل الله أن يجعل ابنه معه وعاتبه الله تعالى فقال ﴿قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ [هود: ٤٦].

فتاب إلى الله تعالى ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [هود: ٤٧].

وكذالك سيد البشر وخاتم الأنبياء كان يقول إني أتوب إلى الله في اليوم أكثر من سبعين مرة وفي رواية مائة مرة عَنْ أَبِي بُرْدَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ الْأَغَرَّ، وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، يُحَدِّثُ ابْنَ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ تُوبُوا إِلَى اللهِ، فَإِنِّي أَتُوبُ، فِي الْيَوْمِ إِلَيْهِ مِائَةَ مَرَّةٍ**»[(١)].

(١) أخرجه مسلم (٢٧٠٢)، أبوداود (١٥١٥).

عن أبى هريرة سمعتُ رسول الله ﷺ يقول « **والله إنِّى لأستغفر الله وأتوب إليه فى اليوم أكثر من سبعين مرَّةً** »[(١)].

٣- التوبه من صفات الصالحين:

الذين اشترى الله منهم أنفسهم وأموالهم مقابل الجنة ومن أول صفاتهم التوبة قال تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١١١ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ ٱلۡحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١١٢﴾ [التوبة١١١-١١٢].

٤- ومن خصائص التوبة أنها لا وقت لها:

التوبة ليس لها وقت تبدأ فيه ولا وقت تنتهى فيه إلا عند الموت أو شروق الشمس من مغربها.

فالله تعالى يفتح باب التوبه ليلًا ونهارًا، ويبسط يده بالليل ليتوب مسىء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسىء الليل عن أبى موسى عن النبى ﷺ قال « **إنَّ الله ﷻ يبسط يده بالليل ليتوب مسىء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسىء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها** »[(٢)].

٥- التوبة ليست قاصرة على أصحاب الذنوب:

إنَّ العبد مقصر بطبعه ولو عبد الله ليلًا ونهارًا ما أدى حق الله عليه.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٣٠٧)، الترمذي (٣٢٥٩)، ابن ماجه (٣٨١٦).

(٢) أخرجه مسلم (٢٧٥٩).

لذا كان ﷺ يعلمنا الاستغفار ليس بعد المعاصى فقط بل بعد تمام الطاعات...

ومن ذلك:

- كان ﷺ يستغفر بعد كل مجلس:

عن أبى بَرْزَة الأسلمى قال كان رسول الله ﷺ يقول بأَخَرَة إذا أراد أَنْ يقوم من المجلس « **سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أَنْ لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك** ». فقال رجلٌ يا رسول الله إنك لتقول قَوْلًا ما كُنْتَ تقوله فيما مضى قال « **كفارةٌ لما يَكُونُ فى المجلس** »[(١)].

وكان يعد له فى المجلس الواحد مائة مرة رب اغفري وتب علىَّ.... عن ابن عمر قال إنْ كُنَّا لَنَعُدُّ لرسول الله ﷺ فى المجلس الواحد مائة مرةٍ « **رَبِّ اغفر لى وَتُبْ عَلَىَّ إنك أنت التواب الرحيم** »[(٢)].

مع أنَّ مجالسه ﷺ لم تكن مجالس معاصى ولا لهو ولا لعب بل كانت مجالس ذكر وعبادة.

- فى نهاية كل صلاة:

كان يعلمنا الاستغفار قبل السلام وأن نقول "اللهم إني ظلمت نفسى ظلمًا كثيرًا ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لى مغفرة من عندك إنك أنت الغفور الرحيم"[(٣)].

---

(١) أخرجه أبوداود (٤٨٥٩)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١٥١٧).

(٢) أخرجه أبوداود (١٥١٦)، الترمذي (٣٤٣٤)، ابن ماجه (٣٨١٤)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٥٥٦).

(٣) أخرجه البخاري (٨٣٤)، مسلم (٢٧٠٥)

- **وبعد نهاية الصلاة:**

كان أول مايقول أستغفر الله أستغفر الله أستغفر الله عن ثوبان قال كان رسول الله ﷺ إذا انصرف من صلاته استغفر ثلاثًا وقال « **اللهمَّ أنت السلام ومنك السلام تباركت ذا الجلال والإكرام** »[(١)]. قال الوليد فقلت للأوزاعى كيف الاستغفار قال تقول أستغفر الله أستغفر الله.

❁ التوبه فتح لباب الخيرات في الدنيا والآخرة:

١- تجلب لك محبه الله:

وكفى بها فائده ونعمة قال تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

وقرن الله التوابين بالمتطهرين لأنَّ المتطهر يطهر ظاهره وبدنه، والتائب يطهر باطنه وروحه.

٢- التوبة تجعلك من المفلحين:

قال تعالى ﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [النور: ٣١].

وقال تعالى﴿ فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ [القصص: ٦٧].

٣- التوبه تجعلك من الفائزين بالجنه وتكفير السيئات:

قال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ

(١) أخرجه مسلم (٥٩١)، أبوداود (١٥١٣)، الترمذي (٣٠٠)، ابن ماجه (٩٢٨).

وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾ ﴾ [التحريم: ٨].

٤- التوبه تبدل السيئات حسنات:

قال تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابًا ﴿٧١﴾ ﴾ [الفرقان: ٦٨- ٧١].

وغير ذلك من الفوائد.

- **أخي الحبيب:** اعلم أنَّ التوبة لا يستغنى عنها أهل الطاعة فما بالك بأهل المعصية.

- **أخي الحبيب:** اعلم أن أرق الناس أفئدة التوابون لأنهم لما عادوا إلى الله واعترفوا بذنوبهم رقت أفئدتهم ولانت قلوبهم.

لذا قال عمر: " اجلسوا إلى التوابين فإنهم أرق أفئدة "[(١)].

- **أخي الحبيب:** إن كنت تري التوبة ثقيلة عليك بعيدة المنال منك فاقصر عن المعاصى وبادر بترك الخطايا فإنَّ ذلك أيسر عليك.

قال الحسن: " يابن آدم ترك الخطيئة أيسر من طلب التوبة "[(٢)].

وهو مروي عن حذيفة [(٣)].

(١) الزهد لابن المبارك (١٣٢)، إحياء علوم الدين (٤/ ١٥).
(٢) الزهد لأحمد بن حنبل (١/ ٢٧٩).
(٣) الزهد لابن المبارك (٥٨٠).

ومروي عن أبى مسلم الخولاني [١].

- **أخى الحبيب:** عد إلى ربك ولا تطل الأمل بنفسك...

فإنك متى طال أملك حجبت عن التوبة أو تأخرت.

قال يحيى بن معاذ: " الذي حجب الناس عن التوبة طول الأمل "[٢].

❁ كيف السبيل إلى التوبة؟

أخى الحبيب: لا بد أن تعلم أنَّ التوبة ليست مستحيلة ولا صعبة المنال...

فإنك ما خلقت عاصيًا منحرفًا عن الطريق، بل خلقت على الفطرة والحنيفية السمحة...

لكن الشيطان أغواك وحرفك عن الطريق...

فعودتك إلى أصلك أيسر من انحرافك عنه...

❁ لكن ذلك يحتاج إلى أمور:

١- **النية الصادقة:** فإنَّ النية الصادقة تلين القلوب القاسية، وييسر الله لك بها طرق التوبة وأسبابها.

٢- **أظهر الذل والخضوع بين يدى ربك:** أسل عبرات الندم على بابه، واخل به بالليل كما كنت تخلو بالمعصية بالليل. وقل:

يـــارب إن عظمـــت ذنـــوبي كثـــرة ... فلقـــد علمـــت بـــأنَّ عفـــوك أعظـــم

إن كـــان لا يرجـــوك إلا محســـن ... فـــبمن يلـــوذ ويســـتجير المجـــرم

رب دعـــوتُ كمـــا أمـــرتَ تضـــرعًا ... فـــإذا رددت يـــدي فمـــن ذا يـــرحم

---

(١) الحلية (٢/ ١٢٦).

(٢) ذم الهوى لابن الجوزي (١/ ٢١٧).

قال يحيى بن معاذ " علامة التوبة إسبال الدمعة وحب الخلوة ومحاسبة النفس عند كل همة "[١].

٣- الإقلاع عن الذنب: أقلع عن الذنب وإن كان في الذنب ما فيه من اللذة، ولا تظن أنك تنتقل من اللذة إلى التعب والجهد والمشقة.

بل تنتقل من المرض إلى العافية...

تنتقل من التعب والمشقة إلى الراحة والاطمئنان...

تنتقل من العذاب إلى النعيم...

تنتقل من سخط الرب إلى رضاه...

فسارع بذلك...

ولاتترك للمعاصى آثارًا في نفسك فتعود مرة أخرى.

٤- الابتعاد عن رفقاء السوء والمعاصى وأماكن المعاصى:

فإنهم يجذبونك ويقطعون عليك سيرك إلى الله.

واستبدل بهم أهل الطاعات، فإنَّ هؤلاء يعينونك على الوصول إلى الله وإكمال سيرك إليه.

٥- الإكثار من الاستغفار والأعمال الصالحة:

قال تعالى ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾ ﴾ [هود: ١١٤].

فكثيرًا ما تقف الحسنات حائلًا دون وقوع العقاب وظهور أثر المعاصي

---

(١) ذم الهوى لابن الجوزي (١/ ٢١٧).

على العبد.

إنَّ حاطب بن أبى بلتعة ﷺ لما أرسل لكفار مكة يخبرهم بقدوم النبى ﷺ وقال عمر دعنى أضرب عنق هذا المنافق قال النبى ﷺ **إِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا، وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللهَ اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ، فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ**"[(١)].

فاجعل لنفسك حصونًا من الأعمال الصالحة تدفع عنك وتمحو أثر ذنوبك.

❁ يوم التوبة خير أيامك:

أخى الحبيب: إنَّ يومًا تتوب فيه إلى الله هو أحب أيامك عند الله، وهو خير يوم مر عليك منذ أن ولدتك أمك.

وأتركك الآن مع قصة تائب إلى الله لترى كيف كان يوم توبته أفضل الأيام...

مع أنَّ أيامه كانت مليئة بالخيرات والصالحات...

فإنَّ له يومًا أسلم فيه...

ويومًا صحب النبى ﷺ فيه...

ويومًا شهد فيه بيعة العقبة...

وأيامًا شهد الغزوات فيها...

ويومًا تاب إلى الله فيه...

لكن قال النبي ﷺ له يوم توبته " **أبشر بخير يوم مر عليك منذ أن ولدتك**

(١) **متفق عليه:** أخرجه البخاري (٣٩٨٣)، مسلم (٢٤٩٤).

أمك ".

وأتركك الآن مع كعب بن مالك صاحب القصة...

قال كعب بن مالكٍ لم أَتَخَلَّفْ عن رسول الله ﷺ في غزوةٍ غزاها قَطُّ إلا في غزوة تبوك غير أَنِّى قد تخلَّفتُ في غزوة بدرٍ ولم يُعاتبْ أحدًا تَخَلَّف عنه إنَّما خرج رسول الله ﷺ والمسلمون يريدون عير قريش حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعادٍ...

ولقد شهدتُ مع رسول الله ﷺ ليلة العقبة حين تواثَقْنا على الإسلام وما أُحِبُّ أَنَّ لى بها مشهد بَدرٍ وإنْ كانتْ بدرٌ أذكر في الناس منها...

وكان من خبري حين تخلَّفتُ عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك أَنِّى لم أكن قطُّ أقوى ولا أيسر مِنِّى حين تخلَّفتُ عنه في تلك الغزوة والله ما جمعتُ قبلها رَاحِلَتَيْن قَطُّ حتى جَمَعْتُهُما في تلك الغزوة...

فغزاها رسول الله ﷺ في حرٍّ شديدٍ واستقبل سفرًا بعيدًا ومفازًا واستقبل عدوًّا كثيرًا فجلا للمسلمين أمرهم ليتأهبوا أهبة غزوهم فأخبرهم بوجههم الذى يريد والمسلمون مع رسول الله ﷺ كثيرٌ ولا يجمعهم كتاب حافظٍ - يريد بذلك الديوان - قال كعبٌ فقلَّ رجلٌ يريد أَنْ يتغَيَّب يظن أَنَّ ذلك سيخفى له ما لم ينزل فيه وحىٌ من الله ﷻ...

وغزا رسول الله ﷺ تلك الغزوة حين طابت الثمار والظلال فأنا إليها أَصْعَرُ فَتَجَهَّز رسول الله ﷺ والمسلمون معه وطفقتُ أغدو لكى أَتَجَهَّزَ معهم فأرجع ولم أَقْض شيئًا...

وأقول في نفسى أنا قادرٌ على ذلك إذا أردتُ فلم يَزَلْ ذلك يتمادى بى حتى استمر بالناس الجِدُّ فأصبح رسول الله ﷺ غاديًا والمسلمون معه ولم أَقْضِ من جهازي شيئًا ثم غدوتُ فرجعتُ ولم أَقْضِ شيئًا فلم يزل ذلك

يتمادى بى حتى أسرعوا وتفارط الغزو فهممتُ أَنْ أرتحل فأدركهم فياليتنى فعلتُ ثم لم يُقَدَّرْ ذلك لى...

فطفقتُ إذا خرجتُ في الناس بعد خروج رسول الله ﷺ يحزننى أَنِّى لا أرى لى أسوةً إلا رجلًا مغموصًا عليه في النفاق أو رجلًا مِمَّنْ عذر الله من الضُّعفاء ولم يَذْكُرْنِى رسول الله ﷺ حتى بلغ تبوكًا...

فقال وهو جالسٌ في القوم بتبوك « **ما فعل كعب بن مالكٍ** »...

قال رجلٌ من بنى سلمة يا رسول الله حبسه بُرْدَاه والنظر في عِطْفَيْه...

فقال له معاذ بن جبل بئس ما قُلْتَ والله يا رسول الله ما علمنا عليه إلا خَيْرًا...

فسكت رسول الله ﷺ فبينما هو على ذلك رأى رجلًا مُبَيِّضًا يزول به السَّراب فقال رسول الله ﷺ « **كن أبا خيثمة** » فإذا هو أبو خيثمة الأنصاريُّ وهو الذي تصدَّق بصاع التمر حين لمزه المنافقون...

فقال كعب بن مالكٍ فلمَّا بلغنى أَنَّ رسول الله ﷺ قد تَوجَّه قافلًا من تبوك حضرنى بَثِّى فطفقْتُ أتذكر الكذب وأقول بم أخرج من سخطه غدًا وأستعين على ذلك كلَّ ذي رأي من أهلى فلمَّا قيل لى إنَّ رسول الله - ﷺ- قد أظلَّ قادمًا زاح عَنِّى الباطل حتى عرفتُ أَنِّى لن أنجو منه بشيءٍ أبدًا فأجمعتُ صدقه وصَبَّح رسول الله ﷺ قادمًا...

وكان إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فركع فيه ركعتين ثم جلس للناس فلمَّا فعل ذلك جاءه المُخَلَّفُون فطفقوا يعتذرون إليه ويحلفون له وكانوا بضعةً وثمانين رجلًا فقبل منهم رسول الله ﷺ علانيتهم وبايعهم واستغفر لهم ووكل سرائرهم إلى الله...

حتى جئتُ فلمَّا سلَّمْتُ تَبَسَّمَ تَبَسُّم المُغْضب...

ثم قال « **تعال** » فجئتُ أمشى حتى جلستُ بين يديْه فقال لى « **ما خلفك، ألم تكن قد ابتعتَ ظهرك** ».

قال قلتُ يا رسول الله إنِّى والله لو جلستُ عند غيرك من أهل الدنيا لرأيتُ أَنِّى سأخرج من سخطه بعذرٍ ولقد أُعْطِيتُ جدلاً ولكنِّى والله لقد عَلِمْتُ لئن حدَّثْتُك اليوم حديث كذب ترضى به عَنِّى لَيُوشِكَنَّ الله أَنْ يسخطك عَلَىَّ ولئن حَدَّثْتُكَ حديث صدقٍ تجد علَىَّ فيه إنِّى لأرجو فيه عُقْبَى الله والله ما كان لى عذرٌ والله ما كنتُ قطُّ أقوى ولا أيسر منِّى حين تَخَلَّفْتُ عنك.

قال رسول الله ﷺ « **أَمَّا هذا فقد صدق فَقُم حتى يقضى الله فيك** » فَقُمْتُ وثار رجالٌ من بنى سلمة فاتبعونى فقالوا لى والله ما علمناك أَذْنَبْتَ ذنبًا قبل هذا لقد عجزتَ فِي أَنْ لا تكون اعْتَذَرْتَ إلى رسول الله ﷺ بما اعتذر به إليه الْمُخَلَّفُون فقد كان كافيك ذنبك استغفار رسول الله ﷺ لك قال فوالله ما زالوا يُؤَنِّبُونَنِى حتى أَرَدْتُ أَنْ أرجع إلى رسول الله ﷺ فأكذب نفسى – قال – ثم قُلْتُ لهم هل لقى هذا معى من أحدٍ قالوا نعم لقيه معك رجلان قالا مثل ما قُلْتَ فقيل لهما مثل ما قيل لك – قال – قُلْتُ من هما قالوا مرارةُ بن ربيعة العامري وهلال بن أمية الواقفى – قال – فذكروا لى رجُلَيْن صالِحَيْن قد شهدا بدرًا فيهما أسوةٌ – قال – فَمَضَيْتُ حين ذكروهما لى.

قال ونهى رسول الله ﷺ المسلمين عن كلامنا أيها الثلاثة من بين من تخلف عنه – قال – فاجْتَنَبَنَا الناس – وقال – تَغَيَّرُوا لنا حتى تَنَكَّرَتْ لى فِي نفسى الأرض فما هى بالأرض التى أعرف فلبثنا على ذلك خمسين ليلةً...

فأَمَّا صاحباي فاستكانا وقعدا فِي بيوتهما يبكيان وأَمَّا أنا فكُنْتُ أَشَبَّ القوم وأجلدهم فَكُنْتُ أخرج فأشهد الصلاة وأطوف فِي الأسواق ولا يكلمنى أحدٌ وآتي رسول الله ﷺ فأسلم عليه وهو فِي مجلسه بعد الصلاة فأقول فِي

نفسى هل حرَّك شَفَتَيْه برد السلام أم لا ثم أصلى قريبًا منه وأسارقه النظر فإذا أَقْبَلْتُ على صلاتي نظر إلىَّ وإذا التَفَتُّ نحوه أعرض عَنِّى...

حتى إذا طال ذلك عَلَىَّ من جفوة المسلمين مَشَيْتُ حتى تَسَوَّرْتُ جدار حائط أبى قتادة وهو ابن عمِّى وأحب الناس إلَىَّ فَسَلَّمْتُ عليه فوالله ما رَدَّ عَلَىَّ السلام فَقُلْتُ له يا أباقتادة أنشدك بالله هل تَعْلَمَنَّ أني أحب الله ورسوله قال فسكت فَعُدْتُ فناشدته فَسَكَتَ فَعُدْتُ فناشدته فقال الله ورسوله أعلم فَفَاضَتْ عَيْنَاي وتوَلَّيْتُ حتى تَسَوَّرْتُ الجدار...

فبينا أنا أمشى في سوق المدينة إذا نَبَطِيٌّ من نبط أهل الشام مِمَّن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة يقول من يدلُّ على كعب بن مالكٍ - قال - فطفق الناس يشيرون له إلَىَّ حتى جاءني فدفع إلىَّ كتابًا من ملك غَسَّان وَكُنْتُ كاتبًا فقرأته فإذا فيه أمَّا بعد فإنه قد بلغنا أَنَّ صاحبك قد جفاك ولم يجعلك الله بدار هوانٍ ولا مضْيعةٍ فَالْحق بنا نُواسك قال فَقُلْتُ حين قرأْتُها وهذه أيضًا من البلاء فَتَيَامَمْتُ بها التنور فسجَرْتُهَا بها...

حتى إذا مَضَتْ أربعون من الخمسين واستلْبَثَ الوحى إذا رسول رسول الله ﷺ يأتينى فقال إنَّ رسول الله ﷺ يأمرك أَنْ تعتزل امرأتك قال فَقُلْتُ أطلقها أم ماذا أفعل قال لا بل اعتزلها فلا تَقْرَبَنَّهَا - قال - فأرسل إلى صَاحِبَىَّ بمثل ذلك - قال - فَقُلْتُ لامرأتي الحقى بأهلك فكوني عندهم حتى يقضى الله في هذا الأمر - قال - فَجَاءَتِ امرأة هلال بن أمية رسول الله ﷺ فَقَالَتْ له يا رسول الله إنَّ هلال بن أمية شيخٌ ضائعٌ ليس له خادمٌ فهل تكره أن أخدمه قال « **لا ولكن لا يقربنك** ». فقالت إنه والله ما به حركةٌ إلى شيءٍ ووالله ما زال يبكى منذ كان من أمره ما كان إلى يومه هذا قال فقال لى بعض أهلى لو استأْذَنْتَ رسول الله ﷺ في امرأتك فقد أذن لامرأة هلال بن أمية أن تخدمه - قَالَ - فَقُلْتُ لا أستأذن فيها رسول الله ﷺ وما يدريني ماذا يقول

رسول الله ﷺ إذا استأذنْتُهُ فيها وأنا رجلٌ شابٌّ...

قال: فلبثْتُ بذلك عشر ليالٍ فَكَمُل لنا خمسون ليلةً من حين نهى عن كلامنا - قال - ثمَّ صلَّيْتُ صلاة الفجر صباح خمسين ليلةً على ظهر بيتٍ من بيوتنا...

فبينا أنا جالسٌ على الحال التى ذكر الله ﷻ منا قد ضَاقَتْ علَيَّ نفسى وَضَاقَتْ عَلَيَّ الأرض بما رَحُبَتْ...

سَمِعْتُ صوت صارخ أوفى على سلع يقول بأعلى صوته يا كعب بن مالكٍ أَبْشِرْ - قَالَ - فخررْتُ ساجدًا وعَرَفْتُ أَنْ قد جاء فرجٌ - قال - فآذن رسول الله ﷺ الناس بتوبة الله علينا حين صَلَّى صلاة الفجر فذهب الناس يُبَشِّروننا فذهب قِبَل صاحِبَيَّ مُبشِّرون وركض رجلٌ إلىَّ فرسًا وسعى ساعٍ من أسلم قبلى وأوفى الجبل فكان الصوت أسرع من الفرس فلمَّا جاءنِي الذى سمعْتُ صوته يبشِّرُنِى فنزعْتُ له ثوْبَيَّ فكسوتهما إيَّاه ببشارته والله ما أملك غيرهما يومئذٍ واستعرْتُ ثوبين فلبستهما...

فانطلقْتُ أتَأَمَّم رسول الله ﷺ يتلقانِي الناس فوجًا فوجًا يهنئونِي بالتوبة ويقولون لتهنئك توبة الله عليك حتى دَخَلْتُ المسجد فإذا رسول الله ﷺ جالسٌ فِي المسجد وحوله الناس فقام طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحنى وهنأنِي والله ما قام رجلٌ من المهاجرين غيره قال فكانَ كعبٌ لا ينساها لطلحةَ...

قال كعبٌ فلمَّا سَلَّمْتُ على رسول الله ﷺ قال وهو يبرق وجهه من السرور ويقول « **أبشر بخير يوم مَرَّ عليك منذ ولدتك أمك** »...

قال فَقُلْتُ أمن عندك يا رسول الله أم من عند الله فقال « **لا بل من عند الله**» وكان رسول الله ﷺ إذا سُرَّ استنار وجهه كأنَّ وجهه قطعة قمرٍ - قال -

وكُنَّا نعرف ذلك - قال - فلمَّا جَلَسْتُ بين يديه قُلْتُ يا رسول الله إنَّ مِنْ توبتى أَنْ أنخلع من مالى صدقةً إلى الله وإلى رسوله ﷺ فقال رسول الله ﷺ « **أَمسِكْ بعض مالك فهو خيرٌ لك** » قال فقُلْتُ فإنِّى أمسك سهمى الذي بخيبر - قال - وَقُلْتُ يا رسول الله إنَّ الله إنَّما أنجانى بالصدق وإنَّ مِنْ توبتى أَنْ لا أُحَدِّثَ إلا صِدْقًا ما بَقِيتُ - قال - فوالله ما علمْتُ أَنَّ أحدًا من المسلمين أبلاه الله في صدق الحديث منذ ذكرْتُ ذلك لرسول الله ﷺ إلى يومى هذا أحسن ممَّا أبلانى الله به والله ما تعمَّدْتُ كذبةً منذ قُلْتُ ذلك لرسول الله ﷺ إلى يومى هذا وإنِّى لأرجو أَنْ يحفظنى الله فيما بَقِى...

قال فأنزل الله ﷻ ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ ﴾ حتى بلغ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾ [التوبة].

قال كعبٌ والله ما أنعم الله عَلَىَّ من نعمةٍ قَطُّ بعد إذ هدانى الله للإسلام أعظم في نفسى من صدقى رسول الله ﷺ أَنْ لا أكون كَذَبْتُهُ فأهلك كما هلك الذين كذبوا إنَّ الله قال للذين كذبوا حين أنزل الوحى شَرَّ ما قال لأحدٍ وقال الله ﴿ سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ۖ فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ۖ إِنَّهُمْ رِجْسٌ ۖ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ ۖ فَإِن تَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٩٦﴾ ﴾ [التوبة] قال كعبٌ كنَّا خُلِّفْنَا أَيُّها الثلاثة عن أمر أولئك الذين قبل منهم رسول الله ﷺ حين حلفوا له فبايعهم واستغفر لهم وأَرْجأ رسول الله ﷺ أَمْرَنَا حتى قضى الله فيه فبذلك قال الله ﷻ ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ ﴾ وليس الذى ذكر الله مِمَّا خُلِّفْنَا تَخَلُّفَنا عن الغزو وإنما هو تخْلِيفُهُ إِيَّانا

وإرجاؤه أَمْرَنَا عَمَّن حلف له واعتذر إليه فقبل منه."[١].

❁ كعب بن مالك قبل التوبة وبعدها:

قبل التوبة: لما رآه النبى ﷺ ضحك له ضحك المغضب وقال ما خلفك.

بعد التوبة: لما رآه النبى ﷺ ضحك له وكأنَّ وجهه قطعة قمر.

قبل التوبة: قال: ما الذي خلفك.

بعد التوبة: قال: أبشر.

قبل التوبة: قاطعه المسلمين لا يكلمه أحد ولا يسلم عليه ولا يبايعه بل ولا يرد عليه السلام.

بعد التوبة: قاموا جميعًا يهنئونه ما بين ذاهب إليه يبشره، ومنتظر له في الطريق، ومنتظر له في المسجد، وقام إليه طلحة يعانقه ويهنئه فرحًا بتوبة الله عليه.

قبل التوبة: ذكره الله بالمعصية.

بعد التوبة: ذكره الله بالتوبة والرضا.

قبل التوبة: ضاقت عليه الأرض بما رحبت.

بعد التوبة: وسعت عليهم الأرض وتهللت له فرحًا.

ولعلم كعب بن مالك بكل هذا الفضل...

خر ساجدًا لله شكرًا...

---

(١) أخرجه البخاري (٤٤١٨)، مسلم (٢٧٦٩).

وأعطى من بشره قميصه...

وانخلع من جزء من ماله وأخرجه لله...

أخى الحبيب:

هلا بحثت عن هذا اليوم الذى هو أفضل يوم سيمر عليك منذ أن ولدتك.

إنه اليوم الذى ستعود فيه إلى الله بعد شرودك عنه...

إنه اليوم الذى ترجع فيه إلى سيدك بعدما أبقت عنه زمنًا...

ارفع أكف الضراعة إلى ربك...

وقف ببابه... وأطل الوقوف...

واطرق الباب عسى أن يفتح لك...

أخى الحبيب: اعلم أنه لن يجبر كسرك إلا الله...

ولن يسد خللك إلا الله...

فالجأ إليه ولُذ به فيما تريده، وعُذ به مما تحاذره.

وقل:

يـــــــامن ألـــــــوذ بـــــــه فيمـــــــا أؤملـــــــه
ومـــــــن أعـــــــوذ بـــــــه ممـــــــن أحـــــــاذره
لايجـــــــبر النـــــــاس عظمًـــــــا أنـــــــت كاســـــــره
ولا يهيضـــــــون عظمًـــــــا أنـــــــت جـــــــابره

أخى الحبيب:

سارع بالتوبة فإنك لا تدرى متى يأتيك رسول ربك ولا متى ستلقاه

فادخر لنفسك توبة يرضى بها الله عنك.

وامتثل بقول محمود الوراق:

قـــــــدم لنفســـــــك توبـــــــة مرجـــــــوة
قبـــــل الممـــــات وقبـــــل حـــــبس الألســـــن
بـــــادر بهـــــا غلـــــق النفـــــوس فإنهـــــا
ذخـــــر وغـــــنم للمنيـــــب المحســـــن

أخي الحبيب:

إن عرفت قدر احتياجك إلى الله وأنه لا غنى لك عنه وقدر فرح الله بتوبتك... ومع ذلك ما زلت مصرًّا على المعاصى ومتقاعصًا عن التوبة...

إنك بذلك تظلم نفسك ظلمًا عظيمًا.

يقول ابن القيم: من أعجب الأشياء:

أن تعرفه ثم لا تحبه...وأن تسمع داعيه ثم تتأخر عن الإجابة...

وأن تعرف قدر الربح في معاملته ثم تعامل غيره...

وأن تعرف قدر غضبه ثم تتعرض له...

وأن تذوق ألم الوحشة في معصيته ثم لا تطلب الأنس بطاعته...

وأن تذوق عصرة القلب عند الخوض في غير حديثه والحديث عنه ثم لا تشتاق إلى انشراح الصدر بذكره ومناجاته...

وأن تذوق العذاب عند تعلق القلب بغيره ولا تهرب منه إلى نعيم الإقبال عليه والإنابه إليه...

وأعجب من هذا علمك أنك لابد لك منه، وأنك أحوج شيء إليه،

وأنت عنه معرض وفيما يبعدك عنه راغب [١].

أخي الحبيب: أنقذ نفسك بالتوبة قبل أن يأتي يوم لا يقبل منك قليل ولا كثير... ذلك يوم التغابن... يومٌ يسعد فيه السعداء، ويشقى الأشقياء...

فهيا بنا إلى توبة صادقة نرجع فيها إلى الغفور الرحيم نستدرك ما فاتنا وندرك من سبقنا.

فهل من توبة ياقوم هلا ... رجعنا للغفور وللرحيم
ستذكرون يومًا إن أتاكم ... رسول الموت بالخبر العميم
فطوبى للذي قد جاء يومًا ... بطاعات وبالقلب السليم
وتبًّا للذى أمضى الليالي ... بعصيان وبالقلب السقيم

(١) الفوائد (١/ ٤٧).

الـمـــــوت

ما من حالٍ خلقه الله في الدنيا إلا وهو متغير لا يدوم...

فالشاب يهرم... والصغير يكبر...

والقليل يكثر... والكثير يقل...

والحى يموت.

لذا مر عمر وهو أمير المؤمنين وهو في حجه على مكان...

فقال: الحمد لله ولا إله إلا الله يعطى من يشاء ما يشاء لقد كنت بهذا الوادي أرعى إبلًا للخطاب، وكان فظًّا غليظًا يتعبنى إذا عملت ويضربنى إذا قصرت، وقد أصبحت وأمسيت وليس بينى وبين الله أحد أخشاه...

وأنشد قائلًا:

لا شـــــيء مما تـــــرى تبقـــــى بشاشـــــته
يبقـــــى الإلـــــه ويـــــردى المـــــال والولـــــدُ
لـــــم تغـــــن عـــــن هرمـــــز يومًـــــا خزائنـــــه
والخلـــــد قـــــد حاولـــــت عـــــادٌ فمـــــا خلـــــدوا
ولا ســـــليمان إذ تجـــــرى الريـــــاح لـــــه
والإنـــــس والجـــــن فيمـــــا بينهـــــا بـــــردُ
أيـــــن الملـــــوك التـــــى كانـــــت نواهلهـــــا
مـــــن كـــــل أوب إليهـــــا راكـــــب يفـــــدُ
حـــــوض هنالـــــك مـــــورود بـــــلا كـــــذب
لابـــــد مـــــن ورده يومـــــا كمـــــا وردوا[1]

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب (١/ ٣٥٨).

إنه هادم اللذات، ومفرق الجماعات، وميتم البنين والبنات.

إنه قضاء الله على عباده وما يستطيع راد أن يرده.

الموت هو التحدى الذى تحدى الله به عباده قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُوا۟ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا۟ ۗ قُلْ فَٱدْرَءُوا۟ عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٦٨﴾﴾ [آل عمران: ١٦٨].

وقال تعالى ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [الواقعة: ٨٣ – ٨٧].

لما حضر أبا بكرةَ الموتُ...

قالوا: نحضر لك طبيبًا؟ فأبى... فلما اشتد عليه ونزل به...

قال أين طبيبكم؟ فليردها عليَّ إن كان صادقًا [(١)]، ولسان حاله يقول:

أين داود أين أين سليمان ... المنيع الأعراض والأجناد
أين نمرود وأين أين قارون ... وهامان أين ذو الأوتاد
وردوا كلهم حياض المنايا ... ثم لم يصدروا عن الإيراد
أتناسيت أم نسيت المنايا ... أنسيت الفراق للأولاد
أي يوم يوم الممات أنت ... تُنادَى فما تجيب المناد
إنَّ الموت بعده الحساب ... والميزان والإشهاد

❁ ما كتب الله الخلود لأحد:

إنَّ الله ما كتب لأحد الخلود في الدنيا، بل لابد من الرجوع إلى الله لكى توفى كل نفس بما كسبت ثم يكون الخلود.

(١) تاريخ دمشق (٦٢/ ٢١٨)، تاريخ بغداد (٨/ ٥٨٠)، سير أعلام النبلاء (٣/ ٩).

فلو كان الخلود بالقوة لكان لعاد التى لم يخلق مثلها في البلاد، ولكنها لم تخلد...

ولو كان الخلود بالطغيان والجبروت لكان لفرعون، ولكنه لم يخلد...

ولو كان الخلود بالخله والمحبة لكان للنبى محمد ﷺ، ولكنه لم يخلد...

ولو كان الخلود بالصلاح والقوة لكان لذي القرنين الذى بلغ مشرق الشمس ومغربها، ولكنه لم يخلد...

ولو كان الخلود بالملك والقوة والصلاح والنبوة لكان لسليمان، ولكنه لم يخلد...

بل إنَّ سيف الموت جارٍ على جميع الخلق...

بل إنَّ العجيب أنه يجري على ملك الموت...

بل أعجب من ذلك أن يقضى الله تعالى على الموت بالموت.

أخى الحبيب: إنك ستقدم على الله وحدك استمع لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ ۖ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ ۚ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾﴾ [الأنعام: ٩٤].

أخى الحبيب: إنك منذ نزلت إلى الدنيا وأنت سائر إلى الله مقترب من الآخرة مقبل عليها مدبر عن الدنيا مبتعد عنها، وأنت إلى دار مقبل إليها أقرب من دار مدبر عنها.

أخى الحبيب: أجِّل النوم والراحة فإنها ستكون أمامك.

فكانت أم الصهباء تصلي، فإذا أخذها النوم تقوم وتقول عجبت لعين

تنام وقد عرفت طول الرقاد في ظلم القبور[(١)].

وكان أحمد إذا سئل متى يجد العبد طعم الراحة، فيقول عند أول قدم يضعها فى الجنة [(٢)].

كان يحيى بن معاذ يقول لست أبكى على نفسى إذا ماتت، ولكن أبكى على حاجتى إذا فاتت [(٣)].

❁ قصة الحياة الدنيا:

إنَّ الله تعالى يصف لك قصة الحياة الدنيا، إنك تسمع ذلك في كتاب الله وتجده كثيرًا يصف الله تعالى الحياة الدنيا، ويقص عليك قصتها بكلمات قليلة قصيرة ليشعرك بقصرها وسرعة زوالها وفنائها.

يقول تعالى ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [المؤمنون: ١٢ – ١٦].

هذه هى قصة الحياة يصفها لك ربك فى كلمات...

إنه خلق الانسان من نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظامًا ثم كسى العظام لحمًا ثم أنشأه خلقًا آخر.

ثم ذكر الموت ثم البعث...

---

(١) سير أعلام النبلاء (٤/ ٥٠٩)، صفة الصفوة (١/ ٣٦٨).
(٢) طبقات الحنابلة (١/ ٢٩١).
(٣) سير أعلام النبلاء (١٣/ ١٥)، حلية الأولياء (١٠/ ٥١).

فهذه البداية وهذه النهاية.

ولكنك عند النظر لهذه الآيات قد يخيل إليك أنَّ الحياة طويلة ممتدة.

فيصفها لك الله تعالى بعبارة أشد قصرًا فيقول ﴿قُتِلَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَآ أَكۡفَرَهُۥ ١٧ مِنۡ أَيِّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥ ١٨ مِن نُّطۡفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ١٩ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ٢٠ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقۡبَرَهُۥ ٢١ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ٢٢﴾ [عبس: ١٧ – ٢٢].

فهذه هى الدنيا:

قصيرة...قليلة...

حتى في وصفها توصف بكلمات قليلة مما يدل على قلة وقتها وزمانها، وقلة قيمتها إنها لا تزن عند الله جناح بعوضة.

بل وصفها الله بعبارة أقصر وأقصر فقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمۡۚ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ لِكَيۡ لَا يَعۡلَمَ بَعۡدَ عِلۡمٖ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٞ قَدِيرٞ﴾ [النحل: ٧٠].

إنها خلق ثم وفاة. فالمغرور من اغتر بها.

يقول عمر بن عبدالعزيز: الدنيا بقاؤها قليل، وعزيزها ذليل، وشبابها يهرم، وحيها يموت، فالمغرور من اغتر بها [(١)].

❁ الموت سنة للخلق جميعًا:

قدر الله على الخلائق جميعًا أن يلقوه، وأن يعودوا إليه سبحانه وتعالى لكى يحاسبوا على ما فعلوه. لذا قدر الله عليهم جميعًا الموت.

فهو أمر حتمى: يستوي فيه الكبير والصغير...والغنى والفقير... والحاكم والمحكوم... حتى الأنبياء.

---

(١) العاقبة في ذكر الموت لعبد الحق الإشبيلي (١٩١)

❁ الموت لا يرحم أحدًا:

الموت لايرحم الصغير ولا يتركه لضعفه أو حنانًا أو عطفًا عليه، حتى وإن كان ابن بنت النبى ﷺ،عن أسامة بن زيدٍ رضي الله عنهما، قال: أَرْسَلَتِ ابنة النبى ﷺ إليه إنَّ ابنًا لى قُبض، فأتنا، فأرسل يقرئ السلام، ويقول: «**إنَّ لله ما أخذ، وله ما أعطى، وكلٌّ عنده بأجل مسمًّى، فَلْتَصْبرْ، وَلْتَحْتَسِبْ**»، فَأَرْسَلَتْ إليه تقسم عليه لَيَأْتِيَنَّها، فقام ومعه سعد بن عبادة، ومعاذ بن جبل، وأُبىُّ بن كعب، وزيد بن ثابتٍ ورجالٌ، فرفع إلى رسول الله ﷺ الصبى ونفسه تَتَقَعْقَعُ - قال: حَسِبْتُهُ أَنَّهُ قال كأنها شَنٌّ - ففاضت عيناه، فقال سعدٌ: يا رسول الله، ما هذا؟ فقال: «**هذه رحمةٌ جعلها الله فى قلوب عباده، وإنما يرحم الله من عباده الرُّحماء**»[(١)].

الموت لا يرحم ولا يترك أحدًا:

وإن كان شيخًا كبيرًا... وإن انحنى ظهره أو رق عظمه...

لا يتركه ولا يؤخره ولا يمد له فى أجله.

إنَّ معاوية بن أبى سفيان لما حضره الموت وهو الزاهد الورع وكان من صفاته شدة خوفه من الموت مع عظم عمله، فقال أجلسوني، وجعل يذكر الله تعالى، ثم بكى ثم قال الآن الآن يامعاوية أما كان ذلك وغض الشباب نضير ريان – مع أنه كان عابدًا مجاهدًا كاتبًا للوحى لكنه يستقل كل ذلك في جنب الله تعالى - ثم بكى وقال " اللهم ارحم الشيخ العاصى ذا القلب القاسي وجد بحلمك وعفوك على من لم يرج غيرك ولا وثق بأحدٍ سواك"

---

(١) **متفق عليه:** أخرجه البخاري (١٢٨٤، ٦٦٥٥، ٧٣٧٧)، مسلم (٩٢٣).

ثم فاضت روحه[١].

كان صحابيًّا شيخًا كبيرًا لكن الموت لم يتركه رحمة أو رأفة به.

بل جاءه الموت.

❁ الموت لا يهاب أحدًا:

الموت لايهاب الملوك ولا العظماء لقوتهم بل كلٌّ يجري عليهم سيفه.

دعا هارون الرشيد بعض علمائه...

وقال له: عظنى. فقال: يا أمير المؤمنين: أين آباؤك وأجدادك من لدن آدم إلى الآن؟ قال: في القبور.

قال: فأين قصورهم؟ قال: ها هى قصورهم.

قال: يا أمير المؤمنين: هذه قصورهم وهذه قبورهم ما نفعتهم قصورهم وهم في قبورهم.

فبكى هارون... وقال: زدني. قال: يا أمير المؤمنين، إنك فى قصور واسعة ياليت قبرك يكون واسعًا هكذا.

فبكى... وقال: زدني. قال: يا أمير المؤمنين: لو أنك ملكت كنوز كسرى ثم ذهبت إلى القبر.

أليس القبر غاية كل حى وتسأل بعده عن كل شىء؟!

فبكى هارون حتى مرض مرض الموت...

---

(١) البداية والنهاية (٨/ ١٥١)، العاقبة في ذكر الموت لعبدالحق الإشبيلى (١٢٥)، مروج الذهب للمسعودي (١/ ٣٧٠).

فلما اقترب أجله...

أمر وزراءه أن يجمعوا له جيشه وكانت لا تحصى عددًا ولا يحصيها إلا الله...

فلما اجتمع الجنود أمامه وهو يموت...

قال " يا من لا يزول ملكه ارحم من قد زال ملكه ".

ثم نظر في أهله...وقال اجمعوا لى مالى...واحفروا لى قبري...

فلما حفروا قبره وجمع ماله نظر إليه وقال: "ما أغنى عنى ماليه هلك عنى سلطانيه "[(١)].

وهو الملك الذى كان يخاطب السحابة فيقول لها أمطري حيث تمطري فسيأتينى خراجك بإذن الله".

ومع ذلك جاء عليه يوم وجاءه الموت فهو حقٌّ على الناس جميعًا.

يقول الفضيل: رأيت رجلًا في جنازة يبكى. فقلت له: ما يبكيك؟ قال: من كلمة سمعتها. قلت: ما سمعت؟ قال: سمعت من يقول:

أتيت القبور فساءلتها ... فأين المُعَظَّم والمحتقر
وأين المدل بسلطانه ... وأين القوي إذا ما قدر
فقالوا جميعًا فما مخبرٌ ... فماتوا جميعًا ومات الخبر
فيا سائلي عن أناس مضوا ... أما لك فيما ترى معتبر
يروح ويغدو عليه الثرى ... فيمحو محاسن تلك الصور[(٢)]

أخي الحبيب: كل جمال الدنيا ومتاعها يذهب:

(١) تاريخ بغداد (١٤/ ١٩)، سير أعلام النبلاء (١٠/ ٣١٣)، البداية والنهاية (١٠/ ٣٤١).
(٢) أهوال القبور لابن رجب (١/ ٢٢٠).

نضرة الشباب تذهب... جمال النساء يذهب...

قوة الأقوياء تذهب... ولا يبقى معك إلَّا ما قدمت يداك.

كان أبوبكر في خطبه كثيرًا ما يقول " أين الوضاءة الحسنة وجوههم المعجبون بشبابهم، أين الملوك الذين بنوا المدائن وحصنوها بالحيطان، أين الذين كانوا يعطون الغلبة في مواطن الحرب قد تضعضع أركانهم، حين أضنى بهم الدهر، وأصبحوا في ظلمات القبور الوحا الوحا، ثم النجاء النجاء"[(١)].

❁ أين المفر؟ وما الحيلة؟

إنَّ العبد بقدوم الشر عليه فطر على أنه يتجهز له ويحترز منه ويحمى نفسه منه.

فإذا نظرت إلى الموت...

قد تسأل نفسك: متى زمانه؟ حتى أستعد له...

فيجيبك الله تعالى فيقول ﴿ قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٦﴾ ﴾ [الملك: ٢٦].

إذًا عليك أن تبحث عن مكانه... فإذا لم تعلم زمانه فابحث عن مكانه...

لكى لا تقترب من مكانه فتسلم من شره...

هل هو في الحوادث في الطرقات؟ أم في الغرق في البحار؟

أم يأتيك وأنت مريض نائم على فراشك؟

أم يأتيك وأنت صحيح معافى سائر على قدميك؟

---

(١) شعب الإيمان (٧/ ٣٦٤)، حلية الأولياء (١/ ٣٤).

فأين أين مكانه؟

يجيبك الله تعالى ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ۗ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾ ﴾ [النساء: ٧٨]، وقال تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾ ﴾

[لقمان: ٣٤].

فكثير من الناس يظن أنَّ الموت معلق بمكان، فيظن أنَّ الاحتراز من بعض الأماكن قد يمنع عنه الموت ولكن هيهات هيهات.

لذا لما طلب نوح من ابنه أن يركب معه...

﴿ قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [هود: ٤٣].

قد يقول قائل وجدتها وجدتها...

أنا شاب قوي رياضي لا يستطيع أحد أن يسبقني عَدْوًا وجريًا...

فإذا جاءني سأسرع منه ولن يدركني...

فيجيبك الله تعالى فيقول ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ ﴾

[الجمعة: ٨].

إنَّ الموت ليس خلفك...وليس عن يمينك...

ولا عن شمالك... إنه لا يسير خلفك إنما هو ملاقيك.

فإنك إن توجهت في أي جهة فهو في تلقاء وجهك فلا مفر منه.

قد يقول قائل: كل ذلك لايجدي نفعًا...

ولكن هناك حلٌّ آخر... هو أيسر من كل ذلك...

إنَّ الله رءوف رحيم... يقبل اعتذار العبد ويعطيه الفرصة...

فإذا جاءني الموت سأطلب التأجيل والانتظار قليلًا لعلى أتوب وأرجع.

فيجيبك الله تعالى فيقول ﴿إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ ۖ لَوۡ كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٤﴾ [نوح: ٤].

فماذا ستفعل اذا جاءك الموت...

لا تعلم مكانه... ولا تعلم زمانه...

ولا يمكنك الفرار منه... ولا يقبل التأجيل...

إذًا فماذا ستفعل؟ يرى الله تعالى حيرتك...

فيهديك إلى الراحة والأمان فيقول تعالى ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥٠﴾ [الذاريات: ٥٠].

وكأنَّ الله يقول لك: عبدي لماذا تبحث عن حلٍّ بعيد عنى، وتريد أن تبحث عن فرارٍ منى، بل أقبل علىَّ وفر من المهلكات إلىَّ.

وقال تعالى ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ٢٨١﴾ [البقرة: ٢٨١] وقال ﷻ ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ٥٤ وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحۡسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ بَغۡتَةٗ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ٥٥ أَن تَقُولَ نَفۡسٞ يَٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ٥٦﴾ [الزمر: ٥٤ – ٥٦].

يقول عبدي اتق هذا اليوم...حتى لاتندم وتتحسر في يوم لا ينفع فيه الحسرات ولا تشفع فيه العبرات.

فليس أمامك إلا أن تنتظر الموت على أحسن حال.

الدنيا دار سفر وليست دار مستقر:

أخي الحبيب: إنَّ الله تعالى أتى بك إلى الدنيا مسافرًا...

فلا بد لك من إعداد عدة السفر التى ستوصلك إلى ربك، ولتكن مستعدًّا في كل وقت فإنك لا تدري متى يأتيك رسول ربك.

لذا يقول ابن الجوزي " الواجب على العاقل أخذ العدة لرحيله، فإنه لا يعلم متى يفجؤه أمر ربه، ولا يدري متى يُستدعى؟.

وإني رأيت خلقًا كثيرًا غرهم الشباب ونسوا فقد الأقران، وألهاهم طول الأمل.

وربما قال العالم المحض لنفسه: أشتغل بالعلم اليوم ثم أعمل به غدًا فيتساهل في الزلل بحجة الراحة، ويؤخر الأهبة لتحقيق التوبة، ولا يتحاشى من غيبة أو سماعها، ومن كسب شبهة يأمل أن يمحوها بالورع، وينسى أنَّ الموت قد يبغته فالعاقل من أعطى كل لحظة حقها من الواجب عليه فإن بغته الموت رئى مستعدًّا، وإن نال الأمل ازداد خيرًا"[(١)].

أخي الحبيب: إنَّ السفر يحتاج أنيسًا وقرينًا يؤنس وحشتك في السفر الطويل... فإذا ذكرت أهلك وأحبابك كان هو أهلك وقريبك وحبيبك...

ألا وهو العمل.

---

(١) صيد الخاطر (١/ ٢).

عن البراء بن عازب قال خَرَجْنا مع النبى ﷺ في جنازة رجل من الأنصار فانْتَهَيْنا إلى القبر ولمَّا يُلْحد فجلس رسول الله ﷺ وجلسْنا حوله وكأَنَّ على رءوسنا الطَّيْرَ وفي يده عُودٌ يَنْكُت في الأرض فرفع رأسه فقال: «استعيذوا بالله من عذاب القبر مرَّتَيْن أو ثلاثًا ثم قال إنَّ العبد المؤمن إذا كان فى انقطاع من الدنيا وإقبالٍ من الآخرة نزل إليه ملائكة من السماء بيضُ الوجوه كأَنَّ وجوههم الشمس معهم كفنٌ من أكفان الجنة وحَنُوطٌ من حَنُوط الجنة حتى يجلسوا منه مَدَّ البصر ثم يجىء مَلَكُ الموت عليه السلام حتى يجلس عند رأسه فيقول أَيَّتها النفس الطَّيِّبة اخرجى إلى مغفرةٍ من الله ورضوانٍ قال فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من فِى السِّقاء فيأخذها فإذا أخذها لم يَدَعوها فِى يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها فى ذلك الكفن وفى ذلك الحنوط ويخرج منها كأطيب نَفْحَةِ مِسْكٍ وُجِدَتْ على وجه الأرض قال فيصعدون بها فلا يَمُرُّون يعنى بها على ملإٍ من الملائكة إلا قالوا ما هذا الرُّوح الطَّيِّب فيقولون فلان بن فلانٍ بأحسن أسمائه التى كانوا يسمونه بها فى الدنيا حتى ينتهوا بها إلى السماء الدنيا فيَسْتَفْتِحون له فيُفتح لهم فَيُشَيِّعه من كُلِّ سماءٍ مُقَرَّبُوها إلى السماء التى تليها حتى يُنْتَهَى به إلى السماء السابعة فيقول الله عزوجل اكتبوا كتاب عبدى فِى عِلِّيِّين وأعيدوه إلى الأرض فإنِي منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارةً أخرى قال فتُعاد روحه فى جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له من ربك فيقول ربى الله فيقولان له ما دينك فيقول دينى الإسلام فيقولان له ما هذا الرجل الذى بعث فيكم فيقول هو رسول الله ﷺ فيقولان له وما عِلْمُك فيقول قَرَأْتُ كتاب الله فآمَنْتُ به وصدَّقْتُ فينادى مُنادٍ فى السماء أَنْ صدق عبدى فأَفْرشوه من الجنة وألبسوه من الجنة وافتحوا له بابًا إلى الجنة قال فيأتيه من روحها وطيبها ويفسح له فى قبره مد بصره قال ويأتيه رجلٌ حسن الوجه حسن الثياب طَيِّب الريح فيقول أَبْشِرْ بالذى يَسُرُّك هذا يومك الذي كنت توعد فيقول له من أنت فوجهك الوجه يجيء بالخير

فيقول أنا عملك الصالح فيقول رَبِّ أَقِمْ الساعة حتى أرجع إلى أهلى ومالى قال وإنَّ العبد الكافر إذا كان فِى انقطاع من الدنيا وإقبالٍ من الآخرة نزل إليه من السماء ملائكةٌ سود الوجوه معهم المُسُوح فيجلسون منه مَدَّ البصر ثم يجىء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول أَيَّتها النفس الخبيثة اخرجى إلى سخطٍ من الله وغضب قال فَتُفَرَّق فِى جسده فينتزعها كما يُنتزَع السَّفُّودُ من الصوف المبلول فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها فِى يده طرفة عين حتى يجعلوها فِى تلك المسوح ويخرج منها كأنتن ريح جيفةٍ وُجِدَتْ على وجه الأرض فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملإٍ من الملائكة إلا قالوا ما هذا الروح الخبيث فيقولون فلان بن فلانٍ بأقبح أسمائه التى كان يُسَمَّى بها فِى الدنيا حتى يُنْتَهَى به إلى السماء الدنيا فيستفتح له فلا يُفتح له ثم قرأ رسول الله ﷺ ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾ [الأعراف:٤٠] فيقول الله ﷻ اكتبوا كتابه فِى سِجِّين فى الأرض السُّفلى فَتُطْرَحُ روحه طَرْحًا ثم قرأ ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾﴾ [الحج:٣١] فتعاد روحه فِى جسده ويأتيه ملكان فيُجلسانه فيقولان له من ربك فيقول هاه هاه لا أدرى فيقولان له ما دينك فيقول هاه هاه لا أدرى فيقولان له ما هذا الرجل الذى بُعث فيكم فيقول هاه هاه لا أدرى فينادى منادٍ من السماء أَنْ كذب فافرشوا له من النار وافتحوا له بابًا إلى النار فيأتيه من حرها وسمومها وَيُضَيَّقُ عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه ويأتيه رجلٌ قبيح الوجه قبيح الثياب منتن الريح فيقول أبشر بالذى يسوءك هذا يومك الذى كنت توعد فيقول من أنت فوجهك الوجه يجيء بالشر فيقول أنا عملك الخبيث فيقول رَبِّ لا تقم الساعة»[(١)].

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٢٨٧)، وصححه الألباني في المشكاة (١٦٣٠).

هذا هو حالك يحضرك عملك في صورته التى قدمته فيها، فإما أن يأتيك في وجه حسن وهنيئًا لك وقتها، وإما أن يأتيك في وجه قبيح وياحسرتاه وقتها.

فصاحب العمل الصالح يأتيه في صورة رجل ذي هيئة حسنة، وذي رائحة حسنة... ويبشره...

يقول له: أبشر بالذى يسرك، فيقول من أنت فوجهك الوجه الذى يجىء بالخير؟

فيقول له أنا عملك الصالح... أنا صاحبك وقرينك...

أنا صلاتك... أنا برك للوالدين... أنا صلتك للرحم...

أنا دعوتك إلى الله... أنا طلبك للعلم وصبرك عليه...

أنا بعدك عن المحرمات... أنا بعدك عن الشهوات والشبهات...

أنا استيقاظك لصلاة الفجر... أنا قيامك بالليل...

أنا استغفارك بالأسحار... أنا قرينك...

أنا الذى ادخرتنى في الدنيا... أنا... أنا...أنا...

فيقول رب أقم الساعة... رب أقم الساعة.

أما إن كان غير ذلك:

يأتيه رجل خبيث الوجه والرائحة لخبث عمله ونتن رائحته...

فيقول له: من أنت فوجهك الوجه يجىء بالشر؟

فبقول له: أنا عملك الخبيث...

أنا معصيتك... أنا جرأتك على الله فى الخلوات...

أنا نظرك إلى النساء...أنا استماعك للأغانى والمعازف...

أنا مكالماتك في الهواتف مع الفتيات...

أنا العورات التى كشفتها... أنا تركك للصلاة والصيام...

أنا الغيبة والنميمة... أنا الافتراء على الناس...

أنا الربا الذي أكلته... أنا أموال اليتامى التى أكلتها...

أنا قرينك... أنا الذى اخترتنى وادخرتنى لذلك اليوم...

فيقول رب لا تقم الساعة لأنه علم أنَّ ما بعد ذلك أشر.

أخي الحبيب:

تـــــزود قرينًـــــا مـــــن فعـــــالك إنمـــــا
قـــــرين الفتـــــى في القـــــبر مـــــا كـــــان يفعـــــل
وإن كنـــــت مشـــــغولًا بشـــــيء فـــــلا تكـــــن
بغيـــــر الـــــذي يرضـــــى بـــــه الله تشـــــغل
لا يصـــــحب الإنســـــان مـــــن بعـــــد موتـــــه
إلـــــى قـــــبره إلَّا الـــــذى كـــــان قبـــــل المـــــوت يفعـــــل
ألا إنمـــــا الانســـــان ضـــــيف بأهلـــــه
يقـــــيم قلـــــيلًا عنـــــدهم ثـــــم يرحـــــل

أخى الحبيب:

لابد أن تعود إلى الله كاسيًا فالله أرسلك عاريًا من الجسد والعمل وقال لك اكتس عملًا صالحًا تأتنى به.

فإنك ستعود وستحشر إلى الله عاري الجسد أيضًا...

ولكن سيكون معك عملك وهو رفيقك...

وهو الذى يستر عورتك أمام ربك...

قال تعالى ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ٢٦ ﴾ [الأعراف: ٢٦].

أخى الحبيب:

الموت أمرٌ حتمى... والقبر بيت ينتظرك وينادي عليك...

وهو إما روضة من رياض الجنة، أو حفرة من حفر النيران...

فاختر لنفسك... وافرش قبرك قبل أن تموت...

فمن علم أنَّ له ربًّا ملاقيه وبيتًا هو ساكنه...

فليرض ربه قبل أن يلقاه... وليعمر بيته قبل أن يسكنه...

عن عبد الله بن عَيَّاش، عن أبيه، أَنَّ عمر بن عبد العزيز شَيَّع جنازةً، فلما انصرفوا تأخر عمر وأصحابه ناحيةً عن الجنازة، فقال له أصحابه: يا أمير المؤمنين، جنازة أنت وليها تأخرت عنها فتركتها وتركتنا؟ فقال: نعم، ناداني القبر من خلفى، يا عمر بن عبد العزيز ألا تسألنى ما صَنَعْتُ بالأحبة؟ قُلْتُ: بلى، قال: خَرَّقْتُ الأكفان، ومَزَّقْتُ الأبدان، وَمَصَصْتُ الدم، وأَكَلْتُ اللحم، ألا تسألنى ما صَنَعْتُ بالأوصال؟ قُلْتُ: بلى، قال: نَزَعْتُ الكفين من الذراعين، والذراعين من العضدين، والعضدين من الكتفين، والوركين من الفخذين، والفخذين من الركبتين، والركبتين من الساقين، والساقين من القدمين، ثم بكى عمر، فقال: ألا إنَّ الدنيا بقاؤها قليل، وعزيزها ذليل، وغنيها فقير، وشبابها يهرم، وحيها يموت، فلا يَغُرَّنَّكم إقبالها مع معرفتكم بسرعة إدبارها، والمغرور من اغتر بها، أين سكانها الذين بَنَوْا مدائنها، وشقَّقوا أنهارها، وغرسوا أشجارها، وأقاموا فيها أيَّامًا يسيرةً، غرتهم بصحتهم، وغُرُّوا بنشاطهم، فركبوا المعاصي، إنهم كانوا والله في الدنيا

مغبوطين بالأموال على كثرة المنع عليه، محسودين على جمعه، ما صنع التراب بأبدانهم، والرمل بأجسادهم، والديدان بعظامهم وأوصالهم، كانوا في الدنيا على أَسِرَّةٍ مُمَهَّدَةٍ، وَفُرُش منضدة، بين خدم يخدمون، وأهل يكرمون، وجيرانٍ يعضدون، فإذا مررت فنادهم إن كنت مناديًا، وادعهم إن كنت لابد داعيًا، ومر بعسكرهم، وانظر إلى تقارب منازلهم التى كان بها عيشهم، وسل غنيهم ما بقى من غناه، وسل فقيرهم ما بقى من فقره، وسلهم عن الألسن التى كانوا بها يتكلمون، وعن الأعين التى كانت إلى اللذات بها ينظرون، وسلهم عن الجلود الرقيقة، والوجوه الحسنة، والأجساد الناعمة، ما صنع بها الديدان، محت الألوان، وأكلت اللحمان، وعفرت الوجوه، ومحت المحاسن، وكسرت الفقار، وأبانت الأعضاء، ومزقت الأشلاء، وأين حجالهم وقبابهم، وأين خدمهم وعبيدهم، وجمعهم ومكنوزهم، والله ما زودوهم فراشًا، ولا وضعوا هناك متكأً، ولا غرسوا لهم شجرًا، ولا أنزلوهم من اللحد قرارًا، أليسوا في منازل الخلوات والفلوات؟ أليس الليل والنهار عليهم سواء؟ أليس هم في مُدلَهَمَّةٍ ظَلماء، قد حِيل بينهم وبين العمل، وفارقوا الأحبة؟ فكم من ناعم وناعمة أصبحوا ووجوههم بالية، وأجسادهم من أعناقهم نائية، وأوصالهم ممزقة، قد سالت الحدق على الوجنات، وامتلأت الأفواه دمًا وصديدًا، ودبت دواب الأرض في أجسادهم، ففرقت أعضاءهم، ثم لم يلبثوا والله إلا يسيرًا حتى عادت العظام رميمًا، قد فارقوا الحدائق، فصاروا بعد السعة إلى المضايق، قد تزوجت نساؤهم، وترددت في الطرق أبناؤهم، وتوزعت القرابات ديارهم وتراثهم، فمنهم والله الموسع له في قبره، الغض الناضر فيه، المتنعم بلذته، يا ساكن القبر غدًا ما الذي غرك من الدنيا؟ هل تعلم أنك تبقى أو تبقى لك؟ أين دارك الفيحاء، ونهرك الْمُطَّرِدُ؟ وأين ثمرُكَ النَّاضرُ يَنْعُهُ؟ وأين رِقاق ثيابك؟ وأين طيبك؟ وأين بخورك؟ وأين كسوتُكَ لصيفكَ وَشِتَائِكَ؟ أما رَأَيْتَهُ قد نزل به الأمر فما يدفع

عن نفسه وَجَلًا؟ وهو يَرْشَحُ عرقًا، وَيَتَلَمَّظُ عطشًا، يتقلب من سكرات الموت وغمراته، جاء الأمر من السماء، وجاء غالب القدر والقضاء، جاء من الأمر والأجل ما لا تمتنع منه، هيهات هيهات يا مغمض الوالد والأخ والولد، وغَاسِلَهُ يا مُكَفن الميت وحامله، يا مُخْلِيه في القبر، وراجعًا عنه، ليت شعري كيف كنت على خشونة الثرى، يا ليت شعري بأي خديك بدأ البلى، يا مجاور الهلكات، صرت في محلة الموتى، ليت شعري ما الذي يلقاني به ملك الموت عند خروجي من الدنيا؟ وما يأتيني به من رسالة ربي؟ ثم تمثل:

تُسَـــــرُّ بمـــــا يَفْنَـــــى وَتُشْـــــغَلُ بالصِّـــــبَا
كمـــــا غُـــــرَّ باللـــــذات في النـــــوم حـــــالِمُ
نهـــــارك يـــــا مغـــــرور ســـــهو وغفلـــــة
وليلـــــك نـــــوم والـــــرَّدَى لـــــك لازِمُ
وتعمـــــل فيمـــــا ســـــوف تَكْـــــرَهُ غِبَّـــــهُ
كـــــذلك في الـــــدنيا تعـــــيش البهـــــايمُ

ثم انصرف فما بقي بعد ذلك إلا جُمعةً [(١)].

❁ القبر نعم المنزل لمن أطاع الله:

لذا فالنبي ﷺ بين أنَّ العبد الصالح يفسح له في قبره مد بصره وفي رواية سبعين ذراعًا ويضاء له في قبره وتأتيه الملائكة وتبشره عن أَنَس بْن مَالِكٍ قَالَ: قَالَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ « **إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ إِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ** ». قَالَ « **يَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُقْعِدَانِهِ فَيَقُولاَنِ لَهُ مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ** ». قَالَ « **فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيَقُولُ أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ** ». قَالَ « **فَيُقَالُ لَهُ**

(١) حلية الأولياء (٥/ ٢٦١).

انْظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ قَدْ أَبْدَلَكَ اللهُ بِهِ مَقْعَدًا مِنَ الْجَنَّةِ ». قَالَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ « **فَيَرَاهُمَا جَمِيعًا** ». قَالَ قَتَادَةُ وَذُكِرَ لَنَا أَنَّهُ يُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعًا وَيُمْلأُ عَلَيْهِ خَضِرًا إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ [(١)].

وعن الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي جَنَازَةِ رَجُلٍ مِنَ الأَنْصَارِ فَانْتَهَيْنَا إِلَى الْقَبْرِ وَلَمَّا يُلْحَدْ فَجَلَسَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ كَأَنَّمَا عَلَى رُءُوسِنَا الطَّيْرُ وَفِي يَدِهِ عُودٌ يَنْكُتُ بِهِ فِي الأَرْضِ فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ: « **اسْتَعِيذُوا بِاللهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ** ». مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلاَثًا - زَادَ فِي حَدِيثِ جَرِيرٍ هَا هُنَا - وَقَالَ: « **وَإِنَّهُ لَيَسْمَعُ خَفْقَ نِعَالِهِمْ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ حِينَ يُقَالُ لَهُ: يَا هَذَا مَنْ رَبُّكَ وَمَا دِينُكَ وَمَنْ نَبِيُّكَ** ». قَالَ هَنَّادٌ قَالَ: « **وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ فَيَقُولاَنِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ فَيَقُولُ: رَبِّيَ اللهُ. فَيَقُولاَنِ لَهُ: مَا دِينُكَ فَيَقُولُ: دِينِيَ الإِسْلاَمُ. فَيَقُولاَنِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ قَالَ فَيَقُولُ: هُوَ رَسُولُ اللهِ ﷺ. فَيَقُولاَنِ: وَمَا يُدْرِيكَ فَيَقُولُ: قَرَأْتُ كِتَابَ اللهِ فَآمَنْتُ بِهِ وَصَدَّقْتُ** ». زَادَ فِي حَدِيثِ جَرِيرٍ: « **فَذَلِكَ قَوْلُ اللهِ ﷻ (يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا)** ». الآيَةَ. ثُمَّ اتَّفَقَا قَالَ: « **فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ: أَنْ قَدْ صَدَقَ عَبْدِي فَأَفْرِشُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الْجَنَّةِ وَأَلْبِسُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ** ». قَالَ: « **فَيَأْتِيهِ مِنْ رَوْحِهَا وَطِيبِهَا** ». قَالَ: « **وَيُفْسَحُ لَهُ فِيهَا مَدَّ بَصَرِهِ** » [(٢)].

وما من ميت إلا ويتمنى أن يعود إلى الدنيا وإن كان صالحًا،فحين تسأله الملائكة من ربك..... فيوفقه الله فيقولان له لقد كنا نعلم أنك كنت ستقول ذلك - ألهمهم الله أنه سيجيب بذلك - ثم يفسح له فى قبره ويضاء له ويرى مقعده فى الجنة...

---

(١) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (١٣٧٤)، مسلم (٢٨٧٠).

(٢) أخرجه أبوداود (٤٧٥٣)، وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن أبي داود.

فيقوم... فيقال: له نم.

فيقول: أريد أن أرجع إلى أهلى وولدي لأخبرهم بحالى.

فيقال له نم نومة العروس الذي لا يوقظه إلا أحب أهله إليه.

فنعم المنزل القبر لمن أطاع الله.

عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا قُبِرَ أَحَدُكُمْ أَوِ الْإِنْسَانُ، أَتَاهُ مَلَكَانِ أَسْوَدَانِ أَزْرَقَانِ، يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا: الْمُنْكَرُ وَالْآخَرُ: النَّكِيرُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِى هَذَا الرَّجُلِ مُحَمَّدٍ؟ فَهُوَ قَائِلٌ مَا كَانَ يَقُولُ، فَإِنْ كَانَ مُؤْمِنًا قَالَ: هُوَ عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: إِنْ كُنَّا لَنَعْلَمُ إِنَّكَ لَتَقُولُ ذَلِكَ، ثُمَّ يَفْسَحُ لَهُ فِى قَبْرِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعًا فِى سَبْعِينَ ذِرَاعًا، وَيُنَوَّرُ لَهُ فِيهِ، فَيُقَالُ لَهُ: نَمْ فَيَنَامُ كَنَوْمَةِ الْعَرُوسِ الَّذِى لَا يُوقِظُهُ إِلَّا أَحَبُّ أَهْلِهِ إِلَيْهِ حَتَّى يَبْعَثَهُ اللهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ، وَإِنْ كَانَ مُنَافِقًا قَالَ: لَا أَدْرِى كُنْتُ أَسْمَعُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئًا، فَكُنْتُ أَقُولُهُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: إِنْ كُنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ ذَلِكَ، ثُمَّ يُقَالُ لِلْأَرْضِ: الْتَئِمِى عَلَيْهِ، فَتَلْتَئِمُ عَلَيْهِ حَتَّى تَخْتَلِفَ فِيهَا أَضْلَاعُهُ، فَلَا يَزَالُ مُعَذَّبًا حَتَّى يَبْعَثَهُ اللهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ»[(١)].

❁ مستريح أو مستراح منه:

أخى الحبيب:

اسع واعمل حتى إذا جاءك الموت تكون مستريحًا من الدنيا وعنائها، وتذهب إلى الراحة الأبدية.

ولا تكن ممن فرط أو قصر فتكون مستراحًا منك في الدنيا، وتذهب إلى

(١) أخرجه ابن حبان (٧/ ٣٨٦)، وقال الألباني في السلسلة الصحيحة: حسن صحيح (١٣٩١).

الشقاء في الآخرة.

عَنْ أَبِى قَتَادَةَ بْن رِبْعِيٍّ، أَنَّهُ كَانَ يُحَدِّثُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ مُرَّ عَلَيْهِ بجَنَازَةٍ، فَقَالَ: «**مُسْتَرِيحٌ وَمُسْتَرَاحٌ مِنْهُ**»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا الْمُسْتَرِيحُ وَالْمُسْتَرَاحُ مِنْهُ؟ فَقَالَ: «**الْعَبْدُ الْمُؤْمِنُ يَسْتَرِيحُ مِنْ نَصَبِ الدُّنْيَا، وَالْعَبْدُ الْفَاجِرُ يَسْتَرِيحُ مِنْهُ الْعِبَادُ، وَالْبِلَادُ، وَالشَّجَرُ، وَالدَّوَابُّ**»[(١)].

فالمستريح هو المستريح من عناء الدنيا وتعبها وكدها.

أما المستراح منه فهو من استراحت منه الدنيا من معصيته وذنوبه وجرأته على الله تعالى.

فاعمل صالحًا تسترح عند موتك، ويحزن الصالحون لفراقك، ولا تعمل سيئًا فيستراح منك، فيفرح الصالحون لفراقك.

فإنَّ عمر الفاروق رضي الله عنه مع قوته وهيبته عند الناس لكنه لما مات حزنوا جميعًا لموته.

يقول أبو وائل: قدم علينا ابن مسعود فنعى إلينا عمر فلم أر يومًا كان أكثر باكيًا وحزينًا منه ثم قال: والله لو أعلم أنَّ عمر كان يحب كلبًا لأحببته[(٢)].

وقال ابن عباس يوم مات عمر: رحم الله أبا حفص، كان والله حليف الإسلام، ومأوى الأيتام، ومحلَّ الإيمان، ومعاذَ الضعفاء، ومعقلَ الحنفاء، للخَلْق حصنًا، وللناس عونًا، قام بحق الله صابرًا محتسبًا حتى أَظهر الله الدين وفتح الديار، وذُكِر الله في الأقطار والمناهل وعلى التلال وفي

(١) **متفق عليه:** أخرجه البخاري (٦٥١٢)، مسلم (٩٥٠)

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد (٣/ ٣٧٢).

الضواحي والبقاع، وعند الخَنى وقورًا، وفي الشّدة والرخاء شكورًا، ولله في كل وقت وأوان ذكورًا، فأَعقب الله من يبغضه اللعنة إلى يوم الحسرة) [(١)].

أخي الحبيب:

اعلم أنك ستلقى الله بارزًا ظاهرًا ليس مختفيًا.

ومن هنا أراد الله منك أن تستعد لهذا اليوم قال تعالى ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلۡعَرۡشِ يُلۡقِي ٱلرُّوحَ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوۡمَ ٱلتَّلَاقِ ١٥ يَوۡمَ هُم بَٰرِزُونَۖ لَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنۡهُمۡ شَيۡءٞۚ لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ ١٦﴾ [غافر: ١٥ – ١٦].

وأنذرك بالرسل وبين أنك ستبرز أمامه يوم لا يخفى على الله من شيء...

يا من تستخفى بالمعاصى الآن... لا خفاء أمام الله يوم القيامة...

أنت بارز ظاهر بجسدك... أنت بارز ظاهر بعملك...

ووقتها... يجد الظالم أنَّ عمله لاينفعه ولا ينجيه...

فيريد أن يبحث عن صديق أو شفيع يشفع له فيقول الله تعالى ﴿وَأَنذِرۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡأٓزِفَةِ إِذِ ٱلۡقُلُوبُ لَدَى ٱلۡحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَۚ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ حَمِيمٖ وَلَا شَفِيعٖ يُطَاعُ ١٨﴾ [غافر: ١٨].

أخي الحبيب: تذكر، أنَّ الموت قضاء حق، ومصيرك إلى الجنة أو إلى النار... فعمِّر آخرتك... فإنَّ العبد يحب دار العمار، واعمل بما تحب أن تراه غدًا بين يدي ربك.

---

(١) مختصر تاريخ دمشق لابن الأثير (٤/ ٢٤٧)، مروج الذهب للمسعودي (١/ ٣٧٠)، حياة الصحابة للكاندهلوي (١/ ٢٩).

سل نفسك دائمًا:

ماذا بعد الموت؟ أفي جنات ونهر، أم في عذاب وسقر.

قال رجل لمالك بن دينار: رأيت فيما يرى النائم مناديًا ينادي أيها الناس قوموا فارتحلوا فما ارتحل أحد إلا محمد بن واسع، فصاح مالك فغشى عليه [(١)].

قال أبو بكر ﷺ أما تعلمون أنكم تغدون وتروحون لأجل معلوم فمن استطاع أن يقضى الأجل وهو فى عمل الله فليفعل ولن تنالوا ذلك إلا بالله وإنَّ قومًا جعلوا آمالهم كغيرهم فنهاكم الله أن تكونوا أمثالهم ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ۚ﴾[الحشر:١٩].

أين من تعرفون من إخوانكم؟! قدِموا على ما قدموا فى أيام سلفهم وخلوا بالشقوة والسعادة...

أين الجبارون الأولون الذين بنوا المدائن وحصنوها بالحوائط؟! قد صاروا تحت الصخر والآبار...

هذا كتاب الله لا تفنى عجائبه فاستضيئوا منه ليوم ظلمة واتضحوا بستانه وبيانه إنَّ الله أثنى على زكريا وآل بيته فقال ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ﴾[الأنبياء:٩٠] [(٢)].

الموت ليس المنتهى بل البداية:

وماذا يضر المسلم إن مات ولقي الله وهو عنه راض يتنعم في الجنان

---

(١) تاريخ دمشق (٥٦/ ١٥٤)، صفة الصفوة (٣/ ٢٦٧).

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١/ ٦٠)، مصنف ابن أبي شيبة (١٣/ ٢٥٨)، حلية الأولياء (١/ ٣٦).

والنعيم.

لقد مات جعفر بن أبى طالب لكنه لا يُحزن عليه.

عن ابن عباس عن النبى ﷺ قال " **دخلت الجنة البارحة فنظرت فيها فإذا جعفر يطير مع الملائكة** "[١].

وكان ابن عمر إذا حيَّا ابن جعفر قال " السلام عليك يابن ذى الجناحين"[٢].

عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ " **مررت بجعفر الليلة فى ملأ من الملائكة وهو مخضب الجناحين بالدم أبيض الفؤاد** "[٣].

ومات حمزة ولكنه لا يحزن عليه قال ﷺ "**ورأيت حمزة متكئًا على سرير**"[٤] أي في الجنة، إنهم قد ماتوا لكن هنيئًا لهم ما قدموا وما وجدوا عند ربهم.

يـا مقيمًـا قـد حـان منـه رحيـل ... بعـد ذاك الرحيـل يـوم عصيـب
بـأمور المعـاد أنـت علـيم ... فـاعملن جاهـدًا لهـا يـا أريـب
وتـذكر يومـا تحاسـب فيـه ... إنَّ مـن يـذكر الممـات ينيـب
لـيس في السـاعة مـن الـدهر ... إلا للمنايـا عليـك فيهـا رقيـب
كـل يـوم ترميـك منهـا بسـهم ... إن يخطـئ يومًـا فسـوف يصـيب

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٢/ ١٠٧)، وصححه الألباني في صحيح وضعيف الجامع (٥٦٧٥).

(٢) أخرجه البخاري (٣٧٠٩، ٤٢٦٤).

(٣) أخرجه الحاكم (٣/ ٢٣٤)، وصححه ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٢٢٦).

(٤) أخرجه الحاكم (٣/ ٢٣١)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٣٦٣).

أيها الإنسان:

الموت في كل حين ينشر الكفن
ونحن في غفلة عما يداوينا
لاتطمئن إلى الدنيا وبهجتها وإن
توشحت من أثوابها الحسنا
أين الأحبة والجيران ما فعلوا
أين الذين هم كانوا لنا سكنا
سقاهم الموت كأسًا غير صافية
فصيرهم لأطباق الثرى رهنا

نظر عمر بن عبدالعزيز ذات يوم وهو في جنازة إلى قوم قد تلثموا من الغبار والشمس وانحازوا إلى الظل فبكى وأنشد:

من كان حين تصيب الشمس جبهته
أو الغبار يخاف الشين والشعثا
ويألف الظل كي تبقى بشاشته
فسوف يسكن يومًا راغمًا جدثا
في قعر مظلمة غبراء موحشة
يطيل في قعرها تحت الثرى لبثا
تجهزي بجهاز تبلغين به يا نفس
قبل الردى لم تخلقى عبثا[1]

ولذا كان آخر خطبة لعمر بن عبدالعزيز قال فيها:

" أيها الناس إنكم لم تخلقوا عبثًا ولن تتركوا سدى...

(١) الأبيات لعمر بن عبدالعزيز: سير أعلام النبلاء (٥/ ١٣٨)، البداية والنهاية (٩/ ٢٣٠)، تاريخ دمشق (٤٥/ ٢٤١).

وإنَّ لكم موعدًا ينزل الله فيه للحكم فيكم والفصل بينكم...

وقد خاب وخسر من خرج من رحمة الله التى وسعت كل شيء...

وحرم الجنة التى عرضها السموات والأرض...

واعلموا أنَّ الأمان غدًا لمن حذر الله وخافه...

وباع نافدًا بباق وقليلًا بكثير وخوفًا بأمان...

وفي كل يوم تشيعون غاديًا ورائحًا إلى الله قد قضى نحبه وانقضى أجله وتغيبونه في صدع الأرض...

قد فارق الأحبة...

وسكن التراب...

وواجه الحساب...

وهو مرتهن بعمله...

فقير إلى ما قدم غنى عما ترك...

وأيم الله إني لأقول لكم هذه المقالة وما أعلم عند أحد من الذنوب أكثر مما عندي...

فأستغفر الله وأتوب اليه...

ثم رفع طرف ردائه وبكى حتى شهق وأبكى الناس حوله ثم نزل فكانت إياها ولم يخطب بعدها "[١].

---

(١) حلية الأولياء (٥/ ٢٩٥)، تاريخ دمشق (٤٥/ ١٧٣)، البداية والنهاية (٩/ ٢٢٤)، تاريخ الطبري (٤/ ٧١).

قال سعيد بن أبى عروبة: كان عمر بن عبدالعزيز إذا ذكر الموت اضطربت أوصاله [١].

عن عبيد بن حسان قال لما احتضر عمر بن عبدالعزيز قال اخرجوا عنى...

فقعد سلمة وفاطمة على الباب فسمعوه يقول " مرحبًا بهذه الوجوه ثم تلا ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ...﴾ [القصص:٨٣]

ثم هدأ الصوت فدخلوا فوجدوه قد قبض [٢].

وصية ابن عباس لابنه عند موته وقيل وصية العباس:

قال " إنى موصيك بحب الله وحب طاعته وخوف الله وخوف معصيته وإنك إذا كنت كذلك لم تكره الموت "[٣].

(١) سير أعلام النبلاء (٥/ ١٣٨).
(٢) سير أعلام النبلاء (٥/ ١٤١)، البداية والنهاية (٩/ ٢٣٥).
(٣) تاريخ دمشق (٢٦/ ٣٧٦)، شعب الإيمان (١/ ٣٦٨).

هل جزاء الإحسان إلا الإحسان

قال الله تعالى ﴿ هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ ٦٠ ﴾ [الرحمن: ٦٠].

هذا قول الله تبارك وتعالى وهى قاعدة عظيمة في الشريعة الإسلامية، وفي سنن الله الربانية أنَّ الإحسان لا يكون جزاءه إلا إحسانًا سواء أكان ذلك في الدنيا أم في الآخرة.

لذلك فالله تبارك وتعالى وهو الحكم العدل يحب المحسنين.

وهو سبحانه الذي كتب الإحسان في كل شيء وعلى كل شيء.

وهو سبحانه وتعالى الذي قال ﴿ هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ ٦٠ ﴾.

وهو الذي قال ﴿إِنۡ أَحۡسَنتُمۡ أَحۡسَنتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡۖ وَإِنۡ أَسَأۡتُمۡ فَلَهَا ﴾ [الإسراء: ٧] لأنَّ إحسان العبد لنفسه بطاعة أمر ربه والانتهاء عن نواهيه يجلب له إحسان الله تبارك وتعالى.

فإنك تحسن لنفسك لا تحسن لأحد من الناس ولا تحسن لربك حاشاه سبحانه وتعالى.

وإنَّ أعظم الإحسان أن يحسن الإنسان لنفسه بطاعة أمر الله تعالى.

وإنَّ أعظم الإحسان أن يمن الله تعالى على العبد بالرضا في الدنيا والآخرة.

لذلك فالله تبارك وتعالى شرع لنا تشريعات تدل على ذلك.

فلما شرع لنا ربنا شهرًا للصيام والقيام والتعبد وقراءة القرآن أحسن الله

إلينا بأن ختم هذا الشهر بعيد عظيم.

هذا لكى يعلمك أنَّ أعظم ما تقدمه لله تعالى أو تقدمه لنفسك إنما هو طاعة ربك سبحانه وتعالى.

وإنَّ اليوم الذي يمن الله عليك بأن يتم عليك نعمة الطاعة والعبادة إنما هو يوم عيد لك.

لذلك جعل الله لنا عيدين عيد الفطر وعيد الأضحى، وعيد الفطر هو الذي يتبع شهر رمضان وعيد الأضحى هو الذي يتبع الحج الأكبر.

وإنما ذلك لكى يعلمك الله تعالى أنَّ هذا هو يوم العيد أن يمن الله عليك بالطاعة وقد حرم كثيرًا من الناس.

أن يمن الله عليك بإتمام الطاعة وقد حرم كثيرًا من الناس.

بل أن يمن الله عليك بأن يقبل منك هذه الطاعة فإنَّ هذا هو يوم العيد الأكبر.

لذلك كان ابن مسعود رضي الله عنه يقول (لو أعلم أنَّ الله تعالى تقبل منى عملًا واحدًا لتمنيت أن أموت بعدها لأنَّ الله قال ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾﴾[1].

لذلك فالله تعالى يعلمك الإحسان...

أحسن يحسن الله إليك.

وإن أسأت فجزاء سيئة سيئة مثلها ولا يظلم ربك أحدًا.

فإنك تحرم نفسك من الإحسان وإنَّ الذي يحرم نفسه من إحسان ربه

(١) تاريخ دمشق (٣٣/ ١٦٧).

فإنه عبدٌ محروم ظالمٌ لنفسه.

والله تعالى يرشدك ويقول لك لا تكن محرومًا ولا تحرم نفسك من إحسان الله تعالى لذلك فالله تبارك وتعالى يحسن إليك سريعًا قال تعالى ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾﴾ [المزمل: ٢٠]، وقال تعالى أيضًا ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾﴾ [البقرة: ٢٧٢].

فإنَّ الله تبارك وتعالى يحب المحسنين ويحسن إليك أعظم مما تحسن إلى نفسك.

لذلك فإنَّ أهل الإحسان قرأوا هذه العبارة سريعًا وعلموا أنَّ العبد لو منَّ الله عليه بشبر في الجنة أو شجرة في الجنة من المَلِك الذي يحب المحسنين فإنه عطاء عظيم وهو عندهم خيرٌ من الدنيا وما فيها.

❁ إنَّ المحسن هو الذي يتاجر مع ربه:

إنَّ الذي يتاجر مع ربه لا يخسر أبدًا بل إنه يعرض نفسه لإحسان الرب الملك الكريم وما أعظمه من إحسان.

كان بالمدينة يتيمٌ وكان له بستان بجوار رجل من الأنصار زمنًا طويلًا فلما كبر اليتيم أراد أن يبنى جدارًا بين البستانين فاعترضته نخلة للأنصاري...

فذهب إليه اليتيم وقال: أيها الأنصاري إني أريد أن أقيم جدارًا بين بستاني وبستانك فاعترضتنى نخلة لك فهبها لى.

فقال له الأنصاري: كلا.

فذهب اليتيم للنبى ﷺ يشكو له...

فأرسل النبى ﷺ للأنصاري فجاءه...

فطلب منه النبى ﷺ أن يعطيها لليتيم.

فقال النبى ﷺ _ يريد أن يرغبه _ " هبها له ولك بها نخلة في الجنة ".

فقال: كلا.

وليس مع النبى ﷺ أعظم من إحسان الرب - نخلة في الجنة -...

فسكت النبى ﷺ. فقال رجل بعدما فكر وتصور الأمر يدعى أبا الدحداح فقال: يا رسول الله لو اشتريت هذه النخلة وأعطيتها لليتيم يكون لى بها نخلة في الجنة.

أراد أبو الدحداح أن يتأكد أن هذه الهبة ليست للأنصاري فقط...

فقال له النبى ﷺ: " **نعم** ".

نخلة في الجنة يتصور أبو الدحداح ما معنى نخلة في الجنة.

إنَّ شجرة طوبى يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها.

إنها ليست نخلة من نخل الدنيا إنَّ سيقانها من ذهب والثمر من فوقه.

تصور أبو الدحداح ذلك سريعًا وأراد أن يسبق فقال: يا رسول الله لو اشتريت النخلة وأعطيتها لليتيم يكون لى بها نخلة في الجنة فقال النبى ﷺ: "**نعم** ".

إن أبا الدحداح رجلٌ فطنٌ، إنَّ الأنصاري لم تغره نخلة حتى وإن كانت في الجنة فماذا يفعل؟ فكر وتذكر أنَّ له بستانًا من أعظم ماله كان يعيش فيه هو وزوجته وأبناؤه، فيه ستمائة نخلة وفيه بئر وبيت.

فقال أبو الدحداح للأنصاري: أتعلم بستاني الذي في مكان كذا؟

فقال الأنصاري: نعم. قال هو لك. فقال: قبلت.

فنظر أبو الدحداح إلى اليتيم فقال: النخلة لك فأقم جدارك...

ثم نظر أبو الدحداح إلى النبى ﷺ وقال الآن أصبح لى نخلة في الجنة...

فقال " كم من عذقٍ رداح لأبى الدحداح في الجنة "...

إنَّ العرض كان نخلة ولكن النبى ﷺ جاءه الإحسان من السماء...

و"الرداح" هو العذق الممتلئ، و"كم" تدل على الكثرة، فبين النبى ﷺ أنها الآن لم تعد نخلة واحدة أو عذق واحد بل إنه نخل كثير.

كم من عذق رداح لك في الجنة يا أبا الدحداح.

يقول أنس ولم يقلها النبى ﷺ مرة أو مرتين أو ثلاثة بل ظل يكررها ﷺ حتى خرج أبو الدحداح من عنده.

وذهب أبو الدحداح إلى بستانه الذي فيه زوجه وأبناؤه...

إنه يعلم أنَّ الأمر عليهم سيكون صعبًا وشاقًّا.

كيف سيخبر زوجته؟

كيف سيخرجهم من هذه الحدائق ويذهبون إلى المضائق؟

كيف سيخبرهم بهذا الأمر؟

فذهب أبو الدحداح إلى الحديقة...

فما استطاع أن ينظر إلى أبنائه وزوجته وهو يخرجهم من البستان...

فنادى... يا أم الدحداح يا أم الدحداح.

فقالت لبيك يا أبا الدحداح ما الخبر؟

فقال اخرجى من البستان.

فقالت لم؟

قال لقد بعته.

فتعجبت امرأته (لمن ولماذا)؟

قال أبو الدحداح لقد بعته لله بنخلة في الجنة.

فقالت المرأة الصالحة ربح البيع أبا الدحداح [(١)].

وخرجت مع زوجها وأبنائها يطلبون إحسان الله تعالى ﴿هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ ٦٠﴾ وهو الذي قال ﴿إِنۡ أَحۡسَنتُمۡ أَحۡسَنتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡۖ﴾ [الإسراء:٧].

إنَّ أبا الدحداح تصور قول الله تعالى ﴿إِنَّ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ ٱلۡيَوۡمَ فِي شُغُلٖ فَٰكِهُونَ ٥٥﴾ [يس: ٥٥].

إنه ليس رجلًا قاسيًا ليس رجلًا ظالمًا لزوجه وأبنائه، إنه يحب زوجه وأولاده وأراد أن يجلب لهم إحسان الرب تعالى هو أفضل وأعظم من إحسانه هو إليهم، تذكر أنَّ الله بشره أنَّ أصحاب الجنة اليوم أي يوم القيامة ﴿إِنَّ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ ٱلۡيَوۡمَ فِي شُغُلٖ فَٰكِهُونَ ٥٥ هُمۡ وَأَزۡوَٰجُهُمۡ فِي ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ٥٦ لَهُمۡ فِيهَا فَٰكِهَةٞ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ٥٧﴾ [يس: ٥٥ – ٥٧].

(١) القصة أخرج نحوها أحمد (٣ / ١٤٦)، ابن حبان (١١٣/١٦)، عبدالرزاق في المصنف (٤٠٦/٥)، الحاكم (٢/ ٢٤)، البيهقي في الكبرى (١٥٨/٦)، وصححها الألباني في الصحيحة (٤٦٣/٦).

ليس هذا فحسب بل ﴿ سَلَٰمٌ قَوۡلٗا مِّن رَّبّٖ رَّحِيمٖ ﴿٥٨﴾ ﴾ [يس: ٥٨].

إنَّ الله تعالى اقتضت حكمته أن يحسن لأهل الإحسان فلا تحرم نفسك من إحسان ربك.

إنَّ إحسان الله تعالى عام شامل، لكنك تمنعه بذنوبك تمنعه بغفلتك تمنعه بإعراضك.

مُدَّ يدك إلى ربك واطلب منه الإحسان فإحسان الله تعالى ليس له حدود.

أهل الآخرة هم الذين فهموا هذا الأمر علموا أنَّ الدنيا لا تعطيهم إحسانًا وإنما تطيل الزمن بينهم وبين دخول الجنة لذلك أرادوا أن تقصر.

إنهم أحسنوا والآن ينتظرون إحسان الله تعالى.

فهذا عمير بن الحمام ﷺ في غزوة بدر حين سمع النبى ﷺ يقول " **قوموا... قوموا** " لماذا؟ " **لجنة عرضها السماوات والأرض** ".

فقال عمير: يا رسول الله جنة عرضها السماوات والأرض.

فقال النبى ﷺ: " **نعم** ".

فتأكد عمير أنَّ كل لحظة في هذه الحياة الدنيا إنما هى تأخره عن الجنة ونعيمها.

إنما تبعده عن تمام الإحسان من عند الله تبارك وتعالى.

فأخرج تمرات كانت في جرابه سبع تمرات ثم أكلها ليتقوى على الجهاد...

أكل واحدة... ثم الثانية... ثم الثالثة...

ثم رأى أنَّ أكل التمرات سيطيل الزمن بينه وبين الجنة التى عرضها السماوات والأرض فأخذ باقى التمرات وقال لئن حييتُ حتى آكل هذه التمرات أي الأربع إنها لحياة طويلة، ثم ألقاها، وأخرج سيفه وكسر جرابه حتى لا يعود السيف مرة ثانية، واندفع في صفوف المعركة ليقاتل حتى لقى الله تعالى [(١)].

إن هؤلاء هم المحسنون الذين يحسن الله تعالى إليهم.

لا تكن ممن لا يعملون ولا يحسنون ويقول إنهم يحسنون الظن بالله تعالى ولو أحسنوا الظن لأحسنوا العمل.

إن الله يحسن إلى المحسن ويجازي المسيء سبحانه وتعالى.

فإن الأمر بيدك إن أردت أن يحسن الله إليك لابد أن تكون محسنًا.

محسنًا في صلاتك... محسنًا في صيامك... محسنًا في خلواتك...

محسنًا حيث يراك الناس... محسنًا حيث لا يراك الناس...

محسنًا يطلب إحسان الله تعالى.

❁ الله يحسن إليك عاجلًا وآجلًا:

إنَّ من منة الله تعالى على عبده أنَّ إحسانه سريع لا يتأخر بل إنه يحسن إليك سريعًا يحسن إليك في الدنيا...

يحسن إليك عند الموت... يحسن إليك في الآخرة.

خرج النبي ﷺ يومًا من المدينة مع أصحابه وهم في الطريق رأوا رجلًا

(١) أخرجه مسلم (١٩٠١)، البيهقى في السنن الكبرى (٩/ ٧٥)، عبد بن حميد في مسنده (١/ ٣٧٩).

من بعيد...

فقال لهم النبى ﷺ: " **كأنَّ الرجل يريدكم** ".

فلما اقترب الرجل ووقف عليهم قال النبى ﷺ: " **من أين أتيت** "؟

قال: من أهلى وولدي وعشيرتي - أي تركتهم خلفى -.

فقال النبى: " **وماذا تريد** "؟ قال: أريد رسول الله.

فقال له النبى: " قد أصبته " – أي هو الذي يحدثك –.

قال الصحابة: فتهلل الرجل فرحًا...

وقال: يا رسول الله علمنى ما الإيمان؟

فقال له البنى ﷺ: " **أن تشهد ألا إله إلا الله وأنَّ محمدًا رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت** ".

قال الرجل: قد أقررت.

قال الصحابة: فتحركت بعيره فدخلت رجله في جحر فهوى البعير فسقط الرجل على هامته.

فقال النبى ﷺ لأصحابه: " **علىَّ بالرجل** " فأسرع حذيفة وعمار إلى الرجل يحركانه فلم يتحرك يكلمانه فلم يتكلم قالوا يا رسول الله لقد قضى الرجل.

فنظر إليه النبى ﷺ بعدما مات وأعرض عنه...

ثم قال لأصحابه " أرأيتم إعراضى عنه " – أي لم أعرضت عنه –.

فقالوا لم؟

قال " لقد رأيت ملكين يدسان في فيه من ثمار الجنة فعلمت أنه مات

جائعًا "[١].

قطع المسافات مهاجرًا إلى الله تعالى واشتد عليه الجوع فبمجرد أن مات نزل له ملكان يدسان في فيه الطعام، وهذا دليل على كثرة الطعام الذي يطعمانه إياه من ثمار الجنة إنه إحسان الرب إحسان سريع لا يمسكه أحد ولو اجتمعت الدنيا بأسرها.

❁ إنَّ من إحسان الله الستر على أحبابه:

إنَّ المحسن إذا أذنب وجاء الله تعالى ليقرره بذنوبه يوم القيامة فإنه يضع كنفه عليه بستره ويقرره أي عبدي...

أتذكر ذنب كذا...

فإني سترتها عليك في الدنيا وأغفرها لك اليوم...

وإن كان مذنبًا يومًا ما... ولكنه محسن...

فإنَّ الله يرعاه ويستره في الدنيا ويغفر له في الآخرة فهذا شأن المحسنين.

أومـــا ســـمعت بشأنهـــم يـــوم المزيـــ
د وأنـــه يـــوم عظـــيم الشـــان
هـــو يـــوم جمعتنـــا ويـــومُ زيـــارةِ
الـــرحمن وقـــت صـــلاتنا وأذان
والســـابقون إلـــى الصـــلاة هُـــمُ الأُلـــى
فـــازوا بـــذاك الســـبق بالإحســـان
ســـبق بســـبق والمـــؤخر هـــا هنـــا
متـــأخر في ذلـــك الميـــدان

(١) أخرجه أحمد (٣١/ ٥١٣)، وقال شعيب الأرنؤوط حسن بطرقه.

والســـــابقون إلـــــى الإمـــــام فَهُـــــمْ أُولـــــو
الزلفـــــــى هنـــــــاك فهاهنـــــــا قربـــــــان
قـــــــرب بقـــــــرب والمباعـــــــد مثلـــــــه
بعـــــــد ببعـــــــد حكمـــــــة الـــــــديان
ولهـــــــم منـــــــابرُ لؤلـــــــؤ وزبرجـــــــد
ومنـــــــابر اليـــــــاقوت والعقيـــــــان
هـــــذا وأدنـــــاهم ومـــــا فـــــيهم دَنِـــــى
مـــــن فـــــوق ذاك المســـــك كالكثبـــــان
مـــــا عنـــــدهم أهـــــل المنـــــابر فـــــوقهم
ممـــــا يـــــرون بهـــــم مـــــن الإحســـــان
فيـــــرون ربهـــــمُ تعـــــالى جهـــــرة
نظـــــر العيـــــان كمـــــا يُـــــرى القمـــــران
ويحاضـــــر الـــــرحمن واحـــــدهم محـــــا
ضـــــرة الحبيـــــب يقـــــول يـــــابن فـــــلان
هـــــل تـــــذكر اليـــــوم الـــــذي قـــــد كنـــــت فيـــــ
ـه مبـــــــارزًا بالـــــــذنب والعصـــــــيان
فيقـــــول رب أمـــــا منـــــت بغفـــــرة
قِـــــدْمًا فإنـــــك واســـــع الغفـــــران
فيجيبـــــه الـــــرحمن مغفـــــرتي التـــــى
قـــــد أوصـــــلتك إلـــــى المحـــــل الـــــداني
فيهـــــا التـــــى والله لا عـــــين رأت
كـــــلا ولا ســـــمعت بـــــه أذنـــــان[1]

(١) نونية ابن القيم (صـ ٣٤٧).

أسأل الله تبارك وتعالى أن يمن علينا وعليكم بهذا الإحسان وألا يحرمنا بذنوبنا وأن يجعلنا من المحسنين.

أخي الحبيب: إن كنت تثق في كلام الله تعالى فهذا وعده إنك تطلب الإحسان بيديك إن كنت تريد إحسان ربك فالأمر بيديك فلابد أن تستيقظ.

إنَّ الناس قد قاموا وأنت مازلت نائمًا...

إنَّ الناس قد وصلوا وأنت مازلت سائرًا...

إن الناس قد انتبهوا وأنت ما زلت غافلًا...

ماذا تنتظر أيها المحروم كيف تحرم نفسك من هذا الجود والإحسان.

❁ التعب والمشقة لله جزاؤه الإحسان:

إن كنت في الصيام قد عطشت وتعبت واشتد عليك الحر والعطش فقد قال لك ربك في الجنة ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ۝٥٠﴾ [الرحمن: ٥٠] لا ينقطعان.

إن كنت قد اشتد عليك الجوع فالله تعالى يقول لك ﴿فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ۝٥٢﴾ [الرحمن: ٥٢].

إن كنت قد حرمت نفسك من الشهوات والإقبال على الملذات المحرمة فالله تعالى أعد لك أجمل ما تتمنى فهو الذي قال ﴿فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ۝٥٦﴾ [الرحمن: ٥٦] وهو الذي قال ﴿كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ۝٥٨﴾ [الرحمن: ٥٨].

وهو الذي قال ﴿فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ۝٧٠﴾ [الرحمن: ٧٠].

يعطي عطاءً عظيمًا يكرم أهله وأحباءه، ويكرم المحسنين لذلك قال ﴿تَبَارَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ۝٧٨﴾ [الرحمن: ٧٨].

❁ صور لأناسٍ أحسنوا، فأحسن الله إليهم:

✍أبو بكر الصديق أحسن، فأحسن الله إليه:

كان رضي الله عنه يصدق النبى ﷺ فى كل قول وخبر فسماه الله صديقًا.

أحب الله ورسوله أكثر مما سواهما فأحبه الله ورسوله.

فكان ﷺ يقول "**لو كنت متخذًا خليلًا غير ربى لاتخذت أبابكر خليلًا**"(١).

قال ﷺ " **ما لأحد عندنا يد إلا وقد كافيناه بها ما خلا أبابكر فإنَّ له عندنا يدًا يكافئه الله به يوم القيامة** "(٢).

وما جزاء الإحسان إلا الإحسان.

✍كان خاصًّا فى قوله وعمله فخصه الله بكثير من الإحسان:

فسدت كل خوخه في المسجد إلا خوخة أبى بكر فعن عبد الله بن عباس قال:: خرَج رسولُ اللهِ ﷺ في مرضِه الذي مات فيه، عاصِبًا رأسَه بخِرقَةٍ، فقعَد على المِنبَر، فحمِد اللهَ وأثنى عليه، ثم قال " **إنه ليس منَ الناس أحدٌ أمَنَّ علىَّ فى نفسِه ومالِه من أبى بكر بن أبى قُحافَةَ، ولو كنتُ مُتَّخِذًا منَ الناس خَليلًا لاتَّخَذتُ أبا بكر خَليلًا، ولكنْ خُلَّةُ الإسلام أفضلُ، سُدُّوا عنى كلَّ خَوخَةٍ فى هذا المسجدِ، غيرَ خَوخَةِ أبى بكر**"(٣).

وهو أول من بشر بالجنة: عن عبد الرحمن بن عوف قال:قال رسول الله

---

(١) أخرجه البخاري (٤٦٦)، مسلم (٢٣٨٣).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٦٦١)، وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن الترمذي.

(٣) أخرجه البخاري (٤٦٧).

ﷺ " أبو بَكْر فى الجنَّةِ، وعمرُ فى الجنَّةِ، وعُثمانُ فى الجنَّةِ، وعلىٌّ فى الجنَّةِ، وطَلحةُ فِى الجنَّةِ، والزُّبَيْرُ فِى الجنَّةِ، وعبدُ الرَّحمن بنُ عوفٍ فِى الجنَّةِ، وسعدُ بنُ أبى وقَّاص فى الجنَّةِ، وسَعيدُ بنُ زيدٍ فى الجنَّةِ، وأبو عُبَيْدةَ بنُ الجرَّاح فى الجنَّةِ"(١).

وعن على بن أبى طالب رضي الله عنه قال:قال رسول الله ﷺ " أبو بَكر وعمرُ سيِّدا كُهولِ أَهل الجنَّةِ منَ الأوَّلينَ والآخرينَ إلَّا النَّبيِّينَ والمرسلينَ لا تخبرْهما يا علىُّ ما داما حيَّين"(٢).

- إنَّ أبا بكر أحسن فما ترك بابًا من الخيرات إلا كان له منه نصيب فأحسن الله إليه فيأتي يوم القيامه فتناديه كل أبواب الجنة.

عن أبى هريرة رضي الله عنه قال:قال رسول الله ﷺ " مَنْ أنفقَ زَوْجَيْن من شىءٍ من الأشياءِ فى سبيل اللهِ، دُعِىَ من أبواب - يعنى: الجنةَ - يا عبدَ اللهِ هذا خيرٌ، فمَنْ كان من أهل الصلاةِ دُعِىَ من باب الصلاةِ، ومن كان مِنْ أهْل الجهادِ دُعِىَ من باب الجهادِ، ومَنْ كان مِنْ أهْل الصدقةِ دُعِىَ مِنْ باب الصدقةِ، ومَنْ كانَ من أهل الصيام دُعِىَ من باب الصيام، وباب الريانِ. فقال أبو بكر: ما على هذا الذى يُدْعَى مِنْ تلكَ الأبواب من ضرورةٍ، وقال: هل يُدْعَى منها كلِّها أحدٌ يا رسولَ اللهِ؟ قال: نعم، وأرجو أن تكونَ منهم يا أبابكر"(٣).

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٥٤)، مسلم (٢٣٨٢).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٦٦٦)، أبوداود (٤٦٤٩)، ابن ماجه (٩٥)، وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن ابن ماجه.

(٣) أخرجه البخاري (٣٦٦٦)، مسلم (١٠٢٧).

أبو بكر ﷺ أحسن وضحى من أجل رسول الله ﷺ.

فكان صاحبه في الغار وصاحبه في الهجرة مع كل المخاطر لهذه الصحبة.

لذا جعله الله تبارك وتعالى رفيقه وصاحبه في كتابه قال تعالى ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ [التوبة: ٤٠].

وجعله رفيقه فى مضجعه بعد موته.

وما جزاء الإحسان إلا الإحسان.

عمر بن الخطاب أحسن فأحسن الله إليه:

ومن ذلك ما منَّ الله عليه بالتوفيق فى قوله وعمله:

كما وفقه في موافقة الوحى في أمور فكان يقول وافقت ربى في ثلاث...

عن أنس بن مالك، قال: قال عمر بن الخطاب ﷺ، " وَافَقْتُ ربِّى في ثلاثٍ: فَقُلْتُ يا رسول الله، لو اتَّخذنا من مقام إبراهيم مُصَلًّى، فَنَزَلَتْ: ﴿وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ﴾ [البقرة: ١٢٥] وآية الحجاب، قُلْتُ: يا رسول الله، لو أَمَرْتَ نساءك أَنْ يَحْتَجِبْنَ، فإنه يكلمهن البر والفاجر، فَنَزَلَتْ آية الحجاب، واجتمع نساء النبى ﷺ في الغيرة عليه، فقلتُ لهن: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ﴾ [التحريم:٥]، فنزلتْ هذه الآية"[(١)] وبشر

(١) أخرجه البخاري (٤٠٢، ٤٤٨٣)، مسلم (٢٣٩٩).

بالجنة وبشر بالشهادة، وغير ذلك.

علي بن أبي طالب ﷺ أحسن، فأحسن الله إليه:

فهو الذي فدا رسول الله ﷺ ونام في فراشه وهو يعلم أنَّ صاحب الفراش هو المطلوب عند قريش وقد يظفرون به وقد يقتلونه ولكنه ضحى بنفسه من أجل رسول الله ﷺ وإنه لإحسان عظيم.

فأحسن الله اليه وجعل فراشه بنت خير العالمين محمد، فزوجه رسول الله ﷺ من ابنته فاطمه، وجعله منه بمنزلة هارون من موسى، وأعطاه الراية يوم خيبر بعدما تمناها كل الصحابة إذ الراية يومها كانت تعنى أنَّ صاحبها يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله.

بلال بن رباح أحسن فأحسن الله إليه:

لقد كان بلال يُؤذَى في مكة على يد عدو الله أمية بن خلف.

كان يوضع تحت الأحجار ويخرجونه إلى حر الشمس وإلى الصخر الملتهب ويأخذه الأطفال ويلعبون به ويوضع تحت أقدام الكفار...

وهو مع كل ذلك صابر ومحتسب لا يقول إلا ما يرضى ربه...

عن عبد الله، قال: «**كان أول من أظهر إسلامه سبعة: رسول الله ﷺ، وأبو بكر، وعمار، وأمه سمية، وصهيب، وبلال، والمقداد فأما رسول الله ﷺ، فمنعه الله بعمه أبى طالب، وأما أبوبكر فمنعه الله بقومه، وأما سائرهم فأخذهم المشركون وألبسوا أدراع الحديد، وصهروهم فى الشمس، فما منهم أحد إلا وآتاهم على ما أرادوا، إلا بلال، فإنه هانت عليه نفسه فى الله، وهان على قومه، فأخذوه، فأعطوه الولدان، فجعلوا يطوفون به في شعاب مكة وهو يقول: أحد**

أحد»[١].

ولذلك أحسن الله إليه:

- ومن ذلك: أنَّ الله يغضب لغضبه:

عَنْ عَائِذِ بْنِ عَمْرو أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ أَتَى عَلَى سَلْمَانَ وَصُهَيْب وَبلالٍ فِي نَفَر فَقَالُوا وَاللهِ مَا أَخَذَتْ سُيُوفُ اللهِ مِنْ عُنُقِ عَدُوِّ اللهِ مَأْخَذَهَا. قَالَ فَقَالَ أَبُو بَكْر أَتَقُولُونَ هَذَا لِشَيْخ قُرَيْش وَسَيِّدِهِمْ فَأَتَى النبى ﷺ فَأَخْبَرَهُ فَقَالَ « **يَا أَبَا بَكْر لَعَلَّكَ أَغْضَبْتَهُمْ لَئِنْ كُنْتَ أَغْضَبْتَهُمْ لَقَدْ أَغْضَبْتَ رَبَّكَ** ». فَأَتَاهُمْ أَبُو بَكْر فَقَالَ يَا إِخْوَتَاهْ أَغْضَبْتُكُمْ قَالُوا لا يَغْفِرُ اللهُ لَكَ يَا أُخَىَّ[٢].

فيالله العجب... إنَّ غضب بلال وصهيب وسلمان على أبى بكر الصديق قد يغضب الله عليه...

- وبشر النبى ﷺ بلالًا بالجنة:

فأبلغه أنه ﷺ سمع دف نعليه في الجنة.

عن أبى هريرة رضي الله عنه أَنَّ النبى ﷺ قال لبلالٍ عند صلاة الفجر:

يا بلال حدِّثنى بأرْجَى عمل عَمِلْتَهُ فِى الإسلام فإنِى سمعتُ دَفَّ نعليك بين يدىَّ فى الجنة. قال ما عملتُ عملًا أرجى عندي أَنِّى لم أتطَهَّرْ طهورًا في ساعة ليل أو نهارٍ إلَّا صلَّيْتُ بذلك الطُّهور ما كُتب لى أَنْ أُصَلى".

قال أبوعبدالله دَفَّ نعليك يعني تحريك [٣].

---

(١) أخرجه الحاكم (٣/ ٣٢٠) قال صحيح الإسناد ووافقه الذهبى، ابن ماجه (١٥٠)، حسنه الألباني في صحيح وضعيف سنن ابن ماجه.

(٢) أخرجه مسلم (٢٥٠٤).

(٣) أخرجه البخاري (١١٤٩)، مسلم (٢٤٥٨).

فقيل لما كان بلال يسير بين يدي النبى ﷺ بالأذان في الدنيا سار بين يديه في الجنة...

والجزاء من جنس العمل... وما جزاء الإحسان إلا الإحسان...

- وأرضاه الله فى الدنيا برؤية موت من عذبه:

عن صالح بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه عن جده عبد الرحمن بن

عوف رضي الله عنه قال كاتبْتُ أمية بن خلف كتابًا بأن يحفظنى في صاغيتى بمكة، وأحفظه في صاغيته بالمدينة، فلما ذكرت الرحمن قال لا أعرف الرحمن، كاتبنى باسمك الذي كان في الجاهلية. فكاتبته عبد عمرو فلما كان فى يوم بدر خرجت إلى جبل لأحرزه حين نام الناس فأبصره بلال فخرج حتى وقف على مجلس من الأنصار فقال: أمية بن خلف، لا نجوت إن نجا أمية. فخرج معه فريق من الأنصار فى آثارنا، فلما خشيتُ أن يلحقونا خلَّفْتُ لهم ابنه، لأشغلهم فقتلوه ثُمَّ أَبَوْا حتى يتبعونا، وكان رجلًا ثقيلًا، فلما أدركونا قلت له ابرك. فبرك، فألقيتُ عليه نفسى لأمنعه، فتخللوه بالسيوف من تحتى، حتى قتلوه، وأصاب أحدهم رجلى بسيفه، وكان عبد الرحمن بن عوف يرينا ذلك الأثر في ظهر قدمه [(١)].

وأقر الله عينيه برؤية هذا الظالم وقتله في الدنيا قبل الآخرة.

- رفعه الله فوق من آذوه:

إذ يجتمع أهل مكة جميعًا في فتح مكة خائفين منتظرين ماذا يفعل بهم رسول الله ﷺ...

---

(١) أخرجه البخاري (٢٣٠١).

والصمت يخيم على أرجاء مكة.... والسكون عمها وسيطر على المكان... وجاء وقت الصلاة...

فيأمر النبى ﷺ بلالًا أن يصعد فوق الكعبة ويرفع الأذان...

فترتج أرجاء مكة وتنعم بصوته الندىِّ...

بلال الذي كان يضرب في هذا المكان ويوضع تحت الأقدام والحجارة...

فإذا هو الآن يصعد وتصبح قدماه فوق رؤس الحضور جميعًا ! إنه الإحسان...

كان تحت الأحجار يقول أحد أحد يشير بها إلى التوحيد وكان الله أكبر في قلبه من كل أحد.

وها هو الآن يقولها ويعلنها بأعلى صوته ورأسه مرفوعة إلى السماء...

الله أكبر الله أكبر..... (١)

إنَّ الاحسان لا جزاء له إلا الإحسان خاصة إذا كان من الكريم المنان.

أخى الحبيب: إنَّ الجزاء من جنس العمل وما جزاء الإحسان إلا الإحسان.

أنس بن مالك أحسن، فأحسن الله إليه:

مات أبوه وهو فى صغره وأرسلته أمه ليخدم النبى ﷺ فصار خادمًا للدين وحافظًا لسر رسول الله ﷺ.

لذا أحسن الله إليه وحفظ سنة رسوله ﷺ وحديثه.

(١) مصنف عبدالرزاق (١٠/ ٣٩٣)، ابن أبي شيبة في المصنف (١/ ٢٢٣)، (١٤/ ٤٩٧).

فلما كان أنس فى حاجة النبى ﷺ صارت الدنيا كلها تحتاج إليه لأنه صار عالم السنة والدين.

باع الدنيا فمن الله عليه بالدنيا والدين معًا، فكانت حديقة أنس تنبت فى العام مرتين [(١)].

كان خادمًا للدين فسخر الله الدنيا لخدمته...

كانت السحابة تأتى لتمطر حديقة أنس [(٢)].

حتى رؤية نبيه ﷺ بعدما مات ما حرمه الله منها.

فلقد قال المثنى بن سعيد سمعت أنس يقول ما من ليلة إلا وأنا أرى فيه حبيبى ﷺ ثم يبكى [(٣)].

أخى الحبيب: أحسن يُحسن الله إليك فما جزاء الإحسان إلا الإحسان.

أخى الحبيب:

❁ البعد عن المعاصي والشهوات والفتن من الإحسان:

لذلك فالله يحسن لصاحبه في الدنيا والآخرة " قال تعالى ﴿إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِى قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٠﴾﴾

[الأنفال: ٧٠].

قال الأمير بدر الدين يوسف المهمندار بن الأمير سيف الدين أبي

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٨٤٢)، وصححه الألباني في الصحيحة (٢٢٤١).

(٢) مجابوا الدعوة لابن أبى الدنيا (١/ ٤٢).

(٣) الطبقات الكبرى (٧/ ٢٠)، تاريخ دمشق (٩/ ٣٥٨)، سير أعلام النبلاء (٣/ ٤٠٣)، البداية والنهاية (٩/ ١٠٦).

المعالي بن رماح المعروف بمهمندار العرب حكى لي الأمير شجاع الدين محمد الشرزي متولي القاهرة في الأيام الكاملية سنة ثلاثين وستمائة:

قال: بينما أنا عند رجل ببعض بلاد الصعيد فضيفنا وأكرمنا وكان الرجل أسمر شديد السمرة وهو شيخ كبير وحضر له أولاده حسان فيهم صفاء لون.

فقلنا: يا فلان هؤلاء أولاد بيض وأنت شديد السمرة.

فقال: هؤلاء أمهم فرنجية أخذتها في أيام الملك الناصر صلاح الدين وأنا شاب نوبة حطين.

فقلنا: وكيف أخذتها. فقال: لها حديث عجيب. فقلت: أتحفنا به.

فقال: زرعت كتانا في هذه البلدة وقلعته ونفضته فانصرف عليه خمسمائة دينار، فلم يجب أكثر من ذلك، فأشير علي بحمله إلى الشام فحملته، فلم يجب أكثر من ذلك فقيل لي بعه صبرًا لعله يرجع لك حق الطريق فبعت بعضه صبرًا إلى ستة أشهر والبعض تركته عندي واكتريت حانوتا أبيع فيه على مهل إلى حين انقضاء الستة أشهر.

فبينما أنا أبيع وقد مرت بي امرأة إفرنجية زوج بعض الخيالة...

ونساء الإفرنج يمشون في الأسواق بلا نقاب...

فأتت تشتري مني كتانا...فرأيت من جمالها ما أبهرني...

فبعتها وسامحتها... ثم انصرفتْ وعادتْ إليَّ بعد أيام...

فبعتها وسامحتها أكثر من الكرة الأولى...

فتكررت إليَّ وعلمتْ أني أحبها...

فقلت للعجوز التي معها: إنني قد تعلقت بحبها فكيف تتحيلين لي.

فقالت لها ذلك.

فقالت: تروح أرواحنا الثلاثة أنا وأنت وهو.

فقلت لها: إذا أذهب روحي باجتماعي بها ما هو كثير.

وحكت لي كلاما كثيرا جرى بينهما...

واتفق الحال على أن أدفع لها خمسين دينارا صورية وتجيء إليَّ.

قال: فوزنت خمسين دينارا صورية وسلمتها للعجوز.

فقالت: هيئ لنا موضعك ونحن الليلة عندك.

قال: فمضيت وجهزت ما قدرت عليه من مأكول ومشروب وشمع وحلوى وكانت داري مطلة على البحر وكان الصيف ففرشت لي على سطح الدار...

وجاءت الإفرنجية فأكلنا وشربنا وجن الليل...

فنمنا تحت السماء والقمر يضيء علينا والنجوم تنظر في البحر.

فقلت في نفسي: أما تستحي من الله... وأنت غريب... وتحت السماء...

وعلى البحر... وتعصي الله مع نصرانية فتستوجب عذاب النار وعذاب الدنيا. اللهم إني أشهدك...

أني قد عففت عن هذه النصرانية في هذه الليلة...

حياء منك وخوفا من عقابك... ثم نمت إلى الصبح...

فقامت في السحر وهي غضبى... ومضتْ ومضيتُ إلى حانوتي...

فجلستُ فيه... وإذا هي قد عبرت عليَّ هي والعجوز وهي مغضبة...

وكأنها القمر... فهلكتُ...

وقلتُ في نفسي من هو أنت حتى تترك هذه الجارية؟!

أنت الجنيد أو السري السقطي... ثم لحقت العجوز...

وقلت: ارجعي. فقالت: وحق المسيح ما نرجع إليك إلا بمائة دينار.

فقلت: نعم. ومضيت إلى حانوتي ووزنتها.

وجاءت إليَّ ثاني دفعة...

فلحقتني تلك الفكرة الأولى وعففتُ عنها وتركتها لله تعالى.

ثم مضت ومضيت إلى موضعي...

ثم عبرت عليَّ وكلمتني وكانت مستغربة...

قالت: وحق المسيح ما بقيت تفرح بي عندك إلا بخمسمائة دينار أو تموت كمدًا فارتعت لذلك وعزمت أني أغرم ثمن الكتان جميعه وأفدى نفسي...

فبينما أنا كذلك...

والمنادي ينادي معاشر المسلمين إنَّ الهدنة التي بيننا وبينكم قد انقضت وقد أمهلنا من هنا من المسلمين إلى جمعة ليقضوا أمورهم وينصرفوا إلى بلادهم...

فانقطعت عني... وأخذت أنا في تحصيل ثمن الكتان الذي لي والمصالحة على ما بقي منه وأخذت معي بضاعة حسنة وخرجت من عكا وأنا في قلبي من الإفرنجية ما فيه.

فوصلت إلى دمشق وبعت البضاعة التي لي بأوفى ثمن لانقطاع وصولها بسبب فراغ الهدنة ومنَّ الله سبحانه وتعالى عليَّ بكسب جيد...

وأخذت أتجر في الجواري عسى أن يذهب ما بقلبي من الإفرنجية ولازمت التجارة فيهن فمضى على ثلاث سنين وجرى للسلطان الملك الناصر ما جرى من وقعة حطين وأخذه جميع الملوك وفتحه بلاد الساحل بإذن الله تعالى...

فطلب مني جارية للملك الناصر...

وكان عندي جارية حسنة فاشتريت له بمائة دينار فأوصلوا إليَّ تسعين دينارًا وبقيت عشرة دنانير فلم يجدوها في الخزانة ذلك اليوم لأنه أنفق الأموال جميعها...

فشاوروه على ذلك.

فقال: امضوا به إلى الخزانة التي فيها السبي من نساء الإفرنج فخيروه في واحدة منهن يأخذها بالعشرة دنانير التي له.

فأتيت الخزانة فنظرت إليها فعرفت الجارية الإفرنجية غريمتي.

فقلت: أعطوني هاتيك. فأخذتها ومضيت إلى خيمتي...

وقلت لها: أتعرفينني. قالت: لا.

فقلت: أنا صاحبك التاجر في المكان الذي جرى له معك ما جرى وأخذت مني الذهب وقلت ما بقيت تبصرني إلا بخمسمائة دينار وقد أخذتك ملكًا بعشرة دنانير.

فقالت: مد يدك أنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنَّ محمدًا رسول الله فأسلمت وحسن إسلامها.

فقلت: والله لا وصلت إليها إلا بأمر القاضي.

فرحت إلى ابن شداد وحكيت له ما جرى فعجب وعقد لي عليها.

وباتت تلك الليلة فحملت.

ثم دخل العسكر فأتينا إلى دمشق فما كان إلا شهور قلائل وأتى رسول الملك يطلب الأساري والسبايا باتفاق وقع بين الملوك فرد من كان أسيرًا من الرجال والنساء...

ولم يبق إلا امرأة الفارس التي عندي...

فسألوا عنها وألحوا في السؤال والكشف...

فوشى بها أنها عندي...

فطلبت مني وحضرت وأنا في شدة وقد تغير لوني.

فقالت: ما بدا لك وما الذي أصابك.

قلت: جاء رسول الملك وأخذوا الأساري جميعهم وطلبوني.

فقالت: لا بأس عليك أحضرني إليهم وأنا أعرف الذي أقول لهم.

قال فأخذتها وأحضرتها قدام السلطان الملك الناصر والرسول جالس عن يمينه.

فقلت: هذه المرأة التي عندي.

فقال لها الملك والرسول: تروحين إلى بلادك أم إلى زوجك فقد فك أسرك أنت وغيرك.

فقالت للسلطان: أنا قد أسلمت وحبلت وها بطني كما ترونه وما بقيت الفرنج تنتفع بي.

فقال لها الرسول: يخيرها أيما أحب إليك هذا المسلم أم زوجك الفارس فلان.

فقالت له: كما قالت للسلطان.

فقال الرسول لمن معه من الفرنج: اسمعوا كلامها.

ثم قال لي الرسول: خذ امرأتك وامض.

فوليت بها وقد أرسل إليَّ عاجلًا...

وقال: إنَّ أمها أرسلت لها معي وديعة، وقالت إنَّ ابنتي أسيرة وهي عريانة شعثة وأشتهي أن ترسل لها هذا الجمدان وتسلمه لها.

قال: فتسلمت الجمدان ومضينا إلى الدار...

ففتحته فوجدت قماشها بعينه وقد صرته لها أمها...

ووجدت الصرتين الذهب الخمسين دينارًا والمائة دينار كما هما بربطتي لم يتغيرا وهؤلاء الأولاد منها وهي تعيش وهي التي عملت هذا الطعام [(١)].

إنه الإحسان...

فلما عف واستحيا من الله أحسن الله إليه وآتاه ما يريد في الحلال في أبهى صوره.

والله يحب المحسنين وما جزاء الإحسان إلا الإحسان.

أخي الحبيب:

أحسن يُحسن الله إليك...

فما جزاء الإحسان إلا الإحسان.

لابد أن تستيقظ لا تضع عمرك وتلقى الله تعالى محرومًا من هذا

(١) مطالع البدور ومنازل السرور لعلي بن عبدالله الدمشقي (صـ٣٢٦ - ٣٢٩).

الإحسان.

أحسن في شبابك يحسن الله إليك في شبابك وهرمك.

أحسن في صحتك يحسن الله إليك في صحتك ومرضك.

أحسن في حياتك يحسن الله لك في حياتك وبعد موتك.

فماذا تنتظر؟ عندما ينحنى ظهرك ويشيب شعرك تذكر الله تعالى.

إنَّ الأمر جد خطير... أما تتقى الله في نفسك...

أما تذكر أنك ستلقى الله يومًا... أما تعلم أنك محروم قد حرمت نفسك من إحسان الله إليك...

ماذا تنتظر؟ تنتظر الزواج... من الذي أعلمك أنك ستتزوج؟!

تنتظر المشيب...

من الذي أدراك أنك ستشيب؟!.

وإن شبت...

من الذي أدراك أنك ستتوب؟!.

إنك ستندم حقًا لكنك لا تدري متى ستندم.

هل ستندم عندما تشيب؟

هل ستندم عند الموت؟

هل ستندم إذا وقفت بين يدي الله وعلمت أنك محروم قد حرمك الله تعالى من الإحسان إليك.

إن لحظة عند الموت تساوي لذة الدنيا كلها...

هى اللحظة التى تبشر فيها بأن الله تعالى راض عنك.

إنَّ عبد الله بن المبارك لما حضرته الوفاة وكان مُسجى وهو في سكرات الموت فلما أفاق نزع الغطاء من على وجهه وابتسم وقال لمثل هذا فليعمل العاملون [١].

لمثل هذا...

أي الذي يراه...

وهذه البشريات وهو عند الموت لم يلق الله بعد...

ثم نظر إلى السماء وقال لا إله إلا الله وفاضت روحه.

بكم تشتري هذه اللحظة؟

بكم تشتري هذا الإحسان في هذا الوقت؟

لو دفعت الدنيا بأسرها فإنها قليلة على هذه اللحظات.

انتبه أيها الغافل:

انتبه فإنَّ الله تعالى واسع الإحسان، فلابد أن تمد يد الطلب،ولابد أن تحسن حتى يحسن الله إليك...

أسأل الله تعالى أن يمن علينا وعليكم بالإحسان وأن يجعلنا من المحسنين.

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر (٣٢/ ٤٧٦).

الجـــــــــنة

إنَّ الله تعالى حكمٌ عدلٌ...

ومن حكمته وعدله أن كافأ المحسن بالإحسان وجعل له جزاءً عظيمًا لما عمل وصبر جزاءً بما كانوا يعملون قال تعالى ﴿إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾﴾ [الإنسان:٢٢]، وقال ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾﴾ [الحاقة: ٢٤].

فأعد لهم سبحانه دار كرامته بيده، وجعل فيها مالا عينٌ رأت ولا أذنٌ سمعت ولا خطر على قلب بشر...

ولما جعلها الله دار كرامته...

لم يسكن فيها إلا أحبابه...

الذين خافوا مقامه ونهوا النفس عن الهوى...

قال تعالى ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾ [الرحمن: ٤٦].

ولما علم الله ضعف النفوس وأنها قد تنحرف وتنسى وتغفل...

حث النفوس على المسارعة فقال تعالى ﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ [آل عمران].

وحثها على المنافسة والمسابقة فقال ﴿سَابِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢١﴾﴾ [الحديد: ٢١].

كل ذلك ليجزيهم بما كانوا يعملون...

فكم عفت نفوسهم عن أكل الحرام من الطعام والشراب...

فمنَّ الله عليهم بما لذ وطاب وما اشتهوا من الطعام.

وكم أغلقت العيون عن النظر للحرام إرضاء لله تعالى وبعدًا عن المحرمات...

فجعل لهم من الحور العين مالا تقوم له الدنيا من الجمال.

وكم فعلوا من الصالحات خالصة لوجهه وابتغاء مرضاته...

فأبدلهم بذلك أعظم جزاء وهو لذة النظر لوجهه سبحانه.

قال تعالى ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ [القيامة: ٢٢ – ٢٣].

وقال ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ ﴾ [عبس: ٣٨ – ٣٩].

نظرة سريعة:

نظرة لتشويق النفوس... نظرة لشحذ الهمم... نظرة لوصف بعض نعيم الجنة. فمن كان على طاعة فليحمد الله وليصبر...

وليعلم أنه ما خسر شيئًا مهما ترك لله.

وأما من أعرض وعصى فلقد خسر الخسران المبين.

إنه قد استبدل جهنم بجنة رب العالمين.

الجنة:

إنها نور يتلألأ... وريحانه تهتز... وقصر مشيد...

وثمرة نضيجة... وزوجة حسناء جميلة.

فيا لذة الأبصار إن هى أقبلت... ويالذة الأسماع حين تكلم

رائحتها:

إنَّ ريح الجنة يصل إليك قبل أن تصل إليها...

إن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين أو سبعين أو مائة عام...

عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما عن النبى ﷺ قال " **من قتل معاهدًا لَمْ يَرِحْ رائحة الجنة وإنَّ ريحها توجد من مسيرة أربعين عامًا** "(١).

عن أبى هريرة رضي الله عنه: عن النبى ﷺ قال " **ألا من قتل نفسًا معاهدًا له ذمة الله وذمة رسوله فقد أخفر بذمة الله فلا يُرَحْ رائحة الجنة وإنَّ ريحها ليوجد من مسيرة سبعين خريفًا** "(٢).

عن أبى بكرة قال سَمِعْتُ رسول الله ﷺ يقول" **إنَّ ريح الجنة يوجد من مسيرة مائة عام وما من عبدٍ يقتل نفسًا معاهدةً إلا حَرَّم الله تبارك وتعالى عليه الجنة ورائحتها أَنْ يجدها** قال أبوبكرة أَصَمَّ الله أذنى إنْ لم أَكُنْ سمعتُ النبى ﷺ يقولها"(٣).

أخى الحبيب: ريحها يصلك من مسيرة سنين...

فالمحروم حقًّا من حُرمها... بل إنَّ الأمر قد لايخطر على بالك...

فقد يجد العبد رائحتها في الدنيا... هل تصدق ذلك؟!

---

(١) أخرجه البخاري (٣١٦٦، ٦٩١٤)، النسائى (٤٧٤٨)، ابن ماجه (٢٦٨٦).

(٢) أخرجه الترمذي (١٤٠٣)، ابن ماجه (٢٦٨٧)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣٠٠٩).

(٣) أخرجه أحمد (٥/ ٤٦)، الحاكم في المستدرك (٢/ ١٣٧) وقال الذهبى على شرط البخاري، وقال شعيب الأرنؤوط في تخريج المسند حديث صحيح.

إنَّ ذلك إذا أراد الله أن يشوق العبد ويأخذ بروحه ومهجته إليه.

- قال أنس: لم يشهد عمى أنس بن النضر مع رسول الله ﷺ بدرًا، فشق عليه ذلك...

فقال: أول مشهد يشهده رسول الله ﷺ غبتُ عنه، فإن أراني الله مشهدًا فيما بعد فليرينَّ الله ما أصنع. قال: فهاب أن يقول كلمة غيرها.

قال: فلما شهد رسول الله ﷺ يوم أحد.

لقيه سعد بن معاذ... فقال له: إلى أين.

فقال: إني لأجد ريح الجنة دون أحد.

يقول ابن القيم رحمه الله:

ريح الجنة نوعان:

- ريح يوجد فى الدنيا تشمه الأرواح أحيانًا لا تدركه العباد.

- وريح تدركه العباد بحاسة الشم للأبدان كما تشم روائح الأزهار ولونها فهذا الذي قصده أنس بن النضر يجوز أن يكون من النوع الثاني [(١)].

- قال زيد بن ثابت بعثنى رسول الله ﷺ يوم أحد أطلب سعد بن الربيع

فقال: إن رأيته فأقرئه منى السلام وقل له: يقول لك رسول الله ﷺ كيف تجدك؟

قال: فجعلت أطوف بين القتلى، فأتيته وهو بآخر رمق، وفيه سبعون ضربة بسيف ورمية برمح.

---

(١) حادي الأرواح (١/ ١٠٩).

فقلت ياسعد: إنَّ رسول الله ﷺ يقرئك السلام، ويقول لك: كيف تجدك؟

فقال: وعلى رسول الله ﷺ السلام... قل له: يارسول الله أجد ريح الجنة... وقل لقومى الأنصار: لا عذر لكم عند الله إن خلص إلى رسول الله وفيكم عين تطرف، وفاضت نفسه من وقته"[(١)].

أبوابها:

عدد أبواب الجنة ثمانية:

عن عمر بن الخطاب قال: قال رسول الله ﷺ **(من توضأ فأحسن الوضوء ثم قال أشهد أَنْ لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أَنَّ محمدًا عبده ورسوله اللهمَّ اجعلنى من التوابين واجعلنى من المتطهرين فُتِحَتْ له ثمانية أبواب الجنة يدخل مِنْ أَيِّها شاء)**[(٢)].

أسماءها:

فكلٌّ يسمى باسم عمل...

وله وأهلون فمنها باب الصدقة ومنها باب الصلاة ومنها باب الجهاد ومنها باب الريان للصائمين.

ما بين مصراعيها:

عن أبى هريرة رضي الله عنه قال (والذي نفسي بيده ما بين المصراعين من

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك (٣/ ٢٢١)، وقال صحيح ووافقه الذهبى، وهو في سير أعلام النبلاء للذهبى (١/ ٣١٩).

(٢) أخرجه مسلم (٢٣٤)، الترمذي (٥٥)، ابن ماجه (٤٧٠).

مصاريع الجنة كما بين مكة وهجر وكما بين مكة وبصرى)"[١].

❁ نظرة لها من داخلها:

بناءها:

عن أبى هريرة، قال: قلنا: يا رسول الله، أخبرنا عن الجنة، ما بناؤها؟ قال: "لبنةٌ من ذهب، ولبنةٌ من فضةٍ، ملاطها المسك الأذفر، حصباؤها الياقوت واللؤلؤ، وتربتها الورس والزعفران، من يدخلها يخلد لا يموت، وينعم لا يبأس، لا يبلى شبابهم، ولا تُخَرَّق ثيابهم"[٢].

ياعجبًا كيف ينام طالبها... وكيف لم يجد ولم يعمل لذلك خاطبها...

وكيف يطيب العيش فى هذه الدار بعد سماع أخبارها.

نورها:

سئل ابن عباس ما أرض الجنة؟ قال مرمرة بيضاء من فضة كأنها مرآة، قيل ما نورها؟ قال ما رأيت الساعة التى يكون فيها طلوع الشمس فذلك نورها إلا أنه ليس فيها شمس ولا زمهرير[٣].

غرفها وقصورها:

إنها مساكن طيبة كما وصفها الله تبارك وتعالى: قال تعالى ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ

(١) أخرجه البخاري (٤٧١٢)، مسلم (١٩٤).
(٢) أخرجه أحمد (١٥/ ٤٦٤)، سنن الدارمى (٩/ ١١١)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٤٢٧)، وفي المشكاة (٥٦٣٠).
(٣) صفة الجنة لابن أبي الدنيا (١٤٠).

﴿٧٢﴾ [التوبة: ٧٢].

طيبة فى ريحها... طيبة فى بنائها... طيبة فى ساكنيها...

طيبة فى طعامها... طيبة فى العافية والآثار فيها...

فلا هم فيها و لا حزن ولا هرم ولا سقم.

قال ﷺ " **إنَّ فى الجنة خيمة من لؤلؤةٍ مجوَّفةٍ عرضها ستون ميلًا فى كل زاويةٍ منها أهلٌ ما يرَوْنَ الآخَرين يطوف عليهم المؤمنون** "(١).

وفي الصحيحين عن أبى هريرة "أتى جبريل النبى - ﷺ- فقال يا رسول الله هذه خديجةُ قد أتتك معها إناءٌ فيه إدَامٌ أو طعامٌ أو شرابٌ فإذا هى أتتك فَاقْرَأْ عليها السلام من ربها ﷻ ومِنِّى وبشرها ببيتٍ فى الْجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب"(٢).

أشجار وبساتين الجنة:

قال تعالى ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [الواقعة: ٢٧ – ٤٠].

وفي الصحيحين عن أبى هريرة قال ﷺ "**إنَّ فِى الْجَنَّةِ شَجَرَةً يَسِيرُ الرَّاكِبُ فِى ظِلِّهَا مِائَةَ عَام لَا يَقْطَعُهَا**"(٣).

وقال ﷺ "**وَلَقَاب قَوْسِ أَحَدِكُمْ فِي الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ**

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (٤٨٧٩)، مسلم (٢٨٣٨).
(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري (٣٨٢٠)، مسلم (٢٤٣٢).
(٣) متفق عليه: أخرجه البخاري (٣٢٥١، ٣٢٥٢)، مسلم (٢٨٢٦، ٢٨٢٧).

أَوْ تَغْرُبُ"[١].

عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ **ما فى الجنة شجرةٌ إلا وساقها من ذهب** [٢].

قال ابن المبارك عن مجاهد قال: أرض الجنة من وَرِق، وترابها مسك، وأصول شجرها ذهب وفضة، وأفنانها لؤلؤ وزبرجد وياقوت، والورق والثمر تحت ذلك، فمن أكل قائمًا لم يؤذه، ومن أكل جالسًا لم يؤذه، ومن أكل مضطجعًا لم يؤذه: ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾﴾ [الإنسان][٣].

"عن جرير، قال: قال سلمان: «**يا جرير، تواضع لله؛ فإنه من تواضع لله تعالى فى الدنيا رفعه يوم القيامة**»«**يا جرير، هل تدرى ما الظلمات يوم القيامة؟**» قُلْتُ: لا أدري، قال: «**ظلم الناس بينهم فى الدنيا**»، قال:ثم أخذ عُوَيدًا لا أكاد أن أراه بين أصبعيه، قال: «**يا جرير، لو طلبت فى الجنة مثل هذا العود لم تجده**» قال: قلتُ: يا أبا عبد الله، فأين النخل والشجر؟ قال: «**أصولها اللؤلؤ والذهب، وأعلاها الثمر**»[٤].

أنهار الجنة:

- أربعة أنواع قال تعالى ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ

(١) أخرجه البخاري (٣٢٥٣).
(٢) أخرجه الترمذي (٢٥٢٥)، ابن حبان في صحيحه (١٦/ ٤٢٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٦٤٧).
(٣) الزهد لابن المبارك (٢٢٩)، مصنف ابن أبى شيبة (١٣/ ٩٥).
(٤) البعث والنشور للبيهقى (٢٧٦)، حلية الأولياء (١/ ٢٠٢)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣٧٣٣).

فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغۡفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمۡ كَمَنۡ هُوَ خَٰلِدٞ فِي ٱلنَّارِ وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمٗا فَقَطَّعَ أَمۡعَآءَهُمۡ ﴿١٥﴾ [محمد: ١٥].

قال ابن القيم وتأمل الاجتماع فى هذه الأنهار الأربعة:

هذا لشربهم وطهورهم -يعنى الماء العذب -...

و هذا لغذائهم وقوتهم - أي اللبن -...

وهذا لشفائهم - أي العسل -...

وهذا للذتهم وسررهم - أي الخمر- [(١)].

- أنهار الجنة تتفجر من الفردوس الأعلى:

عن أبى هريرة رضي الله عنه قال ﷺ: «**إنَّ فى الجنة مائة درجةٍ أعدَّها الله للمجاهدين فى سبيل الله، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس، فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة، أراه فوقه عرش الرحمن، ومنه تفجَّر أنهار الجنة**»"[(٢)].

- الأنهار فى الجنة بغير أخدود:

عن أنس بن مالكٍ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**لعلكم تظنون أَنَّ أنهار الجنة أخدودٌ فى الأرض لا والله إنها لسائحةٌ على وجه الأرض حافتاها خيام اللؤلؤ وطينها المسك الْأَذْفَرُ**» قُلْتُ: يا رسول الله، وما الأذفر؟ قال: «**الذى لا خلط معه**»[(٣)].

---

(١) حادي الأرواح لابن القيم (١/ ١٢٣).

(٢) أخرجه البخاري (٢٧٩٠، ٧٤٢٣).

(٣) ورد عن أنس مرفوعًا وموقوفًا: أبونعيم في الحلية (٦/ ٢٠٥)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٥١٣).

- الأنهار تجرى من تحت أشجارها:

قال تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡكَبِيرُ ١١﴾ [البروج: ١١].

❁ الحور العين:

الحور: هى المرأة الشابه الحسناء الجميلة البيضاء شديدة سواد العين مع شدة بياضها[(١)].

❁ وصف الحور العين:

✍ أزواج مطهرة:

قال تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ لَّهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَنُدۡخِلُهُمۡ ظِلّٗا ظَلِيلًا ٥٧﴾ [النساء: ٥٧].

مطهرة من الحيض والبول والغائط...

طهر ثوبها من الوسخ والدنس...

طهرت طهارة الباطن والظاهر.

✍ قاصرات الطرف:

لا تنظر إلا لزوجها وما ترى غيره قال تعالى ﴿فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ لَمۡ يَطۡمِثۡهُنَّ إِنسٞ قَبۡلَهُمۡ وَلَا جَآنّٞ ٥٦﴾ [الرحمن: ٥٦].

(١) حادي الأرواح لابن القيم (١/ ١٥٠).

عُرُبـ:

قال تعالى ﴿ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ ﴾ [الواقعة: ٣٧].

العُرب: هى المحبة لزوجها قال سعيد بن جبير، عن ابن عباس: يعنى متحببات إلى أزواجهن، ألم تر إلى الناقة الضبعة، هى كذلك[١].

كواعب الأترابـ:

قال تعالى ﴿ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ ﴾ [النبأ: ٣٣].

الكواعب: هى التى تكعب ثديها واستدار قال ابن عباس ومجاهد، وغير واحد: (كواعب) أي: نواهد، يعنون أن ثديهن نواهد لم يتدلين لأنهن أبكار[٢].

لونها:

كالياقوت والمرجان قال تعالى ﴿ كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ﴾ [الرحمن: ٥٨] أي في صفاء الياقوت وبياض المرجان قاله مجاهد، والحسن[٣].

الحسن والجمال:

عن أنس بن مالكٍ عن النبى ﷺ قال " **لَرَوْحَةٌ فى سبيل الله أو غَدْوَةٌ خيرٌ من الدنيا وما فيها ولقاب قوس أحدكم من الجنة أو موضع قيدٍ يعنى سوطه خيرٌ من الدنيا وما فيها ولو أَنَّ امرأةً من أهل الجنة اطَّلَعَتْ إلى أهل الأرض لأضاءت ما بينهما ولَمَلأَتْهُ ريحًا ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما**

---

(١) تفسير ابن كثير (٧/ ٥٣٣).
(٢) تفسير ابن كثير (٨/ ٣٠٨).
(٣) تفسير ابن كثير (٧/ ٥٠٤).

فيها"[١].

فلينظر من يبحث عن الجمال ألا يرضيك هذا فيجعلك تسير إلى الله وتصبر قليلًا ثم تفوز بهذا الحسن والجمال.

عن أبى هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ **إنَّ أول زمرةٍ يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر ثم الذين يلونهم على أشدِّ كوكب دُرِّيٍّ فى السماء إضاءةً لا يبولون ولا يَتَغَوَّطون ولا يتفلون ولا يَمْتَخِطُونَ أمشاطهم الذهب ورشحهم المسك وَمَجَامِرُهُمْ الْأَلُوَّةُ الْأَنْجُوجُ عود الطيب وأزواجهم الحور العين على خَلْق رجل واحدٍ على صورة أبيهم آدم ستون ذراعًا فى السماء"**

وفي رواية " **لكلِّ امرئ زوجتان من الحور العين يرى مخ سوقهنَّ من وراء العظم واللحم** "[٢].

روى ابن أبى الدنيا عن يزيد الرَّقاشى قال " بلغنى أنَّ نورًا سطع فى الجنة لم يبق موضع من الجنة إلا دخل فيه من ذلك النور فقيل ما هذا قيل حوراء ضحكت فى وجه زوجها فشهق صالح فظل يشهق حتى مات [٣].

الحور العين راضيات لا يسخطن أبدًا...

خالدات لا يمتن أبدًا...

---

(١) أخرجه البخاري (٢٧٩٦)، مسلم مختصرًا (١٨٨٠).

(٢) أخرجه البخاري (٣٢٥٤)، مسلم (٢٨٣٤).

(٣) صفة الجنة لابن أبي الدنيا (٣٥٩).

❁ هذه صفات عرائس الجنان:

هـــــذي صـــــفات عـــــرائس الجنـــــان
فـــــاختر لنفســـــك يـــــا أخـــــا العرفـــــان
حـــــور حســـــان قـــــد كمـــــلن خلائقـــــا
ومحاســـــن مـــــن أجمـــــل النســـــوان
كملـــــت خلائقهـــــا وأكمـــــل حســـــنها
كالبـــــدر ليـــــل الســـــت بعـــــد ثمـــــان
والشـــــمس تجـــــري في محاســـــن وجهها
والليـــــل تحـــــت ذوائـــــب الأغصـــــان
حمـــــر الخـــــدود ثغـــــورهن لآلـــــئ
حـــــور العيـــــون فـــــواتر الأجفـــــان
والفجـــــر يبـــــدو حـــــين يبســـــم ثغرهـــــا
فيضـــــيء ســـــقف القصـــــر والجـــــدران
ولقـــــد رُوِّينـــــا أن برقـــــا ســـــاطعًا يبـــــدو
فيســـــأل عنـــــه مـــــن بجنـــــان
فيقـــــال هـــــذا ضـــــوء ثغـــــر ضاحـــــكٍ
في الجنـــــة العليـــــا كمـــــا تريـــــان
لا الحـــــيض يغشـــــاها ولا بـــــول ولا
شـــــيء مـــــن الآفـــــات في النســـــوان
أقـــــدامها مـــــن فضـــــة قـــــد رُكِّبـــــت
مـــــن فوقهـــــا ساقـــــان ملتفـــــان
الـــــريح مســـــك والجســـــوم نـــــواعم
واللـــــون كاليـــــاقوت والمرجـــــان
بكـــــر فلـــــم يأخـــــذ بكارتهـــــا ســـــوى
المحبـــــوب مـــــن إنـــــس ولا مـــــن جـــــان

وإذا يجامعهـــــا تعـــــود كمـــــا أتـــــت
بكـــــــرًا بغيـــــــر دم ولا نقصـــــــان
وأعفهـــــم في هـــــذه الـــــدنيا هـــــو
الأقـــــوى هنـــــاك لزهـــــده في الفانـــــى
فـــــاجمع قـــــواك لمـــــا هنـــــاك وغمـــــض
العينـــــين واصـــــبر ســـــاعة لزمـــــان
لا تـــــؤثر الأدنـــــى علـــــى الأعلـــــى
فـــــإن تفعـــــل رجعـــــت بذلـــــة وهـــــوان

فأغمض عينيك عن المعاصى...

و لا تشتر البخس الرخيص بالغالى الثمين...

لا تبع نعيمًا لم تر مثله العين، ولم تسمع بمثله الآذان، ولا خطر على قلب بشر بمتاع قليل زائل.

آنية أهل الجنة:

قال ﷺ "....،**آنيتهم الذهب والفضة، وأمشاطهم الذهب، وَقُودُ مَجَامِرِهِمُ الأُلُوَّةُ - قال أبواليمان يعنى العود - ورشحهم المسك**"[(١)].

طعام أهل الجنة:

طعامهم طعام لذة وليس طعام جوع.

فيها ما تشتهيه الأنفس: لحم، وفاكهة، طعامٌ دائمٌ لا ينقطع، لا يبولون، ولا يتمخطون ولا يتغوطون قال تعالى ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾﴾ [الذاريات: ١٥]، وقال تعالى ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا

(١) **متفق عليه**: أخرجه البخاري (٣٢٤٦)، مسلم (٢٨٣٤).

ٱلْأَنْهَٰرُ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ﴿٣٥﴾ ﴾ [الرعد: ٣٥]، وقال تعالى "﴿ وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الطور: ٢٢]، وقال تعالى ﴿ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾ ﴾ [الرحمن: ٥٢].

عن جابر "يأكل أهل الجنة فيها ويشربون، ولا يَتَغَوَّطون ولا يَمْتَخِطُونَ ولا يبولون، ولكن طعامهم ذلك جشاءٌ كرشح المسك يلهمون التسبيح والحمد، كما تُلهَمون النفس"(١).

✍ النظر إلى وجه العزيز الكريم:

وأعظم هذا النعيم وأحسنه لذة النظر إلى وجهه تعالى.

قال تعالى ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ ﴾ [عبس].

إنها تسفر وتضيء وتضحك وتستبشر بهذا النعيم ورؤية الرب الكريم.

وقال تعالى ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ [القيامة: ٢٢ - ٢٣] تنضر من النعيم ومن رؤية الله العزيز الحليم.

ولما كان النظر لوجه الله تبارك وتعالى هو أعظم نعيم الجنة سماه الله تعالى المزيد قال تعالى ﴿ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾ ﴾ [ق:٣٥].

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ " **أتاني جبريل عليه السلام وفي يده مرآة بيضاء فيها نكتة سوداء فقلت: ما هذه يا جبريل؟ قال: هذه الجمعة يعرضها عليك ربك لتكون لك عيدًا ولقومك من بعدك تكون أنت الأول وتكون اليهود والنصارى من بعدك، قال: ما لنا فيها قال: فيها خير لكم فيها ساعة من دعا ربه فيها بخير هو له قسم إلا أعطاه إياه، أو ليس له قسم إلا ادخر له ما هو أعظم منه، أو تعوذ فيها من شر هو عليه مكتوب إلا أعاذه**

(١) أخرجه مسلم (٢٨٣٥).

أو ليس عليه مكتوب إلا أعاذه من أعظم منه، قلت ما هذه النكتة السوداء فيها؟ قال هذه الساعة تقوم يوم الجمعة، وهو سيد الأيام عندنا ونحن ندعوه في الآخرة يوم المزيد قال: قلت: لم تدعونه يوم المزيد؟ قال: إن ربك ﷻ اتخذ في الجنة واديًا أفيح من مسك أبيض فإذا كان يوم الجمعة نزل تبارك وتعالى من عليين على كرسيه ثم حف الكرسي بمنابر من نور وجاء النبيون حتى يجلسوا عليها ثم حف المنابر بكراسي من ذهب ثم جاء الصديقون والشهداء حتى يجلسوا عليها ثم يجيء أهل الجنة حتى يجلسوا على الكثيب فيتجلى لهم ربهم تبارك وتعالى حتى ينظروا إلى وجهه وهو يقول أنا الذي صدقتكم وعدي وأتممت عليكم نعمتي هذا محل كرامتي فسلوني.

فيسألونه الرضا فيقول الله ﷻ رضائي أحلكم داري وأنالكم كرامتي.

فسلوني فيسألونه حتى تنتهي رغبتهم فيفتح لهم عند ذلك ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر إلى مقدار منصرف الناس يوم الجمعة..... فليسوا إلى شيء أحوج منهم إلى يوم الجمعة ليزدادوا فيه كرامة وليزدادوا فيه نظرًا إلى وجهه تبارك وتعالى ولذلك دعي يوم المزيد[(١)].

الرضا التام من الرحيم الرحمان:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ "إنَّ اللهَ يقول لأهل الجنَّةِ: يا أهلَ الجنَّةِ، فيقولون: لبَّيكَ وسعْدَيك، والخيرُ في يدَيْك، فيقول: هل رضِيتُمْ؟ فيقولون: وما لنا لا نرْضى يا ربِّ، وقد أعطَيْتَنا ما لم تُعْطِ أحدًا من خلقِك، فيقول: ألا أُعطِيكم أفضلَ من ذلك؟ فيقولون: يا ربِّ، وأيُّ شيءٍ أفضلُ من ذلك، فيقول: أُحِلُّ عليكم رِضواني، فلا أسخطُ عليكم بعده

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط (٢/ ٣١٤)، أبويعلى في مسنده (٧/ ٢٢٨)، البزار في مسنده (٢/ ٣٦٤)، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣٧١٦) قال حسن لغيره.

أبدًا"[١].

أقل أهل الجنة نعيمًا وآخرهم دخولًا:

عن ابن مسعود، أَنَّ رسول الله ﷺ قال: " آخر من يدخل الجنَّة رجلٌ، فهو يمشى مَرَّةً، وَيَكْبُو مَرَّةً، وتسفعه النار مَرَّةً، فإذا ما جاوزها التفت إليها، فقال: تبارك الذى نجَّانى منك، لقد أعطانى الله شيئًا ما أعطاهُ أحدًا من الأولين والآخرين، فترفع له شجرةٌ، فيقول: أَىْ رَبِّ، أدننى من هذه الشجرة فلأستظل بظلها، وأشرب من مائها، فيقول الله ﷻ: يا ابن آدم، لَعَلِّى إنَّ أعطيتكها سألتنى غيرها، فيقول: لا، يا رَبِّ، ويعاهده أَنْ لا يسأله غيرها، وربه يعذره لأنه يرى ما لا صبر له عليه، فيدنيه منها، فيستظل بظلها، ويشرب من مائها، ثم ترفع له شجرةٌ هى أحسن من الأولى، فيقول: أَىْ رَبِّ، أدننى من هذه لأشرب من مائها، وأستظل بظلها، لا أسألك غيرها، فيقول: يا ابن آدم، ألم تعاهدنى أَنْ لا تسألنى غيرها، فيقول: لَعَلِّى إن أدنيتك منها تسألنى غيرها، فيعاهده أن لا يسأله غيرها، وربه يعذره لأنه يرى ما لا صبر له عليه، فيدنيه منها فيستظل بظلها، ويشرب من مائها، ثم ترفع له شجرةٌ عند باب الجنة هى أحسن من الأوليين، فيقول: أَىْ رَبِّ، أدننى من هذه لأستظل بظلها، وأشرب من مائها، لا أسألك غيرها، فيقول: يا ابن آدم، ألم تعاهدنى أن لا تسألنى غيرها، قال: بلى يا رب، هذه لا أسألك غيرها، وربه يعذره لأنه يرى ما لا صبر له عليه، فيدنيه منها، فإذا أدناه منها فيسمع أصوات أهل الجنة، فيقول: أَىْ رَبِّ، أدخلنيها، فيقول: يا ابن آدم ما يصرينى منك؟ أيرضيك أن أعطيك الدنيا ومثلها معها؟ قال: يا رب، أتستهزئ منى وأنت رب العالمين؟ "، فضحك ابن مسعودٍ، فقال: ألا تسألوني مم أضحك فقالوا:

---

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري (٦٥٤٩)، مسلم (٢٨٢٩).

مم تضحك، قال: هكذا ضحك رسول الله ﷺ، فقالوا: مم تضحك يا رسول الله، قال: " من ضحك رب العالمين حين قال: أتستهزئ منى وأنت رب العالمين؟ فيقول: إني لا أستهزئ منك، ولكنِّى على ما أشاء قادرٌ"[(١)].

أخى الحبيب: شمر عن ساعديك...

فلازالت السوق قائمة، والثمن موجود، والسلعة باقية.

وسيأتى يومٌ، ينفض السوق، والثمن غير موجود، والسلعة غير باقية.

أخى الحبيب: إنَّ من يضيع هذا النعيم فقد خسر خسرانًا مبينًا.

وما عليك إلا أن تستعين بالله، وتغمض عينيك عن الحرام، وأذنك عن الحرام، ولسانك عن الحرام.

أخى الحبيب: اعلم أنَّ الصبر على الألم لن ينتهى إلا بخروج الروح.

وإذا خرجت روح العبد فعاين بعض النعيم في الآخرة ما تمنى أن يعود لأهله وولده أبدًا إلا أن يريد أن يستزيد من الصالحات التى كانت سببًا في هذا النعيم.

هاهو عبد الله بن حرام والد جابر بن عبدالله لما قتل وكان قد خلَّف جابر وثمان بنات وكان جابر وأهله يبكون عليه قال النبى ﷺ لجابر ما من أحد إلا كلمه الله من وراء حجاب إلا أباك فإنَّ الله كلمه كفاحًا فقال له: تمن قال: أريد أن أردَّ إلى الدنيا - ليس لأهل ولا للبنات - بل لأقتل ثانية [(٢)].

لما عاين بعض النعيم تمنى أن يعود إلى الدنيا ليستزيد من الصالحات.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٧١)، مسلم (١٨٧) واللفظ له.

(٢) أخرجه الترمذي (٣٠١٠)، ابن ماجه (١٩٠)، وحسنه الألباني في صحيح وضعيف سنن ابن ماجه.

إنَّ العمل هو الذى يوصلك إلى هذا النعيم:

يقول ابن القيم: إنَّ أول منازل القوم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ٤١﴾.

وأوسطها ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا ٤٣﴾.

وآخرها ﴿تَحِيَّتُهُمۡ يَوۡمَ يَلۡقَوۡنَهُۥ سَلَٰمٞۚ وَأَعَدَّ لَهُمۡ أَجۡرٗا كَرِيمًا ٤٤﴾[1].

أخى الحبيب: اعلم أنَّ الجنة ليست بعيدة عنك إنك تستطيع شراءها وأنت حى وذلك بعملك.

عن أبى هريرة، قال: " اشترى عثمان بن عفان من رسول الله ﷺ الجنة مرتين بيع الخَلْق: حين حَفَر بئر رُومة، وحين جهز جيش العسرة "[2].

أخى الحبيب: اشتر الغالى النفيس ولاتبعه بالفانى الرخيص...

فإنك إذا بعت النعيم المقيم بالمتاع الزائل فقد غبن بيعك وخسرت خسرانًا عظيمًا.

يقول ابن القيم " اعلم أنَّ من أعظم الغبن بيع ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بصبابة عيش...

إنما هو أضغاث أحلام مشوب بالنغص ممزوج بالغصص...

إن أضحك قليلًا أبكى كثيرًا، وإن أسر يومًا أحزن شهورًا...

آلامه تزيد على لذاته وأحزانه أضعاف أضعاف مسراته...

---

(١) الفوائد لابن القيم (١/ ٣٤).

(٢) حلية الأولياء (١/ ٥٨).

لا تؤثر الحظ الفاني الخسيس على الحظ الباقى النفيس....

لا تبع:

لا تبع جنة عرضها الأرض والسماوات بسجن ضيق بين أرباب العاهات والبليات...

لا تبع مساكن طيبة في جنات عدن تجري من تحتها الأنهار بأعطان ضيقة آخرها الخراب والبوار...

لا تبع أبكارًا عربًا أترابًا كأنهن الياقوت والمرجان بقذارات من النساء سيئات الخلق مسافحات أو متخذات أخدان...

لاتبع لذة النظر إلى وجه العزيز الرحيم بالمتعة برؤية الوجه القبيح الدميم...

لا تبع سماع خطاب الرحمن بسماع المعازف والغناء والألحان...

لا تبع الجلوس يوم القيامة على منابر اللؤلؤ والياقوت والزبرجد في يوم المزيد بالجلوس في الطرقات مع كل شيطان مريد "[1].

اللهم ارزقنا الجنة ونعيمها، وارزقنا النظر إلى وجهك، واجعل وجوهنا مسفرة ضاحكة مستبشرة واجعلها يارب إليك ناظرة.

(١) حادي الأرواح (١/ ٤).

المصادر والمراجع

❁ **القرآن الكريم وعلومه:**

- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن لـمحمد الأمين الشنقيطى.
- البحر المحيط لأبى حيان الأندلسى.
- تفسير البغوي.
- تفسير الثعلبى.
- تفسير القرآن العظيم لابن كثير.
- جامع البيان في تأويل القرآن لابن جرير الطبري.
- فضائل القرآن لأبى عبيد.
- في ظلال القرآن لسيد قطب.

❁ **السنة المطهرة وعلومها:**

- اقتضاء العلم للعمل للخطيب البغدادي.
- الأحاديث الطوال للطبراني.
- الأحاديث المختارة للضياء المقدسى.
- الإحسان بترتيب ابن حبان للأمير علاء الدين على بن بلبان الفارسى.
- الأدب المفرد للبخاري.
- الأذكار للنووي.

- إرواء الغليل للألباني.
- الإلماع للقاضى عياض.
- التاريخ الصغير للبخاري.
- الترغيب والترهيب للمنذري.
- التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان للألباني.
- الجامع لأخلاق الراوي للخطيب البغدادي.
- الرحلة في طلب الحديث للخطيب البغدادي.
- السلسلة الصحيحة للألباني.
- السلسلة الضعيفة للألباني.
- السنن الكبرى للبيهقى.
- السنن الكبرى للنسائى.
- السنة لابن أبى عاصم.
- الشمائل للترمذي.
- المتفق والمفترق للخطيب البغدادي.
- المدخل للبيهقى.
- المصنف لأبى بكر بن أبى شيبة.
- المعجم الأوسط للطبراني.
- المعجم الكبير للطبراني.
- تدريب الراوي للسيوطي.

- تهذيب سنن أبى داود لابن القيم.
- جامع الأحاديث للسيوطى.
- جامع بيان العلم وفضله لابن عبدالبر.
- جمع الجوامع للسيوطى.
- سنن ابن ماجه.
- سنن أبى داود.
- سنن الترمذي.
- سنن الدارقطنى.
- سنن الدارمى.
- سنن النسائى.
- شرح السنة للبغوي.
- شرح سنن النسائى للسيوطى.
- شرح معاني الآثار للطحاوي.
- شعب الإيمان للبيهقى.
- صحيح ابن حبان.
- صحيح ابن خزيمة.
- صحيح ابن ماجه للألباني.
- صحيح أبى داود للألباني.
- صحيح الأدب المفرد للألباني.

- صحيح البخاري.
- صحيح الترغيب والترهيب للألباني.
- صحيح الترمذي للألباني.
- صحيح النسائى للألباني.
- صحيح مسلم.
- صحيح وضعيف الجامع الصغير للألباني.
- ظلال الجنة للألباني.
- عمدة القاري شرح صحيح البخاري لبدر الدين العينى.
- فتح الباري للحافظ ابن حجر.
- فتح المغيث للسخاوي.
- فيض القدير للمناوي.
- كنز العمال للمتقى الهندي.
- مجمع الزوائد للهيثمى.
- مختصر الشمائل للألباني.
- مختصر العلو للألباني.
- مستدرك الحاكم.
- مسند أبى يعلى الموصلى.
- مسند ابن الجعد.
- مسند أحمد بن حنبل.

- مسند البزار.
- مسند الحميدي.
- مسند عبد بن حميد.
- مشكاة المصابيح للتبريزي (للألباني).
- مصنف عبد الرزاق.
.- مقدمة ابن الصلاح.

❁ التاريخ والسير والتراجم:

- الاستيعاب لابن عبدالبر.
- الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني.
- الأنساب للسمعاني.
- البداية والنهاية لابن كثير.
- البدر الطالع بمحاسن القرن الرابع للإمام الشوكاني.
- الثقات لابن حبان.
- الدلائل لأبى نعيم.
- الذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب الحنبلى.
- الروض الأنف للسهيلى.
- الرياض النضرة في فضائل العشرة لأبى جعفر الطبري.
- السيرة النبوية لابن كثير.
- الطبقات لابن سعد.

- الكامل في التاريخ لابن الأثير.
- المنهل العذب الروي للسخاوي.
- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة لأبى المحاسن جمال الدين يوسف بن تغري.
- تاريخ ابن خلدون.
- تاريخ الإسلام للذهبى.
- تاريخ الطبري.
- تاريخ بغداد للخطيب البغدادي.
- تاريخ دمشق لابن عساكر.
- تذكرة الحفاظ للذهبى.
- تهذيب الكمال للمزي.
- حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة للسيوطى.
- حلية الأولياء لأبى نعيم.
- حياة الصحابة للكاندهلوي.
- حياة الصحابة لمحمود المصري.
- دلائل النبوة للبيهقى.
- ذيل تاريخ بغداد لابن النجار.
- سير أعلام النبلاء للذهبى.
- شذرات الذهب لابن عماد الحنبلي.

- صفة الصفوة لابن الجوزي.
- صور من حياة الصحابة للدكتور عبدالرحمن رأفت باشا.
- طبقات الشافعية الكبرى أبونصر عبدالوهاب بن على بن عبدالكافي السبكى.
- على بن أبى طالب للصلابى.
- عمر بن الخطاب للصلابى.
- عيون الأخبار لابن قتيبة الدينوري.
- فتوح الشام للواقدي.
- فضائل الصحابة للإمام أحمد.
- فضائل الصحابة للنسائى.
- فقه السيرة محمد الغزالى (تحقيق الألباني).
- محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب للإمام يوسف بن الحسين بن عبدالهادي الدمشقى الحنبلى.
- مختصر تاريخ دمشق لابن الأثير.
- مروج الذهب للمسعودي.
- معرفة الصحابة لأبى نعيم.
- وفيات الأعيان لابن خلكان.

❁ الرقائق والآداب وغيرها:

- اجتماع الجيوش الإسلامية لابن القيم.
- إحياء علوم الدين للغزالى.
- أخلاق العلماء للآجري.
- أدب الدنيا والدين لأبى الحسن الماوردي.
- إرشاد الفقيه لابن كثير.
- إعلام الموقعين لابن القيم.
- الإخوان لابن أبى الدنيا.
- الآداب الشرعية لابن مفلح.
- الاستذكار للحافظ ابن عبدالبر.
- الأوسط لابن المنذر.
- البعث والنشور للبيهقى.
- التبصرة لابن الجوزي.
- التذكرة للقرطبى.
- التعريفات للجرجاني.
- التهجد وقيام الليل لابن أبى الدنيا.
- الحث على طلب العلم لأبى هلال العسكري.
- الرقة والبكاء لابن أبى الدنيا.
- الزهد الكبير للبيهقي.

- الزهد لابن المبارك.
- الزهد لأحمد بن حنبل.
- السيرة النبوية لابن كثير.
- السيرة النبوية لابن هشام.
- العاقبة في ذكر الموت لعبدالحق الإشبيلى.
- العواصم من القواصم لمحمد بن العربى المالكى.
- الفوائد لابن القيم.
- الكبائر للذهبى.
- المجالسة لأبى بكر الدينوري.
- المحجة في سير الدلجة لابن رجب.
- النونية لابن القيم.
- الوابل الصيب لابن القيم.
- أهوال القبور لابن رجب.
- حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح لابن القيم.
- حسن الظن بالله لابن أبى الدنيا.
- ديوان على بن أبى طالب.
- ذم الهوى لابن الجوزي.
- رهبان الليل للدكتور سيد العفاني.
- زاد المعاد لابن القيم.

- صفة الجنة لابن أبى الدنيا.
- صفة الجنة لأبى نعيم.
- صور من حياة الأنبياء والصحابة والتابعين لمحمود المصري.
- صيد الخاطر لابن الجوزي.
- طريق الهجرتين لابن القيم.
- عدالة السماء للخطاب.
- علم أصول الفهم لمصطفى سلامة.
- علو الهمة للدكتور محمد إسماعيل المقدم.
- فتح الرحمن في بيان هجر القرآن لمحمد فتحى عبد العزيز، ومحمود الملاح.
- فصل الخطاب في الزهد والرقائق والآداب لمحمد نصر الدين محمد عويضة.
- فكاهة الأذواق من مشارع الأشواق إلى مصارع العشاق لمحمود العالم.
- كتاب التوابين لابن قدامة.
- كتاب المتمنين لابن أبى الدنيا.
- كشف اللثام شرح عمدة الأحكام للسفارينى.
- لطائف المعارف لابن رجب.
- مجابوا الدعوة لابن أبى الدنيا.
- مجموع فتاوى ابن تيمية.

- مختصر منهاج القاصدين لابن قدامة المقدسى.
- مدارج السالكين لابن القيم.
- مساوئ الأخلاق للخرائطى.
- مشارع الأشواق إلى مصارع العشاق لابن النحاس.
- مطالع البدور للدمشقى.
- مفتاح دار السعادة لابن القيم.
- مكارم الأخلاق للخرائطى.
- من روائع العريفى للدكتور العريفى.
- وجوب تحكيم الشريعة للدكتور أحمد فريد.

الفِهرِسْ

المقدمة ٥
الإسلام منهج حياة ١٣
الشريعة الإسلامية بين المحاسن والإفتراءات ٤٣
وصف النبيِّ ﷺ ٦٥
التمسك بالوحي والكتاب سبب لعناية رب الأرباب ٧٩
مفتاح السعادة ٩٩
الهمة العالية ١١٥
احفظ الله يحفظك ١٤٣
الشـــــــكر ١٥٧
الخشية من الله تعالى ١٧٥
التوكل على الله ١٩٣
الحـــــــياء ٢٠٧
العلـــــم ٢٢١
الأمـــانـــة ٢٦٧
بـــر الوالـــدين ٢٩١
نفحات شهر رمضان ٣٠٥
الإنفـــــاق ٣٢٥
الحج مناسك وعبر ٣٤٥
رسالة إلى الشباب ٣٦٥
قل لي من صاحبك أقل لك من أنت ٣٩٣

فوائد وعبر من قصة أصحاب الكهف ٤١٥
الابتـــــــلاء ٤٢٩
دروس وعبر من حادثة الإفك..... ٤٥٥
إياك والظلم..... ٤٦٩
القـــــــيم..... ٤٨٥
التـــوبـــــة ٤٩٩
المـــــوت ٥٢١
هل جزاء الإحسان إلا الإحسان ٥٤٩
الجـــــــنة ٥٧٧
المصادر والمراجع ٥٩٧
الفهرس..... ٦٠٩

كتب
صدرت للمؤلف

علم أصول الفقه

- التيسير المأمول

شرح الأصول

من علم الأصول

- الإعلام في أصول الأحكام

علم النحو

التبيان
في قواعد النحو
وتقويم اللسان

علم العقيدة

قصد السداد

شرح

لمعة الاعتقاد

وبين يديك في الرقائق والمواعظ

إرشاد السالكين

إلى سبيل الصالحين